

أوفه شومبورغ

شيفرة بابل

رواية مثيرة

ترجمة

هدى الخطيب



شِيفرة بَابِل

هذه الرواية من محض الخيال. فجميع الفرقاء والخصوم وأي شخصيات أخرى ورد ذكرها أو وصفها في هذه الرواية وجميع تعبيراتها وتصيرفاتها هي من الابتكار الحر للمؤلف. وكذلك تصريحات وتصيرفات الأشخاص التاريخية والمعاصرة والمؤسسات نشأت من خيال المؤلف، حتى وإن وجد تشابه بينها وبين أشخاص حقيقين أو أحداث حقيقية.

اسم الكتاب: شيفرة بايل / رواية مثيرة

المؤلفة: أوفه شومبورغ

المترجم: هدى أنيس الخطيب

عدد الصفحات: 632

القياس: 14.5 × 21.5

الطبعة: 1433-1432/1000

© جميع الحقوق محفوظة

Copyright ninawa

دار نينوى

المطبعة والنشر والتوزيع

سورية . دمشق . ص ب 4650

تلفاكس: + 963 11 2314511

هاتف: + 963 11 2326985

E-mail: ninawa@scs-net.org

www.ninawa.org

العمليات الفنية:

التضييد والإخراج والطباعة وتصميم الغلاف

القسم الفني - دار نينوى

لا يجوز نقل أو اقتباس، أو ترجمة،
أي جزء من هذا الكتاب، بأية وسيلة كانت
دون إذن خطوي مسبق من الناشر

أوفد الله بوعز

شيفرون بابل

رواية مشيرة

ترجمة

هدى أنيس الخطيب

دار بستاي توبه للنشر

يضم هذا الكتاب ترجمة الأصل الألماني

Der Babylon Code

حقوق الترجمة العربية مرخص بها قانونياً من

Bastei Lübbe GmbH & Co. KG

بمقتضى الاتفاق الخطي الموقع بينهم
وبين دار نينوى للدراسات والنشر

Authorized translation from German language Edition
Original Copy © 2008 by Bastei Lübbe GmbH & Co. KG, Köln

نبذة عن المؤلف

أوفه شومبورغ، ولد عام 1957 في مدينة باد لاوتيربورغ، متزوج ولديه طفلان ويعيش في براندنبورغ بالقرب من مدينة بوتسدام. يشغل منصب كبير المسؤولين التنفيذيين في إحدى الشركات المتوسطة، ويكرس وقت فراغه للكتابة. وقد حقق كتابه الأول (مؤامرة الشعري اليمانية) نجاحاً كبيراً. ويعمل أوفه شومبورغ حالياً على إتمام روايته المثيرة التالية.

لِلْأُبْنَائِي

«ما عساي ان أحب كثيرة، ما عساي ان اكره كثيرة؟
فالمرء لا يحيا إلا بحياة الآخرين!»

يوهان فولفغانغ فون جوته

تعتقدون أن يامكأنكم فهم هذا العالم. وهذا
غير صحيح. إنه يخفي أسراراً لا تصدق. جعلتم من
عقولكم مرشدأً وظننتم أن العالم لا يملك سحراً.
بالرغم من أنكم لم تستطعوا فهم حتى أبسط
ظواهره: متى بدء الزمن؟ أين هي حدود الفضاء
اللامتناهي؟ فلتكن لديكم الشجاعة للكشف السر.
البابا يوحنا بولس الثاني

إن المأساة الكبرى هي صمت الرب، الذي لم
يعد يتجلى، ويبدو وكأنه اختفى في السماء لاستيائه
من أفعال البشر.
البابا يوحنا بولس الثاني

بحسب التعاليم الجديدة للكنيسة الكاثوليكية، فإنه لا يوجد تعارض بين الإيمان بالله ونظرية النشوء والارتقاء - بالرغم من وجود معارضة قوية داخل الكنيسة.

صرح أحد المشاركين في هذا النقاش بشكلٍ علنيٍّ قائلاً «يبدو لي أن الوقت لا يزال مبكراً ليتفق الفلاسفة مع العلماء» ثم اقتبس لهذا الغرض قول فريدرش شيللر «بوجود العداوة بينكم لن تلتقو أبداً، وعندما تتفرق سبل بحثكم ستعرفون الحقيقة».

ما الذي دفع البابا لعقد جلسة نقاشٍ حول هذا الموضوع؟
هل كان هناك سبب؟

الكتاب الأول

اللُّفْرُ

«دقّت ساعة الصحوة»

القديس بندكت

الفصل الأول

الخلافة العثمانية بلاد ما بين النهرين 1916 بابل

صدى آلاف السنين من الوجود البشري يتردد في هذه المقاطع الثلاث العظمة، القوة، الإحتلال والدمار...
أسوار عالية وملوك محاربين...
قوانين حمورابي ويرج بابل...
لم يبق منها سوى كومة من الركام. إنهارت تلك العظمة ليعود الرماد إلى الرماد والغبار إلى الغبار.

جلس كارل شتاينر وألبرت كروغر على تلة مريعة من الركام كانت تشكل الحدود الشمالية لبابل القديمة.
وحدها هذه التلة كانت كافية للتذكير بقوة وروعة بابل.
أطلت بمنحدراتها الحادة وارتفاعها الشاهق وامتدادها لأكثر من ربع ميل. أرضها الطينية كانت مهشمة بفعل الأنفاق وبقايا الأعمدة المنتشرة فيها كما في كافة أرجاء بابل.

منذ العصر الروماني واللصوص يحفرون أرضاها لسرقة الطوب الطيني المحروق والذي كان يستعمل منذ زمنٍ طويٍل لبناء المنازل ومخازن الحبوب والسدود، أما الطوب الطيني غير المحروق فقد أصبح وليمةً لحرارة الشمس والماء. مجرد حطام...

كان شتاينر يستطيع شم رائحة عرقه، وبالرغم من أن الشمس كانت تميل إلى الغروب إلا أن هواء الصحراء الحار كان لا يزال يلفح الوجه، أما نهر الفرات فكان لا يجلب إلا القليل من الرطوبة.

لباسه الرقيق المكون من بنطالٍ وقميصٍ طويٍل كان مناسباً تماماً لجو الصحراء، ولكنهم كانوا قد قطعوا الصحراء تحت أشعة الشمس الحارقة مستقلين إحدى الشاحنات القليلة - صالحة الإستعمال - والتي كانت ما تزال تابعة للجيش العثماني السادس في بغداد. وقف الشاحنة من ماركة «أويل» والتي تزن ثلاثة أطنان، خلف التلة على بعد مناسب من مناطق التقطيب، بحيث لا يتم ملاحظتها.

للمرة الأخيرة ومع هواء الصحراء إستشعر كارل شتاينر تلك العظمة التي كانت ذات يوم، وتخيل لو أن يامكانه أن يعيد الحياة لهذه القصور والأسوار... لم يكن بإستطاعته مقاومة تلك الفكرة.

على تلك التلة تماهت أجسادهم مع الشقوق والصدوع. لم يكن بالإمكان تمييزهم عن بعد بينما كانوا هم يطلون على بقايا الملكة القديمة، ويستطيعون أن يلمحوا أي حركة.

لم يكن هناك سوى الصحراء برمالها الرمادي المائلة إلى البني على مدار النظر، يقطعها حزامٌ أخضرٌ من أشجار النخيل على ضفاف نهر الفرات.

كان مجاري النهر يمر على بعد أميالٍ غرب التلة، يسير قادماً من شمال غرب المدينة لينعطف قليلاً باتجاه الغرب وينساب بمحاذاة الآثار إلى

الجنوب. على ضفتيه انتصب أشجار التحيل وامتدت بعمق نصف ميل داخل اليابسة، حيث تنهي الصحراء بشكلٍ مفاجئٍ تلك التحفة الخضراء.

أشجار التحيل تلك كانت تحجب النظر عن قرية كويرش الصغيرة. في نهاية الطرف الشمالي للقرية كان رئيس بعثة التقيب روبرت كولدوبي قد شيد مقراً للبعثة.

جنوباً وعلى بعد حوالي الميلين من موقعهم يوجد القصر والتلة الثانية لبابل القديمة. لم يكن القصر بارتفاع برج بابل إلا أن مساحته كانت أكبر بحوالي الأربع مراتٍ، وهو المكان الذي تم فيه التقيب عن آثار القصور الملكية، حيث وُجد مركز المدينة المتهاوي لإحدى أقوى المالك في التاريخ. هناك كانت ساحة بابل أو بوابة الآلهة والتي كانت تشكل مدخلًا لأكبر وأشهر هيكل بابل «معبد الإله مردوخ».

على بعد نصف ميلٍ جنوبى القصر وبارتفاع حوالي خمسة وعشرين متراً تقع تلة عمران، والتي سميت نسبة إلى المرقد الإسلامي المقدس الذي تم تشييده عليها لعمران بن علي. وكانت هذه هي التلة الأعلى في كافة أرجاء بابل القديمة وتوجد في منطقة الصحن حيث يوجد أيضًا بقايا موقع إتيمناكيٍ وبرج بابل.

«هكذا تدور عجلة الزمن» قال الألماني روبرت كولدوبي رئيس بعثة التقيب متحسراً لشتاينر في إحدى جولاتهما التفتيشية. ثم شرح له «صحنٌ لا يعني سوى طبقٍ» وهو يصف طبيعة هذه الأرض المسطحة. إلا أن هذا المكان كان يشكل حرماً قدسياً بالنسبة لبابل في عصرها الذهبي. داخل الأسوار المحيطة كان يقع برج بابل ومعبد مردوخ. واليوم دُفنت بقايا معبد مردوخ عميقاً تحت أنقاض تلة عمران، ولم يبق من البرج سوى بعض

الحفر لأساساته تملؤها المياه الجوفية، وشارعٌ يصل بين قريتين ويمر من خلال ما كان يعرف بالمنطقة المقدسة».

هكذا هو الحال، رد شتاينر في عقله. (كل شيءٍ زائلٌ. أشهر مدن المشرق - مدمرة. دماراً تماماً لم تشهده إلا مدنٌ قليلةٌ غيرها. الآلهة والملوك رحلوا إلى عالم النسيان والقصور أمست ركامًا).

كانت رمال الصحراء تلتف تحت حذائه مع كل خطوةٍ يخطوها. رفع رأسه ونظر إلى البرت كروغر الذي كانت عيناه مشدودتان عبر الصحراء إلى الشرق، حيث كانت تقع مدينة «كيش» على بعد أقل من خمسين ميلًا. هناك ولد النظام الملكي والذي نادى به حكام بابل لأنفسهم فيما بعد.

كانه سرابٌ، ذلك الذي هيئ لشتاينر في لهيب الصحراء الحارق وهو يرى المقاتلين الشرسين والقصور الرائعة المليئة بالذهب والأحجار الكريمة... ووجوهاً شاحبة لجموع من البشر بدون أسماء، قضوا تحت وطأة آلاف السنين من العبودية لملوكهم.

أغمض عينيه لفترةٍ وجيبةٍ وأدار رأسه فتللاشت الصور من مخيلته سريعاً كما أنت.

في جهة الغرب، حيث كانت تظهر دائمًا جماعات من البدو المفيرة والتي تسقط على مناطق التتقيب لسرقة الآثار، ذات الشمس اللامعة في تراب الصحراء فألقت بخيوط أشعتها البنفسجية على موقع الآثار فجعلتها تبدو كلوحةٍ فنيةٍ.

«حان الوقت» قال كارل شتاينر وهو يربت على كتف كروغر. جهزا نفسيهما ونزلوا من على التلة بأرجلٍ متصلبةٍ. سارا بسرعةٍ أكبر على الأرض

المسطحة ليصلـا إلى حزام شجر النخيل ويمشيـان محتمـيـان به باتجـاهـ القـصـرـ.

دمـدمـ أـلـبرـتـ كـروـغـرـ. «ـهـلـ سـيـأـتـونـ»ـ الـذـيـ كانـ أـقـصـرـ بـقـلـيلـ منـ كـارـلـ شـتـايـنـرـ وـكـانـ جـسـدـهـ أـنـحلـ وـأـرـقـ،ـ وـلـهـ عـيـنـانـ فـاتـحـتـاـ اللـوـنـ،ـ مـتـيقـظـتـانـ وـمـتـأـهـبـتـانـ دـائـمـاـ وـكـانـهـ التـلـعـبـ.

ـسـوـفـ نـرـىـ»ـ.

ـوـ فـجـأـةـ شـقـ السـكـونـ صـوـتـ مـنـ بـيـنـ أـشـجـارـ النـخـيلـ.

ـدـمـدمـ شـتـايـنـرـ «ـمـضـخـةـ المـيـاهـ»ـ.ـ كـانـتـ مـضـخـةـ المـيـاهـ هـذـهـ قـدـيمـةـ جـداـ قـدـمـ بـاـبـلـ نـفـسـهاـ،ـ وـكـانـتـ تـدـارـ بـوـاسـطـةـ ثـوـرـ،ـ تـرـفـعـ مـيـاهـ الفـرـاتـ فيـ أـنـبـوبـ جـلـديـ إـلـىـ أـعـلـىـ لـتـصـبـ فيـ قـنـوـاتـ الـرـيـ الـتـيـ كـانـتـ تـؤـدـيـ إـلـىـ الـحـقـولـ الـعـلـيـاـ.ـ وـلـوـلـاـ نـظـامـ الـرـيـ ذـاكـ لـمـ نـمـتـ أـيـ مـنـ الـمـحـاـصـيـلـ فيـ تـلـكـ الـأـرـضـ.ـ كـانـ الـحـبـلـ فيـ نـهـاـيـةـ الـأـنـبـوبـ الـجـلـديـ يـمـرـ بـحـلـقـةـ مـثـبـتـةـ عـلـىـ جـذـعـيـ نـخـلـتـيـنـ مـقـوـصـيـنـ إـلـىـ الـأـمـامـ وـهـذـاـ مـاـ كـانـ يـسـبـبـ صـوـتـ الـضـجـيجـ.

ـيـجـبـ عـلـيـنـاـ أـنـ نـكـونـ حـذـرـينـ،ـ لـاـ مـجـالـ لـإـرـتـكـابـ أـيـ حـمـاـفـةـ الـآنـ»ـ،ـ قـالـ كـروـغـرـ،ـ وـسـارـ بـمـزـيـدـ مـنـ الـحـذـرـ بـيـنـ سـيـقـانـ النـخـيلـ.

ـخـلـالـ السـنـوـاتـ الـماـضـيـةـ كـانـ كـروـغـرـ قـدـ جـابـ بـلـدـانـاـ كـثـيـرـةـ،ـ مـنـ الـمـنـاطـقـ الـحـدـودـيـةـ لـإـيـرـانـ صـعـودـاـ إـلـىـ جـبـالـ زـاـغـرـوـسـ وـنـزـولـاـ إـلـىـ عـيـلـامـ حـيـثـ عـصـورـ مـاـ قـبـلـ التـارـيـخـ.ـ وـكـعـمـيـلـ سـرـيـ لـجـلـالـةـ الـقـيـصـرـ (ـفـيـلـهـلـمـ الـثـانـيـ)،ـ حـاـوـلـ كـروـغـرـ الـحـدـ مـنـ تـأـثـيرـ الـبـرـيـطـانـيـنـ الـذـيـنـ أـبـرـمـواـ إـنـفـاـقـيـاتـ حـمـاـيـةـ مـعـ بـعـضـ رـؤـسـاءـ الـعـشـائـرـ،ـ بـالـرـغـمـ مـنـ أـنـ هـذـهـ الـمـنـاطـقـ الـقـبـلـيـةـ كـانـتـ تـخـضـعـ لـلـحـكـمـ الـعـثـمـانـيـ.

ـمـنـ فـتـرـةـ وـجـيـزـةـ مـنـ الـبـرـيـطـانـيـوـنـ بـهـزـيـمةـ سـاحـقـةـ،ـ فـأـنـتـاءـ الـحـرـبـ الـعـالـمـيـةـ الـأـوـلـىـ إـنـضـمـتـ الـخـلـافـةـ الـعـثـمـانـيـةـ عـاـمـ 1915ـ إـلـىـ قـوـيـةـ الـمـحـورـ،ـ فـقـامـتـ بـرـيـطـانـيـاـ بـإـرـسـالـ حـمـلـةـ إـسـتـكـشـافـيـةـ إـلـىـ الـبـصـرـةـ فيـ مـحاـوـلـةـ لـلـوـصـولـ إـلـىـ

بغداد والإستيلاء عليها، إلا أنه وفي 29 نيسان من عام 1916 استسلمت (كوت، العمارة) بعد حصار دام شهوراً ووقع الجنرال (تونزن) في الأسر ومعه ثلاثة عشر ألفاً من جنوده، والذي كان معظمهم من الهنود. كان كارل شتاينر من موقعه في بغداد ينفذ مهمته كضابط إرتباط بين السفارة الألمانية في إسطنبول والجيش العثماني المنتصر الذي كان وحتى أيام قليلة مضت تحت إمرة القائد العام الميداني البروسي «كولمار فرايهر فون دير غولتس».

(فرايهر) الذي رُشح في عام 1909 لشغل منصب مستشار الرايخ الألماني، كان منذ نيسان 1915 يقود الجيش العثماني في مناطق فارس وبلاد ما بين النهرين، وقد أثر بشكلٍ كبيرٍ في إجراء الإصلاحات العسكرية في الجيش العثماني قبل ما يقارب الثلاثة عقود، بالإضافة إلى أنه كان من أبرز الشخصيات الأجنبية التي عاشت في الخلافة العثمانية على الإطلاق.

ولكن غولس «باشا» -كما كانوا يلقبونه- كان قد مات. فقبل عشرة أيام من الإنتصار الكبير قضى فرايهر في بغداد بعد انتقال عدوه التفويد إليه أثناء قيامه بزيارة لأحد الجرحي.

كان شتاينر قد وصل إلى بغداد قبل خمس سنوات من قدوم غولس «باشا» ليراقب التحركات المشبوهة للبريطانيين. حيث كان عملائهم يتجلون في البلاد منتحلين صفة التجار، بالإضافة إلى ذلك فقد كانت تربطهم علاقاتً وطيدةً مع علماء آثارٍ من العرب والفرس، والذين كانوا يعملون أيضاً كجواسيس.

يجب عليك حماية موقع التنصيب الخاصة بنا في بابل» هكذا كانت تعليمات السفير الألماني لشتاينر، ثم أضاف « علينا أن نقوم بنقل هذه الكنوز إلى برلين».

منذ ما يقارب الثلاثة أرباع القرن نقب صيادوا الكنوز في هذه الأرض، وقاموا ببيع ما وجدوه من آثار قيّمة لأشهر متاحف العالم، لم يكن التقىب عن الآثار بداعٍ علميٍّ، بل مغامرةٌ خطيرةٌ للصوص والناهبيين، الذين كانوا يطمعون بالثروة والجاه في بلادهم.

وبهذا ظهر الكثير والكثير من هذه اللقى الأثرية في المتحف البريطاني ومنتحف اللوفر الفرنسي.

لم يرغب الرايخ الألماني أن تبدو متاحفه متأخرة عن غيرها، فعمد لدعم التقىب عن الآثار في مناطق آشور وبابل. إلا أن الحرب حالت دون نقل هذه الكنوز. كان روبيرت كولدوبي وأعضاء البعثة الألمانية ينقبون منذ سبعة عشر عاماً في بابل، ليلاً ونهاراً، في الصيف كما في الشتاء، ويكدسون ما يجدونه من كنوز في مخزنٍ كان قد خصص لهذا الغرض.

رغم هزيمة البريطانيين في كوت العمارة، فكر شتاينر أن الوقت قد حان لإنزال الخيام، فبلاد ما بين النهرين كانت من الولايات المهملة للخلافة العثمانية، وكانت مسألة وقتٍ حتى تقلب الأوضاع. وبشكل فعلي كانت مصر تتبع لبريطانيا، حيث نجح لورنس بتأليب أصحاب النفوذ من العرب. كان هنالك الكثير من المفاجآت في سياسة الخلافة العثمانية، وكان بعد بغداد عن عاصمة الخلافة يحول دون قدرة إسطنبول على توفير الحماية الدائمة لتلك المناطق.

فكَر شتاينر وألبرت في خطة لإنقاذ حياتهما، فأرادا التحبي عن منصبيهما قبل أن تتطلق الرصاصتان المخصمتان لانتحارهما.

صعدا إلى القصر من الجهة الشمالية الشرقية ثم عبرا بقايا الشارع العريض والذي كان يؤدي إلى بوابة عشتار.

لم يتبق شيءٌ من تلك الروعة السالفة. فلا أعمدة شامخةٌ كما في اليونان، ولا بقايا معابد كما في مصر أو إيران، ولكن الطوب المحروق وغير

المحروق مختلطٌ مع القصب، وبعضاً معزول بواسطة القار. في قليلٍ من الموضع كان بالإمكان رؤية بقايا الطوب المُعبدة بالإسفلت، والذي كان

يُستعمل كطبقة أساسية لرصف الشوارع بأحجار طينية مريعة.

تُقْسَى على الجهة الداخلية لكل مربع عبارة تشير إلى نبوخذ نصر الثاني، الذي استطاع أن يُنْقَذ بابل من الإنهيار، ويجعل منها إحدى أعظم الممالك على مر العصور.

«أيها الإله مردوك، امنحه الحياة الأبدية» كانت هذه هي العبارة الخاتمة على كل مربع.

تابعاً سيرهما فبدت إلى جانبيهما الأيمان أنقاض القصر الخارجي والحسن الشمالي. وبعد أن تسلقاً كومةً صغيرةً من الركام، وصلا إلى الموضع الذي تم فيه اكتشاف بوابة عشتار.

كان المكان أشبه بأرضٍ بركانية، كانت الحفريات في هذا الموضع تصل لعمق عشرين متراً تحت سطح الأرض. لم يكن بالإمكان رؤية أي أثرٍ لبوابة عشتار، لقد تم ترقيم كل طوبٍ بدقةٍ، ومن ثم نقلها إلى مخزن الكنوز. إلى يمينهما ظهرت أيضاً آثار القصر الملكي المحاط بالسور الداخلي الشمالي للمدينة.

كانت بابل في عصر ازدهارها كأنها حصنٌ ذو سورين، السور الخارجي بسمك ثمانية أمتارٍ يليه يابثاً عشر متراً السور الداخلي بسمك ستة أمتارٍ، والذي كان يُقدم حمايةً إضافيةً للمدينة. كل أربعة وأربعين متراً على طول الأسوار شُيد برجٌ على الجهتين لتعزيز القدرة المُناعية للأسوار.

تحصيناتٌ لا تُقهر

وبالرغم من هذا تم تدمير بابل. لقد خانها كهنة معبد الإله مردوخ،
وفتحوا أبواب المدينة لجحافل الفرس.

«إنهم قادمون..»

رآهم البرت كروغر أولًا.

خيالات تلوح عند الشفق.

نظر شتاينر بالاتجاه الذي أشار إليه كروغر. في البداية لم يكن
يستطيع الرؤية بسبب أكواخ الركام التي كومها كروغر - المهندس المعماري
أصلًا - مع مائتين وخمسين من عماله حين كانوا ينتسبون عن الآثار في هذا
الموقع وتحت أشعة الشمس الحارقة يوماً بعد يوم. القصب والطين. منذ الأزل
لم تتوفر أي مواد أخرى هنا. لا حجارة ولا حديد والقليل من الخشب.

السكة الخاصة بالقاطرات الصغيرة التقت حول مقابر الحفريات
الكافاعي السوداء، أو إختفت في حفر التقطيب. وكانت القاطرات تنتقل من
كومة ركام إلى أخرى.

أعطى شتاينر دفعةً خفيفةً على ظهر كروغر، ثم هرول من مكانه
العالي إلى الأسفل حيث أصبح على مستوى موقع التقطيب ووقف في البقعةِ
الخالية بينما وقف كروغر أسفل التلة، ينتظر.

في هذه الأثناء كان الفروب قد أسدل بستاره على منطقة الآثار
بأكملها، وإن هي إلا لحظاتٌ حتى يبتلع الظلام كل شيءٍ.

فجأةً وتحت جنح الظلام خرجت أشباحٌ بشريةً من خلف التلة،
وأتجهت نحو شتاينر. كانوا يرتدون لباس العمال البسيط، كان الأول يرتدي
بنطالاً وقميصاً طويلاً بينما لبس الآخر قفطاناً، غطى الإثنان رأسيهما
بقبعاتٍ صغيرةٍ.

«مساء الخير» تتم شتاينر – باللغة العربية- وعندما وقف العربي أمامه أردد قائلًا «يسعدني لقائك مجددًا يا عبد الله».

«مساء النور» أجاب الرجل برفقة عبد الله، وقد ذهب نظره إلى كروغر الذي كان يقترب منهم. كل من الرجالان العربيان كان يحمل سلاحًا ألماني الصنع لشركة (ماوزر) من أسلحة الجيش العثماني من نوع «إم 87» عيار 9.5 مم وذات مخزن إسطواني.

احتفظ عقل شتاينر بتلك التفاصيل، حيث أنه كان من النادر وجود مثل هذه الأسلحة المتطورة بحوزة العرب، فالبنادق التي تبعي من الأمام كانت الأكثر إنتشاراً، التفاصيل الأخرى لم تكن تهمه كثيراً.

«في طريقكما إلى القتال؟» سأله شتاينر عبد الله، ثم تابع طقوس التحية بالسؤال عن أحوال عبد الله.

«لا يمكن للمرء أن يتكون بما قد يحدث»

«أم أنك لا تأمن جانبي»

«أنت تعلم جيداً أن عبد الله لا يخشى أحداً»

«وأين الآخرين؟»

«إما في القرية أو أنهم مستمرون في العمل هناك عند موقع المعبد الذي تسمونه أنتم -برج بابل-. إلا أن المياه الجوفية تزيد من صعوبة عملهم».

أوما شتاينر. فلقد كان كولدوبي دائم التذمر، لأنه استطاع الوصول إلى الطبقة الأولى من الآثار فحسب، والتي تعود إلى زمن نبوخذ نصر الثاني، بينما حال إرتفاع منسوب المياه الجوفية دون وصوله إلى طبقات المدينة التي تعود إلى زمن حمورابي.

«وماذا عن الصلاة؟»، سأله شتاينر

«الله كريم، وسوف تقوم بأدائها لاحقاً».

«لقد تحدثت عن وجود كنز».

«وأنت عن جنيه إنجليزيٌ من الذهب».

كان شتاينر يعرف عبد الله منذ سنين. هذا العربي كان رئيساً لمجموعة من عمال التقطيب، كان عليه أن ينقب عن الآثار ويجد النفيسي منها، بينما كان ثلاثة من عماله يملئون القصعات بالرخام والتربا الناتج عن الحفر، والتي كانت تحمل فيما بعد من قبل ستة عشر عاملاً آخرين يلتقى بها بعيداً.

إلا أن القروش الخمسة التي كان يتلقاها عبد الله لقاء عمله بشكل يومي لم تكن تكفيه، فلقاء المزيد من المال كان يقوم بنقل كافة المعلومات التي تصله حول أنشطة الإنجليز عن طريق أقاربه، أو من أهالي قريته، أو من سكان المنطقة المحيطة بمواقع الآثار.

كان شتاينر مضطراً للتعامل مع عبد الله وأمثاله. فمع طوله الفارع وبشرته الشديدة البياض، ولغته العربية الركيكة كان من الصعب أن يخفي حقيقة أنه أجنبي في هذه المناطق، لم يكن يامكانه الإنخراط بين الأهالي كما كان الحال مع كروغر.

«أين هي» قال عبد الله ولعنة عيناه من شدة الإثارة.

أخرج شتاينر منديلاً أبيضاً من كيسِ جلدي أسود كان مثبتاً على حزامه، وألقى بقطعة المال الذهبية في الكف المفتوح لعبد الله.

«أفضل من النقود العثمانية على أية حال»

«كم ستعطيني منها؟» سأله عبد الله وهو يحكم قبضته حول القطعة

النقدية

«هذا يعتمد على...»

أدار عبد الله رأسه بإيحاءٍ خبيثٍ «لدي شيءٌ ممیزٌ جداً»
أوقدوا المشاعل.

قاداهما عبد الله وكمال، الذي لم يخرج عن صمته، بمحاذاة سورٍ مرتقٍ من القرميد، ومرروا بجانب السور الداخلي العظيم للمدينة. نيران المشاعل التي دعت الحشرات للترافق حولها، عكست ظلالهم على الجدران فبدت وكأنها كائناتٌ شبحيةً. مع هذا كله كان شتاينر يسير خلفهم متذمراً، ويحاول منع نفسه من لطم تلك الأشباح التي تراقصهم.

«إلى أين تأخذنا؟» سأله بنبرةٍ مرتابة، فلقد أفقدته متابهة الأسوار والدروب المشعبة التي أدخلوا فيها قدرته على تحديد موقعه. «كان نبوخذ نصر غالباً ما يخفي غنائمه، وأحياناً كان يظهرها» قال عبد الله ضاحكاً: «لم يتغير شيءٌ عبر آلاف السنين التي مرت، فأسياد العالم كانوا وما زالوا متشابهين، اليوم كما في الأمس، كان يُسمح للبابليين بالنظر إلى الفنائيم المكتسبة من معاركهم المظفرة، إلا أن ما سأريك إياه اليوم لم تشهده عينٌ من قبل... أصبحنا قريبيين جداً» استمر عبد الله بالضحك بينما رممه كمال بنظره من الرضا.

وفجأةً أدرك شتاينر إلى أين كان يقودهم عبد الله، لقد كانوا في طريقهم إلى كهوف الدفن الوحيدة التي اكتشفها كولودي. «ولكن المقابر خاليةً» قال وأمسك بذراع عبد الله «ماذا سنفعل هناك»

نفض عبد الله ذراعه، ثم انعطف فجأةً ليتغلب حول زاوية السور، وهناك توقف أمام حائطٍ مرتقٍ، وجه مشعله إلى الأسفل وأخذ يمسح الأرض ببنظره، ثم جر رجله اليمنى إلى الأمام، وأخذ يدب بها على الأرض. كان الصوت مكتوماً. خشبًّا فكر شتاينر.

«لقد دفناها هنا» همس عبد الله بنبرةٍ خبيثةً ثم أعطى كمالاً إشارةً،

فقام بدوره بإعطاء مشعله لعبد الله، ثم دس يده في الرمال حتى بان طرف صندوقٍ خشبيٍّ هائلٍ. جر كمال الصندوق جانباً، وقام بإحداث فتحةٍ مربعةٍ فيه بمساحةٍ مترٍ تقربياً.

«لقد وجدنا مقبرةً غير خالية» قال عبد الله بابتسامة المنتصر.

«غير معقولٍ!» دمدم شتاينر، ثم تابع «أين؟ هنا؟»

«كلا... عند المعبد، الذي يُعرف على خرائط المقربين بالرمز - EP -

إلا أنا أخفيناه هنا».

بلمح البصر صعد الأدريناлиين في عروق شتاينر، هل سيتمكن في النهاية من أخذ شيءٍ معه يتوج به سنين عمل طويلةٍ في سرقة المقابر. كانت كنوز بابل تُهَبَّ منذ سنين طويلةٍ، فكلَّ كأن يعلم أين توجد الآثار.

إلا أن كولدوي وخلال سنوات عمله هنا، لم يستطع التتقىب إلا في نصف المساحة. فلا تزال هنالك آلاف المواقع التي يمكنهم التتقىب بها، وإيجاد المزيد من الكنوز. هذا ما دار في خلد شتاينر، خصوصاً هناك حيث يكون منسوب المياه الجوفية مرتفعاً جداً مما يحول دون القيام بعمليات التتقىب.

اختفى كمال في الحفرة وناوله عبد الله المشعل والسلاح، ثم إنزلقوا وراء كمال. فوجدوا أنفسهم في غرفةٍ جدرانها من الطوب الطيني المحروق، كان الهواء جافاً ونقياً، لا توجد رائحة قتل. هذا ما أدركه شتاينر، ظروفٌ مناسبةٌ تماماً للتخزين.

قادهم عبد الله إلى إحدى الزوايا الخلفية، ثم توقف. وبناءً على إشارةٍ منه انحني كمال، وأمسك بطرف قطعة قماشٍ فانسابت رمال الصحراء الناعمة من عليها. سحبها كمال جانباً.

«يا إلهي!» صاح شتاينر، ثم ركع على ركبتيه، وأخذ يتحسّس

الموجودات بأصابعه. كانت أشكالاً ذهبيةً لحيوانات مختلفة، أحجامها صغيرةً جداً، صنعت بدقةٍ عالية. بعضها كان بارتفاع سنتيمتراتٍ فقط ومجوهراتٍ من اللازوردٍ، تماثيلٌ صغيرةٌ لرجالٍ ونساءٍ، وختمٌ مدورٌ بزخارفٍ ناعمةٍ بالإضافة إلى أطباقٍ للتقديم مغطاة بقشور الذهب. رأى ستايير مجوهراتٍ من المرجان، الزفير والعااج. قلائدٌ من اللؤلؤ. تماثيلٌ لآلهةٍ وأخرى لحامل البخور بأحجامٍ مختلفةٍ. كما وجد حجر الأساس البرونزي الذي كان أول ما وضع لتأسيس المعبد.

«مستحيلٌ. هذا أمر لا يصدق» إنسبات يداه بسحرٍ فوق الكنوز، وتلمست أصابعه الأسلام الذهبية والبراشيم، ثم مسح على المفاصل المتراكبة باللحم. إلى جانب المجوهرات والكنوز رأى ثلاثة عشر من الألواح المسمارية، وثلاثةٌ من العظام ذات لونٍ رماديٍّ مائلٍ إلى البنفسجي، والتي نحاها ستايير جانبياً.

بدا وكأن جهازه العصبي بأكمله قد تركز في رؤوس أصابعه. القشور الذهبية أثارت نهايات أعصابه فأرسلت بموجةٍ من مشاعر السعادة اجتاحت كل ذرةٍ من جسده. لمس المجوهرات وتهجد بارتياحٍ، وكأنه دخل في ملوك السماء. وبعد برهةٍ، بدت وكأنها لا تنتهي، سحب يده ودستها في الرمال المجاورة للكنوز.

«هل لديك المزيد؟»

«هذا كل شيءٍ» أجاب عبد الله بهدوءٍ وبنبرةٍ متعليةٍ.
أدار ستايير رأسه يميناً ويساراً، وكأنه سمع صوت زقزقة خفافيش الصحراء. تلاقت نظراته بعيني كروغر الذي أنزل مشعله من يده.
كان كمالٌ يحمل مشعلين بكلتا يديه، وهذه الغلطة كلفته حياته.
أداةٌ رفيعةٌ داكنة اللون باسمك عودٌ من القش تقريباً، انطلقت باتجاهه. تلك الأداة في قبضة كروغر، والتي بدت كخنجرٍ مسحوبٍ، ما كانت

سوا مسمار نجاري طوبيل، بعين دائيرية في نهايته. إخترق صدره واستقر في قلبه.

أطلق كمال أنيناً ثم هوى على الأرض.

إقشعر جسد عبد الله لهول ما رأى ثم رفع سلاحه، وقبل أن يكمل نصف استدارة ظهر خلفه ظلّ أخذ بالنمو، إلتفت يد شتاينر اليسرى حول رقبته، وجره إلى الخلف.

انسلّت سبابة عبد الله من على الزناد وتشوه وجه كروغر أمامه. مزيج من الشعور بالطمع، الحقد، الرغبة بالإنتقام والجنون. تملّكه الرعب، ثم شعر بألمٍ حارقٍ يخترق جسده.

ثم مالبث المسمار ذو العين دائيرية أن وجد طريقه إلى ضحيته التالية.

الكتاب الثاني

العوْهَةُ

«لأنَّ تَصْوِيرَ قَلْبِ الْإِنْسَانِ
شَرِيرًا مِنْذُ حَدَاثَتِهِ»

سفر التكوين

الفصل الثالث

الفاتيكان
نهاية شهر أيار 2005
ليلة الثلاثاء إلى الأربعاء

في البداية رأى العصا المقوسة، فتبدادر إلى ذهنه عصا الأسقف، ولكن هذه كانت مختلفةً، بسيطةً، وغير ملبوسةٍ بقشور الذهب وبدون زخارف عاجية، ولم تكن لها تلك الرأس الحلوذنية المعروفة. كانت مستقيمةً نوعاً ما، ولم تكن تشبه تلك العصي التي تُصنع باستخدام أدوات معينة. بل انتشرت عليها عقدٌ، وكأن فروعها كانت تريد أن تتمو منها ولكنها قُطعت.

كانت العصا ملساء بطريقة ملفتة، وخصوصاً في جزئها العلوي قبل بدء إنحناء رأسها بقليلٍ، كان ذلك الموضع أملس جداً وكأنه قطعةٌ من الماسِ المشذبِ... ماسة سوداء، في ذلك الموضع الذي أمسكته الأيدي لملايين المرات. صيغتها فذارة الأيدي بلونِ داكنٍ، لا يمكن أن تكون عصا الأسقف. فيداه لم تكن قذرة.

وغير ذلك فإن لونها كان رمادياً غامقاً وبابسةً ومجردةً من لحاماً، وتلونت بفعل الضوء والأمطار.

طولها كان يصل إلى جبين حاملها، ليس أكثر. في نهايتها حيث لا

يلمسها الأسفف، ثبّتت قطعةً من المعدن برأْسِ مدبِّ، وفي قمتها تم استبدال الشكل الحلزوني المعتمد بخطاف يستخدم للالتفاف حول الأقدام الخلفية للماشية.

ثم رأى الرجل الذي كان يحمل تلك العصا بيده، كان الرجل متوسط القامة، لقد تعرّف عليه، فلقد رأه ما يقارب الأربعين والعشرين مرّةً حتى الآن. أو ربما فاقت ذلك بكثير؟
هل كان لذلك معنى؟
لم يكن لديه جواب.

كان الرجل مرتدياً ثياباً بسيطةً خاليةً من الألوان، منسوجةً من صوف الحيوانات، وكان حذائه صلباً، وعلى رأسه وضع قبعةً من القش، منتفخةً من وسطها وذات حوافٍ بارزةً.

كان وجه الرجل هزيلًا كشكله العام، أضناه العوز والجهود الجسدية، وقف تحت أشعة الشمس على حافة صخرة توزعت على بعض أجزائها أعشابٌ يابسة. كانت بشرة وجهه جافةً ومسمرةً بفعل الشمس، فلم يتمكن من تقدير عمر الرجل.

نما شعرُ داكنٍ على جلد ساعديه القويتان، كان يشبه صوف الحيوانات الكثيف.

اتسعت الصورة أمام «البابا»، فاستطاع وكالعادة أن يرى بقية قطبيع الخراف، لم تكن الخراف تقف متراسة بجانب بعضها البعض، بل منتشرةً في المراعي تبحث عن عشبٍ طريٍّ، في تلك المنطقة الصخرية التي تخللتها بعض التلال.

ألقى الرجل بثقل جسده على يده التي كانت ممسكةً بالعصا المقوسة، فمالت إلى الأمام. وقف على حافة صخرةٍ صافيةٍ، واستطاع أن يطل من عليها على تلك الأرض المتسعة. وبالرغم من ذلك لم يتمكن الرجل من رؤية

كل خرافه، فكانت الصخور الكبيرة المنتشرة تحجب عنه الرؤية، وعندما يسرح أحد الخراف إلى مكان ما خلف الصخور، فلم يكن بإمكانه أن يلحظه.

«أين كلبك؟ احرس قطيعك!» صرخ.

إلا أن الراعي لم يكن يسمعه.

سمع ضربات الأجنحة القوية، والمعاوضمة، لم تكن متسرّعة بل كما العادة هادئةً وعازمةً...

لم يتحرك، تسمّر الراعي في مكانه، وكان أمر القطيع لا يعنيه. كان بإمكانه أن يراه! بل رأه فعلًا!

نقطة تقترب من السماء فتحول فجأةً إلى جسم ضخم، تخرج المخالب من أصابع رجليه القويتان، وبشكلٍ مضخمٍ بدا له المنقار الأصفر والعينان المتحفزان للصياد الذي جلب الموت معه.

ثم خرجت المخالب الحادة من أصابع الأرجل الممدودة بقوّةٍ، وانغرست برأس أحد الخراف، انقلب النسر فأسقط معه الخروف إلى الأرض، ولم يفلته. رفرت أجنحته بقوّةٍ ثم ببطءٍ ليقاوم ذلك التقلّب بين مخالبه، ارتفع قليلاً، ثم عاد وهبط على الأرض عندما بدأ جسد ضحيته بالانقضاض مصارعاً الموت، فلم يتمكن النسر من الطيران. سقطا على الأرض، ثبت منقاره المعقود في عظام الفريسة التي كانت بين مخالبه.

لم يتأثر الرجل الواقف على الصخرة.

بضرباتٍ متتاليةٍ لأجنحته ارتفع النسر من على الأرض. وتوقفت الفريسة بين مخالبه عن الحركة. وفي ثوانٍ استطاع النسر أن يحلق بعيداً في الأفق.

«إنه ذنب الراعي!»



انتقض البابا بندكت من نومه وهو يتسبب عرقاً، كان قلبه ينبض بقوة، وعلى الفور تبادرت إلى ذهنه تلك الخطيئة التي ربما كان قد ارتكبها، كان ذلك الحلم يذكره دائماً بمهنته. تلمس باحثاً عن مفتاح الضوء، وبدل جهداً مضنياً للنزول من على السرير. ملئ كأساً بما سكبه من إبريق كان بجواره، برودة الماء جعلته يشعر بالارتياح قليلاً. إنساب الماء خلال حنجرته كما ينساب السيل في مجرى نهرٍ جافٍ. ثم انتظر حتى تهدأ ضربات قلبه. كان ما يزال يشعر ببعض الفربة في جناحه الخاص الجديد، الذي يقع في الطابق الثالث من القصر الرسولي والذي بناه (دمنيكو فوتانا) في عهد بيوس الخامس وسيكستوس الخامس في القرن السادس عشر.

توجه البابا إلى الكنيسة الصغيرة الملحقة بجناحه الخاص، والتي كانت ما تزال تحافظ على ذلك الترتيب الذي تركها عليه سلفه. في منتصف الحجرة وعلى أرضها المرمية المزخرفة، امتدت سجادةً وضعت عليها أريكة ذات مسند للظهر. كان السقف مزيناً برسومات زجاجيةٍ معبرة، امتدت في منطقة المذبح كشريطٍ رفيعٍ من السقف وحتى الأرض. بمحاذاة الجدران الحجرية إصطفت مقاعدٌ من الخشب الغامق المغطى بقماشٍ فاتح اللون.

في النهاية النصف دائرة للحجرة وعلى المذبح، كان هنالك ستة شموع، بينما انبثق رسم المسيح المعدّ على الصليب من الخلفية الحمراء الفاتحة.

تقدم البابا إلى المذبح، ركع أمامه، ورسم بيده صليباً على وجهه. ثم وقف وتوجه إلى المقدّس الأقرب للمذبح وجلس عليه متكتأً برأسه على الجدار الخلفي.

كان سلفه يطلب النصيحة من الرب مباشرةً، ويسأله دوماً المساعدة، معتقداً أنه بهذه الطريقة سيمكن من فهم الأمور التي لا يمكن إدراكتها في هذا العالم.

اليوم فهم سلفه أكثر مما فعل في السنوات الماضية. إنه لن يستطيع تأدية مهمته العظيمة لوحده. هو أيضا لا يتمنى شيئاً أكثر من نصيحة الرب وخصوصاً في هذه المسألة.

ويدون تردد قام وارتدى راكعاً على الأرض المرمرية الباردة أمام رسم الرب، الذي شدت يداه على الصليب.

كان يحتاج إلى نصيحة.

«ساعدنـي!» خاطبه متراجياً.

امنحني القوة.

وبعد فترة وجيزة.

عاودته تلك الأحلام، ازدادت وتيرتها، وكانت أشد وطأةً مما مضى. و الآن أصبح هو الراعي.

الفصل الثالث

مدينة ميونخ

مساء الأربعاء

بقي خمس عشر دقيقة بالضبط.

رن جرس هاتفه المحمول.

«الآن تستطيعين الصبر؟ إني على وشك الوصول، إلينا»

قال كريس عبر الميكروفون المثبت على شريط التحدث عن بعد
الموصول بجواله، صوته الرخيم قليلاً كان نشطاً ومرتاحاً.

صرخة فرحتها كاد أن يفجر أذنه اليمني. كانت ما تزال في الشركة،
تنتظر أن ينتهي العمل دون أي مشاكل.

انكمش وجه كريس، ففرحة إلينا المبالغ بها أزعجه قليلاً، خصوصاً
عندما يتلقاها وهو يقود سيارته، لكن لكل حالة الجنون الخاصة به، فكر
وهو يبتسם «لينا، إنها النهاية الطبيعية لأي إتفاق عمل».

كانت إلينا بمثابة الروح لشركته الصغيرة، جاهزة للعمل في أي وقت.
وكان بمقدور صوتها الأنثوي على الهاتف أن ينهي أي تفاوض بشأن عملٍ
جديدٍ لصالحها. كانت تدير كافة أعماله المكتبية.

«لدي أيضاً أخباراً جيدة» همسـت. «الآن ترغب بسماعها؟»
هكذا كانت. كان يطلب الاجتهد التام في العمل، وكان يحصل على

أكثر مما يتوقع. إينا كانت تبلغ ما يقارب الخمسين من العمر، تعيش لوحدها وتمارس عملها بمنتهى.

ففقد وجدت سلوتها في العمل بعد وفاة زوجها الذي عاشت معه تلك السنوات الطويلة، والتي كان خلالها مدمناً على شرب الكحول.

كريس كان يعلم أنه قد حصل على جوهرة نادرة.

«حالاً، فقط عندما يسمع لي هؤلاء الأبطال بالمرور. هل تستطيعين السيطرة على نفسك لهذه المدة؟»

«لو أنك تعلم... حسناً... لكن إياك أن تتفجر من الفضول» أغلقت الخط.

كان هدفه يقع بالقرب من مدينة ميونخ، في منطقة هادئة وبعيدة عن طرق المواصلات الرئيسية، ومحاطاً بأسوار معدنية عالية. من خلف تلك الأسوار، ارتفعت أشجاراً شاهقةً في سماء الليل.

كانت البوابة المخصصة لدخول السيارات مغلقةً. ووقفت أمامها سيارتاً دفع رياعي تابعة لشركة الحراسة الخاصة.

أربع رجال بزي رسمي داكن كانوا يحدقون به عندما توقف. أنزل زجاج السيارة.

«أنا هو الرجل الذي ينتظره رئيسكم» قال كريس للرجل ذا العضلات المفتولة، الذي وقف عند باب السيارة «إني أحضر معى مفاجئة حفل الليلة» تلا ذلك بضعة دقائق من المحادثات عبر أجهزة اللاسلكي، ثم فُتحت البوابة.

مر بسيارته تحت أوراق شجر الكستناء، الزيزفون والبلوط التي كانت تلقي بظلالها على الممر المخصص لدخول السيارات والذي لاح في نهايته وعلى بعد حوالي مئة متراً، المدخل الرئيسي للمبنى.

كان المبنى الذي يتجاوز طوله العشرين متراً مضاءً بأكمله، وله واجهة

كلاسيكيةً أنيقةً. في المرآب وقف ما يقرب من ثلاثين سيارةً فاخرةً. أوقف كريス سيارته تحت إحدى أشجار الكستناء الضخمة، ثم اتصل بابنا.
«هاتي ما عندك... بسرعة... يجب علي التوجه إلى الداخل لإنهاء مهمتي لهذا اليوم. هل لديك عملٌ جديدٌ؟»
«لقد اتصل الكونت، وأكد على مهمة يوم الغد»

«وما هي المهمة هذه المرة؟ هل عليأخذ ثيابه الوسخة إلى البيت؟ أم نقل إحدى الأعمال الفنية المقلدة؟»

«إنه يحجزك لمدة أسبوع تقريباً» كانت نبرة الفرح تتبع من صوت إينا.
«لقد أخبرني بهذا سابقاً. وأين كان مختفي؟». فالكونت هو اللقب الذي أطلقه كريス على أفضل عملائه. كان الرجل الذي يعيش بين سويسرا والتoscana يعمل كتاجر تحفٍ. وكان غنياً، فاحش الثراء، ولقد لائمه شخصية كريس هواه.

كان أول عميلٍ له عندما افتتح شركته الخاصة، وكانت مهمة نقل خاصة بالكونت. منذ ذلك الحين وهو يستأجر كريス لها م جديداً بين فترةٍ وأخرى. في آخر مهامه منذ ما يقارب النصف عامٍ، كان عليه السفر خلف الكونت لنقل طردٍ صغيرٍ إلى دبي، حيث كان ذلك العجوز الرشيق في منتصف السبعينات من عمره، ينزل في أحد الفنادق الفاخرة.

ذاك الفندق كان مركزاً للقاء المشاهير من رجال المال والأعمال. كان الكونت، وعلى مدار يومين، يتفاوض مع أصدقاء له من العرب.
كانت مدير عام الفندق شابةً أنت من مدينة ميونخ، وهي التي تقوم بنفسها بالإشراف على دقة الخدمات المقدمة للنزلاء.

رافق كريس الكونت وحارسه الشخصي أنتوني بوتنى خلال سفرتهما، ولم يترك ذلك الطرد من يده، إلى أن تم الاتفاق في مساء الليلة الثانية.

«أهنتك» قال كريس. « بهذه السعادة التي تبدو عليها، لابد وأنك حرفت أرباحاً كبيرةً بهذه الصفة.»

«على العكس تماماً، لم أحصل حتى على سنت واحد، إنني فقط أعيد ما كان ملكاً لهم أصلاً، لقد تفاوضنا حول كيفية ومكان التسليم فحسب»
«لم أفهم قصدك»

«ليس مهمأً. ربما يأتي اليوم الذي أخبرك به عن كل شيءٍ» قال الكونت.

انتزعه صوت إينا من عالم الذكريات
«هل سمعتني؟ إنه قام باستئجار سيارةٍ لك، ما عليك سوى الذهاب
لإحضارها»

«هذا يعني أنني لن استطيع الاستمتاع بيوم إجازتي، كم كنت أتمنى لو
أنه ألغى أو أجل هذا الأمر»

«إننا لا نستطيع تحمل ذلك، فإنك ما تزال مديناً لي بنصف مرتبى
من الشهر الماضي، بالإضافة إلى أنه قام بتحويل كامل المبلغ إلى حساب
الشركة، يا له من مجنون» ضحكت إينا بحرج، لأنها كانت تعلم مدى
حساسية كريス بالنسبة لموضوع دفع مرتبها في موعده، وكان دائماً يبذل
قصارى جهده لتحقيق ذلك. «لكن ما زال هذا لا يكفي، حتى أكن
صريحأً...»

صمت لبرهةٍ. «حسناً دعني أتقاضى أجر هذا العمل أولاً، اذهبى
الآن إلى المنزل»

أنهى كريس المكالمة، وسحب الطردتين من على المهد الخلفي، والذي
جاء نصف العالم لاحضار محتواهما. ثم غادر السيارة.



ليس سيئاً، هكذا فكرت (سوزان أختريوش) متفاجئةً، عندما رأت كريس يجتاز البوابة متقدماً باتجاهها. رياضيٌّ، قويٌّ، جسده متوازنٌ، طوله يزيد عن المتر والثمانين سنتيمتر، شعرٌ داكنٌ وممتلئٌ وبقصة حديثة على الجانبين، حركته نشيطةٌ ورشيقَةٌ وقربياً من عمرها. فقط ذلك الشارب فوق شفته العليا وابتسامته الساخرة هما ما أزعجها.

سوزان أختريوش كانت في منتصف الثلاثين من عمرها، وتدير منذ ثلاث سنوات قسم تنظيم المناسبات التابع للإدارة العليا للشركة. إنترنت في بيو الإستقبال الذي يرتفع لأربعة أمتار، والتابع للمقر الرئيسي للشركة، والذي تم تجهيزه منذ سنة ونصف ليكون في نفس الوقت مقر إقامة رئيس مجلس الإدارة الجديد وزوجته.

كان كريس قد اجتاز لتوه عملية التفتيش التي أجراها له رجال الأمن، وأثناء ذلك كان يرفع الطرددين إلى الأعلى وينظر حوله باحثاً. «تسربت هاين» كان هذا لقب عائلته، وبه قدم لها نفسه. «مُغبراً» عيناه الرماديتان المائلتان إلى الزرقة استقرتا ببرهه على جسدها الرشيق الذي بدت تفاصيله من تحت زيها الرسمي الداكن، ثم انقل نظره ليتجول في أرجاء البهو متفحصاً إياها بفضولٍ.

على أطراف البهو انتشرت قاعات العرض، بينما كانت الفرف الخاصة موجودة في الطابق العلوي. غطى السجاد الفارسي بعض أجزاء من الأرضية المكونة من الموزاييك المزین برسوم رومانية، والذي تم تجديده ببذخ. وذاك الأثاث الإمبراطوري الفاخر لا بد وأنه جُلب من أشهر تجار التحف.

«لقد أفلقتني حقاً، ولكنك أتيت في اللحظة الأخيرة» تجاهلت فضوله الواضح، وحدقت ببشرته البرونزية «لابد وأنك استمتعت بحمام الشمس ففاتتك الطائرة، أليس كذلك؟»

«إنه لوني الطبيعي» ضحك بسخرية، فبدت التجاعيد حول عينيه فزادته وسامٌ، وفجأةً لم يعد ذلك الشاربُ الغامق الصغير فوق شفته العليا يزعجها.

«عليك أن تفرحي لأنني أتيت في موعدِي حاملاً معي ما قد تتوفين إليه» مرأةً أخرى بدت تلك الإبتسامة المتفائلة، والتي تنم عن شعوره بالنصر، ففقطت على ملامح وجهه المربع، وأخفت ذلك الإصرار الذي كان يعكسه ذقنه العريض وأنفه المعقوق كالنسر.

إرتبكت سوزان، فلم تعد تستطيع تصنيفه، فخلال تفاؤلها معه عبر الهاتف، استطاع أن يزيد من أجره لأن رحلة الطائرة التي تم حجزها له من قبل الشركة ألغيت بسبب عطلٍ فنيٍّ. فكان عليه إيجاد بديل ليكون هنا الآن.

تصاعدت الأصوات خلفها فجأةً، فاتجهت نظراته رأساً إلى مصدر الصوت. لمحت سوزان أختريوش بقعةً صفراء صغيرةً في بؤؤ عينه، ثم سمعت صوت مدیرها في العمل يرعد في أذنيها.

«إنه منتصف الليل! أين هي مفاجئة الحفل يا سوزان؟
هنا!» صاحت ثم استدارت.

تقدّم الرئيس نحوها. طويلاً، خشنّ، جبل من اللحم في بذلة أنيقةٍ يبدو أنها صُممَت له بعيناه.

«هل أنت من يقوم بخدمة التوصيل؟» رعد صوته وهو يحدق في الطردتين.

«نعم، أنا هو اللوجستي»
ضحك المدير مستنداً بكتفيه على كريس وسوزان أختريوش.
«كانت رحلتك طويلةً. أليس كذلك؟» سأله وهو يتقدّم بنظراته بذلة كريس المكرمشة.

هيريرت شارف كان قد حظي بلقب «رئيس العمل» منذ فترة قصيرة فقط، وذلك بعد أن إستلم سلسلة المتاجر التي كانت على حافة الإفلاس منذ حوالي السنة والنصف، وكان قد أصر على إعادة ترميم وتجديد كافة المتاجر رغم معارضة مجلس الإدارة، وبالفعل فقد زاد ذلك من أرباح السلسلة وازدهرت من جديد.

كلفه ذلك الآلاف من أماكن العمل، فيما صفق له المساهمون كان الموظفون والعمال المفصلين يكرهونه بشدة.

واليوم حان الوقت للاحتجال بنجاحاته، ففي هذه الليلة سيحتفل الجميع بصعود أسهم الشركة في البورصة، وبالأرباح التي تحققت، وبهذه المناسبة طلب «رئيس العمل» طلباً خاصاً يسعده بشكل شخصي.

«لقد حضرت من المطار إلى هنا مباشرةً، لم أشاً أن أفسد عليكم مفاجئة الليلة»

«حسناً أيها الشاب» قال شارف بنبرة حادة وقد نفذ صبره.
حضر نفسه بين كريس وسوزان وسحبهما معه إلى قاعة الإحتفال،
كانت يداه ملتفتان على كتفيهما.

«لا تسقطهما على الأرض» دمدم قائلاً لكريس «وتصرف بلياقة،
وإلا...»



كانت القاعة مليئة بضيوف يرتدون ثياباً أنيقةً وفاخرةً. قدر كريス عدد الحضور بحوالي المائة.
بشكلٍ تدريجيٍّ، بدء الجميع بالاستدارة نحوهم.

على يسار مدخل القاعة امتدت مائدة الطعام، والى جانبيها طاولة خصصت للمشروبات، وفي نهاية القاعة من الجانب الآخر نصبَت منصةً عليها فرقةً موسيقيةً صغيرةً. أمام المنصة جُهزَت مساحة للرقص، وكانت ممتلئةً بالمدعين. بمحاذاة الحائط الأيمن للقاعة رُتّبَت الطاولات المزينة بطريقة إحتفالية.

جره شارف معه باتجاه المنصة، كانت الأبواب المطلة على الحديقة مفتوحةً، وعلى الشرفة ذات الإضاءة الخافتة وقف بعض الحضور الذين أثروا الخروج إلى الهواء الطلق.

«فليأتي الجميع إلى الداخل» صاح شارف باتجاه الشرفة، وأكمل سيره باتجاه المنصة.

رأى كريس وجهاً معروفةً. من السياسيين، الفنانين والمشاهير، أولئك الذين كانت وجوههم وأخبارهم تملأ صفحات المجلات والجرائد. كان الحضور نوعان، نوعًّا منهم كانت تصرفاته، تعابيره وإيماءاته تعكس ما يعكسه (شارف) وهو المال والنفوذ. أما النوع الآخر فقد كانوا أولئك الذين يقفون في ظل النوع الأول.

فكرة كريス بالسيارات الفاخرة التي رأها واقفةً في المرآب. كان هذا المكان بمثابة فرصة الأحلام بالنسبة لشركة الصغيرة، إذا تصرف بذكاء فإنه سيستطيع الحصول على مهمة عملٍ أو أكثر من بعض الحضور.

صعد إلى المنصة مع (شارف) ووقفا أمام الميكروفون، وصاح شارف «انتبهوا» ثم تابع «لقد وصلت مفاجئتي الخاصة جداً» واتجه إلى تسرنط هاين، معك صندوقان، كنزنا لهذه الليلة. أخبرهم من أين أتيت حالاً؟ «مساء الخير» قال كريس بصوتٍ واثقٍ في الميكروفون «اسمي تسرنط هاين، صاحب شركة (تسرنط هاين) للنقل والتوصيل، نحن ننقل

كل ما يخصكم من أشياء شخصية، ثمينةٌ ويحتاج نقلها إلى الكثير من الثقة..»

«يكفيك ترويجاً لشركتك» همس شارف بجانب كريس.

«وأنا أتيت لتوبي من الكاريبيك» صمت قليلاً ثم ابتسماً. كان كريس يرى أن طريقة تقديم شارف فيها نوعاً من الغباء، ولكن إذا كان من كفه بال مهمة يريد ذلك، فعليه أن يجاريه في لعبته، فلقد كان مالاً سهل التحصيل.

ناول كريس الصندوقان لشارف، الذي أعطاهما بدوره إلى نادلين. على طاولةٍ صغيرةٍ وضعت بلمح البصر على المنصة، حل النادلان الأوراق التي لفت الصندوقين وكسرا الختم. كان شارف يراقب كل حركةٍ يؤديها النادلان، ثم طلب أن يعيدوا له أحد الصندوقين فوراً. استدار مجدداً إلى الميكروفون، وقد رسم على وجهه ابتسامةً عريضةً «كما تعلمون، فإنني من متذوقي السيجار، ولهذا الاحتفال الخاص، طلبت أن يجلب سيجار النصر مباشرةً بالطائرة» ثم فتح أحد الصنداديق، وتناول سيجاراً منه وكان من نوع (كورانا جراند) السميك والطويل، لف بخمس طبقاتٍ من أوراق التبغ. وكانت الطبقة السادسة ناعمةً وملساءً، أما طبقة الغطاء فكانت من أفضل وأجود أنواع التبغ على الإطلاق.

«هافانا؟» صاح أحدهم من بين الجموع، بينما كان شارف يستتشق رائحة السيجار، وقد بدا عليه الاستمتاع بعقبه الجيد.

«أخبرهم» قال شارف لكريس، وتابع استنشاق السيجار.

«سنتياجو دي لوس كفاليروس» قال كريس موجهاً كلامه للحضور «إنها تقع في جمهورية الدومينican» «صحيح، إذاً فإنه من النخب الثانية» كانت نبرة الرجل متعاليةً ومستقرةً.

قدر كريス عمر الرجل بأواسط الأربعين، أحاطت به فتاتان غاية في الجمال وقد التفت يداه حول خصريهما.

«لا شيء يعلو على الهاهاانا، إنك لم تحضر النوع الأفضل، ونتمنى أن لا تكون تلك اللفائف قد حضرت من أوراق شجر الموز» قال الرجل باستهزاء.

ترددت أصوات الضحك في أرجاء القاعة، وانحنت الفتاتان المحيطتان بالرجل لشدة الضحك.

«اللعنة» تتم شارف، ونظر بابتسامة متصنعة، ثم أشار بيده للنادل ليقطع طرف السيجار.

همس في أذن كريس قائلاً «هذا أحد أهم عمالائي اسمه هوبرت شوستر، ثرائه ونفوذه بلا حدود، إلا أن اطلاعه محدود جداً، ولكن علينا أن لا نظهر له ذلك».

أيها الأحمق، فكر كريس، إنني مجهد، وأقف على قدمي منذ فترة طويلة، ثم آتي إلى هنا ليسخر مني هذا الغبي.

«ربما ورث ثروته، ولم يصنعها بنفسه» تتم بحرقة.
شعر بدغدغة في رقبته، تحت جذور الشعر تماماً، كان يعرف هذا الشعور جيداً، كانت إشارة التحذير التي لم تخذله يوماً، مشكلته كانت أنه كان يتتجاهلها أحياناً.

بهذه اللحظات كره عمله، مساحة للأرجل، ذل، احتقار من أولئك الذين كان باستطاعتهم دفع الثمن. كان عليه أن يبتسم، ويقبل الإهانة حتى يستطيع الحصول على المزيد من مهام العمل. كان الرجل ثرياً، إلا أن هذا لا يعطيه الحق بالسخرية منه.

«لا تتصرف بحماقة» همس شارف بأذن كريس بعد أن لاحظ وجهه المتجر «إياك والتصيرفات الهوجاء»

دعك منه! تحمل! مرة أخرى! حسناً

تظاهر كريس وكأنه يستمتع بما يجري، ابتسما، أوهماً موافقاً، ورفع يدها بإشارة استسلام، ثم استعد للنزول من على المنصة.

«توقف!» دوى صوت جبارٌ

إسدار كريس.

ابتسما شوستر بوقاحة.

استعد الجميع لتابعه ما سيجري. علت الحماسة وجوه الحضور، فالكل كان متشوقاً إلى حدٍ مهُمٌ ليصبح موضوعاً لجلساتهم فيما بعد. «دعا إليها الشاب! هكذا لن تتمكن يوماً من أن تصبح رجل أعمالٍ مرموقاً»

انفجرت الضحكات وكأنها قبلةٌ يدويةٌ، أفقدت شظاياها كريس صوابه.

أره، لا تدع كائناً كهذا يسخر منك، همس صوتٌ بداخله يدعى الكراهة.

«من أين لك أن تعرف هذا؟» سأله كريس «أنا أعمل في الخدمات اللوجستية... هكذا يسمون السُّاعة هذه الأيام..»

مرة أخرى تردد صدى الضحكات في القاعة، إلا أنها كانت هذه المرة متوترةً بعض الشيء.

«... وأنا لست خبيراً بالسيجار، لكن أنت! إن كنت فهمتك بشكلٍ

صحيحٍ»

«لا تتهور!» همس رئيس العمل إلى جانبه مجدداً.

«إنه رجلٌ حقودٌ، وأنا كذلك!»

تردد هوبرت شوستر لبرهه، ثم نظر إلى مرافقتيه، اللتان كانتا تُحمسانه قائلتان: أره، أجبه، لا تدعه ينتصر عليك.

«الأرض وحدها تصنع الفرق، فمن أرض كوبا الغنية بالمعادن تنمو أوراق التبغ، فالأمر أشبه بتصنيف أنواع النبيذ» كان صوت شوستر مشبع بالقناعة والرضا. في تلك الأثناء كان يحمل أحد لفائف السيجار وأخذ يشمها، ثم انكمش وجهه، وكأنه تعرف على النخب الرديء على الفور.

«كمية السيجار التي تُلف في (جمهورية الدومينican) تفوق تلك التي تُصنع في (كوبا) بحوالي الثلاث مرات» قال كريس.
«وهذا ماعنيه: الكمية بدلاً من النوعية» رد شوستر ناقداً، فضحك المحيطين به ثانيةً.

انتبه كريس إلى التوتر الذي يختفي خلف ضحكاتهم، فلقد كانوا مشتوقين لهذه المبارزة الكلامية، طالما أن الجهة الصحيحة هي التي ستفوز في النهاية.

«الأرض هي نفسها التي في كوبا» قال كريس بصوت مرتفع تخلل ضحكات الحضور «إذاً لا يمكن أن يكون ذلك هو السبب»
ساد الصمت، وعلى الاهتمام والترقب وجوه الحضور.
«إذاً»

حدق شوستر باتجاه المنصة، فلم يكن معتاداً على المعارضة.
«كلتا الجزيتين تتبعان الأن Till الكبير، كلتا هما ذا جوًّا إستوائيًّا، وتقعان بين خط عرض 18 ومدار السرطان...»
«هل تحاول أن تعطينا درساً في الجغرافيا؟» قال هوبرت شوستر دافعاً فتاته جانباً.

وقف كريس بقدمين ثابتتين، وساقان منتصبتان على المنصة، ساعداه نصف مفتوحتان، وكفاه في مستوى الصدر. كان هدوئه اللطيف يعكس ثقته التامة بنفسه.

«... وكلتا الجزيتين مكونتين من صخور الجرانيت، كما أن الحجارة

البركانية والرواسب متطابقة في كلتا الجزرتين منذ العصر الباباخي...»
نبرة صوت كريس الرخيم كانت متساهلة، وتقربياً متسامحة.

«... حسناً» أجاب شوستر بضعف مفاجئ

«... ولا شيء... حقاً لا شيء في نوعية الأرض في (فولاتا آباغو)
غرب كوبا، أفضل من تلك الموجودة في (شيباو تال) في جمهورية
الدومنican» ابتسם كريس بتكلف، فلقد شعر بالسعادة حين تبين له فجأة
كم كان مجدياً ذلك الحديث المطول مع صانع السجائر.

التفتت الأنظار إلى شوستر، الذي وقف بوجهٍ حانقٍ يفكر للحظة،
قبل أن يقع في الفخ.

«في كوبا لديهم نباتات تبلغ مختلفة تماماً، النبتة بحد ذاتها هي التي
تصنع الفرق الحقيقي بين النكهتين» قال شوستر بصوت مرتفع، ثم نظر إلى
دائرة الضيوف من حوله، الذي أومأ بعضهم موافقاً بقوّة.
«للأسف، أنا مضطّر لمعارضتك هذه المرة أيضاً» كان صوت كريس
منخفضاً، لطيفاً وواضحاً.

تعلقت نظرة إحدى مرافقات شوستر الشقراوات بعيني كريس،
توسعت حدقتها عينيها وفتحت فمها، ثم أطبقت أسنانها على بعضهم،
وهزت رأسها بطريقةٍ كادت أن تكون غير ملحوظة.

ادرك كريس تحذيرها، ولكن كان عليه إكمال ما قد بدأه.
هكذا كان قانون الصراع الذي تعلمته في حياته، وبعد الوصول إلى
نقطةٍ معينةٍ لا بد من الاستمرار مهما كانت النتائج.

انتظر كريس حتى أراد شوستر أن يتفوّه بشيءٍ جديدٍ، فقاطعه ببرودةٍ
واشمئزاز.

«يبدو أنك لا تعلم شيئاً عن تاريخ الهجرة إلى كوبا، ففي القرن الثامن
والناسع عشر وبعد أن عصفت الأضطرابات في جزيرة الدومنican،

هاجرت مجموعاتٌ كبيرةً منهم إلى كوبا، وماذا برأيك أحضروا معهم؟» انتبه كريス لنبرة الانتصار التي أخفاها صوته، فصمت لبرهةٍ قصيرةٍ، لقد استفزه هذا الرجل كثيراً.

أخفض صوته قليلاً ليقول جملته التالية «سوف أخبرك، لقد أحضروا بذور التبغ معهم. هل لديك المزيد من الأسئلة؟»

صمت شوستر وضغط شفتيه على بعضهما، نظراته الغاضبة اتجهت إلى شارف، ونظرات الحضور صوبت بحري إلى الأرض.

«غبيٌّ تعمتم شارف، ثم أعطى إشارةً إلى الفرقة الموسيقية، لتكسر بمعزوفاتها النشطة حاجز الصمت المخجل الذي ساد القاعة، وليتسنى للحضور نسيان ذلك الموقف من خلال الرقص.

ودون أن يرمق كريス بنظره، نزل شارف من على المنصة، وضع يده اليمنى على كتف شوستر وسحبه.

بقي كريス وحيداً على المنصة، بينما كان النادل إلى جواره يلملم أطراف لفائف السيجار المقطعة، محاولاً كبت ضحكته.

في الأسفل كان شارف وشوستر يحاولان شق طريقهما بين الحضور. فجأةً استدار شوستر ومد يده اليمنى، موجهاً سبابته نحو كريس وكأنها فوهة سلاح، ثم حرك شفتيه مصدرًا صوتاً خفيفاً وكأنه يطلق رصاصةً، بعدها غطى عينيه بيده اليسرى.

الفصل الرابع

التوسكانا

الخميس

كان كريس مسترخٌ ومستريحٌ، وكأنه في رحلة استجمامٍ، لاحظ قمم جبال الأبنين في الأفق، بينما تجولت نظراته على مد الحقول وكروم العنب اللامتناهية، وبدت سفوح الجبال وكأنها لوحةً رسمت بريشةٍ عريضةٍ لأمواجٍ تنساب برقعة تحت أشعة الشمس.

كانت صفوفٌ من الحجارة الجافة تمتد بمحاذاة بعض الحقول على جانبي الطريق.

لقد قضى الليلة الماضية في أحد الفنادق الصغيرة في مدينة ميونخ، وفي الصباح استقل السيارة التي كان الكونت قد استأجرها له.

عبرت سيارة (المرسيدس) الفضية من نوع إي 220 مدنًا صغيرةً كإنسبروك ويورن إلى فيرونا ثم باتجاه بولونا وفلورنس.

في طريقه توقف كريس لشابين يرددان الذهاب إلى روما. أراد كل من آنيا وفيليب زيارة المدينة الخالدة، ورؤية البابا. كان كريس مستمتعًا بالاستماع إلى أحاديث الفتاة والشاب اللذان كانوا في مقتبل العشرينات من عمرهما حين رن هاتفه.

«أرجوكما أن تصمتا قليلاً» ثم دس السماعة في أذنه.

إنها إينا، فلقد أرادت اليوم وعلى غير العادة الذهاب باكراً إلى منزلها، ففضلت ترتيب كافة الأمور في الشركة وتوزيع المهام على السائقين المنتشرين في كل مكان. وحين أرادت أن تسأله عن أحوال الطقس فاطعها كريس قائلاً «إينا قولي ما عندك» فردت بصوت مرتبك «لقد اتصل مستشار الضرائب، وهو قلق جداً بشأن الوضع المادي للشركة. ولأكثـر وضوحاً فإنـا حالياً في مأزق مادي حرج، لقد كانت نتائج الأشهر الأولى كارثية، وهذا ما بينـه كشف المـصرف الذي تم إرسـالـه لنا مؤخـراً، وقد ضمنـ الكـثير من الإـشارـات السـالـبة»

«أعلم أنـ الصـورـة لـيـسـتـ وـرـديـةـ»

فـفيـ زيـارـتـهـ الأـخـيرـةـ إـلـىـ المـصـرـفـ تمـ إـعـلـامـهـ أـنـهـمـ سـيـقـومـونـ بـإـيقـافـ خـدـمـةـ الـقـرـوـضـ المـحـدـودـةـ المـقـدـمـةـ لـهـ، إنـ لـمـ يـتـمـكـنـ مـنـ تـغـطـيـةـ العـجـزـ الـحـاـصـلـ فـيـ رـصـيدـهـ.

أـلـقـىـ كـريـسـ بـنـظـرـةـ خـاطـفـةـ إـلـىـ فـيلـيـبـ الـذـيـ كـانـ يـجـلـسـ إـلـىـ جـانـبـهـ وـيـسـتـرـقـ السـمـعـ، وـعـنـدـمـاـ تـلـاقـتـ عـيـنـاهـماـ فـهـمـ فـيلـيـبـ الرـسـالـةـ فـأـدـارـ وـجـهـهـ بـاتـجـاهـ النـافـذـةـ.

«هـكـذـاـ هـيـ الـحـالـ دـائـمـاـ فيـ مـرـحـلـةـ نـمـوـيـ شـرـكـةـ حـيـثـ يـتـمـ الـاسـتـثـمـارـ أـوـلـاـ، قـبـلـ أـنـ...»

«كـفـىـ هـمـسـتـ إـيـنـاـ بـعـصـبـيـةـ مـهـدـدـةـ عـبـرـ السـمـاعـةـ» لـقدـ حـذـرـتـكـ سابـقاـ، فالـشـابـانـ الـجـدـيدـانـ الـلـذـانـ قـمـتـ بـتـعـيـنـهـمـاـ مـؤـخـراـ أـضـافـاـ عـبـاـ جـدـيدـاـ عـلـىـ الشـرـكـةـ، وـرـبـماـ تـؤـدـيـ الـأـسـعـارـ الـزـهـيـدـةـ الـتـيـ تـطـلـبـهـاـ لـقـاءـ خـدـمـاتـاـ إـلـىـ زـيـادـةـ الـطـلـبـ، إـلـاـ أـنـهـاـ لـاـ تـحـقـقـ أـرـيـاحـاـ».

كانـ كـريـسـ قدـ قـامـ بـتـعـيـنـ سـائـقـيـنـ جـدـيدـيـنـ فيـ الشـرـكـةـ خـلـالـ الـخـرـيفـ الـماـضـيـ، وـذـلـكـ لـأـنـ الطـالـبـانـ الـجـامـعـيـانـ الـلـذـانـ كـانـاـ يـعـمـلـانـ لـدـيـهـ بـشـكـلـ مـؤـقـتـ، لـمـ يـعـودـانـ يـكـفـيـانـ لـتـغـطـيـةـ كـافـةـ الـطـلـبـاتـ الـتـيـ كـانـتـ تـرـدـ إـلـىـ

الشركة، وبهذا أصبح عدد عاملين الشركة مع كريس خمسة بالإضافة إلى إينا.

إلا أن كريس قد أخطأ في حساباته، إذ أن واردات الشركة لم تكن تكفي لدفع مرتبات هؤلاء الخمسة.

كما أن معظم زبائنه من كبار الشخصيات والأثرياء، كانوا غالباً ما يصرّون أن يقوم هو شخصياً بإيصال طرودهم الخاصة إلى مقار عطلاتهم نوع من الثقة بشخصه، وكانوا حساسين جداً تجاه أي تغيير بسيط بهذا الصدد، والذي كان يؤدي إلى ردود فعلٍ لم يكن كريس يتوقعها.

وفي النهاية أدرك كريس أنه لم يعد يامكانه مسك العصا من المنتصف، حيث كان يتوجب عليه إما السفر دائمًا لإيصال الطرود، أو أن يقوم بأعمال الدعاية وتوسيع قاعدة زبائنه، فكان غالباً يقوم بإحداهم على حساب الأخرى.

«لقد أخبرتني مساء أمس أن الكومنت قام فعلاً بتحويل مبلغٍ من المال إلى رصيدهنا»

صمتت إينا لبرهة، فاعتقد كريس أن الاتصال قد انقطع.

«طبعاً» قالت أخيراً. «ولكن بالمقابل فقد قام العديد من عملائنا صباح اليوم بالاتصال بنا، وسحب المهام التي كانوا قد أعطونا إليها، إنهم لا يريدون أن يتعاملوا معنا بعد اليوم. والسيئ في الموضوع أن تلك المهام كانت دائمةً وثابتةً.».

تردد كريس قليلاً فيما كان ينظر من خلال المرأة إلى الفتاة الجالسة على المبعد الخلفي، وهي تنظر من خلال النافذة محاولةً عدم الاستماع لمحادثته الهاتفية.

«وماذا يعني هذا؟» متابعاً كلامه مع إينا

ضحك إينا بتوتر. «ميونخ ترسل لك حياتها، لابد وأنك قدمت عرضاً رائعًا بالأمس»

«شارف؟ المركز التجاري!»

«كان أحدهم نعم، بينما كان اثنان من أوغستبورغ، وواحد من كولونيا، والرابع من إسن. هل ضربت أحدهم بمطرقةٍ كبيرةٍ على قدمه؟»
«هراءً»

«يبدو أن كلاً من أصحاب هذه المتاجر تحدث إلى الآخر وأخرجونا من قواهم»

تذمر كريس «ومن أين لك أن تعرّف بذلك؟»

«السيدة أختريوش تحدثت معي هاتقياً، وسحبت مهمة المركز التجاري، لقد قالت أنها تتصل بطلبٍ من مديرها وكذلك تم إيقاف المكافأة الإضافية، يبدو أن مديرها غاضبٌ جداً»، صمت إينا قليلاً ثم تابعت «ماذا فعلت؟ هل قمت باستفزاز أحدهم مجدداً؟»
«لماذا أقوم بهذا العمل المقرف ألم يكن أجدر بي أن أبقى شرطياً طيفاً»

«مشاكل؟» سأله الشاب بجانبه

التفت كريس إلى الشاب والفتاة بابتسامة شاحبة

«المعذرة! إن شركتي الصغيرة تمر حالياً بظروف صعبة»

«لا بد لهذا أن يحدث» أومأ فيليب بجدية «كان والدي يمتلكان متجرًا للالات الموسيقية، انتهى أيضًا

«إفلاس؟» سأله كريس

«كلا لقد باعاه، وحققوا بذلك ربحاً كبيراً، ويعيشان الآن على جزيرة (مايوركا) الإسبانية، وأنا لدي ما يكفيني لإتمام دراستي الجامعية»

نظر كريس في المرأة الأمامية «وماذا عنك؟» موجهاً سؤاله إلى آنيا

التي كانت تجلس على المهد الخلفي، وتمرر أصابعها بين خصلات شعرها الداكن، الذي كان يعطي وجهها تلك الملامة الحادة على عكس صوتها المحملي الناعم.

«والدي طبيبٌ مختصٌ بالمسالك البولية، ولديه عيادة خاصة، إلا أن الأمور ساءت الآن، ولكن الوضع جيدٌ بشكلٍ عامٌ» نقطة بدايةً جيدةً، فكر كريس، بالمقارنة مع حياته، فوالده كان بناءً ووالدته بائعةً في متجرٍ، وبالرغم من مواردهما المحدودة إلا أنهما كانا على وشك تحقيق حلمهما ببناء منزلهما الخاص، غير أن والدته لم تتمكن من الاستمرار في تمويل البناء حيث كان يتوجب عليها الاعتناء بوالديها المسنين فلم يعد هناك وقتٌ لعمل شيءٍ آخرٍ.

«هل كنت من رجال الشرطة؟» سأله فيليب بعد فترةٍ من الصمت

«يبدو أنك فضوليٌّ جداً، أليس كذلك؟»

«لقد فهمت هذا من خلال تلميحاتك، على أي حالٍ أعتذر عن التدخل بشؤونك الخاصة...»

لقد تحدث كريس معهما طوال الوقت، وأخبراه بأشياءٍ كثيرةٍ عن حياتهما. فلماذا لا يبادرهما الصراحة؟

«بعد أن أنهيت المرحلة الثانوية، تم تعيني في قسم الأرشيف في قبو إحدى المحاكم الابتدائية، وكان على أن أنهي دراستي في مجال الأرشفة القانونية، ثم تخيلت صورة ذلك الموظف الرسمي الذي قضى معظم حياته في تصنيف أوراق الدعاوى وأرشفتها، بينما كان يقوم بخيانة زوجته مع مساعدته على طاولات قسم الأرشفة بين أكواخ الملفات»

«مستقبلٌ باهرٌ حقاً»

«فعلاً. كابوسٌ، لابد من الهرب، وبالفعل فلم أكمل الثلاثة أشهر حتى تركت ذلك المكان، ثم قمت بتقديم طلب انتساب إلى كلية الشرطة، وبعد

التخرج تدرجت في عملي من شرطي احتياطي إلى قسم الشرطة الجنائية حتى وصلت إلى منصب رئيس قلم في قسم الجرائم، قاع الوجود البشري، والمزيد من الأعمال المكتبية التي لم أتوقعها. في بداية التسعينات إنضمت إلى وحدة القوة المتنقلة. لقد كنت مستمتعاً بحس المغامرة، وكان العمل كشرطي سري يتطلب الكثير من القرارات الذاتية والسرعة، وذلك لبعضنا في معظم الأحيان عن غرفة العمليات المركزية.»

«وماذا كنتم تفعلون؟» سأله فيليب وقد امتلأ عيناه بالحماس، وتغيرت تعابير وجهه المحاط بشعر أشقر مائل إلى البياض.

«المراقبة، كانت الحقيبة الخفية لسيارتي مليئةً بلوحات سيارات ذات أرقام وهمية، لاستخدامها في عمليات التتبع»

ابتسم كريس لفيليب ثم تابع «كنا نقوم بالمتابعة السرية متسلحين بأوراق ثبوتية مزورة، وأساطير لنخترق بها عالم تجار المخدرات، ونجمع المعلومات من مصادرها. مطاردة مهربى المخدرات من الحدود البولونية على الطرق السريعة ثم ننقى القبض عليهم، أو مراقبة مهندس على مدار أشهر لأنه ينوي بيع مخططات الطائرات الحربية لمن يدفع الثمن الأعلى»

«كنت أعتقد أن قوات العمليات الخاصة هم الذين يقومون بالمهام

الخطرة»

«لقد أخبرت زوجتي بذلك لأطمئنها. إلا أن ذلك لم يكن صحيحاً تماماً. فقوات العمليات الخاصة كانوا يستدعون لإتمام العمليات الخطيرة كأخذ الرهائن وتخليصهم. إنهم يعملون كفريق بأسلحة متقدمة، وفي مجاهدات محددة، وتوضيح مسبق للمخاطر. بينما تسير العمليات الخاصة بوحدة القوة المتنقلة بشكل مختلف في معظم الأحيان، ففي مرحلة جمع المعلومات يكون الشرطي غير مسلح تماماً، وفي كثير من المهام يكون معتمداً على نفسه بشكل كامل وغير مغطى، كالجاسوس الذي يعمل في أرض العدو.»

«وهل كانت زوجتك راضية عن ذلك؟» سألت آنها باستغراب «فمع هكذا عمل لا أعتقد أن هنالك مكاناً للزوجة..»
«كلا طبعاً»

«توقعت ذلك» أفلتت الكلمات من بين شفتيها
عاد كريس بذاكرته إلى تلك المشاعر المفاجئة، والأشهر العاصفة التي
تعرف بها على بيترًا. لقد تزوجها بسرعة، واستطاع الحب لفترةٍ وجيزةٍ أن
يكبح جماح رغبته في العودة إلى عمله ومواجهة المخاطر.
«كانت ضد عودتي إلى وحدة القوات المتنقلة في الشرطة، كانت تمر
عليها عدة أيام دون أن تعرف أين كنت. فالاتصال الهاتفي كان غالباً غير
ممكن، كانت تمنى أن يعود زوجها مساءً إلى المنزل ليساعدها في العناية
 بالأطفال الذين كنا ننوي إنجابهم»

«وهل كان هذا أسوأ ما في الأمر؟» سألت آنها باستغراب
«بالطبع لا» أخبرها كريس عن جولة التسوق مع زوجته في يوم
السبت ذاك، حين ناداه رجل باسم غير اسمه، وفي إحدى المرات هدد
أحدهم في الطريق بينما كان يرمق بيترًا بنظرٍ حادٍ، وفي مساء ذلك اليوم
أرسل كريس زوجته إلى والدتها لمدة ثلاثة أيامٍ لحين إنتهاء مهمته.
«أوضحت لي فيما بعد أنها ليست مستعدة لإنجاب الأطفال طالما
استمررت بالقيام بهذا العمل الخطر»

«لو كنت مكانها لفعلت ذات الشيء» قالت آنها «لو كنت مكانها لما
استطعت ربما الاستمرار كل تلك الفترة» ساد الصمت لبرهةٍ «ولكن كيف
يتحول شرطي إلى ناقل طرود؟»
أخذ كريس نفساً عميقاً ثم قال «لقد وجدت في جيب معطفني
خطاباً من الفرقة رقم 9 التابعة لحرس الحدود بخصوص الموافقة على
خضوعي لاختبار القبول»

«إنها الوحدات الخاصة على مستوى الجمهورية الاتحادية» قال فيليب «لقد قمت باختيار ما هو أكثر خطورة»
«يقولون أنني شديد العناد» وفجأةً من أمام عينيه ذلك المشهد الكريه من حياته الزوجية، لقد أيقظ صراخهما الجيران وقاما بتحطيم الكثير من الأواني الزجاجية حتى أن الجيران قاموا باستدعاء الشرطة.
وأسوأ ما في الأمر كانت تلك الكلمات الجارحة التي تبادلاها وكأنها مشرط جراح يشق القلب. لقد تركته... لم تعد تستطيع احتمال قراراته الأحادية الجانب والخطيرة.

«وماذا حدث بعد ذلك؟»

«لقد رسبت في اختبار القبول»

«يا إلهي» قال فيليب وهو يطبق بأسنانه على شفته السفلية.
نظر كريس من النافذة اليمنى للسيارة، كان ما يزال يتذكر تفاصيل ذلك اليوم، حيث جلس مع مجموعة من المتقدمين بطلبات انتساب في حجرة ذات جدران بيضاء وجدراء، خالية من أي صورة أو لون، ومضاءً بواسطة النيون. وكان رئيس لجنة الاختبار أشبه بسمكة ميتة بجمود وجهه وخلوه من أي تعبير. بينما كان المخلل النفسي الخاص بالفرقة 9 الخاصة لحرس الحدود قد قرر أن لدى كريس نزعة إلى التصرف الغير مدروس، والقرار الأحادي. مشكلته الكبيرة كانت في عدم قدرته على العمل داخل مجموعة، لأن قراراته السريعة والإندفاعية كانت ستعرض حياة زملائه للخطر.

وهذا كان أحد أهم أسباب رفض طلب انتسابه لفرقة الخاصة رقم 9 لحرس الحدود.

ولقد تسبب هذا الحكم بتوريطه مع رؤسائه في العمل، فأثناء ملاحظته لأحد تجار المخدرات اتخذ كريس قراراً بـالقاء القبض عليه دون

الرجوع لرؤسائه، وذلك لأن الظروف بدت له مناسبةً، فلم ينتظر بقية زملائه، وكانت النتيجة أن شريكه في المهمة تلقى رصاصه خطرةً في صدره كادت أن تودي بحياته، فحمله مديره مسؤولية ذلك الحادث، وأيد قرار المحلل النفسي بشأنه...»

«كله دفعةً واحدةً» تتمم فيليب

«ترك العمل» قال كريس كان ما يزال يشعر بمرارة ذلك الحكم «لقد تعرفت على مدير إحدى الشركات الأمنية الخاصة، والتي كانت تُستأجر لحماية المتاجر، أو تقديم الاستشارات الأمنية للشركات، وكانت تربح أموالاً جيدةً»

«يبدو أنه عملٌ مثيرٌ أيضاً»

«إلا أنه حتى هناك سارت الأمور كالعادة. وبعد سنتين من العمل مع هذه الشركة جاءت النهاية، فعندما تم إعطائي مهمة حماية إحدى أشهر المغنيات، حاول أحد المعجبين يا صرارٍ شديد الاقتراب منها، قمت بمنعه إلا أنه حاول فقئ عينيًّا بأحد أصابعه، فقمت بكلمه بقبضتي على قفصه الصدري، مما أدى إلى كسر أحد أضلاعه. لم يكن الأمر مقصوداً ولكنه حدث لسوء الحظ لم يكن ذلك المعجب سوى ابن المطربة الذي أراد أن يفاجئها».

كنت على وشك مواجهة قضية بتهمة محاولة القتل المتمعد، وإحداث أضرارٍ جسديةٍ جسيمة، ودفع تعويضًّا كما طالبت تلك المغنية بطردي من عملي في الشركة، فكان لها ما أرادت لأن الشركة كانت مهتمةً بالاستمرار بالتعامل معها. وطبعاً ترتب على ذلك مشاكلٌ كبيرةٌ بيني وبين مديرٍ.»

«وهنا قررت تأسيس شركتك الخاصة»

«نعم، بفكرةٍ مسروقةٍ» ضحك كريس «كانت شركة الأمن الخاصة تنوى افتتاح فرعٍ جديدٍ لها يختص بنقل طرود خاصةً للمشاهير والشركات،

مما لم يكونوا يرغبون بإرساله عبر البريد العادي. كانت تلك الطرود تحتوي على مجوهرات أو أوراق خاصة بمشاريع ضخمة، أو الأمور المتعلقة بوزارة الدفاع... الخ، فقلت لنفسي أستطيع فعل ذلك أيضاً»
«يبدو عملاً سهلاً» قال فيليب

«حسناً، كان معي رقم هاتف أحد تجار التحف الذي كنت أرافقه أثناء حضوره المزادات عندما كنت ما أزال أعمل في شركة الأمن الخاصة، ولقد تمكنت في إحدى المرات من منع عملية سطوة على حقيبة خاصة به، كانت تحتوي على تمثال آشوري ثمين. قمت بالاتصال به وبعد أسبوعين أصبح هو أول زبائني، ثم قام بتقديمي إلى المزيد من رجال الأعمال والتجار والذين أصبحوا بدورهم زبائني أيضاً».

«وأنت الآن بطريقك إلى تاجر التحف هذا؟» سأله فيليب
«نعم. الضبط»

«حتى لو أن الأمور الآن لا تسير على ما يرام، إلا أن تاجر التحف هذا قام بمساعدتك فعلاً، ولا لم تكن ل تستطيع الوقوف على قدميك الآن»
قالت آنيا بحماس ودون أن تنتبه لكلماتها
«حقاً. لقد ساعدني»



بعد أن ودع كريس الشابين، تابع طريقه مستمتعاً بالوحدة والهدوء. كان هدفه يقع على قمة جبل في (السينيسي)، ليس بعيداً عن مدينة (سيينا) الإيطالية. طريق عريض من أشجار السرو كان يخترق الحقول وكروم العنب، منتهياً بسور حجري ضخم يحيط بفيلا الكونت. كان السور

المبني من الصخور بارتفاع المترین تقريباً، ولا حظ أن البوابة الحديدية المزخرفة بعنایة كانت مفتوحةً.

أوقفه أربعةً من رجال الحراس، كانوا يرتدون قمصاناً بيضاء بأكمامٍ قصيرة، وسراويلٍ زرقاء داكنة، كلهم كانوا محزمين بجرابٍ للسلاح، واثنان منهم كانوا يحملون رشاشات آليةً.

«قم بتوجيه سلاحك باتجاه آخر» قال كريس لأحد الحراس، الذي كان يوجه فوهة سلاحه للنصف الأسفل من بطن كريس. أومأوا بصرٍ، ثم تلقوا أوامر عبر اللاسلكي بتفتيش السيارة، ثم فتشوا كريس شخصياً، وفتحوا حقيبته، وقلبوا ما تحمله من ثيابه المتسخة وبعدها أشاروا له بالدخول.

قاد كريس سيارته على الطريق المؤدي إلى الفيلا، والتي زين جانبيه بأحواضٍ من الورود، وانتشرت الأشجار المثمرة كالبرتقال وغيرها بطريقةٍ متناهيةٍ ودقيقةٍ للغاية، بينما ألقت دولي العنبر بظلالها على الممر المفروش بالحصى الصغيرة الملونة.

لاحت الفيلا ببنائها الكلاسيكي القديم وواجهتها اللامعة. على جانبي المبني انتصب برجان صغيران يعكسان طابع الأبنية التقليدية في منطقة (التوسكانا)، وللذان كانا يستخدمان إما للاحتماء من مرض الطاعون الذي كان قد انتشر في فترة ما في هذه المنطقة، وإما للهروب من حرارة الصيف الحارقة.

انتهى الطريق بساحةٍ يتوسطها نافورة مياهٍ صغيرة، أحاطت بها تماثيلٌ حضرت من خشب الزان، وزيست رؤوسها بأكاليل الغار.

نزل كريس من سيارته، وبدأ بممارسة بعض الحركات الرياضية للتخفيف من آلام عضلاته وفقراته التي تبيست لطول فترة جلوسه خلف عجلة القيادة، في هذه الأثناء فتح باب الفيلا.

وقف أنطونيو بونتي أمام الباب، كان جسمه رياضياً ومتاسقاً
ويتصرف بلباقة عالية كما هو معروف عن سكان الجنوب التقليديين.
لوح كريス بيده محياً ثم اتجه نحو الرجل الإيطالي. كان أنطونيو
الذي عمل سابقاً في قوات الشرطة الإيطالية الكارابينيري يرأس مجموعة
الحرس الخاص بالكونت لسنوات طويلة، وكان تاريخه المهني يؤهله لهذا
المنصب إذ أنه كان يعمل مع مجموعة التدخل الخاصة الإيطالية، والتي تعتبر
إحدى أهم القوات الشرطية الاستثنائية في أوروبا.

كان كريス قد تعرف على بونتي في إحدى مهامه مع الكونت حيث
كان عليه إيصاله من كولونيا إلى جنيف. وكذلك في مهام لاحقةٍ تعرف
الشرطيان السابقان على بعضهما البعض، وتبادل الخبرات.
وبدلاً من إبداء فرحته المعتادة بلقاء كريス، رد بونتي ببرودٍ، ثم تحنى
جانباً متبعاً الطريق لكريス للدخول إلى الفيلا.
تقدّم فورستر باتجاه كريس ماداً يده اليمنى لصافحته، بينما كان
يتكئ بيده اليسرى على عكا.

تأمل كريس العكاز الذي حضر بعناية فنية فائقة، واليد البيضاء ذات
العروق الزرقاء النافرة التي التفت حول رأس العكاز. كان كريس يعرف
فورستر ذلك الرجل القوي الصحيح، والمتمتع بالحيوية الدائمة بالرغم من
بعض الإعياء الذي بدا عليه أثناء سفرتهما الأخيرة إلى دبي، إلا أن ما يراه
كريس أمامه الآن كان مجرد هيكلٍ عظميٍّ¹¹



كان بناء فيلا فورستر كلاسيكيأً تماماً، فبجانب الصالة الكبيرة كان

البهو الداخلي والذي صمم على النسق الريفي البسيط، الجدران ذات اللون المفر اتسقت مع الأرض الحجرية التي كانت تشكل الأرضية وزينت بنقوشٍ خفيفةٍ لتضفي عليها لمسةً جماليةً إضافيةً.

انتشرت جرارٌ فخاريةٌ استُخدمت كأحواضٍ للنباتات في أرجاء البهو الداخلي، والذي كان ذو أثاث بسيطٍ مكونٍ من مقعدين وطاولةٍ وكرسيين كلها مصنوعة من الخشب الطبيعي، وطلبت بلونٍ غامقٍ. انسحب بونتي وأحضر الخادم المشروبات، بينما اختار فورستر أحد المقاعد وارتدى عليها بجسده المتألق.

شرب كريس كوب الماء البارد الذي قدم له بجرعةٍ واحدة، فلقد كان بأمس الحاجة إليه. أشار فورستر بيده إلى الخادم فصب له القليل من النبيذ الفاخر في أحد الكؤوس وقدمه له، تذوقه بطريقة الخبر ثم أومأ برأسه للخادم، فسكب كأساً آخر وقدمه لكريس.

في البداية دار حديثٌ عامٌ بين الرجلين، حيث سأله فورستر عن سفرته وعن أحوال شركته، وقد بدا متأثراً حين علم بالظروف المالية السيئة التي تمر بها شركة كريس، ثم ما لبث أن هز رأسه متفهماً عندما أخبره كريس بالسبب وراء ذلك.

وبينما استغرق فورستر بالتفكير لإيجاد حلول لمساعدة كريス، كان الأخير يرمقه بنظرات متسائلة. لقد تجاوز عمر فورستر الستين إلا أن مظهره كان يبدو وكأنه عجوزٌ هرم. فلم يتبق شيءٌ من حيويته. كان يبدو مهلاكاً، جسده التحيل يرتعش حتى أثناء جلوسه، ويحاول الحفاظ على توازنه بإمساك عصاه. تقطيع أنفاسه أثناء الكلام، ويبدو مشتت التركيز أحياناً بحيث يبحث عن خيوط الموضوع الذي يتحدث به.

تألم كريس لهذا. فوجه الكونت كان هزيلاً، شاحباً، ضعيفاً ولم يتبق من شعره سوى بضعة خصائص. انهيار الرجل أثر به كثيراً، فلقد تطورت

علاقة من الثقة والاحترام بين الرجلين دون أن يتحدثا بهذا يوماً.

«لا أحب نظرات الشفقة، أعلمكم أبدو ضعيفاً، إلا أن ما أشعر به أسوأ بكثير مما أبدو عليه» دمدم فورستر

نظر كريس إلى فورستر متسائلاً، فرد الأخير بابتسامة شاحبة «إنك لا تعرف الكثير عنِّي، بينما أعرف أنا عنك أكثر، أليس كذلك؟»

أومأ كريس، وأخذ رشفة من كأس النبيذ الأحمر، فمع كل أسئلته وملحوظاته، لم يستطع يوماً أن يتخاطر ذلك الخط الأحمر الذي رسمه فورستر حول حياته، والذي كان كريس يشعر أنه اقترب منه عندما يتوقف فورستر عن الإجابة.

على العكس من فورستر الذي كان يمطر كريس بوابل من الأسئلة، ويلج عليه أن يخبره بأدق تفاصيل حياته، والتي لم يكن لزيون عادة أن يعرفها.

كان كريس يعتقد أن صراحته اللامتناهية مع فورستر هي التي دفعت الأخير إلى التمسك بالتعامل مع شركته وامدادها بالمرizid من المهام.

«ستكون هذه المهمة الأخيرة التي ستؤديها لي، ستساعدني على التكفير عن خططيتي، ثم أدير ظهري لكل هذا العذاب»

«أنا لا أفهم شيئاً» لم يعهد كريس ذلك الشعور المزعج الذي انتابهاليوم، أثناء تواجهه مع الكونت. تبست رقبته وتشنجت عضلاته، وكأنها قطعة من الصلب.

«هذا طبيعي» ضحك فورستر بصعوبة، بينما كانت عيناه الزرقاء وان الغائرتان ترمقان كريس بنظراتٍ ثاقبة.

«إنه مرض (باركنسون)، إنك ترى كيف أنني لا أستطيع حتى أن أوقف رأسي عن الاستمرار بالاهتزاز»

أطرق كريس وعيناه مصوّبات نحو الأرض «ليس لدى معلومات كافية...»

«قدرةً محدودةً على الحركة، ردود فعل جسديةً لا إراديةً وهرمٌ مبكرٌ من أسوأ الأنواع، وفي النهاية عجزٌ تامٌ وشللٌ كاملٌ. كافة أجزاء الدماغ تموت، تبأً» تتم فورستر بصوتٍ مبحوحٍ «ما أزال بكمال قواي العقلية، ولكن نوبات الاكتئاب والاضطرابات النفسية والذهنية بدأت ترسل إشاراتها. أحاول الاختباء منها، ولكنها ستتجدني عما قريب»

انتظر كريس بصمت حتى هدأ انفعال فورستر، فلقد كان أسبوحاً شافاً بالنسبة له وبدأ يسأل نفسه إن كان باستطاعته أن يضيف أعباء هذا الرجل لأعباته الخاصة.

«ولهذا فلقد قررت التكبير عن خطئي أولاً ثم أموت» وعندما فتح كريス فمه متقائضاً، رفع فورستر يده اليمنى بوهينٍ قائلاً «لن أقبل أي إعراضٍ على قراري. فأنا لم أخبرك بما أتني فعلاً حتى تعلق عليه، إني أحاول التوضيح وحسب...» «ولكن...»

«لحسن الحظ وجدت جمعيات في سويسرا تساعد على تنفيذ الموت الرحيم، تساعد الأشخاص الراغبين بالخلص من آلامهم إلى الأبد على تحقيق هدفهم. كل شيءٍ مرتبٌ وجاهزٌ» «لا يمكن للإنسان أن يرحل عن الدنيا بهذه البساطة» تتم كريس بعد فترة من الصمت

«أنا أفعل» رد فورستر بابتسامة خبيثة «لقد اتخذت القرار، ولا أريد مناقشته معك بعد الآن. لقد أخبرتك به حتى تستطيع أن تدرك ما أريده منك بشكلٍ أفضل. فحالتي تتدحرج بسرعة، كل يومٍ أسوأ من الذي قبله، والعماقير التي أتناولها عبارةً عن قنابل هيدروجينية، وبالرغم من ذلك فإن تأثيرها لا يستمر إلا لفترةٍ وجيزةٍ، ولا تستطيع تعويض كل ما يفقده الجسم» حدق كريس بفوريستر فلم يعد لديه ما يقوله في مثل هذا الموقف،

فتجربة الكونت في الحياة طويلةً وحافلةً بالخبرات، وكان دائماً يعرف ما يريد، وكيف يصل إلى هدفه.

«لا أريد أن أصل إلى تلك المرحلة التي أربط بها في السرير فاقداً كل قدراتي، بينما تأكل الاضطرابات النفسية والذهنية ما تبقى من أفکاري. هل تفهمني؟»

تلاقت نظرات الرجلين

كانت عيناً فورستر جامدتان، ويدوان كأنهما ينظران في فراغٍ لا متناه. وبالرغم من أن نظرات كريس وفورستر كانت ملائمة، إلا أن أحداً منهما لم يكن يرى الآخر. وبعد لحظاتٍ رمشت عيناً فورستر وانفك ذلك السحر، وأخيراً هز كريس رأسه فقط ليقوم بأي حركةٍ تكسر ذلك الجمود، فلم يكن باستطاعته النقاش، فلقد اعتنقت والدته بجده وجدته أثناء هرمومها. وبما أنه فقد والديه إثر حادث سيارة على طريق السفر، فلم يتتسنى له العناية بأناسٍ هرميين من قبل.

«عندما يحين الوقت فسوف تفنى سلالـة عائلة فورستر، وكذلك عائلة شتاينر»

«ألا يوجد أقارب؟» سأـل كريـس دون أن يـعرف سبـب ذـكر فـورـستر لـاسم عـائلـة شـتاـينـر

«بعـيدـينـ، بـعـيدـينـ جـداـ. لـيـسـ عـلـىـ الـأـهـمـيـةـ المـطـلـوـبـةـ لـمـاـ أـنـوـيـ الـقـيـامـ بـهـ. سـلـالـةـ شـتاـينـ»

«لـيـسـ لـدـيـكـ أـبـنـاءـ؟»

حدق فورستر بالفراغ مجدداً، ثم ضحك بسخرية «لو كان كذلك لتصرفت بشكل مختلف، ولكن لا لـيـسـ لـدـيـ أـبـنـاءـ» رفع فورستر العصا، وضريـها عـلـىـ الطـاـوـلـةـ أـمـاـهـ، فـأـصـدـرـتـ صـوـتاـً عـالـيـاـ، ثـمـ سـعـبـهاـ عـلـىـ سـطـحـ الطـاـوـلـةـ بـاتـجـاهـهـ.

«لقد حاولت فعل كل شيءٍ لتفير هذا الوضع، لقد أقمت علاقاتٍ عديدةٍ مع فتيات صغيرات السن، أردت استخدامهن كآلات للتکاثر، عرضت عليهن الكثير من الأموال إن استطعن انجاب طفل لي، إلا أن المال لم يقدر على تحقيق حلمي»

اعتقد كريس أنه يرى دموعاً في عيني الرجل.
أشاح فورستر لوجهه بوجهه جانباً، وعندما أعاد النظر إلى كريس كانت الدموع قد تلاشت.

«أنا عقيم تماماً، لقد تم تشخيص حالي هذه من قبل ثلاثة من أهم مراكز علاج العقم في العالم، حتى التلقيح الصناعي لم يكن ليؤدي لنتيجة في حالي»

تأثير كريس كثيراً بكلام فورستر، ولم يعرف ما عليه قوله، فهاهوذا يجلس أمام الرجل الذي كان يمده بتلك المهام التي تدر على شركته أموالاً جيدةً، ويعرفه منذ سنواتٍ كمليلاً مهتماً لشركته الصغيرة، إلا أنه لم يتخيل أن يأتي اليوم الذي يفتح فيه الكونت مكامين أعماقه أمامه، ويعرف له بهذا الكم من المراة التي كانت تخبي خلف ذلك الوجه القوي لرجل بهذا الثراء. خلال لحظات تحول فورستر إلى رجلٍ متماسك تماماً «وهكذا قررت أن أنزل بعض الأعمال عن كاهلي، والتي كنت أنا وعائلتي مسؤولين عنها..» ثم نادى عدة مرات بصوتٍ متقطعٍ على الخادم، الذي حضر بعد لحظاتٍ حاملاً صينية العشاء.

«شرائحٌ من الخبز المحمص، لحم الخنزير البري، سلطة الخرشوف، لحم السمان، جبنة البيكورينو، رائعٌ!»
لعت عينا فورستر لوهلة، ثم أومأ لكريس داعياً إياه للبدء بتناول العشاء، ثم قال «هذا ما سأقتده في الجحيم»

الفصل الخامس

مونتي كاسينو الخميس

نظر المونسينيور تيساني من خلال نافذة السيارة. بينما بدت خلفه بانوراما واسعةً لسفوح الجبال. تأمل طريق السفر الطويل الذي يربط بين روما ونابولي، وصفوف السيارات التي كانت تعبّرها.

ارتفع الطريق الجبلي أمامهما بنحو 9 كيلو. كان أومبيرتو يقود السيارة بحذرٍ شديدٍ ملائقاً للصخور المحاذية لجانبي الطريق الضيق، وبعد عبورهما سُتّ منحدراتٍ وصلت سيارتهما أخيراً إلى قمة الجبل، حيث يوجد أصل جميع الأديرة في الغرب.

حوالي مليونٍ ونصفٍ من الحجاج يزورونه سنوياً.
(مونتي كاسينو) دير أتباع القديس بندكت، والذي تم تدميره عدة مراتٍ بسبب غزوات القبائل الجرمانية التي عرفت باسم (اللومباردين) ومن بعدهم المسلمين. وخلال الحرب العالمية الثانية حولت القنابل هذا الدير إلى كومةٍ من الحجارة والتراب، وكان يتم إعادة بناء هذا الدير في كل مرةٍ وكأنها العجزة.

انتهى بهما الطريق أمام ذلك المبنى الضخم، والذي يبلغ ارتفاعه

حوالي 250 متر. وعندما ترجلَ من السيارة لم يعودا يسمعان شيئاً من ضوضاء الشارع.

كان تيساني رقيقاً، ذو جسم مفصل، متوسط الطول، وجعله رداءه الأسود ذو الياقة البيضاء يبدو أكثر نحافةً. وبالمقابل كان أومبيرتو، أطول وأضخم ذو جسم رياضي، وكان يعمل في إحدى محطات الوقود في (أوستيا)، وهو الشخص الذي يعتمد عليه تيساني كلما احتاج إلى سائقٍ موثوقٍ به. كانت روح أومبيرتو صافيةً، وعقله يفكر باتجاه واحد، وقد امتلاً قلبه بإيمانٍ قويٍ لا يتزعزع، على العكس تماماً من تيساني الذي كان إيمانه بحاجة دائمة إلى الشحذ والتثبيت، لمواجهة كل تلك الحيل التي كانت تحاول الكنيسة نشرها في العالم، ولم يكن عقله يتقبل الحقائق المجردة التي كان بإمكان أومبيرتو أن يتقبلها ببساطةً.

دخل تيساني الدير الذي كان بندكت الترسياتي قد أسسَه على أنقاض معبدٍ وشيٍ في عام 529. ودون أن يعيّرها أي انتباه، مر تيساني أمام مجموعاتٍ صغيرةٍ من التماثيل البرونزية، والتي كانت تصور مشهد موت القديس بندكت واقفاً وسط حشد من الكهنة.

كان الفناء الداخلي بمساحته التي تبلغ حوالي 1200 مترٍ مربعاً، واسعاً وبيعث على الارتياب. توقف تيساني بأفكارٍ مشوشةٍ في وسط الفناء أمام الجب ذو الشكل الثماني، ونظر بإعجابٍ إلى الأعمدة الزيجبية ذات التيجان الخشبية الضخمة، إلا أنه وبعد لحظاتٍ أدرك أن عليه أن يمضي في طريقه لاتمام مهمته. تابع سيره باتجاه الجزء الأمامي للمبنى المطل على الوادي، حيث كان ينتظره أحدهم هناك في الطابق الثاني.

استقبله قسيسٌ شابٌ ببرودٍ وبشىءٍ من الرسمية، فلم يكن المونسینيور القادم من الإدارة المركزية البابوية بالشخص الذي يطرب القسيس فرحاً لرؤيته.

قدم القسيس اعتذاره لتيسانى، لأن رئيس الدير لم يتمكن من استقباله حيث أنه كان مسافراً. والحقيقة أن تيسانى كان سعيداً لأنه لن يقابل رئيس الدير، فأى تعليق من جانبه كان سيصل حتماً إلى آذان شخص ليس له علاقة مباشرةً بال مهمة. فرئيس الدير كان يتمتع بشبكة اتصالاتٍ واسعة، تشمل كافة شرائح المجتمع الإيطالي. دعاه القسيس للدخول إلى حجرة ذات جدران مغطاة بالقماش الأحمر، انتشرت لوحاتٍ من وحي الكتاب المقدس في أرجاء المكان، وكان الأثاث مكوناً من كرسين، وطاولة مكتب، وخزانة بسيطة.

أثناء انتظاره وقف تيسانى أمام النافذة المطلة على الوادي العميق لنهر اللير، والقرى المترامية على أطرافه، وفي الأفق لاحت جبال أوسونى.
«منظر رائع، أليس كذلك؟»

لا يمكن لتيسانى أن يخطئ ذلك الصوت الهادر لهنرى ما فىن البالغ من العمر ستين عاماً والأقصر منه بقليل، والذي كان يتمتع بجسم أشبه بأجساد مصارعي الحلبة.

كان هنرى يرتدي زياً أسوداً خاصاً بأعضاء جوقة الكنيسة، وكان الوجه الممتلئ للناشر الأمريكى هادئاً، وذو بشرة محمرة لامعة، وعينان داكنتان تتمان عن حماسة شديدة.

«هي، هي، انظر فحسب» قال هنرى ما فىن بيا عجائب. «أنا نفسي لا أستطيع تصديق هذا الأمر، منذ الأسبوع وأنا أعيش في عزلة تامة في إحدى الفرف الصغيرة هنا. والآن يقف أمامك رجلٌ جديد، لأبد وأن القديس بندكت كان يعي تماماً كم باستطاعة هذا المكان أن يقرب المرء من

الرب»

حيّاه تيسانى ببرود، فلم ترقه فكرة أن الأديرة يمكن أن تفتح أبوابها لاستقبال بشرٍ فان، ليختبئ خلف أسوارها مقابل المال، وخصوصاً أن دير

(المونتي كاسينو) لم يكن يقدم حلقات تعليم البحث عن الذات، كما تفعل بعض الأديرة الأخرى. فالحياة هنا كانت تعكس حياة الدير البسيطة فحسب.

«هل تجلس على الطاولة؟»

«يمكن للمرء أن يعتاد الجلوس على المقاعد الخشبية القاسية» قال مارفين وريت بيده على كتف تيساني.

لم يكن تيساني معجبًا بأسلوب وطريقة الأميركيين في التعامل، وتساءل في نفسه كيف للقساوسة والكهنة الأربعين المقيمين في هذا الدير أن يحتملوا الصوت المدوى لهذا الرجل في عالمهم المليء بالسكون.

«مونسينيور إنك جادٌ للغاية، بالرغم أن الرب لم يمنع المرح»

«لكن إيصال رسالةٍ من ممثل الرب على الأرض قد تشكل عبئاً على حاملها»

«ليس هنا، حيث وجدت جذور حياة الأديرة. هل تعرف مكاناً أفضل من هذا لسماع الأخبار الجيدة؟ متى سيأتيالي اليوم أم غداً؟ هل تم الاعتراف بجمعية بريتوري الكتاب المقدس كأخوية، أو ربما كمطرانية خاصة؟ ومتى سيتم اعلان ذلك؟ هل سيعحضر المرسوم معه؟ هياً أخبرني» للأسف فإن الجدل حول هذا الموضوع لم ينتهي بعد» أجاب تيساني بحزنٍ «بابا جيد، لقد اختلف كل شيء. الرسل الكثيرة الذين يقومون بخدمته... مقدم الالتماس الذي كان سيقوم بإيصال موضوعنا، مشاكل العقيدة، وبعض الفاسدين في الإدارة المركزية البابوية...» رفع المونسينيور يداه بإشارة استسلامٍ.

«لا أفهم شيئاً مما تقول» حدق مارفن بعينين باردتين إلى المونسينيور.

كان مارفن رجل أعمال، وكانت بالنسبة له القواعد هي دائمًا نفسها،

حتى الكنيسة لم تكن تُمنَّح استثناءً، الكنيسة بالذات فهي التي أوجدت المصارف، تلك التجارة التي تدر الأرباح على المدى البعيد.

«عزيزى هنرى مارفن» نطقها تيسانى بصعوبةٍ.
«مونسيينيور لا تحاول إهانتي»

«قداسة البابا يرى أنه ليس بإمكانه مقابلتك الآن، وكذلك طلب الجمعية لا يمكن تحقيقه الآن. ربما ... خلال الأشهر القادمة... ولكن الآن...»

نهض مارفن من على الكرسي برشاقة، ثم انحنى فوق طاولة المكتب، وأمسك بثياب تيسانى جاراً إياه باتجاهه. نظر تيسانى إلى قبضة مارفن على صدره، شد مارفن ستة تيسانى بقوةٍ حتى كاد قماش الظهر يتمزق.

«قد أفهم أنه ربما لا يرغب بلقاء شخصٍ في الوقت الراهن، وذلك لكثرة المستمعين والمتخصصين والشريارين في جحر الأفعى ذاك، ولهذا فقد اخترت هذا المكان حتى تبدو مقابلتنا وكأنها صدفة، فلماذا هذا التغيير المفاجئ الآن؟»

ركز تيسانى نظره في نقطةٍ على الجدار ثم قال «يوجد أكثر من ألفي أخيوة»

همس مارفن بأنفاس مسمومة «ولماذا لا يتم ترقيتنا لهذه الدرجة؟» بالرغم من أن الإحصائيات الجديدة تشير إلى أن عدد المتضمين بلغ المائة والخمسين ألفاً. نحن أكثر من أعضاء الأبوس داي، إن بريتوري الكتاب المقدس سيحكمون العالم. لا يمكن إيقاف انتشارنا، ففي كل يوم يزداد عدد أتباعنا من المخلصين والمؤمنين بالكلمات الحقيقية التي جاءت في الكتاب المقدس، وهم مستعدون للتضحيّة بأرواحهم في سبيل الدفاع عنه» رأى تيسانى العينان الجامدتان وتألم من أعمقه.

«نحن ننتشر بشكلٍ أوسع من الأبوس داي في أفضل أوقاتها، ننادي بمصداقية الكتاب المقدس، ونمنع المؤمنين بيتاً لنحيمهم من التحلل والشعور بالضعف، نحن لا نحاول تفسير الكتاب المقدس بل نأخذ بكل كلمةٍ وحروفٍ وردت به»

أطرق تيساني، لقد ناضل بريتوري الكتاب المقدس ببسالة لحماية قيم الكنيسة من الانهيار، وقد نجحوا في ذلك. حتى في أواسط البروتستانتيين من الأميركيين، والذين أخذوا الكتاب المقدس بحرفية، والذي تجاوز عدد أتباعهم العدة ملايين، استطاع بريتوري الكتاب المقدس إعادتهم إلى أحضان الكنيسة الوحيدة الحقيقة.

«نحن الذين لم نترك البروتستانتيين يواجهون مزاعم العلماء وحدهم، نحن الدرع والسيف الجديدين للكنيسة الكاثوليكية، لقد قمنا بما كان يتوجب على الكنيسة الأم القيام به منذ زمنٍ بعيدٍ».

أفلت مارفن يداه من على صدر تيساني ثم تراجع إلى الخلف. أخذ المونسينيور نفساً عميقاً. لقد قام في الليلة السابقة بقراءة الملف الذي أعده مجلس رجال الدين التابع لإدارة المركبة البابوية حول المنظمات الدينية.

كان مارفن أحد الناشطين الناھذين في تلك الجمعية، والتي أسسها قس كاثوليكي متدين في بداية السبعينات، حين أخبره ابنه الصغير أن أحد الأساتذة في المدرسة قام بتشويه الرواية الجميلة للكتاب المقدس حول بدء الخليقة بتعليمهم نظرية الارتقاء والتطور.

كان مارفن أحد المائة الأوائل الذين انضموا إلى الجمعية، وكان آنذاك كمااليوم مقتنعاً تماماً أنه لم ينجو من حرب فيتنام إلا لينشر كلمة الله في الأرض، فأنشأ دار نشر صغيرة أخذت على عاتقها طباعة ونشر الكتاب المقدس حسراً. بالإضافة إلى ذلك فقد كان يقوم بنشر

كلمة الرب بين أولئك الذين تسممت أفكارهم بتراثات العلماء، ومع مرور الوقت أصبحت دار النشر الخاصة بمعرفن إحدى أشهر دور نشر الكتاب المقدس في أمريكا. كما استطاع إيصال كتبه إلى جنوب ووسط أمريكا، وكان يستمتع بإشراك المسيحيين في تلك البقاع بالتعرف على المضمون الحقيقي للكتاب المقدس.

في العام المنصرم مات مؤسس الجمعية، وكاد مارفن يتولى قيادتها. بشكلٍ فعليٍ كانت الجمعية تحت سيطرته وتصرفة منذ زمنٍ طويلاً، فكان يتبع عمليات التمويل، وتمكن من إثراء تلك المجموعة التي جعلت من نفسها أخويةٍ دينيةٍ دون الرجوع للفاتيكان، كما أنه أسس هيكليةً إداريةً مكونةً من قيادةٍ روحيةٍ ورجال دينٍ والتي كان هو أيضاً الذي يقودها في النهاية. تنهى تيساني، إذ أنه كان يدرك تماماً بأن هذا الرجل يمتلك قدرةً خطيرةً على الإقناع، وقد نجح بالحصول على دعم الكثير من الكرادلة والكهنة، وكان يناضل ضد تأكل الكنيسة وانهيارها.

«إن قداسة البابا يقدر تماماً الجهد التي تبذلونها لحفظ على الكنيسة وضعها بالمكانة التي تليق بها»
«نعم إنه نضالٌ حقيقيٌ» قال مارفن وهو يرمي رسول الفاتيكان بنظرات حادة «بالرغم من تطور دستور الولايات المتحدة إلا أنهم لم يستطعوا أن يمنعوا تعليم تلك الأفكار المسمومة عن نظرية الارقاء والتطور لطلاب المدارس، وبالمقابل فإنهم يمنعون تعليم كلمة الرب! حان الوقت لوضع نهاية للشكك بالكتاب المقدس في العالم»

حول تيساني نظراته من على الناشر ووجهها مجدداً إلى الجدار «كنيستنا المقدسة لم تعد كما كانت قبل مائة عامٍ، وربما قبل عشرة أعوام. أنت تعلم جيداً أن الكنيسة تورطت عندما اعترف البابا يوحنا بولوس الثاني بنظرية الارقاء والتطور..»

«نعم. كان ذلك في عام 1996 أمام المجمع العلمي البابوي» تهدى مارفن ثم تابع «لم تعد مجرد نظرية، هكذا قال البابا يوحنا بولوس الثاني في تلك السنة المشؤومة» وكذلك أكد خلفه الذي كان ما يزال رئيس المجمع الدولي لللاهوتيين، وترأس لجنة عالمية لرجال الدين والتي أثبتت بدورها أنه لا يوجد تعارض بين ما ورد في الكتاب المقدس حول بدء الخليقة ونتائج نظرية الارتقاء والتطور. كان هذا قبل أكثر من عام» «كان كلامه واضحًا ولا يقبل التأويل. كلمة لا كانت سببدي إلى نتائج أفضل بكثير» ثم ضرب مارفن بقبضة يده على سطح المكتب «لكن هنالك آراءً أخرى مخالفة، فأنا أعرف أحد القساوسة الذي سيقوم الأسبوع القادم بنشر مقال في مجلة «نيويورك تايمز» يهاجم من خلاله موقف الكنيسة ذاك، وسيدحض تصريحات البابا يوحنا بولوس الثاني أمام المجمع العلمي البابوي بخصوص نظرية الارتقاء والتطور ويقلل من شأنها»

«هنالك المزيد من القساوسة الذين يشاطرونني الرأي» أجاب تيساني «إنهم ينادون بمحاربة كل من يحاول التشكيك بما جاء في الكتاب المقدس، ولكن البابا يعتقد أن ظهور مخطوطة جديدة لن تستطيع النيل من كلمة رب، حيث أن مائةً وخمسين عاماً من محاولات التشكيك لم تتمكن من النيل منها»

أشاح مارفن بوجهه. هز رأسه بإستثناء غير مصدق لهذا الكم من الخيانة، ثم قال بصوتٍ هادر «الأدلة ستكون كفيلةً بإقناع البابا».



صوفيا أنتيبيوليسي بالقرب من مدينة كان

الخميس

بخطوات مثقلة جر الأب هيروتيموس قدميه نزولاً على دراج بوابة المشفى، وكأنه يحمل أطناناً من الحجارة على كتفه جسده الممتئ.

«مواجهة الموت المفاجئ أمام عينيك وشكل يومي» ردد كلمات قواعد الرهبنة للقديس «بندكت» وسائل نفسه لماذا اختاره الرب هو بالذات ليجتاز هذه التجربة الصعبة.^٦

مسح بيده حبيبات العرق التي تجمعت على رأسه الحليق. لقد أخفق في الإمتحان، لم يتمكن من تقديم المعاونة المطلوبة لرجل يحتضر في طريقه إلى لقاء حسابه، لن يستطيع أن ينسى الوجه الخائف لذلك الشاب.

لقد أمضى تلك السنين الطويلة من العمل الدبلوماسي في الإدارة المركزية البابوية، حيث التلويع بالأيدي ودراسة المخطوطات تكون على حساب قدراته كراهب، لم يكن يتصور أنه سيتعامل مع العالم الحقيقي على هذا النحو وخصوصاً بعد أن كان قد قرر منذ بضعة أشهر الاعتكاف في الدير.

«عذراً لا يمكنك الدخول الآن» قالت السكرتيرة المتقاجئة من وقوف الأب هيروتيموس أمام باب مكتب آندره فولسوم.

تذكر هيروتيموس كيف أن جاك دوفور كان دائماً يتحدث برهبة عن فولسوم.

لقد قامت الشركة الأمريكية لصناعة الأدوية (تيسابي) بشراء الحديقة العلمية (صوفيا أنتيبيوليسي)، والتي تقع بالغرب من مدينة (كان)، وذلك لتوسيع نطاق أبحاثها، وكذلك لترويج منتجاتها في أوروبا. ولقد أخبره دوفور بأن المالكون الجدد قاموا بوضع منهجية جديدة للبحث

العلمي، ولم يكن أحد يتوقع شيئاً جيداً من الرئيس التنفيذي للشركة الأم لتسابي.

عندما دخل عليه الراهب والذي كان أطول منه بقليل، كان فولسوم يتحدث بالهاتف بينما يقف خلف مكتبه الضخم والمنظم بعناية. كان مظهر فولسوم بشعره ذا الخصل البيضاء، ووجهه المسمر بفعل حمامات الشمس الاصطناعية (السولاريوم) وبدلته الداكنة والأنيقة مع قميصه السماوي، وربطة عنقه المتناسقة مع كامل هندامه، لا يتسرق مع ذاك الثوب الرمادي للراهب.

«حسناً. أرجو أن تجهزوا السيارة خلال عشرين دقيقة من الآن» قال فولسوم ثم أغلق الخط. للحظات لمعت عيناه بنظرة مرتابة ثم ما لبث أن تمالك نفسه.

توجهت نظرات الراهب إلى جاك دوفور الذي وقف في منتصف تلك الحجرة الواسعة. إنه تلميذك الذي علمته كيف يجل ويقدر عظمة الخالق. كم أخفقت في ذلك، هذا ما كان يدور برأسي هيروتيموس. دوفور أصبح عالماً وباحثاً، قاده طريقه من قرية كولوبيريس الصغيرة في جبال الماورن حيث تلقى علومه الدينية على يد هيروتيموس، إلى جامعة طولون ثم إلى مركز الأبحاث هذا، ومنذ ذلك الحين أصبح البحث في علم الجينات هو حياته.

يبدو أن دوفور قد خسر الكثير من وزنه حتى أصبح جسده نحيلًا على هذا النحو. كان وجهه الأسمر ذو الخطوط الناعمة يرتعش، وكان يمرر أصابعه بحركات مرتبكة بين خصال شعره الموج. إلا أن فولسوم كان يحاول إخفاء نزعته إلى العنف. إنه يعتقد أن الجميع أغبياء، تذكر الأب كلمات جاك الذي كان قد أحضره صباح هذا اليوم.

«إنك لا تبدو على ما يرام» قال فولسوم وهو يحدق في الوجه المستدير ذو الوجنات الممتلئة للأب هيروتيموس.

«عيناك محاطة بهالات سوداء ووجهك شاحب للغاية. هل تشعر بالإعياء؟ هل ترحب بكونك من الماء؟»

حدق الأب هيروتيموس بعييني فولسوم الماكرتين «لقد رافقت لتوى مايك غيلفورت خلال لحظاته الأخيرة»

«إذاً فلقد انتهى كل شيء»

إنك تعلم ذلك جيداً. فكر الأب هيروتيموس.

«إنه حقاً أمر مأساوي. يجب أن نتحدث في هذا، ولكن للأسف ليس لدى الآن متسع من الوقت» قال فولسوم بрезانة، ثم نظر إلى ساعته الذهبية حول معصميه «في الحقيقة لم يكن علي أن أكون هنا الآن. إنه العمل... إلا أنني رأيت أنه من الأهمية بمكان أن أتابع الأمر بمنفسي... وربما للمساعدة. الدكتور دوفور هو المسؤول عن هذا المشروع، وربما تريد أن...»

«ألا يهزك موت هذا الإنسان؟» قال الأب وقد تكوت كفاه إلى قبضتين.

«كيف لك أن تظن هذا؟» سأله فولسوم بهدوء. ثم تابع وقد تحولت نبراته فجأة إلى صوتٍ مرتعشٍ لشدة الانفعال «أن لا أندب وأبكي لا يعني أنني لست متأثراً بما حدث، أنا باحثٌ هذا صحيح، لكن عليك ألا تنسى أنني وبحانبي ذلك هانا أديراً إحدى أكبر شركات صناعة وتطوير العقاقير والمنتجات البيوتكنولوجية، حيث أواجه أيضاً بعض المشاكل الأخرى، ولهذا على الآن أن أذهب، ولكن كل هذا لا يعني أن مصير ذلك الشاب لم يؤثر بي»

تجمدت عيناهما وهما ينظران إلى بعضهما البعض. كان الأب هيروتيموس يحاول مقاومة الارتعاش في فخذيه، ويشعر وكأن حريقاً قد شب في جسده، ومع هذا كله فهو يحاول كبح رغبته في الانقضاض على فولسوم وابراهيم ضريباً.

في نظر الرب كانوا خاطئين، وفي نظره كانوا على الأقل جبناء إن لم يكونوا مجرمين، وربما من وجة النظر القانونية، إلا أنه لم يشاً أن يحكم بهذا. ولكن من الناحية الأخلاقية كانوا كذلك، على الأقل حسب تقديره الشخصي.

حتى جاك، الذي اتصل به، والذي كان يعرفه منذ زمنٍ طويلٍ، حيث كان في شبابه يستمع لاعترافات المخطئين وينصحهم النصيحة، جاك الذي خرج من عالمه الصغير في تلك القرية ليحقق طموحه الكبير في خدمة البشرية، واليوم هو شريكٌ في هذه الجريمة البشعة.

«أنا لا أعرفك، ولا يهمني من تكون وماذا تفعل في هذا العالم، لقد رأيتك في تلك المرة حيث وعدني جاك أن يعرّفي على ذلك الرجل المُلحد الذي... لقد مات الشاب!»

تحولت نظرات فولسوم إلى جاك الذي كان واقفاً وسط تلك الحجرة مرحياً عيناه إلى الأرض، لم يكن باستطاعته مواجهة عنف فولسوم. «إنها ضرية قاسية» تردد فولسوم قليلاً «لم تكن متوقعة فكافأة الفحوصات السابقة لم تشر إلى هذا. إننا نعتقد أن الفيروس الذي تم نقله إليه استطاع أن يحدث طفرة، وتمكن من جسده، وهذا ما أدى إلى ردود فعل غير متوقعة. لقد قمنا بهذه التجربة لآلاف المرات، وكانت دائمًا ثابتة نجاحاً» قطب فولسوم وجهه «إنه أمرٌ مؤسفٌ حقاً. ولكنه كان على علم بالمخاطر المحتملة، ووافق على خوض هذه التجربة بمحض إرادته»

«هل يمكن للأمر أن يكون بهذه البساطة؟ الفيروسات هي المذنبة؟ أم أنكم لم تقوموا بما كان يتوجب عليكم فعله. كيف لكم أن تستخدموا مسبباً للمرض في العلاج؟ ذلك لو أننا افترضنا أنه السبب بما حدث، ولكن ماذا لو كان السبب بالمواد المستخدمة وليس بالطريقة؟ لقد أخبرتموه بأنها ليست خطيرة»

«أنا لم أخبره بأي شيء. الدكتور (جاك دوفور) هو رئيس هذه المجموعة من الأبحاث ولقد قام بترتيب كافة الأمور مع المريض»
نظراً إلى بعضهما بعده ثم أشاح فولسوم بوجهه.

«حسب كل ما نعرفه لم يكن ذلك بالشيء الخطير» أصبح صوته هادئاً بعض الشيء «ثم عن ماذا نتحدث الآن؟ تجريب نوع من مجموعة التيلوميراس للإجابة عن أسئلة حول البروتينات المتحكمة بالأنشطة، أم نتحدث عن حقن فيروسات معدية، على أي حال فهذا كله ليس بالأمر المقلق إذا ما نظرنا إلى آلاف المرضى الذين سيصبح لديهم فرصة للتخلص من عناهم والأمهم»

ارتعد جسد الأب هيروتيموس، بدا له أنه في المكان الخطأ في عالم ملحد، كم كانت حياته في الدير مع إخوانه بعيدة عن كل هذا وملائكة بالرهبة من رب، لقد شعر وكأنه يدعم الشيطان.

كان فولسوم من أولئك العلماء والباحثين الذين لطالما حاربوا الكنيسة على مر القرون، والآن هاهم يعيشون بالحقيقة بينما يحاولون تغييرها وتحويرها، ماذا كانت العلوم التي نادى بها غاليليو وكيلر بالمقارنة مع هؤلاء القتلة؟ في هذه اللحظة شعر الأب بالندم على أن الكنيسة لم تنهى عملها بشكلٍ جذريٍ في القرون الماضية.

ولكن ما يزال هنالك أمل، هكذا فكر الأب هيروتيموس، فمنذ أكثر من عشرين عاماً تحدث هؤلاء الملحدين عن القدرة العلاجية للجينات، وأيقظوا آمالاً لم يستطعوا تحقيقها حتى الآن. أين الناس الذين تم شفائهم باستخدام علم الجينات؟ هل كانت تلك إرادة الله أن يفشلوا في مساعدتهم؟ هل كان ذلك الشاب أحد الأضاحي على طريق رب؟ تمسك الأب بداخله بهذه القشة.

«ماذا أخبرك الدكتور دوفور؟» سأله فولسوم

تردد الأب مجدداً، متذرعاً من الوقع في الفخ.

ثم تابع فولسوم قائلاً «كما تعلم فإن هذه الأمور تخضع هنا للسرية التامة، فالعمل في العلم يسير كما الحال في باقي مجالات الحياة، ففي هذه الحالة أيضاً يشكل المال نسبة ثمانين بالمائة من النجاح، ربما تدرك أن المنافسين يتربون خطأنا. لقد أكد لي الدكتور دوفور أنك الشخص المناسب لحفظ الأسرار... الطائرة جاهزة علي السفر الآن إلى بوسطن، ربما نتحدث مرة أخرى في الأمر، ولقد فكرت بالتبرع بمبلغ مناسبٍ لديركم كعربون شكرٍ على ما قمت بتقديمه لنا» ثم دفع فولسوم بالشيك على السطح الأملس لطاولة المكتب فانزلق باتجاه الأب هيروتيموس الذي نظر بدوره متفاجئاً بالملبغ الذي كتب فيه، إنه بالضبط ما يحتاجونه لإعادة ترميم الكيسة الصغيرة.

استدار فولسوم حول الطاولة وتقدم من الأب «دعنا نتفق على أن موت ذلك الشاب ما هو إلا إخفاقٌ صغيرٌ على طريق النجاح العظيم لعلم الهندسة الوراثية»

أخذ الأب هيروتيموس الشيك، وكوره بين كفيه ثم تقدم من فولسوم وقبض بيده اليسرى على رقبته، فبدأ فولسوم ينقبض تحت قبضة الراهن، الذي دفع بالشيك بيده اليمنى إلى داخل فمه.

الفصل السادس

التوسكانا

ليلة الخميس إلى الجمعة

«لا أستطيع الاستمرار طويلاً بدون العقاقير، أحتج قوتي لإنهاء هذه المرحلة، سيعتني بوني بكل شيء»
لها فورستر وهو يحاول النهوض، فأسرع الخادم لمساعدته، إلا أنه أبعده وبدأ يلعن، ثم ما لبث أن عاد وتقبل مساعدة الخادم له، والذي قام بمساعدته أثناء مغادرته للغرفة.

وقف كريس ومدد جسده. بعد قليل دخل بوني إلى الباب ومرتدياً بذلة داكنة كعادته، رأى كريس الانفاس تحت سترته.

«أتحمل سلاحاً؟» سأله كريس

«إنك تعلم بأنني لا أستغني عنه أبداً» لمعت عيناه الداكنتين، فيما ارتسمت إبتسامة مرتبكة على شفتيه.

مسح الإيطالي بكفيه على شعره ثم قال: «لقد تفاجئت اليوم عندما أخبروني بوجودك على البوابة الرئيسية»
«ماذا تعني؟»

ابتسم بوني إبتسامة خفيفة، ثم صب بيدين هادئتين كأساً من

النبيذ الأحمر ورفعه باتجاه كريس. «إنك جدیدٌ في هذه اللعبة، أنت الحركة الأخيرة في لعبة الشطرنج التي يحاول الكونت أن يلعبها وحده»
كان أنتونيو بونتي الحارس الشخصي لتاجر التحف، والذي كان فورستر يأتمنه على حياته.

«هل تحاول القول أن فورستر لم يعد يثق بك؟»
هز بونتي رأسه نافياً بشدة «لم أقصد هذا مطلقاً، لكنه أصبح في الفترة الأخيرة يميل إلى اتخاذ قراراته دون إعلامي بما ينوي القيام به»
«وهل كان يتوجب عليه فعل ذلك؟»

«من الأفضل لو أنه فعل» أخذ بونتي رشفة من النبيذ، ثم عَبَّر بوجهه عن إعجابه بالتنوعية. «على الأقل مازال الرجل يتمتع بحسنة تذوقٍ جيدةً، إنك تعلم أنه في عملنا كلما حصلت على معلومات أكثر استطعت إتخاذ الاحتياطات المناسبة بشكلٍ أفضل، فعملية الحراسة تستوجب تعاون جميع الأطراف»

«هل هو في خطر؟»
«ليس أكثر مما كان عليه في السنوات الماضية» فكر بونتي «في الواقع أقل، فإنه لا يخرج كثيراً بسبب مرضه، إنه يعيش في عزلة، فلقد أوقف أعماله الكبيرة، فالرجل يستعد حفأً لمواجهة مصيره، من ذا الذي يريد إيذاءه في مثل هذه الحالة؟»

«ربما يامكانك إطلاعي بما يريده مني؟»
«أردت لتوi معرفة ذلك منك، إنه لم يخبرني بأمر قدومك، كما أنتي لم تتمكن من معرفة المهمة التي ينوي إسنادها إليك»
«ليس لدى أي معلوماتٍ لحد الآن، سوى أنه يريد أن يكفر عن ذنبٍ ما»

قهقهة بونتي «هذا العجوز، إنه لا يثق بأحدٍ»

تحولت نظرات كريス من على وجه الإيطالي المستغرق في التفكير إلى يديه، كانت نحيلةً لكنها قويةً ومجذبةً في آنٍ معاً. لفت نظر كريス حركة يد بونتي المستمرة على ساق كأس النبيذ. «لماذا أنت هنا يا تسرنط هاين؟»

«مهمة نقلٍ يا بونتي»
«هذا الأمر مرتبٌ مسبقاً. نحن لا نحتاجك لهذا»
هز كريス كتفيه، ثم تحرك لمغادرة الغرفة «هذا ما جاء في استمارة طلب المهمة»



بالرغم من نومه القليل في الأيام الماضية، إلا أن كريス أصبح بلحظة في قمة اليقظة، كان يرقب بعينانِ متبهتانِ أي حركة، وكان يحاول سماع أي صوتٍ يمكن أن يفسر له سبب حالة قلقه تلك.

استدار إلى الجانب الآخر، ونظر إلى المنبه الصغير الذي دائمًا ما يحمله معه في سفره، وكانت العقارب تشير إلى الساعة الثالثة فجراً تقرباً.

تحول نظره إلى النافذة المفتوحة، كانت غرفته تقع في الطابق الأول في نهاية الفيلا، في الجناح المخصص للضيوف، ولم تكن بعيدةً عن الجهة الأمامية لجدار المبني الخارجي.

و فجأةً سمع صوت خطوات مسرعة تمر على الحصى في الحديقة.

في الخارج شخصٌ أو شيءٌ يتحرك، وما المشكلة؟ ربما أحد رجال الحراسات، بالإضافة إلى وجود مركز المناوبة الصغير والذي كان مشغولاً ليلاً نهاراً، ومزوداً بكاميرات مراقبةٍ منتشرةٍ في كافة زوايا المبني.

إلا أن الحراس يتحركون عادةً بشكلٍ مختلفٍ، فكر كريس، إنهم يمشون بخطواتٍ واثقةٍ، ويعتمدون إسماع ضرباتٍ أقدامهم لأي شخصٍ يحاول الاقتراب من المبني، ولا يمشون بخطواتٍ سريةٍ وهادئةٍ. سمع صوتاً مكتوماً، شتيمةً خافتةً ثم طقطقةً.

تسحب كريس من على السرير، وتوجه بهدوء نحو النافذة، ثم إنحني بحذرٍ مطلاً رأسه، فرأى المرات المقطأة بالحصا الناعم تبرز من بين أحواض النباتات والورود والأعشاب متلائمةً تحت أضواء النجوم. لم يلحظ أي حركةٍ، تسمّر في مكانه وانتظر، لا شيءٍ. وبعد فترةٍ وجيزةٍ سمع صوتاً، إنه آت من الجهة الأمامية للفيلا، والتي لم يكن بإمكانه رؤيتها من مكانه. كان الصوت أشبه بسعالٍ خفيفٍ لمرةٍ واحدةٍ.

لقد تعرف على صوت السعال ذاك.

ارتدى بنطاله وقميصه القطني، وانتعل حذائمه بخفةٍ، ثم بحث في حقيبته عن مصباح الجيب، الذي كان يحمله معه في سفراته طوال السنوات الثلاث الماضية.

تقدّم كريس بخطواتٍ حذرةٍ، وخرج من باب غرفته متسللاً إلى الرواق الخارجي الذي كان مضاءً بمصابيح طوارئ صغيرةٍ ذات لون رماديٍ. أسرع باتجاه الدرج وبدأ ينصلّت، لم يتمكن من سماع أي صوتٍ، فلقد كان المهدوء التام يسيطر على المكان، كما يجب أن يكون الحال في مثل هذا الوقت.

إنحني ليطل من فوق سور الدرج، ليتمكن من رؤية البهو بشكلٍ أفضلٍ، ولكن لا شيءٍ. ثم سمع صوت صريرٍ خافتٍ صادرٍ من باب الدخول الذي كان يقع أسفل منه تماماً، والذي لم يكن باستطاعته رؤيته من مكانه، كان صوت خفٌّ مطاطيٌّ يسير بخطواتٍ سريعةٍ ورشيقهٍ فوق الأرض الحجرية.

تراجع بشكلٍ غريزيٍ إلى الخلف حين رأى خيط من الضوء يشق البهو لفترةٍ وجيةٍ، ثم ما لبث أن اختفى، وكأنه إشارة مورس ضوئية. نزل كريس على الدرج بهدوءٍ وحذرٍ، كان بصيصٍ من الضوء ينبعث من تحت عتبة الباب الخاص بغرفة الحراسة، فأسرع باتجاهه وفتح الباب.

كانت الحجرة بحجم غرفة جلوس ذات حيطانٍ بيضاءٍ، في وسطها طاولةٌ التحكم، وعلى طاولةٍ أخرى اصطفت شاشات المراقبة والتي كانت تبث صوراً من مختلف أرجاء المبنى، هناك جلس رجلٌ يراقب تلك الشاشات.

دخل كريس إلى الغرفة، فاستدار ذلك الرجل باتجاهه.

«ماذا تفعل هنا؟» سأله أنتونيو بونتي

«وأنت؟» أجا به كريس، بعد أن أخفى تفاجئه.

«أنا؟ أقوم بعملي طبعاً» قال بونتي بصوتٍ خافتٍ، وبشكلٍ عمليٍ وحال من أي انفعالٍ لقد قمت بجولةٍ، وماذا تظنني رأيت؟ غرفة حراسةٌ خاليةٌ تماماً من الحراس، وكافة أجهزة الإنذار معطلةٌ... ولصٌ!»
حدق كريس بشاشات المراقبة «إني لا أرى أي لصٌ»

«اللعنة!» استدار بونتي مجدداً نحو الشاشات «لقد كان لتهو في

القطة سبعة»

«على أي شاشة؟»

أشار بونتي لإحدى الشاشات، فرأى كريس باباً مفتوحاً داخل المنزل.

«أين يقع هذا الباب؟»

«إنه بابٌ يصل بين قسمين منفصلين في القبو، إنه بمثابة تأميمٍ إضافيٍ لمنطقة (فورستر) المحظورة، ويؤدي إلى بابٍ خارجيٍ صغيرٍ يوجد في الجهة الأمامية للمنزل»

تذكر كريس الصوت الذي سمعه سابقاً.

«ألا يوجد كاميرات مراقبة على هذا الباب؟»
«بالطبع. الشاشة رقم ستة»

رأى كريس باباً منخفضاً، بدا جزءه الأعلى على شاشة المراقبة، وكان يبدو مغلقاً.

نظر كريス إلى الشاشة التالية، فرأى شبحاً أسوداً يقف أمام الباب الرئيسي للمنبى، وكان يتحرك من حين لآخر. بينما كانت شعلة صغيرة تتوهج بيده بين الفينة والأخرى، وكانت سجارةً مشتعلةً.

«البوابة الرئيسية مؤمنة» ددمد كريس

«الموقع الأخرى أيضاً» قال بونتي، بينما كانت عيناه تتنقل بين الشاشات.

«ثمة شيءٌ مريبٌ يحدث» هز كريس رأسه مستكراً «لا بد وأن هذا الشخص يعلم أن المنزل مؤمنٌ على مدار الساعة. لا يمكن لأحد أن يكون بهذا الغباء»

«إنه ليس غبياً، فهذا كله مخططٌ مسبقاً، كافة أجهزة الإنذار معطلة» ثم أشار بونتي إلى زر التحكم بأجهزة الإنذار وكان يضيء باللون الأحمر. نفخ كريس خديه بالهوا، ثم أطلقه بشكلٍ متقطعٍ من أنفه.

«ربما كان هنالك من يساعدك من الداخل»

«إخرين تسررت هاين!» همس بونتي غاضباً «أنا أقوم بعملي، وأنت تقوم بعملي بغض النظر عن نوعه، لقد أخبرتك سابقاً أن الغرفة كانت خاليةً تماماً، وأنا لا أعلم أين يتتجول رجلي، أين هو هذا الأحمق؟»

«أطلق صفاراة الإنذار» قال كريس

«لا» هز بونتي رأسه رافضاً الفكرة «كان يتوجب على مارسيلو غروسو أن يجلس هنا، إن أطلقتك صفاراة الإنذار الآن فسأقوم بتتبيله المتسلل أيضاً، لذلك سنقوم بحل هذه المشكلة بطريقةٍ مختلفةٍ» سحب بونتي

مسدسه ذو الخمسة عشر طلقة من نوع (بيريتا كورغار) «سوف أقوم بالقبض على هذين اللصين بنفسي»

«هل لديك واحد لي؟...»

بحث بونتي حوله، ثم فتح عدة أدراج.

«هناك (بيريتا 92). إنه مسدسٌ خاصٌ برجال الشرطة على الأقل، في الماضي حين كنت ما أزال أعمل في هذا المجال» ألقى بونتي بالسلاح إلى كريس الذي التقته بمهارة وقام بتجهيزه.

«أنت لست مضطراً لـ...»

«أعلم»

«إنه في القبو، إنه يعلم تماماً ماذا يريد والى أين عليه أن يتوجه»، ثم أردد بونتي قائلاً «عليك أن تنتظر هنا وتراقب الشاشات، بينما سأحاول أنا إخراجه من القبو باتجاه البهو العلوي، وعندما تراه على إحدى الشاشات عليك الخروج لمحاصرته، أما الآن فعليك أن تبقى أمام شاشات المراقبة، وعندما يصعد درج القبو باتجاه البهو فيمكنك رؤيته على الشاشة رقم 13» ثم غادر بونتي الحجرة مسرعاً.

جلس كريس أمام شاشات المراقبة، وقام بوضع المسدس ومصباح الجيب على الطاولة. كانت كل ثانية تمر عليه في حالة الانتظار تلك وكأنها دهرٌ من الزمن. إزداد هرمون التوتر في دمه مما جعله يشعر بطول الوقت، وقد زاد الهدوء المطبق الأمر سوءاً. بقي كريس ينتظر أن يسمع أي إشارة كالصرخ أو الأعيرة النارية أو حتى تبادل الشتائم باللغة الإيطالية بين اللص وبونتي، إلا أن شيئاً من هذا لم يحدث. كذلك لم يكن يرى شيئاً غير إعتيادي على شاشات المراقبة، لقد أراد بونتي أن يباغت المتسلل من الخلف ثم يقوم بليّ ذراعه، ولكن هذا لم يحدث حتى الآن. أين اللص؟ بل أين رجل بونتي؟ لا يمكن أن يكون قد تبخر.

أين بونتي بحق الجحيم؟

إنحنى إلى الأمام للاقتراب من إحدى الشاشات التي ظهر عليها جسمٌ يتحرك وكأنه شبح، إرتطم جبينه بذلك الحبل الأسود الذي تدلى بنفس اللحظة من الأعلى أمام وجهه.

كان الحبل ذو ملمسٍ ناعمٍ وباردٍ، ثم سُحب فجأةً إلى الأعلى شاطباً جلد جبينه من ناحيتين، ثم ظهر الحبل مجدداً وقد تم رمييه هذه المرة بزاويةٍ أبعد من ذي قبل.

ارتدى كريس إلى الخلف، ورفع يده اليسرى إلى الأعلى لافاً قبضته أمام رقبته لحمايتها. شق السلك المعدني جلد قبضة كريス بلا رحمة. هب كريس واقفاً ليقاوم الضغط، تحلق السلك المعدني حول رقبة كريس من الجانبين، في البداية شعر ببرودة المعدن ثم شعر بحرقة شديدة حين بدأ المهاجم بتحريك السلك يميناً ويساراً وكأنه منشار. صرخ كريس وأمسك بيده اليمنى بطرف الطاولة التي كان عليها مصباح الجيب خاصته. نظر إلى الأعلى فلم يستطع رؤية شيءٍ سوى وجهه منتفخ كالبالون كان يطل فوق رأسه مباشرةً، كما تمكن من رؤية ثقوب الأنف والعينان، في حين كانت أكتاف وساعديه الرجل مشدودة.

ضغط كريس زراً صغيراً كان مثبتاً على مصباح الجيب، ثم أرجع يده اليمنى إلى الوراء حتى أوقفها ظهر الكرسي عن الحركة، غرس الشفرة التي كانت مخبأةً بمصباح الجيب في فخذ المهاجم، كانت الشفرة مشحودةً من الجانبين فقطعت اللحم وكأنها مشرط جراح.

تراجع المهاجم إلى الوراء فخف الضغط عن عنق كريس، ثم أرجع يده إلى الخلف مجدداً وسدد ضربة ثانية للخصم، هذه المرة استطاع المهاجم القفز إلى الخلف والهروب من الضربة القاسية، وفي نفس الوقت زاد ارتخاء الحبل الملتـف حول رقبة كريـس، فـتحرك إلى الأمـام ثم تـراجع بـسرعة إلى

الخلف ودفع بالكرسي باتجاه خصمه. أفلت السلك من يد المهاجم فتحرر عنق كريس تماماً فرمى بمصباحه على الطاولة وتناول مسدسه.

شعر كريス فجأةً بدوارٍ مريعٍ، فلقد تلقى ضربة من الأعلى وارتطمـت مؤخرة المسدس بصدغـه الأيسر.

بصمتٍ سقط كريـس على الأرض مفـماً عليه.



شعر كريـس ببرودـةٍ ورطوبةٍ واستـفرق الأمـر ثـوانٍ حتى أـدرك أنـ أحـدهـم يـقـوم بـمسـح وجـهـه بـمنـشـفة مـبلـلةـ.

إـبـتـسـمـ لهـ بـوـنـتـيـ إـبـتـسـامـةـ سـاـخـرـةـ.

«ـمـرـحـبـاـ بـكـ أـيـهـاـ الـبـطـلـ بـيـنـ الـأـحـيـاءـ»

«ـلـاـ تـكـنـ حـسـاسـاـ لـهـذـهـ الـدـرـجـةـ،ـ إـنـهـ عـلـىـ مـاـ يـرـامـ»

نظر كـريـسـ إـلـىـ الأـعـلـىـ فـرـأـيـ فـورـسـترـ.ـ كـانـ تـاجـرـ التـحـفـ يـقـفـ مـتـكـئـاـ

عـلـىـ عـكـازـهـ،ـ وـيـحـدـقـ بـنـظـرـاتـ جـامـدـةـ إـلـىـ كـريـسـ المـدـدـ عـلـىـ الـأـرـضـ،ـ وـكـانـ قـدـ

لـبـسـ رـدـائـهـ الصـبـاحـيـ عـلـىـ عـجـلـ،ـ فـدـسـ يـدـهـ الـيـمـنـىـ فـيـ الـكـمـ الـأـيـمـنـ بـيـنـماـ

تـدـلـىـ باـقـيـ الرـدـاءـ خـلـفـ ظـهـرـهـ.

أـخـرـجـ كـريـسـ زـفـرـةـ مـنـ الـأـعـمـاـقـ،ـ فـلـقـدـ كـانـ الـأـلـمـ فـيـ جـبـهـتـهـ شـدـيـداـ

جـداـ.ـ فـتـحـ عـيـنـاهـ بـقـوـةـ حـتـىـ لـاـ يـفـقـدـ وـعـيـهـ مـجـدـداـ.ـ لـلـحـظـاتـ ظـنـ أـنـهـ يـعـانـيـ مـنـ

الـأـلـمـ فـيـ الـأـسـنـانـ حـيـثـ أـنـ نـبـضـاتـ مـوجـعـةـ كـانـتـ تـنـتـشـرـ فـيـ كـامـلـ وـجـهـهـ حـتـىـ

الـفـكـ السـفـلـيـ.

كـمـ كـانـتـ مـدـةـ الـإـغـماءـ؟ـ دـمـدـمـ وـهـوـ يـحـاـوـلـ الـوـقـوـفـ مـسـتـنـدـاـ عـلـىـ

حـافـةـ طـاـوـلـةـ شـاشـاتـ المـراـقبـةـ.

«لا أعلم متى حدث ذلك بالضبط» قال بونتي «إلا أنني كنت خارج
الحجرة لأكثر من ساعة»
«ومتى وجدتمني؟»
«منذ دقيقتين»
«وماذا فعلت خلال هذه الفترة؟»
هز بونتي كتفيه وأشار إلى رأسه، حيث كان هناك ورم أزرق صفير
فوق عينه اليسرى تماماً.
«لقد تمكنا مني أنا أيضاً، وب مجرد خروجي من هذا الباب
هز كريس رأسه «هل حقاً بإمكانهم التغلب علينا بهذه السهولة؟»
«كانت خدعة من النوع التقليدي، قاموا أولاً بإخراجي من الغرفة ثم
انفردوا بك»

«وهل تمكنت من رؤيتهم؟»
«أحدهم نعم، مجرد شبح ثم تلقيت الضربة» أردف بونتي مبرراً «كان
على أن أخذ بنصيحتك وأطلق صفارة الإنذار. ربما تمكنا حينها من القبض
عليهم»
«وماذا عن رجلك؟»
«مارسيلو غروستو؟» تلفت بونتي يميناً ويساراً ثم همس قائلاً
«إختفى تماماً كما المتسلل، لا بد وأن غروستو كان متورطاً معه، فلقد
وجدنا سلماً حديدياً عند سور الحديقة»
«لم يكن هذا ليحدث لو أنهم لم يعطلاوا أجهزة الإنذار»
«وماذا أخذوا معهم؟»

نظر فورستر إلى كريス بنظراتٍ خاليةٍ من أي تعبير. فكر كريس،
كيف يمكنه أن يكون على هذه الدرجة من عدم المبالاة. فجأةً بدأ العجوز
بالقهقة «لا شيء، لا شيء مطلقاً، لا بد وأنهم كانوا يهددون إلى سرقة

مقتنياتي الثمينة الموجودة في الخزنة، ويبدو أنهم كانوا يعرفون الرقم السري، وإنما كان عليهم أن يفجروا لفماً ليتمكنوا من فتحها «لا أفهم شيئاً» قال كريس وهو يضفط بيده اليسرى على جبهته لخفيف الألم.

«لم يتمكنوا من الدخول أصلاً» ابتسם فورستر بنشوة المنتصر، بينما كان يطرق بعصاً على الأرض وكأنه يحاول هرس رأس أفعى «لقد قمت بتبديل الرقم السري منذ يومين وبغض النظر عن هوية من حاولوا الدخول فإنهم قد اختاروا التوفيت الخطأ» ضحك العجوز ببراء، وأشار إلى كريس بالوقوف.

بينما كان كريس يساعد فورستر على الخروج من الغرفة، كان يراقب بونتي الذي كان يفرك بيده على فخذه وفي عينيه نظراتٌ غريبةٌ. فكر كريس... هل هي نظرات كراهيةٍ... ربما!

الفصل السادس

التوسكانا

الجمعة

عندما تسلل الصباح إلى سماء هذا اليوم، كان فورستر وكريس جلسان في الفناء الداخلي كالعادة، وكأن شيئاً لم يكن. كان كريス مستفرياً من تصرف فورستر الذي رفض استدعاء الشرطة «لم يتم سرقة شيء، وفي هذه الظروف لستنا بحاجة للمشاكل، ستفهم مقصدي»، مما قرّيب «قال تاجر التحف محاولاً التهرب من إلتحاج كريس لإقناعه باستدعاء الشرطة، ومتجنبًا في نفس الوقت الحديث عما حدث في الليلة الماضية».

كان بونتي مشغولاً طوال اليوم بالبحث عن أدلة وخيوط يمكن أن ترشده إلى الفاعل، وكذلك كان يقوم بالتأكد من أن كافة أجهزة الإنذار عادت إلى العمل بشكلٍ تامٍ.

خلال هذا اليوم تقابل كريس مع بونتي لثلاث مرات، إلا أن الأخير كان منطويًا على نفسه ومعكر المزاج، عزا كريس ذلك لنورط أحد رجال بونتي وهو (ماركو غروستو) في هذه الحادثة واحتفائاته هو أيضاً مع المُتسلل. «إنك تعلم أنني تاجر تحف» قال فورستر وهو يمضغ قطعةً من لحم الخنزير البري، ويرمق كريس بنظراتٍ فضوليةً.

«نعم»

«وماذا تعرف أيضاً؟»

«لا أعرف المزيد» شعر كريس بنظرات فورستر المتقطعة، لابد وأنه

قد إبتلع كميات كبيرة من العقاقير حتى يبدو بهذه الحالة الصحية الجيدة على عكس ما كان عليه الليلة الماضية «إنك وحسب معرفتي تاجر تحف ناجح جداً، بالإضافة إلى أنك ثريٌ وتعيش في منزلٍ يطل على (بحيرة جنيف) وأخر في (التوسكانا) و... حسناً، هذا كل شيء» توقف كريス عن الكلام، تابع مضغ الطعام وهو يفكر إلى ماذا يرمي فورستر بسؤاله ذاك؟

«كل ما قلته صحيح» إبتسם فورستر واستمر في تناول طعامه «لكني أيضاً مجرم، آخر سلالة المجرمين على مر ثلاثة أجيالٍ وحفيدٍ لقاتل» نسي كريس المضغ، وحدق بوجه الرجل العجوز.

«بالإضافة إلى أن عائلتي عاشت لأجيال تحت اسم مستعار» أعاد كريس قطعة اللحم التي كانت معلقةً بطرف شوكته إلى الطبق، ونظر إلى تاجر التحف الذي كان يلعق أطراف أصابعه المبللة بزيت الزيتون الصافي.

«لقد جمعت كل هذه الثروة عن طريق القتل»

«هل قمت بـ...؟»

«أنا لا لم أحتج لذلك، لقد قمت بدفع الرشاوى، كنت أطلب التحف والآخرين يقومون بحضارتها، ربما عن طريق السرقة أو القتل، ولكن أنا شخصياً لم أكن مضطراً للتلوث يدي»

مسح كريس يداه ببنطاله.

«أعتقد أنه على الذهاب الآن» ثم نهض من على كرسيه، كان جسده قد تصلب من الجلوس لفترةٍ طويلةٍ وكانت رقبته تؤلمه. لم يكن ليتخيل أنه سيكون في مثل هذا الموقف القذر. «أخشى أن أكون قد حُدّدت بك»

«إنه الضمير إذاً هل عاد الشرطي القديم إلى الحياة مجدداً؟ اعتقدت أنك نسيته منذ زمنٍ طويلٍ» قال فورستر ببررة فيها شيءٌ من السخرية.
«أنت تعلم جيداً، أنَّ ليس لذلك علاقةً بهذا» شعر كريس بالندم على أنه قد أخبر الكونت بالكثير عن ماضيه، ثم استدار للذهاب.
«وكذلك موقفك وتصرفك تجاه ما حدث ليلة البارحة لم يرق لي.
الأمر يدعو للشك!»

«إجلس» قال فورستر بصوت مبحوح وكأنه غرّابٌ يستعد لإبلاغ خبرٍ مشؤوم «أنت شخصٌ حساسٌ جداً، وهذا لن يساعدك في تحمل مصاعب الحياة، تذكّر أنك بحاجةٍ إلى المال لتنقذ شركتك الصغيرة، فأنت على وشك أن تخسر كل شيءٍ»

«هذا صحيح، إلا أنني لن أقوم بأعمالٍ مشبوهة لتحقيق ذلك» قال كريス، ثم ضغط شفتيه على بعضهما وهو ينظر إلى فورستر بحدق.
«آه، إنها المبادئ والأخلاق إذاً هز العجوز رأسه متفهمًا «إنه أمرٌ يدعو إلى الإعجاب، وأنا أحسدك على هذه المبادئ» ابتسم العجوز، ثم أردد «ل لكنك متّعجلٌ جداً، فأننا لن أطلب منك فعل أمرٍ مشبوه»
تردد كريس، هل كان الرجل يمازحه فحسب؟ لقد حدث ذلك له مراراً عندما كان يستفزه ذلك العجوز ثم يضحك مستمتعاً، وكان كريス لا يحب ذلك أبداً، ولكن إن سارت الأمور هذه المرة بشكل سيء فإنه سيخسر الكثير، إضافة إلى ذلك فإن فورستر دعمه وساعدته كثيراً. جلس كريス مبرراً لنفسه أن بإمكانه الذهاب في أي وقتٍ يشاء.

«منذ صغيري لم أعرف سوى مبادئ واحدٍ وهو المال، وهذا ما كان عليه أبي وجدي أيضاً، صدقني أنه من الصعوبة أن يتقبل المرء أي مبدأ آخر إن أمضى حياته على هذا النحو، وخصوصاً عندما يأتي المرء من ذلك الوسط الذي نشأت به»

«وَمَا طبِيعَةُ ذَلِكَ الْوَسْطَ؟»

«مَلِيئٌ بِالطينِ وَالْقَذَارَةِ، هَلْ يَمْكُنُكَ تَخْيِيلُ ذَلِكَ؟»

«كَلَّا»

«لَكُنَّهُ كَذَلِكَ، عَلَى الأَقْلَمِ مِنَ النَّاحِيَةِ الْأَخْلَاقِيَّةِ، عَلَى أَيَّهُ حَالٍ أَنَا أَرَاهُ

عَلَى هَذَا النَّحْوِ»

هَلْ يَنْتَظِرُ هَذَا الْعَجُوزُ الْمُتَعَجَّرَفُ الْفَفْرَانَ؟ مُسْتَحِيلٌ.

لَقَدْ أَتَى كَرِيسُ إِلَى هَنَا لِيُؤْدِي مَهْمَةَ نَقْلِ رَوْتِينِيَّةَ كَالْعَادَةِ، إِلَّا أَنَّ الْأَمْرَ
يُبَدِّلُ مُخْتَلِفًا هَذِهِ الْمَرَّةَ. أَلَمْ يَقُلْ فُورْسِتَرُ أَنَّهُ يَرِيدُ التَّكْفِيرَ عَنْ ذَنْبِهِ؟

«إِنْ كَانَ لِدِيكَ مَا تَقُولُهُ يٰ فَانِي سَانَصْتُ إِلَيْكَ جِيدًا، وَلَكِنْ لَا تَحَاوُلُ
أَنْ تَسْخُرَ مِنِّي وَلَا سَأَذْهَبُ»

ثُمَّ عَادَ إِلَى الْوَرَاءِ مُسْتَنِدًا إِلَى ظَهَرِ الْكَرْسِيِّ الْخَشْبِيِّ الْقَاسِيِّ.

«مَا رَأَيْكَ؟ مِنْ أَيْنَ حَصَلْتَ عَلَى ثَرَوْتِي؟ وَكِيفَ بَدَأْتَ؟»

هُزِّ كَرِيسُ كَتْفَهُ غَيْرِ مُبَالِغٍ فَلَمْ يَرْفَعْ ذَلِكَ الْحَوَارَ مِنْ الْبَدَائِيَّةِ، وَلَمْ تَكُنْ
لَدِيهِ الرَّغْبَةُ بِتَخْمِينِ مَا قَدْ جَرَى فِي حَيَاةِ فُورْسِتَرِ الْمَاضِيَّةِ.

«لَقَدْ قَمْتُ بِالْإِتْجَارِ بِكُلِّ أَنْوَاعِ التَّحْفِ الْأَثْرِيَّةِ إِلَّا أَنِّي كُنْتُ خَبِيرًا
بِنْوَعِ مَعِينٍ مِنْهَا، تَعَالَ مَعِي وَسَوْفَ تَدْرِكُ لِمَذَا لَمْ أَقْمِ اللَّيْلَةَ الْمَاضِيَّةَ
بِاسْتِدَاعِ الشَّرْطَةِ»

سَارَ كَرِيسُ خَلْفَ فُورْسِتَرَ عَبْرِ الْفَنَاءِ الدَّاخِلِيِّ مَرُورًا بِالْبَهُوِ الْكَبِيرِ، ثُمَّ
نَزَلَأُ عَلَى الْدَرَجِ الرَّخَامِيِّ بِاتِّجَاهِ الْقَبُوِّ. كَانَ الْعَجُوزُ يَسِيرُ بِخُطُوطَاتِ بَطِيَّةٍ
مَمْسَكًا بِيَدِهِ الْيُسْرَى بِسُورِ الْدَرَجِ وَمَتَكَثِّفًا بِيَدِهِ الْيَمِنِيِّ عَلَى عَكَازِهِ، عَنْدَمَا
وَصَلَ إِلَى مَمْرِ الْقَبُوِّ كَانَتِ الْأَضْوَاءُ ذَاتِ الْحَسَاسَاتِ تَضَيِّعُهُ ذَاتِيًّا كَلَمَا مَرَّ
بِجَانِبِ إِحْدَاهَا. كَانَ كَرِيسُ قَدْ رَأَى هَذَا الْمَمْرَ عَلَى شَاشَاتِ الْمَرَاقِبَةِ فِي الْلَّيْلَةِ
الْسَّابِقَةِ، لَقَدْ كَانَا فِي ذَلِكَ الْقَسْمِ مِنَ الْقَبُوِ الْذِي أَطْلَقَ عَلَيْهِ بُونَتِي بِالْأَمْسِ

إسم (منطقة فورستر المحظورة) وفي نهاية الممر رأى كريス ذلك الباب الذي أراد المتسلل فتحه.

كان كلًّ من السقف والأرضية مغطى بألواح الخشب الداكن، ورغم وجود الإضاءة إلا أن كريス تخيل نفسه في تابوتٍ كبيرٍ.

طرد كريス تلك الفكرة من مخيلته، وأخذ يتأمل اللوحات الضخمة المعلقة على الجدران، كانت كلها ترمي إلى ذات الموضوع بأشكالٍ مختلفة، فكلها رسوماتٌ تعبّر عن روایات بده الخلائق. توقف كريس أمام إحدى اللوحات التي كانت تمثل برسوماتٍ لأمواجٍ عظيمةٍ.

«إنه الطوفان العظيم، بعده بدأ كل شيءٍ من جديد، وهو مذكورٌ في كل ثقافات العالم تقريبًا إلا أن لا أحد يصدق بوجوده بشكلٍ قاطعٍ»
«شيءٌ مؤثرٌ حقاً» قال كريس الذي كان يجهل الكثير عن تلك الروايات، كل ما كان يعرفه عن قصة الطوفان العظيم المذكوره في العهد القديم، أنه جاء لمعاقبة البشرية، وأنّ نوحًا قام بإنقاذ زوجٍ من كل كائنٍ حيٍ على الأرض.

«هل أنت متدين؟» سأله كريس

«أنا؟ لا. هل تسألي لأجل هذه اللوحات؟ لم يُلْقِ فورستر حتى بنظره على تلك اللوحات، ثم تابع قائلاً «منذ أجيال هجرت عائلتي الإيمان بالله وكل ما تقدمه الكنيسة، لقد أضاع جدي إيمانه بالله منذ الحرب العالمية الأولى، أنا أستمتع فقط بياقتاء هذه اللوحات، حتى وإن كانت مدفونةً في هذا القبر»

«يالها من طريقة غريبة لإشباع رغبة التملك!» قال كريس وتابع سيره إنتهى طريقهما أمام لوحٍ خشبيٍّ، فقط تلك القبضة الصفيحة المثبتة عليه كشفت أنهما يقفان أمام بابٍ على يمينه عُلّقت لوحةً لرجلٍ يجلس على صقر، ويهبط من السماء باتجاه الأرض، بيده اليمنى كان يحمل غصناً أخضرًا بينما كانت تنتظره أفعى على الأرض.

وقف كريس يتأمل تلك اللوحة، إلا أن صوت فورستر المبحوح أعاده إلى التّتبّه مجدداً «عليك أن تجره، فأنا لم أعد قادرًا على ذلك» أمسك كريス بالقبضـة الـذهبـية للـباب وجـره جـانـبـاً. وـخلفـه كان يـوجـد بـابـاً ضـخـمـاً من الـصـلـبـ ذو لـونـ فـضـيـ لـامـعـ تـحـىـ كـرـيسـ جـانـبـاً، وـتـقـدـم فـورـسـتـرـ خـطـوـتـيـنـ إـلـىـ الـأـمـامـ حـتـىـ أـصـبـحـ مـقـابـلـ لـوـحـةـ الـمـفـاتـيـحـ الـإـلـكـتـرـوـنـيـةـ الـمـبـثـتـةـ عـلـىـ الـبـابـ الـحـدـيـدـيـ. هـدـيـتـ أـنـفـاسـ فـورـسـتـرـ، وـبـدـأـ يـادـخـالـ الـأـرـقـامـ السـرـيـةـ السـتـةـ، شـقـ الصـوتـ الصـادـرـ إـلـىـ ضـغـطـهـ عـلـىـ الـمـفـاتـيـحـ الـرـقـمـيـةـ الـهـدـوـءـ الـذـيـ كـانـ يـخـيـمـ عـلـىـ الـمـكـانـ إـبـتـسـمـ وـكـانـيـ كـنـتـ أـعـلـمـ ذـلـكـ. لـقـدـ قـمـتـ بـتـغـيـيرـ الـأـرـقـامـ السـرـيـةـ مـنـذـ يـوـمـيـنـ فـقـطـ، الـحـقـيـقـةـ أـنـهـ لـمـ يـكـنـ أـحـدـ سـوـاـيـ يـعـرـفـهـاـ، وـلـكـنـ مـنـ يـدـرـيـ..».

فـجـأـةـ إـنـرـقـ الـبـابـ بـهـدـوـءـ إـلـىـ دـاـخـلـ الـغـرـفـةـ الـتـيـ بـدـتـ مـظـلـمـةـ، ثـمـ ماـ لـبـثـ أـنـ أـضـاءـتـ بـشـكـلـ ذـاتـيـ فـوـرـاـ إـسـتـنـدـ فـورـسـتـرـ عـلـىـ عـكـازـهـ ثـمـ دـخـلـ الـحـجـرـةـ الـتـيـ كـانـتـ مـتـوـسـطـةـ الـحـجـمـ، بـدـاـ لـكـرـيسـ لـلـوـهـلـةـ الـأـوـلـىـ أـنـهـ يـدـخـلـ إـلـىـ مـعـبـدـ، كـانـ جـدـرـانـهـ مـغـطـاـةـ بـأـقـمـشـةـ حـمـرـاءـ اللـونـ، بـيـنـمـاـ اـبـتـقـتـ أـنـوـارـ الـمـصـاـبـيـعـ مـنـ السـقـفـ، وـسـلـطـ كـلـ مـنـهـاـ إـلـىـ إـحـدـىـ الـفـاتـرـيـنـاتـ الـزـجاـجـيـةـ الـمـنـتـشـرـةـ فـيـ أـرـجـاءـ الـغـرـفـةـ، كـانـ مـنـظـرـ كـلـ مـنـ الـفـتـرـيـنـاتـ تـحـتـ تـلـكـ الإـضـاءـةـ يـجـعـلـهـاـ تـبـدوـ وـكـانـهـاـ تـقـفـ تـحـتـ أـشـعـةـ الـشـمـسـ السـاطـعـةـ، بـيـنـمـاـ كـانـتـ بـقـيـةـ أـجـزـاءـ الـغـرـفـةـ مـعـتـمـةـ نـسـبـيـاـ.

«بـإـمـكـانـكـ إـلـقـاءـ نـظـرـةـ عـلـىـ الـمـوـجـودـاتـ» ثـمـ تـقـدـمـ فـورـسـتـرـ مـنـ إـحـدـىـ الـفـاتـرـيـنـاتـ، وـبـدـأـ يـحـدـقـ عـبـرـ الـزـجاـجـ. «كـلـهـاـ مـقـتـيـاتـ ثـمـيـةـ، إـنـهـاـ الـخـطـيـئـةـ الـتـيـ أـسـعـيـ لـلـتـكـفـيرـ عـنـهـاـ»

ترـدـدـ كـرـيسـ قـبـلـ أـنـ يـدـخـلـ الـحـجـرـةـ، لـلـحـظـاتـ اـنـتـابـهـ شـعـورـ بـأـنـهـ سـيـسـلـكـ طـرـيـقـاـ لـاـ رـجـعـةـ مـنـهـ، هـزـ رـأـسـهـ طـارـدـاـ تـلـكـ الـأـفـكـارـ، ثـمـ تـقـدـمـ بـاتـجـاهـ إـحـدـىـ الـفـاتـرـيـنـاتـ. اـشـتـقـنـاـنـاـ مـنـهـمـاـ اـحـتـوـنـاـ عـلـىـ الـلـوـاـحـ طـيـنـيـةـ، وـبـجـانـبـهـاـ كـانـتـ

هناك أختام حجرية مدوره. في الفاترينا التالية كانت هناك ثلاثة قطع أثرية منقوشة إحداها كانت تمثل طقوس تقديم القرابين، بينما كانت القطعتان الأخريان تمثلاً مناظر لساحات قتال يقود فيها الملك المظفر جيوشه الجرارة. كانت فاترينا أخرى تحتوي على تماثيل متعددة، وكذلك على أوتاد طينية سميكة، بينما امتدت أرفف الفاترينا التالية بالرمال الناعمة والتي مددت عليها ثلاثة عظام، تفاجأ كريس بهذا المنظر.

«تعال إلى هنا» صاح فورستر بحماس، بينما كان يستند على عكازه، وينظر إلى داخل إحدى الفاترينا. وقف كريス إلى جانب العجوز، الذي فتح باب إحدى الفاترينا، ثم أخرج منها لوحًا طينياً بحذر شديد. كان فورستر يبتسم معجباً بنفسه.

إنها الكتابة المسمارية... هذا ما خطر ببال كريス. ألواح صغيرة من الصلصال نقشت عليها رموز قديمة جداً، لم يكن شخص غير مطلع أن يتعرف على هذه الرموز، شبهها كريس بطريقة (البيكتوغرام) الرسم التخطيطي، والذي يستخدم اليوم لتفسيير بعض التصورات الإنجيلية، بالطبع كان هذا التفسير مبسطاً لأنه كان يعلم جيداً أن هذه الرموز كانت تشكل مجموعة متكاملة من النصوص.

«هناك في الخلف» قال تاجر التحف مشيراً إلى إحدى زوايا الغرفة. نظر كريس بالاتجاه الذي أشار إليه العجوز، فوجد طاولةً أمامها مقعدٌ جلديٌّ وثيرٌ. أحضرهما ووضعهما حيث أراد فورستر. يابيماهه أخرى لفت فورستر نظر كريس إلى الزجاجة المكربة الموجودة على أحد الأرفف، وبعد أن أحضرها أشار الرجل إلى مفتاح كهربائي مثبت على الجدار، وعندما ضغطه كريس أضاء مصباحاً قوياً فوق الطاولة مباشرةً. وأخيراً طلب منه فورستر أن يحضر الصينية الخشبية الملفوفة بالقماش، والتي كانت موجودة أيضاً على أحد الأرفف الخلفية. وضعها كريس على الطاولة،

وبحدٍ شديدٍ قام فورستر بوضع الألواح الطينية الصغيرة على الصينية، ثم أخرج المزيد من الألواح من الفاترينا، وصفها إلى جانب تلك الألواح. وأخيراً جلس على المهد، أخذ اللوح الأول بيده ثم أداره بين أصابعه، وبعد أن أعاده رفع التالي، وأخذ يتفحصه مطولاً بينما كان مستغرقاً بالتفكير.

بدا لكريس أن سطح هذا اللوح كان مهشماً قليلاً، ولم يحتفظ بشكله الكامل كما بقية الألواح. أمسك فورستر بالمكبر وأخذ يتفحص حواف تلك القطعة الأثرية ثم الرموز المحفورة عليها.

«إنه لوحٌ من بلاد ما بين النهرين، بالنسبة لي فإن هذه الألواح الصغيرة تمثل الكثير، فهي تدل على الاكتشاف الذي أحدث ثورةً في تاريخ الحضارات البشرية، إنها الكتابة».

«ربما يكون هذا صحيحاً» قال كريس «إلا أنني أعرف بعض الأمور الأخرى التي قد تكون بنفس الأهمية، كاكتشاف النار مثلاً»
«حسناً» لم يجد تاجر التحف أي إهتمام.

كان كريس يراقب تعابير وجه الرجل، فتارةً يرفع حاجبيه إلى الأعلى، وتارةً يفتح نصف فمه، وتارةً أخرى يزم شفتيه أو يمددم بمقطوعات موسيقية. وأخيراً وضع المكبر على الطاولة، وأرجع ظهره إلى الوراء غارقاً في المهد الوثير.

«ألهذا أنا هنا؟»

«نعم» قال فورستر بهدوء «أشعر أنك غير مبالٍ قليلاً»
«حسناً» قال كريس بتردد، ثم تذكر أنه كان قد قرأ في مكانٍ ما أنه يوجد الآلاف من هذه الألواح ولكنها مزورة، قام البعض بصناعتها لبيعها للسائرين بأثمان باهظة.

«أخبرني بماذا تفكّر» قال فورستر مبتمساً.

«إن ألواح الكتابة المسماوية الخاصة ببلاد ما بين النهرين ليست

بالأمرذا الأهمية، إذا ما علم المرء أنه قد تم العثور على عشرات الآلاف منها أثثاء التقطيب، ومئات الآلاف ما تزال مدفونة تحت رمال الصحراء. عندما أكتُشفت الكتابة للمرة الأولى نم تدوينها وحفظها، هذا شيءٌ مثيرٌ حقاً، ولكن كيف لك أن تعلم أن هذه الألواح ليست مزورة؟⁵

«أنا تاجر آثارٍ، لا أظنك تعتقد أني أرضى باقتناء ما ليس له قيمة. أليس كذلك؟»

«كلا»

«بالضبط» بهدوء وضع فورستر اللوح الطيني على الصينية وأخذ التالي. «نظر هنا تحت هذا الرمز» رفع العجوز اللوح إلى الأعلى، وأشار إلى موضع يحمل رموزاً متتاليةً، ولكن كريس لم يتمكن من التعرف عليها «هذا هو الرمز الخاص بنبوخذ نصر الثاني، وبهذا نستطيع أن نعرف أن هذا اللوح يعود إلى الأعوام ما بين 562 و 604 قبل الميلاد. إنه قديم جداً»

«هذا جيد» قال كريس مجاملاً. فلم يستطع لحد الآن أن يجد ما يربطه بهذه الألواح.

رمق فورستر كريس بنظرة تحذيرية ثم دمدم «التواضع أمام التاريخ شيءٌ عليك أنت أيضاً أن تقبله، فهذا الملك قام بتدمير ممالك كثيرة، من بينها المملكة اليهودية، لقد قام بسبي اليهود ونقلهم إلى بابل، ولقد أثر هذا كثيراً في عقيدتهم، لأنهم كانوا يرون في ذلك عقوبةً من رب، هل تعرف (جرميا) النبي؟»

«أعرف الاسم فحسب. ولكنني ومنذ زمنٍ طويلاً لم أعد أهتم بأمور الدين، إنني أعتقد بوجود قوةٍ ما، قوةٍ عظيمةٍ، إلا أنني أنظر بشيءٍ من الريبة للكنيسة وكل ما يتعلق بها»

أطرق فورستر «لا يهم، على أية حالٍ فلقد كتب جرميا النبي «أن الرب قد قال: البابليون لي فاسٌ وأدواتٌ حربٌ، فاسحق بهم الأمم»،

وأهلَكَ بهمَ المالِكَ، وأكْسَرَ بهمَ الْفَرَسَ وَرَاكِبَهُ، وأسْحَقَ بهمَ الْمَرْكَبَةَ وَرَاكِبَهَا، وأسْحَقَ بهمَ الرَّجُلَ وَالْمَرْأَةَ، وأسْحَقَ بهمَ الشَّيْخَ وَالْفَتَنِيَّ، وأسْحَقَ بهمَ الْفَلَامَ وَالْعَذْرَاءَ، وأسْحَقَ بهمَ الرَّاعِي وَقَطْبِيْعَهُ، وأسْحَقَ بهمَ الْفَلَاحَ وَفَدَانَهُ، وأسْحَقَ بهمَ الْوَلَةَ وَالْحَكَامَ.» العَهْدُ الْقَدِيمُ. وَهَذَا مَا قَامَ بِهِ (نَبُوَخْذُ نَصْرُ الثَّانِي)، فَلَقَدْ أَقَامَ الْمَلَكَةَ الْبَابِلِيَّةَ الْجَدِيدَةَ، وَوَحْدَ الْقَوْيَ الْمُشَتَّتَةَ، وَحَارَبَ الْكَيْشَ وَغَيْرَهُمْ، أَعْدَادُ الْعَظِيمَةِ إِلَى الْمَلَكَةِ وَقَادَهَا إِلَى النَّصْرِ، وَبَنَى بَابِلَ الْحَدِيثَةَ. لَقَدْ أَخْبَرْتَكَ بِهَذَا كُلَّهُ، لَأَوْضَحَ لَكَ أَهْمَيَّةَ هَذِهِ الْأَلْوَاحِ الطَّينِيَّةِ»، ثُمَّ نَظَرَ فُورْسِتُرُ إِلَى إِحْدَى الْفَاتِرِينَاتِ الَّتِي تَحْتَوِي عَلَى الْأَوْتَادِ الطَّينِيَّةِ «تَلَكَ الْأَوْتَادُ هِيَ حَجَرُ الْأَسَاسِ لِبَنَاءِ (مَعْبُدُ نُورَتَا) الَّذِي شَيَّدَهُ نَبُوَخْذُ نَصْرٌ فِي بَابِلِ، بَعْدَ أَنْ دَحَرَ الْكَيْشَ. هَلْ تَدْرِكُ مَا يَعْنِيهِ هَذَا؟»

«قَدْ أَسْتَطَعَ تَقْدِيرَ قِيمَتِهَا، إِلَّا أَنِّي لَسْتُ خَبِيرًا مُثْلِكَ. وَلَهُذَا...»

«حَسَنًا» أَشَّاحَ فُورْسِتُرُ بِيَدِهِ مَقَاطِعًا كَرِيسَ «الْلَوْحُ الْأَهْمُ هُوَ التَّالِي» وضعَ الْعَجُوزَ لَوْحَ نَبُوَخْذُ نَصْرٍ عَلَى الصَّينِيَّةِ، وَأَمْسَكَ بِالْلَوْحِ التَّالِيِّ، وَأَخَذَ يَقْلِبَهُ بِحَذْرٍ أَمَامَ عَيْنِيهِ «لَابِدُ وَأَنْ لَدِيكَ فَكْرَةً عَنْ كِيفِيَّةِ تَطْوِيرِ الْلُّغَةِ» «تَقْرِيبًا» دَمْدَمَ كَرِيسُ، ثُمَّ قَالَ بِاحْتِرَاسٍ «رَمُوزٌ ثُمَّ رَسُومٌ ثُمَّ خَطُوطٌ وَأَخِيرًا عَلَامَاتٌ وَاضْحَى»

«صَحِيْحٌ» ثُمَّ تَابَعَ فُورْسِتُرُ كَلَامَهُ مَمَازِحًا كَرِيسَ «إِنَّكَ تَفَاجَئِي دَائِمًا يَا تَسْرِنَتْ هَايِنْ، مِنْ رَجُلٍ لَا يَتَذَوَّقُ الْفَنَ إِلَى وَاحِدَةٍ مِنَ الْمَعْلُومَاتِ! إِبْتَسَمَ بِمَكْرٍ وَتَابَعَ «هَذَا الْلَوْحُ يَعُودُ إِلَى عَهْدِ قَدِيمَةٍ جَدًّا لِتَطْوِيرِ الْلُّغَةِ، وَبِالْتَّحْدِيدِ إِلَى زَمْنِ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، الْأَلْفِيَّةِ الْثَّالِثَةِ قَبْلِ الْمِيَالِدِ تَقْرِيبًا» «وَمَنْ أَيْنَ لَكَ أَنْ تَعْرُفَ ذَلِكَ؟»

«انْظُرْ إِلَى هَذَا الرَّسْمِ، هَنَا» أَشَارَ تَاجِرُ الْأَثَارِ إِلَى مَثَلَّثٍ مَحْفُورٍ عَلَى إِحْدَى حَوَافِ الْلَوْحِ، وَفِي دَاخِلِهِ خطٌّ مُسْتَقِيمٌ يَمْتَدُ مِنْ إِحْدَى زُوَيَّاَهِ السَّفْلِيِّ إِلَى الْأَعْلَى دُونَ أَنْ يَمْسِ الْقَاعِدَةِ الْعُلُوَيَّةِ لِلْمَثَلَّثِ، «هَلْ يَعْنِي لَكَ هَذَا شَيْئًا؟»

تردد كريス لبرهه قبل أن يقول ما طرأ بياله «إنه يشبه حوض المرأة،
مرسوم ببضعة خطوط»
«ممتازٌ ضحك فورستر «إنه رمز - ل و-»
«وماذا يعني؟»

«في لغة الرسوم القديمة يشير هذا الرمز إلى الإنسان» إبتسם
فورستر، وستند إلى ظهر المقعد «والآن لابد وأنك تود معرفة سبب تأكدي
لهذه الدرجة، أليس كذلك؟»
«إنك خبيرٌ في هذا المجال...»

«في المراحل اللاحقة لتطور اللغة المسماوية لم يتم استخدام أو تمثيل
رمز - ل و- بهذه الطريقة أبداً»
«وكم مرحلة مررت بها هذه الكتابة؟»

«ثمانية، إلى أن انتهت إلى شكلها النهائي في عهد الآشوريين في
القرن الأول الميلادي في المرحلة الثانية لم يتم إحداث تغيير كبير على هذا
الرمز، فقط تمت إدارته 90 درجة إلى اليسار بحيث تصبح زاوية المثلث إلى
اليمين. ومع مرور الوقت اختفى هذا الرمز البدائي»
«لماذا؟»

أشار فورستر إلى الأرفف مجدداً، فقام كريス بإحضار الأوراق
البيضاء والقلم التي كانت موجودة على أحدها. أخذها العجوز، وبدأ يرسم
عدة رموز مختلفة على الورقة، بينما كان يتذمر أثناء ذلك لأنه لم يتمكن
من إحكام السيطرة على يده المرتعشة، وبعد المحاولة الثالثة وضع القلم
جانباً وأرلى كريس ما قد رسمه.

كانت أجزاءً من الرسم تشبه إلى حد بعيد أسماء ذات مثاثل في
 نهايتها.

«كانت الرموز الأساسية بشكلٍ عاموديٌّ، ثم تم إدارتها بمعدل 90 درجةً إلى اليسار ليتمكنوا من حفرها بشكلٍ أفضلٍ وأسرع على الألواح. ولأنه من الصعب بمكان الحفر على هذه الألواح بدقةٍ متناهية، فلقد بقيت بعض التكورات التي زالت مع مرور الوقت، ثم تطورت الرسوم فيما بعد لتصبح عمليةً بشكلٍ أكبر»

«وبهذا فقد أصبح من الواضح أنه ...»

«تماماً. ولكن مكونات اللوح نفسه يمكنها أن تعطينا معلومات إنها مصنوعةٌ من الطين المجفف الذي يحتوي على نسبة عاليةٍ من الرمل، وهذا ما يفسر سطحها المسامي»

حق تسرنت هاين بالقطعة الأثرية «كيف لي أن أفهم هذا؟»
«يتألف الطين من مجموعةٍ منتجاتٍ لعوامل التجوية على الطبقة الحجرية، ويكون من عناصر مختلفة كالرمل والصلصال والحصى وحبباتٍ معدنيةٍ ناتجةٍ عن تفتت موادٍ حجريةٍ وترابيةٍ، وبهذا فإن الصلصال يعمل كمادةٍ لاصقةٍ لكل هذه المكونات، فوجود نسبةٍ عاليةٍ من الكلس والجص تؤثرُ على خاصية تماسك الطين وتجعله أكثر قدرةً على مقاومة الماء. وبالرغم من أن الطين الذي تم استخدامه في بلاد ما بين النهرين كان يحوي على نسبةٍ عاليةٍ من الرواسب المعدنية والتي تضعف خاصية اللصق، إلا أن الطين بشكلٍ عامٍ يستطيع الصمود أمام عوامل التعرية والتجوية»

نظر كريس إلى الفاترينا التي تحتوي على الألواح «حسناً، إن كنت أعدُّ بشكلٍ صحيحٍ فهناك ستة ألواحٍ من هذا النوع»
«صحيحٌ، ستةٌ من عهد نبوخذ نصر الثاني، وستةٌ من القرن الثالث قبل الميلاد، إنها مقتنياتٌ فريدةٌ وثمينةٌ، ولا يوجد متحفٌ على وجه الأرض يقتني مثيلاتها» بدا فورستر منتعشاً، وكانت عيناه تلمعان، وهو يتحسس

الألواح بيديه ويلمس الرموز المحفورة عليها، وكأنه عاشقٌ يستكشف جسد معشوقته للمرة الأولى. حمل أحد الألواح وقربه من عينيه، وأخذ يتفحص الكتابة مستخدماً الزجاجة المكبرة، ثم تنهى بسعادة»
شعر كريس وكان العجوز قد نسي وجوده، ثم سأله أخيراً «هل تستطيع قراءتها؟»

«ليس تماماً، هنالك رموزٌ كثيرةً ولكن مضمونها تمت ترجمته منذ زمنٍ طويلٍ، تفسير وفهم هذه الرموز يعتبر علمًا قائماً بذاته، فلقد زاد عدد الرموز والرسوم مع مرور الوقت حتى بلغت الألفين...»

«وهل بإمكان أحد أن يحفظها كلها؟» سأله تسرّت هاين مستفرباً
«... ولهذا فلقد تم تقليل عددّها إلى ستمائةٍ رمزٍ، وكان على الكاتب المتوسط أن يحفظ منها مائتي رمزٍ مسماريٍ»
«لعل ذلك كان كافياً» قال كريس ذلك وهو يفكّر في الأبجدية اللاتينية الحديثة بأحرفها الستة والعشرين، والتي أصبحت في وقتنا هذا كافيةً تماماً.

«وكان على المرء أن يعرف أن بعض الرموز المتشابهة تحمل معانٍ مختلفةً، وذلك حسب سياق الموضوع، فمثلاً رمز الشمس كان يعني اليوم، الضوء وأيضاً اللطف، ورسم الفم والماء معاً كان يعني الشرب»
«ومن أين أنت هذه الألواح؟ وهل هي ثمينةً لأنه تم العثور عليها في مقبرةٍ، ربما في مقبرةٍ ملكية؟»

«هذه الألواح من مصدرٍ خاصٍ جداً» قال العجوز بعد تردد: «فبلاد ما بين النهرين ليست كمحضر القديمة ذات المقابر الفرعونية الكثيرة، ففي بلاد ما بين النهرين لم يتم العثور على الكثير من المقابر الخاصة بالملوك، إلا أن تلك التي تم العثور عليها كانت مصممةً أيضاً بشكل فخم، ففي مقابر الملوك في (آور) وجدت مجموعاتٍ من العربات القتالية وخدمات الملوك، الذين

ماتوا ودفنتوا مع أسيادهم، وكذلك مجوهراتٌ وذهبٌ وألواحٌ طينيةٌ أيضاً،
وفي هذا الاتجاه لم يتغير شيءٌ حتى اليوم»
«ماذا تعني؟»

«علمَ الملوكُ أنهم ميتون لا محالة، فسعوا إلى تخليد أعمالهم في
البداية تم استخدام الكتابة لتدوين الواقع المالي للبلاد، وسرعان ما
اكتشف كهنة العبد والملوك أنه بإمكانهم تدوين النصوص الدينية
والأعمال البطولية عليها، فقاموا بخلد منجزاتهم المميزة بحفرها على
هذه الألواح، وهذا ما يفعله الحكام والملوك في يومنا هذا أيضاً، وإن كان
بأشكال وأساليب مختلفة»
«إذاً فقد تم العثور على الألواح في (آور)»
«كلا فالألواح الأقدم تعود إلى (كيش) ولكنها وجدت في (بابل) وتمت
سرقتها»

صمت كريس، فلقد شعر بأن فورستر كان على وشك أن يبوح له بما
يعتمر في صدره.

«أنا حفيد السارق والقاتل» رمق فورستر كريس بنظره متخصصٌ
منتظراً ردة الفعل المناسبة.
«هل تفاجئت بهذا؟»

«كلا» نظر بعينيه بشكلٍ مباشر، وهز رأسه نافياً «لقد واجهت أموراً
كثيرةً أثناء عملِي كشرطٍ، بالإضافة إلى أنك لم تقم أنت شخصياً بقتل
أحد»

«ولكنك أردت بـ(بابقاً المغادرة)»
«لم أقرر بعد، فإن علمت أنك قمت فعلاً بالقتل فإني سأذهب
حتماً، أما حالياً فأننا متّشوقّ لما تريده إخباري به، أعترف أن الأمر بـ
يشدني»

أو ما العجوز، ثم قال: «لقد قام جدي بسرقة هذه الألواح ومقتنيات ثمينة غيرها من بابل، ولهذا الغرض قام بقتل ثلاثة أشخاص، وهذا هو السبب وراء شعوري بالذنب»

«بسبب القتل»

«كلا بل بسبب السرقة»

هز كريス رأسه «و متى كان هذا؟»

«كان ذلك منذ زمن بعيد في عام 1916. لقد قام بسرقة الألواح الطينية، ومعها تحفٌ أثريةٌ ثمينةٌ من اثنين من اثنين من لصوص المقابر، ثم خبئها في مكانٍ أمنٍ، بعدها أخذها معه إلى إسبانيا، وهناك قام بقتل معاونه، وتحذَّ اسم فورستر كاسم جديدٍ لعائلته ثم فر إلى سويسرا، حيث قام ببيع تلك الآثار لأهم جامعي التحف في العالم، وبهذا حقق ثروة طائلةً وبدأ العمل بتجارة التحف، إلا أنه لم يقم ببيع هذه المقتنيات لأن لها قيمةً خاصةً»

«أي قيمة؟»

تجاهل فورستر السؤال وتتابع: «تزوج وأنجب والدي الذي استمر في العمل بتجارة التحف، ثم تعلمتها أنا عنه، وبقي تخصصنا هو اللقى الأثرية في الشرق الأدنى ومصر»

«وهل كانت رحلتنا الأخيرة إلى دبي جزءاً من خطتك للتغافل عن الذنب؟»

تذكر كريス كلمات فورستر في نهاية تلك الرحلة، حين أخبره أنه لم يقم بالتفاوض حول السعر، بل عن طريقه تسليم القطع الأثرية.

«حسناً إن كنت تريدين أن تسمع هذا. فنعم»

نظر كريス إلى العينين الزرقاءتين الغائرتين لناجر التحف، ولم ترقه تلك النظرة الساخرة والمتعالية والواقة، والتي تم عن رجلٍ أيدن أنه كسب المعركة.

تذكر كريس بشيءٍ من الإحباط ما كان عليه أن يتعلم في قسم الشرطة الجنائية، فمن الصعب على المرأة أن يعرف ما يدور خلف جبهة الإنسان فلا أحد يحمل وشم سارق أو قاتل على وجهه.

«في الحقيقة لا أعرف إن كنت سأقبل عرض العمل معك» كان فورستر يعلم تماماً أنه ما زال يخفي الكثير من الأسرار، وأنه لم يكشف بعد إلا عن الجزء السطحي منها.

«إنك لم تفهم بعد أليس كذلك؟» تنهي فورستر بحق «عليك أن تذكر أني بهذا أريد التكثير عن الخطيئة، ستة ألواح تعود إلى عهد نبوخذ نصر، والستة الأخرى إلى القرن الثالث قبل الميلاد» وقف فورستر بمعاناةٍ متكتأً على عكازه.

«إنني أدعى أن هذه الألواح الستة تحوي أقدم كتابة مسمارية تم العثور عليها لحد الآن، ولا يوجد شبيهاً لها في العالم. هل تدرك الآن لماذا لم أقم باستدعاء الشرطة؟ أريد أن أعيد كل شيء إلى مكانه الصحيح، وعليك أن تساعدني في تحقيق هذا، ولم أطلب منك أن تساعدني بارتكاب جريمةٍ جرّ كارل فورستر نفسه إلى إحدى الفاتريnas.

«هناك سوف تختفي في بضعة أيام، إنك تعلم جيداً ما الذي حدث بعد حرب الخليج، فوضى، فلقد تم سرقة الماتحف. أتذكرة رحلتنا إلى دبي؟ لقد كانت بخصوص أحد التماثيل التي وجدت في عملية تتفق في (آشور) إنه تمثالٌ ثمينٌ حقاً، ولكن بالمقارنة مع ما تراه هنا فإنه بلا قيمةٍ تقريباً، وبالرغم من اتفاقنا على كيفية إعادته إليهم، إلا أنهم لم يلتزموا بالشروط» طرق فورستر بعصاه على الأرض غاضباً.

«لا يتوجب إعادة هذه اللقى الأثرية إلى المكان الذي وجدت فيه، لأنها سوف تذهب. هناك مكان واحدٌ يمكنها فيه أن تكون في مأمن، يجب أن توصلها إلى المكان الذي تم فيه حفظ جزءٍ من إرث بابل»

تقدّم فورستر بضعة خطواتٍ من الفاترينا التي تحتوي على العظام
الثلاثة الممدة على الرمال.

«وَالآن عَلَيْكَ أَن تَقْرِرُ»

تأمل كريس العظام الثلاثة، لم تكن كبيرةً بشكل ملفت، فاثنان
منها كانت بطول عشرة سنتيمترات، والثالثة أطول بقليلٍ، كانت عبارةً عن
بقايا عظامٍ، أجزاءً عظميةً ذات نهايات مهشمة.

عاد كريس بذاكرته إلى الوراء حيثُ كان مازال يمارس عمله
كشريطيٍّ، حيثُ كانت عملية تأمين الأدلة بمثابة لعبٍ تركيب القطع، وكانت
العظام تلعب دوراً هاماً في هذا الشأن، فلقد كان الأطباء الشرعيون
يتذمرون دائمًا عندما كان يتوجب عليهم تقديم شهاداتهم بناءً على تحليل
العظام القديمة واليابسة تماماً.

كانت النظرة الأولى غير كافية لتحديد إذا ما كانت هذه العظام تعود
لأقدام أحد الحيوانات أو إلى البشر. وكذلك فإنه من الصعوبة تحديد المدة
الزمنية التي بقيت بها العظام في المكان الذي وجدت فيه، ربما شهر أو سنة
أو ثلاثة قرون. هل قام أحدهم بدهنها هناك؟ أم أن حيواناً قام بياستخراها
من مكانها ودفنهما في مكان آخر؟

«قرارك؟» سأله فورستر مجدداً

كانت العظام الممدة في الفاترينا ذات لونٍ أقرب إلى البني الغامق منه
إلى اللون الأبيض الجيري، أعاد صوت فورستر كريس من عالم الذكريات، إنه
أمرٌ جنونيٌّ حقاً، فكيف يستطيع المرء ربط أمورٍ معينة بأخرى.

«حسناً. سأساعدك» قال كريس ذلك وهو يفكّر برصيده في المصرف،
مبرراً لنفسه أنه لا يمكنه فعل شيء آخر للخروج من أزمته المالية.

«لقد قمت فعلاً بتحويل المال إلى رصيد شركتك» قال فورستر ذلك
وتنهد بارتياح «يسعدني أنك لم تخيب ظني بك»

«العظم أيضاً» سأله كريس بعفويةٍ دون تفكيرٍ.

«هي أيضاً» أجابه العجوز بصوتٍ رخيمٍ ومتوترٍ.

«وماذا عن تاريخها؟»

صمت كارل فورستر قليلاً، ثم أجاب بصوتٍ مرتجلٍ وضعيٍف «إنها مستحاثاتٌ تعود لنوعٍ من السلالات البشرية، التي لم تعد موجودةً فيَ يومنا هذا».

الفصل الثاني

الفاتيكان

مساء الجمعة

كان البابا بندكت يجلس في مكتبه الخاص في الطابق الثالث من القصر البابوي، واصعاً أمامه المخطوطة الورقية التي تحوي النص الذي كلفه الكثير من الجهد والوقت.

عندما سمع طرقاً على الباب لم يكن بحاجة إلى النظر إلى ساعته لمعرفة الوقت، فهو الذي قام بتحديد الموعد.

دخل سكرتيره الخاص (جورج رايши) مرافقاً الضيوفين، ثم أخذ رزمةً من الملفات، وغادر الغرفة. تنهى البابا بندكت، فلقد خلف سلفه الكثير من الأعمال غير منجزة، وعوضاً عن الشروع في استكمالها تسابقت الصحف والإدارة البابوية بإطلاق الشائعات حول المظهر الأنثيق لسكرتير البابا الخاص، والذي كان جليساً مسليناً في الأوقات التي لا يتم بها الحديث عن الأمور الدينية.

لم يكن بالإمكان منع النيممة والشائعات، والتي كانت جزءاً من الطبيعة البشرية، وكذلك لم يستطع أحد التوصل إلى طريقة لردع مروجيهما، فلقد بقيت كبقاء قواعد وطقوس الفاتيكان التي لم تتغير كثيراً. تقدم الضيوفان وجلسا على المقاعد الوثيرة أمام طاولة مكتبه.

بدا الجسم الممتلئ للكاردينال (ألينو ساشي) أكثر نحالةً بذلك الثوب الأسود، وقد توشح بوشاح فرمزيٍّ (ليلكي) محمّرٌ مع شريطٍ من نفس اللون حول خصره، وقبعةٌ صفيرةٌ على رأسه، بينما كان الأب (تيساني) يرتدي بذلك سفرٌ بسيطةٌ ذات لونٍ أسودٍ وباقةٍ بيضاءٍ.
«والآن» قال البابا بندكت وهو يوجه نظره إلى الكاردينال.

كان الرجلان يعرفان بعضهما منذ زمنٍ طويلٍ، فقبل أن ينصب كبابا، كان يشغل منصب رئيس مجمع العقيدة والإيمان لفترةٍ طويلةٍ، وكان الكاردينال (ساشي) نائبه.

لقد قاما معاً بإنشاء (مجمع العقيدة والإيمان) كمؤسسةٍ بديلةٍ عن محاكم التفتيش، والذي يتبع للإدارة البابوية، وكان دوره يتلخص في تتبع الملحدين حول العالم، وحراسة التعاليم الكاثوليكية وحمايتها ضد أي عدو، ولا يمكن مناقشة أي موضعٍ عقائديٍ إلا بموافقة (مجمع العقيدة والإيمان).
يتم تمثيل الفاتيكان كدولةٍ مستقلةٍ من خلال مكتب سكرتاريا الدولة، والتي يرأسها الكاردينال سكرتير الدولة، ويعتبر الرجل الثاني بعد البابا، وتمثل أهميته بأنه يترأس (مجمع الكرادلة) كعميد ينتخب حسراً من قبل الإدارة البابوية.

إلا أنه وفي الإنتخابات التي جرت مؤخراً لاختيار عميد (مجمع الكرادلة) قامت اللجنة المصغرة للأساقفة الكرادلة باختيار رئيس مجمع العقيدة والإيمان - والبابا الحالي - كعميد لهم، ما أحدث نقلةً في التسلسل الهرمي لإدارة الفاتيكان.

«أن يخلفك المرء وإن لفترةٍ وجيزةٍ في منصب رئيس المجمع الدولي لللاهوتيين أمرٌ يتطلب الكثير من الجهد» أجاب الكاردينال (ساشي).
ابتسم البابا إبتسامةً الخبر بخفايا الأمور.

فقد عقدت اجتماعات متتالية لاختيار الرجل المناسب. كان يندركت قد قرر منذ زمنٍ طويٍّ تسمية الرجل الذي كان يشغل منصب نائبه في مجمع العقيدة والإيمان، كسكرتير دولة الفاتيكان. لم يكن الأمر ليختلف كثيراً عندما يتولى قيسيرٌ جديدٌ مقاليد العرش. لابد من اختيار المؤوثق بهم ليكونوا ضمن دائرة المقربين، وبهذا سيتم تغيير التسلسل الهرمي للمرة الثانية.

«هل تم اختيار الخليفة بشكلٍ نهائيٍّ؟ نحن نسمع عن أسماء كثيرةٍ» «قريباً. قريباً عزيزي (ساشي). فرئاسة مجمع العقيدة والإيمان منصبٌ حساسٌ للغاية، ولهذا يجب عدم التسرع في اختيار من سيشغلها، الصبر، وأنا أدرك حجم مسؤوليات هذه المهمة» قال بندكت بابتسامةٍ هادئةٍ «حتى بالنسبة لي، فإن المسؤوليات الجديدة تشكل تحديات كبيرة، وأنا أعمل لتوسيع منشوري البابوي الأول، وربما سأعطيه عنوان (الرب هو المحبة). ما رأيكم بهذا؟»

«إنه مجالٌ واسعٌ ومثيرٌ» قال الكاردينال (ساشي). «وهو صعبٌ أيضاً. والآن دعونا من هذا، لدينا موضوع آخرٌ لمناقشته» نظر البابا إلى تيساني الذي كان يتبع الحوار بصمتٍ وترقبٍ «وكيف تقبل الأمراً؟»

هز تيساني رأسه، فمنذ لقائه مع (هنري مارفن) وهو يفكر بما ستكون عليه ردة فعله.

«غاضبٌ، ولكنه تمالك نفسه إلا أنه يشعر باليأس والإهانة» ثم نظر تيساني إلى يديه «لم يكن له أن يتوقع شيئاً آخر. أليس كذلك؟» «وماذا سيفعل؟»

«لم يقل شيئاً سوى أن لديه أدلةً» «إنه رجلٌ متعصبٌ»

أطرق تيساني، فلقد فاجئه كلام البابا الذي شَغل منصب رئيس مجمع العقيدة والإيمان، حيث كان المتعصب إما ينال الثناء وإما ينبد ببساطة.

«... وخطيرًّا أيضاً» أضاف الكاردينال « علينا أن لا نهمل مراقبته ومراقبة جمعيته»

«وماذا عن المخطوطة التي تركها لنا هل ترى فيها خطراً على الكنيسة المقدسة؟»

رمق البابا الكاردينال بنظراتٍ فضولية، فمنذ توليه منصب البابا، وتوجيهه (هنري مارفن) له هذه المخطوطة لم يطلع أحدٌ عليها، وإطلاع الكاردينال (ساشي) عليها جاء بسبب الظروف، وبالرغم من ذلك فإن (ساشي) لم يعرف كلَّ شيءٍ بعدٍ. هذا ما دار في رأس البابا.

كان هو وحده المطلع على كامل الحقيقة بالإضافة إلى أحد الموثوقين سابقاً، وهكذا يجب أن تبقى الأمور.

فلقد اختاره الرب لتحمل هذا العبء.



«إنها أكثر بكثيرٍ من مجرد قطعةٍ كفيرها من القطع التي خرجت إلى النور خلال السنوات المائة الماضية، فهذا الموضوع سيؤدي إلى انفجارٍ، لأنَّه يمس نقطةً جوهريَّةً وأساسيةً...أعني، أنه لا يجب أن يظهر إلى العلن»
هز البابا رأسه «و بأي ثمن؟...»

أدرك ما تعنيه، فمارفن يتجاوز الحدود... إنه متطرفٌ، وهو يتحكم بالجمعية، فالاسبوع القادم سيتم تسليمه منصب الرئاسة بشكلٍ رسميٍّ،

هذا مؤكّد، ولكن ماذا لو منحنا بريتورين الكتاب المقدس وساماً واعترفنا بهم كأخويّة؟ فإنّهم في النهاية سيتبعون للكنيسة، وبإمكاننا التحكّم بأنشطتهم، وضبطها من خلال القواعد والقوانين التي نصدرها «استفرق (ساشي) في التفكير بينما يطبق رؤوس أصابع يديه على بعضها إنها مجرد فكرة، إلا أن قداستكم قد اتخذ قراراً مختلفاً» نعم، لأنّي أعرف أكثر مما تعرفون وأستطيع الحد من الخطّر القادم. فكر البابا

للحظات شعر بأنّ إحساسه بالمسؤولية يخيفه، وكأنّه طوفانٌ يريد أن يغرقه، ولكن فكرة أنه مستعدٌ تماماً، ولن يحتاج لمساعدة مارفن أعادت إليه الشعور بالقوّة، فزال ذعره بنفس السرعة التي أتى بها.

«إنّي أحاول فقط إبقاء كافة الخيارات مفتوحة أمامي، الدبلوماسية عزيزي ساشي، ففي النهاية هي مجرد قطعة ورقية، جزءٌ من مخطوطه، كم منها ما زال مفقوداً لا أحدٌ يعلم» هزَّ بندكت رأسه «حتى وإن استطاع منتقدينا الحصول على مخطوطةٍ مزورة، ليدعوا أنها جزءٌ من المخطوطات القديمة للكتاب المقدس، فإنّهم لن يتمكّنوا من التأثير على عقيدتنا أو على الكتاب المقدس، أو حتى على ركائز الكنيسة الأُم»

«لم تظهر أدلةً على هذا القدر من الأهميّة والوضوح من قبل» لاحظ تيساني التوتر الذي سيطر على حوار الرجلين، فلقد وقع ساشي في الخطأ الذي طالما كان يحذر كل من يرغب بلقاء البابا منه، لا تحاول مجادلة ممثل الرب على الأرض لأنك حتماً ستخسر.

«إنّها تؤكّد ما توصلت إليه الأبحاث العلمية فحسب، من سيكتّرث لهذا حقاً؟ المؤمن؟ الإيمان؟ إنّ الرب لا يقلق من العلماء والأبحاث العلمية» أخذ تيساني نفساً عميقاً عندما انتبه إلى النبرة الحادة في صوت البابا.

«كل ما أقصده هو أن مارفن يحاول تصعيد الأمور لتحقيق مآربه الخاصة» تابع البابا «منهم وساماً أو مجمعاً للأحبار سيرفع من شأن جمعييتهم، فبهذا ستكون ثانٍ أخوية بعد (الأبوس داي) يتم ترقيتها إلى هذا المنصب، فهو يحاول من خلال اكتشافه المزعوم أن يكسب المزيد وأن يجعل من نفسه رجلاً مهماً»

«إنه احتمالٌ ممكّن» كان الصوت الهامس للكاردينال ينم عن عدم تركيزه.

«هل زارك بعض الوشاة؟» وجه البابا سؤاله إلى الكاردينال بنظراتٍ ودودةٍ.

«نعم. تعلمون قداستكم أن منهم المؤيدين ومنهم المعارضين، أما المؤيدين فكانوا متحمسين بعنفٍ»

أطرق البابا بندكت «كم يسعدني ذلك الإيمان الغير مشروع الذي تمثله الأخوية، لو أن كل الأخوة والأخوات يتمتعون بهذا الإيمان لأصبح العالم بحالٍ أفضل، ولكن لا يجب على المرء أن يبالغ في ذلك» صمت البابا قليلاً ثم نظر إلى تيساني متحدياً «هل قمت بإخباره أن الموقف الذي تتخذه أخويتهم في رفضها لنظرية النشوء والارتقاء يشبه إلى حدٍ كبيرٍ موقف المدافعين عن قصة بدء الخليقة كما جاءت في الكتاب المقدس؟»

مسح تيساني بيده على وجهه محاولاً استجمام أفكاره قبل الإجابة «نعم إنه يعلم، إنه يعرف بشكلٍ علني أن جذور هذه الأفكار جاءت من مجموعات بروتستانتية، بل إنه يذهب إلى أبعد من ذلك، فيقول أن الكنيسة الكاثوليكية أخطأات عندما تركت هذا المهمة للبروتستانتين، فمارفن يرى أنه كان أ Jugger بالكنيسة أن تتخذ هذا الموقف»

«لا يمكن لأحدٍ أن ينكر الحقائق التي توصلت إليها الأبحاث العلمية،

إنها من خلق الله ولها فعليها احترامها، تماماً كما تفعل الكنيسة الكاثوليكية» تردد البابا قليلاً، وكأنه يبحث عن الكلمات المناسبة «لقد أعلن البابا (يوحنا بولوس الثاني) إعتراف الكنيسة بنظرية النشوء والارتقاء. ألم نناقش ذلك لفترة طويلة؟ فكيف لمارفين وهو كاثوليكي أن يتصدى لذلك؟ بل إننا نقوم بتدريس هذه النظرية في المدارس الكاثوليكية»

«لقد كان من الخطأ أن تعترف الكنيسة بتلك الأخوية...»

هز البابا رأسه رافضاً «إن الأخويات تشكل جزءاً هاماً من كنيستنا، ولقد تم الاعتراف بهم عندما كانت الكنيسة لا تزال تبني تلك الآراء، ولكن بحثنا المستمر في الكتاب المقدس جعلنا نتوصل إلى براهين جديدة. الرب ليس ديكاتوراً فهو يدع العالم يتطور بما يناسبه، إنه لا يتدخل دائماً ولكنه يسمح ويشترك ويرحب. فمع كل اكتشاف في هذا الكون نشارك بجزء من خلية الله، لا يدرك ذلك الرجل أن بتشدده هذا يعارض الأسس المعروفة للكنيسة؟ كيف له أن يتخيّل أننا سنقوم بدعم جمعيته تحت هذه الظروف؟ هذا يعني أننا نؤيد ادعائكم، بل يعني أيضاً أن البابا يوحنا بولوس الثاني كان مخطئاً»

وأنت كذلك، هكذا فكر تيساني الذي كان بينه وبين نفسه قد أغلق هذا الملف، فأوراق مارفن خاسرة لأن جمعيته تؤمن أيضاً بقاعدة أن البابا لا يخطئ.

وبعد صمت قصير أخذ البابا الكلمة مجدداً «لقد قلت أذلك وجدت دليلاً في الأرشيف، وإن لم تخني ذاكرتي فإنه سجل يعود إلى العشرينات من القرن الماضي (لبايسيلي) السفير البابوي، والذي أصبح فيما بعد القديس (بيوس الثاني عشر)»

تفحصت عينا البابا وجها الضيفين، كان تيساني يجلس بطريقة غير مستقرة على كرسيه، وكأنه ينزلق على الجلد يميناً ويساراً.

«صحيح» قال الكاردينال ساشي «إنها ملاحظة صغيرة تشير إلى وجود قطعة أثرية تحمل نفس المعلومات التي بحوزة مارفن أو ربما تشبهها. كانت تلك الملاحظة عبارة عن بضعة أسطر وُجِدَت في أحد التقارير الأخيرة التي قدمها (نونتيوس) قبل أن يعود منصبه كسكرتير لدولة الفاتيكان» تنهى البابا.

فلقد كان (نونتيوس باسيلي) السفير البابوي إلى ميونيخ وبرلين في الأعوام بين 1922-1929. وبالرغم من معرفته بالهولوكوست فإنه التزم الصمت. وبعد انتهاء الحرب قامت الكنيسة بمساعدة بعض النازيين على الهروب، ولهذا فإن موضوع تطويب (بيوس الثاني عشر) قدسيس كان وما زال موضوع جدل في الإدارة المركزية للفاتيكان، وكذلك في وسائل الإعلام. لقد أثار موضوعه ضجة كبيرة لدرجة دفعت الفاتيكان في عام 2003 لفتح بعض الملفات السرية التي احتوت على مدونات ووثائق خاصة ببيوس الثاني عشر.

«إنها مجرد مخطوطة...»

«وكيف حصلوا عليها؟» قاطع البابا الكاردينال ساشي حادياً، إذ علم ما كان سيقوله.

«لقد ألح لي هنري مارفن بذلك» قال الكاردينال ساشي أخيراً، بعد أن أدرك أنه تم قطع الجزء الثاني من جملته بشكل متعمد. «وكيف ذلك؟»

«بعد أن تم إهمال مقتراحاته قام بإعطائنا بعض من هذه الملاحظات في الأسابيع الماضية إنه نوع من مضاعفة بذل الجهد من قبله» ابتسم الكاردينال متعمداً «لقد أخبرنا أن النص الكامل مع المزيد من الأدلة يفترض أن يكون موجوداً لدى الكنيسة، وذلك منذ نهاية العشرينات من القرن

الماضي، وكما تبين لنا فإن اكتشاف هذا النص لن يعصف بالكنيسة الأُم. فلقد مرت الكنيسة بظروفٍ أصعبٍ من هذه - هذا إن كان زعمهم صحيحاً، ولكن لحد الآن لا يوجد أي دليلٍ سوى بعض الملاحظات **الفامضة»**

تبسم البابا بهدوءٍ «ولكن كيف ستسير الأمور مستقبلاً»
«لم نقف مكتوفي الأيدي طوال الأسابيع الماضية، عندما...» ندم
المونسينيور تيساني على هذا الاعتراف.

رمق البابا بندكت المونسينيور بنظرةٍ ثاقبةٍ. فقبل ما يقارب النصف
عام تقدم هنري مارفن بذلك النص إلى (مجمع العقيدة والإيمان) حيث كان
البابا بندكت ما يزال يرأسه، وكان يدرك أن وقت اتخاذ القرار قد اقترب.
قطب وجهه بغضبٍ. كان تيساني ملاذه الأخير، إذ أن الرجل الذي كان
يُثُق به، فر هارياً من عباء المسؤولية.

«مونسينيور تيساني، ماذا وجدتم؟» سأله بصوتٍ خافتٍ.
أدرك تيساني من نبرة صوت البابا أنه قد نفذ صبره، وعلم جيداً أنه
ما زال لا يلم بكافة أوجه اللعبة بعد.

«ليس بالأمر المهم، قداستكم، إن النصوص التي وجدت في تقارير
الرسول البابوي تشير إلى تقريرٍ منفصلٍ قام بتسليمه مع بعض الموجودات
إلى مكتب الآثار، وهناك تم فقد أثره، ولم يتم العثور على ملاحظات
الرسول البابوي بعد ذلك»

«وأين يكمن العمل الناجع للمونسينيور إذًا؟» التفت البابا مجدداً إلى
ساشي.

هز الكاردينال رأسه مستفرياً.

«عندما يتم تسليم أي مخطوطةٍ إلى مكتب الآثار يبادرون إلى
تسجيلها، ولكن للأسف يُفقد أثراها بعد ذلك، إلا أننا وجدنا اسم أحد

الكهنة الذي كان يعمل في ذلك المكتب، والذي قام منذ عقود بعمل أبحاث حول (بيوس الثاني عشر). وكما يبدو فإنها كانت لفحص إمكانية تطويه قديساً

أطرق البابا بانزعاج.

«ربما لدى هذا الكاهن ما يخبرنا به. نريد أن نسأله»

«إذا كان هذا مفيداً...» أدار البابا وجهه متلماً

تردد الكاردينال ساشي لبرهه، ثم قال «كلانا يعرفه»

«وما يعني هذا؟ إنني أعرف الكثير من الأشخاص والقساوسة

والكهنة»

«إنه موظفٌ قديمٌ لدى قداستكم، وكان يعمل سابقاً في معهد الآثار

قبل أن ينضم إلى (مجمع العقيدة والإيمان)، وكان يتولى منصب المونسينيور

تيساني السابق في (المجمع الدولي للاهوتيين)»

عض البابا على شفتيه.

إذاً فلقد وصلوا إلى هنا، إنهم يهددون مهمته.

الفصل التاسع

جينيف

الأحد

أثناء تجوله في (جادة المونت بلانك)، كان كريس ينظر إلى نوافذ الفنادق الفخمة على الطرف الآخر من الرصيف، حيث فاجئه الكونت بجز جناح له بمساحة شقة صغيرةٍ ذو إطلالةٍ على البحيرة.

«عليك أن تستمتع، فكل شيءٍ سيكون على حسابي كحالةٍ إستثنائية» قال له فورستر معاذًاً أثناء توديعه له مساءً الأمس عندما وصلا معاً إلى جينيف، بينما تابع هو وبوتي طريقهما بسيارة الأجرة إلى فيلا تاجر التحف التي كانت تقع في أحد ضواحي جينيف جنوب شرق ضفة البحيرة في إحدى أشهر مناطق الأثرياء وتدعى (كولونيه بيليريفي) وتبعد حوالي العشر كيلومترات عن مركز المدينة.

نظر كريس إلى ساعته، يبدو أن الوقت قد حان فخلال بضعة دقائقٍ سيحضر بونتي وفورستر. عاد إلى الفندق ووقف مفكراً في البهوج ذو الأعمدة الرخامية والزخارف الجصية ونافورة الماء الصغيرة، يا له من منظرٍ يسلب الألباب.

ابتسم كريس عندما تذكر الحكاية التي أخبرته بها عاملة الاستقبال، حيث روت له كيف أن نجم الكوميديا الصامتة (هارولد

لويود) قام بالتسليق على أعمدة البهلو للوصول إلى غرفته بدلاً من استعمال الدرج أو المصعد.

في أحد الأركان جلس رجل ذو بشرة زيتونية اللون، وشعر مُخصلٍ يقلب إحدى الصحف بين يديه، وبيادل نظرات كرئيس المرتبة بنظراتٍ خالية من التعبير.

مر كرييس من أمامه متوجهًا إلى المصعد.

في جناحه بدأ يجمع حقيبة سفره التي لم تعد تحتوي إلا على ملابسه المتسخة، ولقد قام مساء الأمس بطلب بعض الملابس الخارجية والداخلية عن طريق الفندق وسجلها على حساب الغرفة، سيتكلف فورستر بهذا المبلغ. ألقى كرييس نظره الأخيرة على الجناح، واستنشق عبق الفخامة للمرة الأخيرة، ثم نزل بالمصعد إلى المراقب حيث فتح حقيبة سيارة (مرسيدس) فئة سي، التي كان رجال فورستر قد أحضروها ليلة الأمس بدعوى أن فورستر لا يرتاح بركوب سيارة (مرسيدس) لات الفئة إي.

وضع حقيبته في صندوق السيارة، وفجأةً سمع صوتاً قوياً لمحرك يقترب منه دخلت سيارة (جاغوار) من المدخل الأوسط، وسارت باتجاهه حتى توقفت على بعد بضعة أمتارٍ أمامه، سكت عويل المحرك وفتح باب السائق.

نزل بونتي وتقدم بوجه متجرِّ ودونما إلقاء التحية، ليفتح باب مرافق السائق، فخرج فورستر بعناء من السيارة.

تعكز تاجر التحف على عكازه وسار بخطى مهتزة خلف بونتي باتجاه كرييس. كانت يد فورستر مكورة في جيبيه وكأنه يقبض على شيءٍ ما، وسرعان ما أدرك كرييس أنه يحمل سلاحاً، وشعر أن شيئاً مربياً يدور من حوله.

«هل أنت جاهز؟»

أوماء كريس بالإيجاب.

«إذاً هيا بنا» نظر فورستر حوله وكأنه يبحث عن أحد ما.

سمع كريس خطواتاً تقترب فأدار وجهه باتجاه الصوت، كان الرجل ذا البشرة الزيتונית والشعر المخصل يقترب باتجاههم قادماً من الفندق «هيا يا ريتسي أسرع» أمره فورستر.

«لقد فهمت الآن، إنه من رجالكم، لقد رأيته في بهو الفندق آنفاً»

وأشار بونتي إلى ريتسي، الذي توجه إلى سيارة (الجاغوار)، وأخرج منها كيسان بهما بعض الأكواب وأبريق فهوة حافظ للحرارة.
«أسرع يا ريتسي» هسأهس فورستر، الذي رمق ريتسي بنظرات مشبوهة، حين عاد الأخير ليخرج كيس المقتنيات الأثرية من سيارة (الجاغوار).

تذكرة كريس كم كان هذا الكيس خفيف الوزن، عندما وضعه في السيارة حين كانوا ما يزالون في (التوسكانا)، فصندوق المجوهرات كان مصنوعاً من خشبٍ رقيق جداً، وزنٍ خفيفٍ للغاية، ويحتوي على أربعة أدراج مغلفة بالقماش.

كانت التحف مرتبة داخل الصندوق بطريقة مميزة بحيث لا تأخذ حيزاً كبيراً. (الألواح الطينية، العظام، الختم الدائري، ثم المخطوطات، وسمسار الأساس).

ذهب ريتسي مرة أخرى إلى سيارة (الجاغوار)، وأحضر خارطة جلديةً وضعها على المقعد الخلفي لسيارة (المرسيدس).

«إلى اللقاء أيها الوغد» قال بونتي بصوتٍ منخفضٍ ومتذمِّر.

«ماذا دهالك؟» همس كريس غاضباً

«لن أسافر معكم» قال بونتي مكتئباً «الآن أدركت لماذا أنت هنا، إنه

تدخل بسيطً من الكونت شخصياً، سوف أسافر بالسيارة الأخرى.

سيراً فقكم ريتسي

«سياراتان؟» سأله كريس متفاجئاً.

«عليك أن تسأل فورستر» قال بونتي متبرماً «لقد أمضى الليل قابضاً على سلاحه ليحرس كنوزه بنفسه»

«كما هو الحال الآن» تتمم كريس، الذي أدرك ما يعنيه بونتي.

بدأ فورستر بالتدبر بينما كان يحاول الجلوس على المقعد الخلفي

لسيارة (مرسيدس).

لم يتحرك بونتي بقى واقفاً يرمي بنظرات حاقدة.

كان كريس يفكر ياخبار بونتي عن شكوكه، إلا أنه قرر أن لا يفعل فما

كان يحدث هنا، والآن كان على أهمية كبيرة، ولقد حان الوقت للذهاب.

بينما بقى بونتي واقفاً بالخارج، كان كريس قد ركب السيارة، وبدأ

يُخرجها من مكانها. عاد بونتي إلى باب يقود إلى الفندق.

«حسناً» قال فورستر الذي كان يراقب تصرفات بونتي مبتسمًا

برضا.



ألمانيا الشرقية

ليلة الأحد إلى الإثنين

«أين نحن الآن؟»

قال فورستر وهو يسعل ويلهث، بينما عدّل من وضع جلسته ليمسك بظهر المقعد الأمامي.

«لقد دخلنا (مقاطعة التورينغن)» قال كريس وقد جف فمه، لأنه لم ينطق بكلمة منذ زمنٍ طويٍ. كان فورستر قد استغرق في قيلولة بينما كان صوت شخِيرٍ وحشِرجة أنفاسه تدفع كريس للعنة والتذمر أحياناً. بينما أبقى ريتسي الجالس في مقعد مراافق السائق عينيه مغمضتين.

كانت سماء تلك الليلة صافية، وارتفع قمم الأشجار المصطفة على جانبي الطريق عالياً في السماء، على الجانب الآخر من طريق السفر كانت تسير الشاحنات خلف بعضها البعض بعد انتهاء الحظر القانوني لسفر الشاحنات في يوم الأحد.

«إذاً سنصل باكراً إلى برلين» قال فورستر بربماً «لابد أن نتناول إفطاراً دسمًا، قبل أن نكمل الجزء الثاني من رحلتنا. هل تعرف مكاناً مناسباً في برلين؟»

«سنجد بالتأكيد» قال كريス.

ساد الصمت لوهلة، ولم يتخلله سوى أصوات ضجيج وأبواق السيارات المارة على الطريق. في هذه الأثناء قام فورستر بسكب فنجانٍ من القهوة، وبعد لحظاتٍ رن هاتفه، فأجاب دون أن يذكر اسمه. فجأة فتح كارلو ريتسي عيناه.

استقام فورستر في مقعده.

عدل كريس المرأة بحيث يستطيع رؤية تعابير وجه فورستر على المقعد الخلفي، والذي بدأ يتحدث بسرعة ملحوظة ويطرح أسئلة قصيرة باللغة الفرنسية، فما يكاد يتلقى الإجابة حتى يبادر بسؤال جديد. ثم أنهى فورستر المحادثة، وقال ثلاث جملٍ لريتسي، الذي أومأ بدوره بثورةٍ عفوية.

كان كريس يتحدث اللغة الإنجليزية بطلاقة، كما أن لغته الفرنسية كانت جيدة، إلا أن لغته الإيطالية كانت ضعيفةً جداً ولم

يتمكن من فهم مضمون المحادثة التي دارت بسرعة. إلا أنه شعر بتوتر فورستر الشديد.

«أخبار سيئة؟» سأله وقد فكر في انطلاقهم المباغت من (جنيف).

صمت فورستر لفترة طويلة، حدق عبر زجاج النافذة، ثم ضرب بقبضته باطن كفه الأيسر.

«لقد تم السطو على سيارة النقل التي كانت متوجهة إلى متحف اللوفر» تلاقت نظرات كريس المضطربة بعيني الرجل العجوز، الذي انحنى إلى الأمام ممسكاً بكلتا يديه بظهر المقعد الأمامي.

«وكيف يمكنني فهم هذا؟

«لقد أخبرتك سابقاً أنني أحاروّل التكثير عن ذنوبي، وسأعيد تلك الأشياء التي لن أستطيع أخذها معي إلى الجحيم، إلى مستحقيها. شاحنة كبيرة محملة بالتحف الفنية كانت بطريقها إلى متحف اللوفر» سعل فورستر بتوتر، «لقد قمت بالطبع لمتحف اللوفر بما تبقى لدى من تحف، تلك التي قام والدي وأنا بجمعها، والاحتفاظ بها على مدى العقود الماضية. معظمها نقوش وشواهد أشورية، وبضعة قطع من آوريما بالإضافة إلى بعض اللقى التاريخية المصرية، والتي ستلائم حتماً مقتنيات متحف اللوفر، لقد وعدوني بوضعها في مكان ظاهر مع مجموعة أخرى من التحف المشابهة»

«وكلا لا تقدر بثمن»

«دعك من هذه التلميحات الساخرة» قال فورستر بحنق، «لقد سبق وأخبرتك أنني لست مستعداً لمناقشة القرارات التي اتخذتها مع أحد، أو تبريرها لأي كان، سوف أغادر هذا العالم بعد أن أسلم تلك المقتنيات القيمة من سيحافظ عليها بشكل صحيح»

«ولكن يبدو أن أحد هم لا يوافقك الرأي»

تنهى فورستر بتذمر

«تسربت هاين، لست حقا بهذه السذاجة، أليس كذلك؟»

«أنا لست ملماً بخضايا عالمكم، فأنا أقوم بنقل بضائع خاصة بالأفراد والشركات محاولاً أن أبقي يدي نظيفتان لا أكثر»

«حيوانات مفترسة تلك التي تسيطر على عالمي يا تسربت هاين، أناس أثرياء جداً ويريدون اقتناة تحف ثمينة ونادرة، حتى وإن بقيت هذه المقتنيات حبيسة الخزائن للأبد، وحده شعور التملك يثير نشوتهم، وهم مستعدون لدفع أي ثمن مقابل ذلك، وبالمقابل فإن الأشخاص أمثالى اللذين يؤمنون لهم تلك التحف لا يتمتعون بالكثير من الضمير»

«تعنى أن أحد منافسيك حاول الإستيلاء على تلك التحف؟»

«ربما «أجب فورستر وهو يقضم الأظافر المجدبة ليده اليمنى» لقد اختفت على أية حال»

أدار كرييس رأسه إلى الخلف لوهلة، فرأى الوجه المضطرب لتاجر التحف، وأمكنه بالرغم من بعد المسافة نسبياً، أن يشم رائحة بقایا القهوة وأحماض المعدة الخاوية من فم فورستر.

«هل علينا أن ننتظر نفس المصير» وجه سؤاله الحاسم «لم تخبرني أي شيء عن خطورة هذه الرحلة»

«لا أحد يعلم أننا في طريقنا إلى برلين» ولكلم بقبضته ظهر مقعد ريسني.

«لو أردت أخذ وجودك هنا كمعيار، فعلي أن أفهم أنّ ما نقوم بنقله بهذه السيارة يفوق بقيمته ذاك الذي كان موجوداً في الشاحنة التي كانت متوجهة إلى اللوفر» صمت كرييس لوهلة، وحين لم يتلقى ردّاً على سؤاله يستطرد قائلاً «لو أن استنتاجي هذا صحيحاً، فهذا يعني أننا مستهدفين أيضاً، ولو كان الحال كذلك فعلي أن أتساءل لماذا لم يتم تأمين سيارتنا بشكلٍ أفضل!»

ساد الصمت لفترة قبل أن يجيب فورستر.

«لا أحد يعلم شيئاً عن هذه السيارة، لأنني أرافق الشاحنة المتوجهة إلى باريس»

«لقد تم السطو على الشاحنة...» قاطعه كريس

«وماذا في ذلك؟» رد فورستر «لقد كان شبيهه بونتي في الشاحنة الأخرى»

«... شبيهك؟» صاح كريス «لقد قمت بتحضير شبيه لك لهذا الغرض... هذا يعني أنك كنت تتوقع ما سيحدث فعلاً»

«لم يلحظ أحد إنطلاقنا بالأمس من مرآب الفندق في جنيف، كان الشبيه ينتظر في مطعم الفندق، بينما كنا نحن ندخل إلى المراقب، كل العالم يعلم أنني لا أتحرك دون أن يراقبني بونتي. ولهذا كان على بونتي مراقبة الشاحنة الأخرى. فلقد قام بونتي بأخذ الرجل الآخر من مطعم الفندق إلى فيلالي، والحادث هو الدليل على أن خطتي قد نجحت»

«يالي من أحمق، إذ تخيلت إمكانية تورط بونتي بحادثة السرقة عندما كنا في (التوسكانا). يا لي من أحمق» هز كريس رأسه «أما الآن فقد فهمت معنى تصرفك! لقد كنت تعلم أن منافسيك كانوا خلف ذلك الحادث ولهذا لم تبلغ الشرطة...»

شعر كريس بدغدغة في عنقه كان يعرف ذلك الشعور الذي كان دائمًا يعتمد عليه، لقد استخدمه فورستر، لقد خطط الرجل لعملية تمويهه بل أنه استعان بشبيه له في تحقق ذلك، من كان يستطيع فعل مثل هذا، فلا بد وأنه يحسب حساباً لكل شيء.

«كان عليك أن تخبرني» قال كريس بإصرارٍ. فجأة خطر ببال كريس أن فورستر كان يحتفظ به خلال كل السنوات الماضية لهذه الرحلة.

«وماذا؟» ضحك فورستر بمرارة «ماذا كان علي أن أخبرك؟ أنه علينا

أن تكون مستعدين لحادثة سطوٍ، لا تجعل من نفسك أضحوكةً، لا أحد يعلم
بسفرتنا هذه ولا حتى بونتي لغاية مساء الأمس»
«وكيف حدث هذا؟»

«ماذا تعني؟»

«أين وقعت عملية السطو؟ وكيف تمكنا من فعل ذلك؟»

أطلق فورستر بعض اللعنة بصوتٍ منخفضٍ قبل أن يبدأ برواية ما
علمه منذ قليلٍ «بين سانت لورينت وموريتس. حوالي الساعة بعد
انطلاقهم. مع أنني أخبرتهم بأن عليهم أن يأخذوا حذراً»
«منذ متى؟»

«ساعة»

«وكيف؟»

«لقد قاموا بتكتيل الجميع والقائهم في الغابة، وأخذوا بونتي معهم،
أحد الحراس استطاع حل وثاقه، واتصل برئيسيه الذي قام بدوره بالاتصال
بـ»

بصورة غريزية نظر كرييس في المرأة الأمامية، كان الطريق السريع
خالياً باستثناء بضعة شاحنات كانت تسير، وكأنها الأفياح بجانبهم
وأمامهم.

ضغط فورستر هاتقه على أذنه بانتظار أن يرد عليه أحدهم. فجأةً
أغلق هاتقه «لا يوجد إتصال مع بونتي» وبدأ فورستر يقهقه.
كائناً من يكن ذاك الذي قام بعملية السطو فقد نجحت خدعة
فورستر، تابعت السيارة طريقها في ظلمة الليل.



فجأةً إنقسم الطريق السريع إلى مسارين. على اليمين إمتدت مساحاتٌ من العقول تليها غاباتٌ، كانت الأرض غير المستوية، وإشارات تحديد السرعة تشير إلى أن هذا الطريق السريع ما زال يخضع للإصلاحات.

وفجأةً ظهرت أمامه شاحنة ضخمةٌ فرفع كريس قدمه من على دواسة البنزين وضغط على الفرامل. إندفعت الشاحنة ببطءٍ متزايدةً شاحنة (رينو) والتي كانت على المسار الأيمن من الطريق.

«ألا يرون أننا نسير بسرعة كبيرة؟ هذه الشاحنات مزعجة جداً، ألا يمكننا تجاوزها؟» هسأله فورستر.

«وكيف لي أن أفعل ذلك؟» رد كريس. عندما كانوا لا يزالون في (التوسكانا) كان يبدو على فورستر التعب لدرجة أنه كان سينهار في أي لحظة، ومنذ أن وصلوا إلى جنيف تحول بأعجوبة إلى شخصٍ نشيطٍ ورشيقٍ. كان كريس يتساءل أي نوعٍ من العقافير تلك التي كان فورستر قد تناولها حتى يبدو بهذه الحالة الجيدة.

أخذ كريس ينقر بأصابعه على عجلة القيادة مبدياً تذمره، لأن الشاحنة التي تجاوزته لم تكن مسرعةً بما فيه الكفاية. كان فورستر يدمدم دون انقطاع وكأنه كلّ يز默 قبل أن ينقض على فريسته.

راقب كريس شاحنة (رينو) التي تراجعت إلى الوراء وبهذا اتسعت المسافة بينها وبين سيارة (فولفو) التي كانت تسير أمامها لتصبح ملائمةً لدخول الشاحنة بينهما.

«عليك بياعمال الإشارة الضوئية، أطلق بوق السيارة، اقترب منها أكثر أو تجاوزها من على مسار الطوارئ، إنني مستعجل جداً للوصول إلى برلين!»

زاد حنق فورستر عندما لاحظ أن الشاحنة لم تعد على المسار الأيمن، بل حاولت أيضاً زيادة سرعتها لتجاوز سيارة (فولفو).

«هذا لن يعجبه بالتأكيد»

كانت لوحة أرقام السيارة الخلفية متسخةً جداً، وبصعب قراءتها في
عتمة الليل.

استطاع كريس تمييز اسم الشركة اللتوانية ورقم هاتفها وفاكسها،
التي كانت ظاهرة على جانب الشاحنة.

إفترست مقدمة سيارـةـالـ(ـمـرـسـيـدـسـ)ـ منـ مـقـطـوـرـةـ الشـاحـنـةـ بـشـكـلـ
خـطـيـرـ.

«إنه يخفف من سرعته» قال ريتسي
«هـذاـ صـحـيـحـ»ـ قالـ كـرـيـسـ مـنـهـشـاـ وـضـفـطـ بـحـذـرـ عـلـىـ دـوـاسـةـ
الـفـرـامـلـ.

في هذه الأثناء بدأ ضوء الخطر الخاص بالشاحنة بالوميض.
«لـديـهـ مشـكـلـةـ»ـ قالـ كـرـيـسـ،ـ وزـادـ الضـفـطـ عـلـىـ المـكـابـحـ،ـ بـيـنـمـاـ كـانـ يـنـظـرـ
فيـ المـرـأـةـ الـأـمـامـيـةـ.ـ مـنـ الـخـلـفـ كـانـتـ ثـلـاثـةـ أـصـوـاءـ قـوـيـةـ تـقـرـبـ مـنـهـمـ،ـ تـوـقـعـ
كريـسـ أـنـ تـكـوـنـ شـاحـنـةـ وـدـرـاجـةـ نـارـيـةـ.

فـجـأـةـ وـمـضـتـ خـلـفـهـمـ إـشـارـاتـ ضـوـئـيـةـ لـسـيـارـةـ كـانـتـ تـقـرـبـ مـنـهـمـ
بـسـرـعـةـ جـنـوـنـيـةـ وـعـدـوـانـيـةـ.

«أـيـهـاـ الأـحـمـقـ»ـ زـمـجـرـ كـرـيـسـ،ـ عـنـدـمـاـ بـدـأـتـ السـيـارـةـ بـإـعـمـالـ ضـوءـ
المـؤـشـرـ حـتـىـ يـخـلـوـ أـمـامـهـاـ المـسـارـ الـأـيـسـرـ.

دـاسـ كـرـيـسـ بـغـضـبـ عـلـىـ المـكـابـحـ وـبـدـاـ أـنـ الـ(ـمـرـسـيـدـسـ)ـ قـدـ تـوـقـفـتـ
خلـالـ ثـوـانـ مـعـدـوـدـةـ فيـ مـكـانـهـاـ،ـ بـيـنـمـاـ انـخـفـضـتـ مـقـدـمـتـهاـ بـاتـجـاهـ الإـسـفـلـتـ.
«دـعـكـ مـنـ هـذـاـ الـهـرـاءـ!ـ»ـ صـرـخـ فـورـسـتـرـ «ـلـأـرـيدـ أـنـ نـتـسـبـبـ فيـ حـادـثـ

ـالـآنـ،ـ لـابـدـ مـنـ إـيـصـالـ مـاـ نـحـمـلـهـ بـسـلـامـةـ إـلـىـ بـرـلـيـنـ»ـ
ـنـظـرـ رـيـتـسيـ مـنـ النـافـذـةـ،ـ ثـمـ أـشـارـ بـصـيـغـةـ مـفـاجـيـةـ إـلـىـ الـجـهـةـ الـيـمـنـيـ،ـ
ـوـهـنـاـ ظـهـرـتـ سـيـارـةـ الـ(ـبـيـ إـمـ)ـ مـسـرـعـةـ،ـ وـبـدـأـتـ تـزـاحـمـهـمـ مـنـ الـخـلـفـ فيـ نـفـسـ

الوقت علا صوت بوق شاحنة (الرينو) التي كانت قد تأخرت إلى الخلف، لتتبه سيارة (بي إم) التي قطعت خط مسارها.

«ما الذي يحاول فعله؟»

«الأمر واضح» قال فورستر، ونظر بدوره من النافذة «تجاوزه عن اليمين»

«إنه الآن بين الشاحتين على المسار الأيمن، والشاحنة التي أمامنا أعملت أضواء الخطر أي أن لديها مشكلة، وبدأت بإبطاء سيرها. وهناك ستفتح مسافةً لتعود سيارة (بي إم) إلى المسار الأيمن. وبهذا يمكننا التخلص منه، بل علينا فعل ذلك!»

رافق كريس كيف أن سيارة (بي إم) تقترب بشكل كبير من سيارة (الفولفو) التي كانت أمامها، وأصبح بشكلٍ عمليًّا محاطاً بالشاحنات من الجهة الأمامية يساراً ومن الخلف.

«هيا إتبعها» صاح فورستر

أدار كريس (مرسيدس) على جهة المسار الأيمن، فبدأت سيارة (الفولفو) تطلق بوقها. إبتسم بمكر لأنه تمكّن الآن من رد الصاع لسيارة (بي إم) وبدأ بإعمال الإشارة الضوئية بشكلٍ متواصلٍ

«حتى تعلم كيف كان شعوري»

خففت الشاحنة على المسار الأيسر من سرعتها. وأصبحت مقدمة (مرسيدس) على نصف مستوى القماش الذي كان يغطي المقطورة، والذي انفخ بفعل قوة الريح.

وفجأةً بدا أن شاحنة (الرينو) التي كانت خلفهم بدأت تقترب بشكلٍ كبير. نظر كريس إلى عدد السرعة الذي لم يتجاوز الثمانين كم/ساعة، وبدأ بالتناقص تدريجياً. أضاءت مصابيح المكابح الخاصة بسيارة (بي إم)، مما إضطر كريس للضغط على دوامة الفرامل.

«اللعنة!» صاح فورستر عندما إرتد جسده إلى الأمام.
«عفواً»

نظر كريス بعناءٍ من نافذة السيارة، لقد فتح المجال أمام سيارة (بي إم) بينما حافظت الشاحنة الكبيرة في المسار الأيسر على سرعتها وبقيت (رينو) ملائمةً لسيارتهم من الخلف، في حين أن سيارة (فولفو) إنطلقت بعيداً.

ظهر مخروطٌ ضوئيٌّ جديدٌ فالتقت كريス إلى الخلف ليり غرفة قيادة شاحنة (رينو) تطل عليهم، إلا أن مصدر الضوء الجديد كان من دراجة ناريةٍ خرجت من خلف شاحنة (رينو) وقبل أن يدرك ما يحدث إنطلقت عاصفةً من الأصوات باتجاههم.

«أيها الوغد!» صاح كريス.

لقد أضاءت الشاحنة خلفهم كافةً أصواتها، اخترقت تلك الأصوات القمرة الداخلية لسيارة (مرسيدس)، أحرق الضوء الثاقب عيناً كريス فأحنى رأسه إلى الأمام، وخلال لحظات تحول كل شيء إلى سواد. إنطلقت الدراجة النارية إلى الأمام وأصبحت بمحاذاة سيارة (مرسيدس)، كان كريス ما يزال ينظر إلى الأسفل، وبدأت السحابة السوداء أمام عينيه تتلاشى بشكلٍ تدريجيٍّ، وأصبح يامكانه أن يرى عداد السرعة.

كانت سرعتهم تزداد ببطءٍ، في هذه الأثناء صاح ريتسي ومد يده داخل سترته. تحطم زجاج النافذة وارتمى رأس ريتسي إلى جهة اليسار، ورأى كريس الفتحة المحاطة بالجلد المحروق على جبهة ريتسي.

الفصل العاشر

ألمانيا الشرقية ليلة الأحد إلى الإثنين

كان كيث بروود يلوح بسلاحه بطريقة همجية، بينما كان سائق الشاحنة الكبيرة ينصاع مكرهاً لتعليماته، وكان يحدّق به وكأنه يقف أمام تمساحٍ إستوائيٍ ضخمٍ.

لقد أوقفوا شاحناتهم في مرارب أحدى الإستراحات، وانتظروا حتى يبلغهم فريق الدراجات النارية باقتراب سيارة (مرسيدس).

كان صديقه (ليو أرو) على عكسه تماماً، إذ أنه كان خبيراً بالشاحنات ولذا فقد قام بنفسه بقيادة شاحنة (رينو) التي شكلت الجزء الخلفي من الفخ.

«تمهل!» صاح كيث بروود «تمهل أكثر!»

لم يكن له تجربة طويلة في هذا المجال، لقد كانت هذه المهمة الثانية التي تُوكِلُ إلَيْهِ بعد أن خيب ظن رئيس المجموعة (نويل باينبردج) بأدائه السيئ في مهمته الأولى في (لوس أنجلوس)، حين قاموا بتلقين أحد أساتذة الجامعة درساً، لأنه ذم بريتوريين الكتاب المقدس. وفي لحظة ما صاح «توقفوا». لم يرق هذا (نويل) وحتى (باري) مدير أمن البريتوريين، تعلم من هذا الخطأ. واليوم لن يسمح لنفسه بارتكاب أي أخطاءٍ.

ولأن سائق الشاحنة الكبيرة لم ينفع لأوامره مباشرةً، قام بتصويب فوهة سلاحه إلى جبهته.

لم يتمكن السائق حتى من التأوه.

«تمهل أكثر!» صرخ برود بينما كان يراقب سيارة (فولفو) أمامه على المسار الأيمن، لم يستطيعوا اللحاق بالشاحنة، لكنها كانت جزءاً من اللعبة، وكانت تشكل الجزء الأمامي من الخطأ.

كان عليهم أن يسيروا بسرعة أقل حتى يتمكنوا من إحكام حلقة الفخ من الجهة اليسرى.

«عليك يا عمال أضواء التحذير!»

حدق كيث مجدداً في المرأة الخارجية. لقد ضيقوا الخناق على سيار قال (مرسيدس) على المسار الأيمن.

«اللعنونة!» رأى برود كيف أن (مرسيدس) خرجت فجأة عن مسارها، واصطدمت بالدرجة النارية.

في هذه الأثناء إنطلقت يد السائق اليمنى باتجاهه، بينما كانت يده اليمنى ممسكة بعجلة القيادة، كانت الشفرة الصغيرة سوداء وخشنةً ومتصدعةً في بعض الأماكن.

دُهش برود من الألم الذي انتابه في صدره. إستدارت القبضة أمام صدره وشعر بألم كالحرق.

صُبِغَ كل شيء أمام عينيه باللون الأسود، وفجأة أصبح غير مبالياً بدخول الشاحنة إلى المسار الأيمن لتحتل مكان (فولفو) التي أفسحت المجال أمامهم، ساد الصمت، وتدحرجت الشاحنة دون إعمال المحرك.

إنحنى السائق من فوق جسد كيث برود، ودفع بباب مرافق السائق إلى الخارج.

دفع ببرود . ثم أحس بركلةٍ في ظهره، وسقط على الإسفلت. ثم شعر
ببرودة!

تنشق الغازات المتصاعدة من عوادم السيارات.

بدأت أصوات الشاحنة تصغر شيئاً فشيئاً وهي تبتعد وكأنها فوانيسٌ
لسفيينةٌ تشق عباب البحر. أين كان أرو والشاحنة؟ أغمض ببرود عيناه
لأبد.

لن يتسعنى لكيث ببرود أن يعرف، أن كل هذه الخطأ لم تكن تعنى
(إيفان داشكو) شيئاً. كان لديه سبب أوحد دفعه لطعنه، لقد تحتم على
إيفان داشكو أن يتحمل الكثير من الضرب والإهانة في حياته، إلا أنه كان قد
قرر مؤخراً أن أي ضرورة ستوجه له مستقبلاً ستتكلف الفاعل حياته.

❖ ❖ ❖

إنقلب ريتسي المربوط بحزام الأمان إلى جهة اليسار، طارت يده
اليمنى الممسكة بالسلاح بشكلٍ نصف دائريٍ في الهواء باتجاه كريس، ثم
ارتطم بعجلة القيادة.

سقط السلاح بين قدمي كريس الذي أبعد يداه على الفور.
ظهرت ذراع من النافذة الجانبية لسيارة (بي إم) وبدأت بإطلاق
النار، تحطم زجاج الواجهة الأمامية ومرت الرصاصات بجانب رأس كريس.
رصاصيةً جديدةً إنطلقت من سائق الدراجة النارية، فحطمت زجاج النافذة
الجانبية. امتزج صرخ فورستر بصوت طقطقة الهواء المندفع من نافذته
وهدير محركات الشاحنة التي لم تهدأ أبداً.

بقوة أدار كريس عجلة القيادة إلى اليمين، فاصطدمت بالدراجة

النارية، وصدر دويٌ من المعدن المحيط بها. إنقلبت الدراجة النارية وارتطمت بالطريق الإسفلتي، ثم انزلقت إلى أسفل الغابة. «تمسك!» صرخ كريس وضغط على دواسة البنزين، فانطلقت (مرسيدس) خارجةً من الحصار الذي أحكم حولها مرتفعةً في الهواء باتجاه الغابة.

حلقت (مرسيدس) لأقل من ثانية، ثم سقطت على الأرض الزراعية. شعر كريس بقوة ارتطام السيارة بالأرض فقد إحساسه في منطقة الحوض من شدة الألم، ثم تبع ذلك صوت فرقعةً مكتومةً، واحتفى وجهه في وسادة الهواء، على المقعد الخلفي كان رأس فورستر يرتد إلى الوراء بقوة، وكأن جلاداً قام بفصل رأسه عن عنقه. تكور على نفسه من شدة الألم.

ترنحت السيارة، ضغط كريس على دواسة البنزين ففُرِّزَتْ (مرسيدس) دفعًّا واحدًّا إلى الأمام، حتى قبل أن تبدأ عجلاتها بالدوران. أبقى قدمه على دواسة البنزين، فأصدر المحرك صوتاً هادراً، وأخيراً انطلقت السيارة باهتزازٍ عبر الحقل.

تطاير رأس ريتسي في كل الاتجاهات، ومع انعدام قوة العضلات، انكسر عنقه مصدراً صوتاً خفيفاً وكأنها طقطقة غصنٍ جافٍ.

بقيت (مرسيدس) معلقةً بشيءٍ ما، وبقيت العجلات تدور حول نفسها بينما ارتفع صوت هدير المحرك، وكأنه العويل. رأى كريس جانب الطريق السريع حيث كانت تقف الشاحنة على بعد ثلاثة متر، وقد ارتسمت ظلالها على الطريق السريع تحت سماء الليلة المضيئة، وكانت أشرطة ضوء إنذارها الأحمر تومض بانتظام.

كانت الدراجة النارية ملقاةً في الغابة، بينما تصدر خيطاً وحيداً من الضوء اخترق ظلام الحقل.

انقضت سيارة الـ(بي إم) بكتافاتها القوية من جهة اليمين، وبشكل مائل على سيارة الـ(مرسيدس).

أمسك كريس بعجلة القيادة بشكل قوي ليتمكن من السيطرة على السيارة، ثم انطلق عبر الحقل، وفي كل مرة كانت السيارة تعلق في أحد الأخداد المنتشرة في الحقل، وتبدأ عجلاتها بالدوران حول نفسها ناثرةً التراب من حولها ثم تتحرر بارتجاج من تلك الحفر.

أبقى كريس قدمه على دواسة البنزين متوجهًا إلى حافة الغابة، والتي بدت وكأنها ظلالً سوداءً في نهاية الحقل، كانت خطته الوصول إلى حافة الغابة، والاختفاء في الظلام الدامس.

كان يتوجب عليه ترك فورستر، فلقد كان تاجر التحف ضعيفً، لدرجة أنه لن يتمكن من السير حتى لمسافة العشرة أمتار. لقد كان فورستر والكنوز التي معهم هدف أولئك الرجال، فلو أنه يسمع لهم بالحصول على كليهما لتوفرت له فرصة للهرب.

عليك دائمًا أن تهاجم مركز العدو بكل قوٍ، تذكر كريس تعليمات مدربه في فرقة الشرطة المتنقلة: التغلب على الخوف هو الطريق الأمثل لبناء الشخصية.

«بالتأكيد لم يكن يقصد تلك القوات الإنتحارية» صاح كريس، وانحرف بسيارته بشكل نصف دائريٍ مبتعدًا عن حافة الغابة حتى أصبحت مقدمة السيارة باتجاه الطريق السريع «إلا أنني لا أنوي الهرب»

على نحوٍ غريبٍ تذكر فجأةً فحص القبول في الفرقة رقم 9 التابعة لحرس الحدود، والطبيب النفسي ذاك الذي تسبب حكمه في عدم نجاحه. (إن تصرفاته الفير مدرورة وقراراته الأحادية تعرض حياة الفريق إلى الخطر).

«الفريق هوأنا» قال كريس بتعجبٍ. كان هرمون (الأدرينالين) الذي انبثت في عروقه يطلب المواجهة لا الهروب.

توجه مباشرةً إلى سيارة (بـ إم).

«ماذا تفعل؟» نعى صوت فورستر من المقعد الخلفي.

«سباق رعاة البقر» صاح كريـس

«هل جنت؟»

«على العكس تماماً، فالهجوم هو خير وسيلة للدفاع، وسيارة (بـ إم) ليست بأقوى من سيارة (مرسيديـس) خاصةً»

سارت السيارات بسرعة كبيرةً باتجاه بعضهما.

قفـزت خيوط النور المنبعثـ من الأضواء المستديـرة لـسيارة (بـ إم) فوق الأـخـادـيد.

كان الهـواء المتـدفق من النافـذـة الأمـامـية المـحـطـمة لـسيـارـةـ، يـرـتـطمـ بـوجـهـ كـريـسـ منـسـحـبـاًـ عـلـىـ جـلـدـهـ، انـحـنـىـ إـلـىـ الأـمـامـ وأـخـذـ يـتـلـمـسـ منـطـقـةـ الدـوـاسـاتـ باـحـثـاًـ عـنـ سـلاحـ رـيـتـسيـ حتىـ وـجـدـهـ.

إـنـدـهـشـ عـنـدـمـاـ أـمـسـكـ بـمـسـدـسـ (ـكـورـثـ).ـ يـبـدـوـ أـنـ رـيـتـسيـ كـانـ خـبـيرـاـ فيـ هـذـاـ المـجـالـ،ـ كـانـ مـصـنـوـعاـ بـالـكـامـلـ مـنـ الـحـدـيدـ الـمـطـرـوـقـ عـلـىـ الـبـارـدـ،ـ بـيـنـمـاـ كـانـتـ قـبـضـتـهـ مـنـ خـشـبـ الـجـوـزـ،ـ وـيـحـتـوـيـ عـلـىـ نـظـامـ أـمـانـ دـاخـلـيـ حـتـىـ لـيـفـقـدـ الـرـامـيـ فيـ الـأـوـقـاتـ الـعـصـيـةـ رـأـسـهـ،ـ عـنـدـمـاـ كـانـ كـريـسـ لـاـ يـزـالـ فيـ وـحدـةـ الشـرـطـةـ الـمـتـنـقـلـةـ كـانـ يـحـلـ بـاـمـتـلـاـكـ مـثـلـ هـذـاـ السـلـاـحـ.

«لا تـفـعـلـ!» صـاحـ فـورـسـترـ.

لمـ يـكـنـ يـفـصـلـ السـيـارـاتـ عـنـ بـعـضـهـماـ سـوـيـ مـائـةـ مـتـرـ.

«هلـ أـنـتـ خـائـفـ؟» ردـ عـلـيـهـ كـريـسـ

«ـكـلـاـ!ـ إـلـاـ أـنـيـ أـرـيدـ إنـقـاذـ التـحـفـ!ـ»

«ـوـكـيـفـ ذـلـكـ؟ـ يـبـدـوـ أـنـ الـطـرـيـقـ سـيـنـتـهـيـ هـنـاـ»

«ـسـأـقـدـمـ لـكـ عـرـضـاـ!ـ»

«ـجـيـدـ!ـ» أـجـابـ كـريـسـ عـرـضـ جـديـدـ كـالـذـيـ نـحـنـ فـيـهـ الـآنـ!ـ»

«يمكناك النجاح، بشرط أن تتمكن من الإفلات منهم الآن، وأن تبقى على قيد الحياة!»

ضحك كريس بصوتٍ مرتفعٍ، ثم قام بسحب ملقم المسدس ثلاث مراتٍ.
«تمسك!» صاح كريス.

لم يتبقى سوى بضعة أمتارٍ تفصل بين السيارتين، عندما انحرفت سيارة (بــي إم) عن مسارها باتجاه اليمين.
«جبناه!» صرخ كريس.

ثم ارتطمت مقدمة (مرسيدس) بالجناح الأيسر الأمامي لسيارة (بــي إم). صم الصوت الناتج عن ارتطام الحديد أذني كريس، فصرخ بصوتٍ عالٍ. ارتفع عن مقعده إثر الصدمة، إلا أن حزام الأمان سحبه إلى مكانه. ارتعج رأسه للأمام والخلف، ثم ارطم بساندة الرأس الخلفية المثبتة بمقعده.

مالت سيارة (بــي إم) جانباً، وأدار السائق عجلة القيادة لتجنب ضغط سيارة (مرسيدس)، وفجأةً أسرعت السيارات باتجاه طريق السفر. رفع كريس يده اليمنى وأطلق النار، فاتجهت الرصاصة من أمام جثة ريتسي، وخرجت من النافذة باتجاه سيارة (بــي إم)، ثم أدار (مرسيدس) إلى اليمين ليتصدمها مجدداً، ارتطمت السيارات ببعضهما، خفف سائق (بــي إم) من سرعته فتراجع سيارته إلى الخلف قليلاً، وبعد برهةٍ بدأ يتصدم سيارة (مرسيدس) من الخلف، مرةً، اثنتان.

ثم مالبشت أن اخترقت رصاصةً حديد السيارة سارت السيارات بسرعةٍ فوق الجسر الذي بلغ ارتفاعه المترین، ولم يكن مائلاً بشكلٍ حادٍ، فلو أن كريس يتخذ الزاوية الصحيحة لنجح الأمر.

دس المسدس تحت فخذه الأيمن، وتمسك بعجلة القيادة بقوٍّ.

انطلقت السيارة بأقصى سرعة فوق الجسر المائل. بدأت مؤخرة السيارة بالاهتزاز بقوةٍ ثم تحطمـت، وانقسمـت إلى جهة اليمين منزقةً إلى الأسفل. خرجت العجلة الأمامية اليسرى من على حافة الجسر، وتعلقت في الهواء، بينما كانت العجلة اليمنى تدور على الحافة.

«هيا!» صاح كريـس. انطلقت (مرسيـدس) دفعـةً واحـدة على الجـسر مرـتـطمـةً بـالـطـرـيقـ الإـسـفـلـيـ، إـلـاـ أنـ حـاجـزاًـ ضـخـمـاًـ كـانـ يـسـدـ الطـرـيقـ، إـنـهـاـ شـاحـنـةـ (رـينـوـ). كـانـتـ أـضـوـاءـ التـحـذـيرـ مـازـالـتـ تـوـمـضـ فـيـ عـتـمـةـ الـلـيلـ.

أـدـارـ كـريـسـ عـجلـةـ الـقـيـادـةـ إـلـىـ الـيـمـينـ. اـرـتـطـمـتـ سـيـارـةـ (مرـسيـدـسـ)ـ بـخـطـافـ الشـاحـنـةـ الـخـلـفـيـ، وـارـتـدـتـ كـالـكـرـةـ بـاتـجـاهـ الـيـمـينـ. بـعـدـ أـجـزـاءـ مـنـ الـثـانـيـةـ عـاـوـدـ إـطـلـاقـ النـارـ بـاتـجـاهـ الـجـسـرـ. جـلـجـلـ صـوـتـ مـكـتـومـ، ثـمـ انـزـلـقـتـ جـثـةـ رـجـلـ عـلـىـ غـطـاءـ مـحـرـكـ السـيـارـةـ، بـيـنـمـاـ اـخـتـرـقـ رـأـسـهـ الزـجاجـ الـمـهـشـ لـوـاجـهـ السـيـارـةـ، فـهـزـقـتـ حـوـافـ الزـجاجـ الـمـكـسـورـ وـجـهـ الرـجـلـ وـشـرـيـانـ عـنـقـهـ. وـعـنـدـمـاـ اـنـدـفـعـ الـجـزـءـ الـعـلـوـيـ مـنـ الـجـثـةـ إـلـىـ الدـاخـلـ، وـارـتـطـمـ بـجـهـةـ رـيـتـسـيـ تـنـاثـرـتـ الدـمـاءـ عـلـىـ وـجـهـ كـريـسـ.

إـنـهـ سـائقـ الشـاحـنـةـ، هـكـذـاـ خـمـنـ كـريـسـ.



انـزـلـقـتـ الشـاحـنـةـ مـنـ عـلـىـ الـجـسـرـ، وـسـرـعـانـ مـاـ لـاحـظـ كـريـسـ سـيـارـةـ (الـبـيـ اـمـ)ـ تـنـطـلـقـ أـسـفـلـ الـجـسـرـ بـمـحـاـذـةـ طـرـيقـ السـفـرـ. ضـفـطـ كـريـسـ عـلـىـ الـفـرـامـلـ وـأـدـارـ السـيـارـةـ بـاتـجـاهـ الـيـسـارـ، إـلـاـ مـحـرـكـ السـيـارـةـ لـمـ يـعـدـ يـمـتـلـكـ الـقـوـةـ الـكـافـيـةـ. كـانـتـ الـعـجـلـاتـ الـيـسـرىـ تـدـورـ فـيـ الـهـوـاءـ، اـزـدـادـ اـرـتـفـاعـ السـيـارـةـ، تـجـاـوـزـتـ النـقـطـةـ الـحـاسـمـةـ، وـبـدـأـتـ بـالـدـوـرـانـ

حول محورها الطولي، ثم هوت من على حافة الجسر منقلبة على سطحها، بينما بقيت العجلات تدور في الهواء باتجاه الأعلى، ثم بدأ المحرك بإصدار صوتٍ متقطعٍ، وكأن البنزين لم يعد يصله.

جلس كريس برأسٍ مائلٍ إلى الأمام، وقد شدَّ الحزام ليقيه ثابتًا على المقعد، كما حال ريتسي إلى جانبه.

كانت جثة سائق الشاحنة قد رميَت إلى الخارج على أثر قوة الارتطام. و على المقعد الخلفي لم ينبع فورستر بینت شفة. حدق كريس يأضواء فرامل سيارة(بي إم) والأبخرة المنبعثة من العادم.

طقطق محرك سيارة(مرسيدس) للمرة الأخيرة، ثم صمت كما صامت محرك سيارة(بي إم) أيضاً.

فجأةً ساد الصمت أرجاء المكان. فُتحت أبواب سيارة(بي إم) ببطءٍ، أرجلٌ خرجت من كل جهةٍ، ولم يتمكن كريس من رؤية المزيد.

«اللعنة!» هسَّس كريس «لقد انتهى أمرنا، كل هذا لأجل بضعة ألوانٍ طينيةٍ حُفر عليها بعض الخدوش»

«تذكرة العرض!» همس فورستر بصوتٍ منخفضٍ، حتى أن كريس بالكاد سمعه.

كانت أذني كريس ممتلئةً بالدماء، وكان يسمع كلام فورستر، وكأنه صوتٍ شبح.

«أيها الوغد»

ترددت السيقان قليلاً، ثم اقتربت ببطءٍ من سيارة(مرسيدس). كان شعاع الضوء المنبعث من مصباح جيب يحمله أحد هم يتجه نحو الأرض، وأضاء لدقائقٍ على حذاء قتاليٍ ذو أريطةٍ سميكةٍ.

ترددت الأرجل مجدداً.

بدأ كريس يتلمس كل ما حوله. ولكنه لم يستطع إيجاد المسدس. استمر في البحث، وأخيراً لامست أصابعه خشب الجوز الخاص بقبضة السلاح، كان لا يزال المسدس تحت فخذه، إلا أنه انزلق للأعلى قليلاً، ثم أمسك به.

«دعك من هذا!»

كان الصوت بارداً جداً وآتياً من جهة اليمين.

أطلق كريس اللعنة

لقد أضاع وقته بمراقبة ذاك الرجل الذي يحمل مصباح الجيب، بينما صوب الرجل الآخر سلاحه باتجاه كريス مرتكزاً على حافة نافذة باب مراقب السائق.

كان وجهه مثلاً، يتضليل عرقاً و يبدو عليه التوتر.

«سأطلق النار إن أنت قمت بأي حركةٍ، مفهوم؟»

كان كريس يسمع ضجيج طريق السفر، الذي تعلالت منه أبواب السيارات والشاحنات، التي كانت تمر بجانب الشاحنة المتوقفة إلى جانب الطريق.

تقدم الرجل بخطوةٍ أخيرةٍ من جهة اليمين، ثم جثم هو الآخر على الأرض.

«إنه نهاية السباق أيها الأحمق»

إنه حقاً وجهٌ إجراميٌ، فكر كريس لا إرادياً.

أنفٌ مكسورٌ، تقسيم وجهٍ غير متناسقةٍ وتعابيرٌ غبيةٌ. هذا النوع من الأشخاص كان يتوقع منه كل شيءٍ.

وهذه المرة كان توقعه في مكانه.

«أعطني سلاحك بهدوءٍ»

خلف كريス دُوّي صوت طلقة، فانتقض جسده، أدار الرجل ذو الملامح الإجرامية وجهه بذهولٍ. تحولت فوهة السلاح بضعة سنتمرات جانباً، جر كريス يده اليمنى باتجاه الصدر وأطلق النار. اخترقت الرصاصة عنق المجرم الجاثم، وألقت قوتها بالرجل إلى الخلف.

استدار وجه كريス إلى الجهة الأخرى، كان رجل العصابة ما زال جاثماً أمام النافذة الجانبية، إلا أن فمه كان ممتئاً بالدماء، وفجأةً هوى جانباً على العشب.

انزلق المسدس من يد فورستر، وارتطم بالسقف الداخلي للسيارة، ثم قال لاهثاً «ما زال أمامنا صفةٌ لتنهيها»

❖ ❖ ❖

جلس الرجلان على العشب متكمان بظهريهما إلى سيارة (مرسيدس) المقلوبة، كان كريس يحمل زجاجة مياه مما كان فورستر قد أحضره معه.

«هل سنقوم بعمل الصفة؟»

كان فورستر يتنفس بصعوبة، فقد أصابته إحدى الرصاصات الأولى في بطنه، إلا أنه رفض أي معالجةٍ لجرحه.

«كلا»

«ولماذا؟»

«هكذا»

«إنها صفةٌ نزيهةٌ»

إبسم كريس بمرارةٍ، فقد كان الرجل في اللحظات الأخيرة من حياته.

«صفقةٌ نزيهةٌ، كالتي نراها هنا، الأولى بك أن تسميها عمليةٌ
التحارية»

«سوف تقوم بإيصال كنوزي إلى متحف برلين، وتسلمها للشخص
الذي سأعطيك اسمه، ثم تستلم مبلغاً كبيراً من المال، به تستطيع أن تمضي
بقية حياتك دون الحاجة إلى عملٍ، أو أن تقوم بإعادة بناء شركتك بشكلٍ
جيدٍ»

«سأسافر إلى برلين، وسيتم القبض علىي، هذا إن تمكنت من
الوصول إلى هناك أصلاً»
«إنك لا تفكر بشكلٍ منطقيٍ»
«ولكن أنت!...»

إنتابت فورسترنوبيةٌ من السعال خرج خلالها الدم من فمه.
«لن أبقى على قيد الحياة حتى برلين، وبذلك سأوفر على نفسي
عناء تجرع كأس السم، الذي كان من شأنه أن يقتلني. ولأكن صريحاً، فلقد
كنت أخشى مواجهة تلك اللحظة، إلا أن كل شيءٍ سينتهي هنا»
أدأر كريس وجهه، وانقض جسده لشدة الألم، فلقد انخفض معدل
الأدرينالين في دمه، وعاود الألم إرسال إشاراته إلى الأعصاب.
«كم أنت متشوقاً إلى الموت»

«إنها أمنيتي الأخيرة، عليك إيصال كنوزي الفنية إلى برلين،
وستحصل على المال الذي يقدم لك، إن لم تكن جشعًا فسيدفون لك مبلغاً
جيداً، وسيكون على أية حال أقل بكثير من المبلغ الذي تفاوضت معهم
بشأنه»

انتظر كريس لبرهة، وبعد لحظات بدأ تاجر التحف يئن من الألم.
«لقد توصلت معهم إلى مبلغ (عشرة ملايين يورو) ليقدم كtribut
ليونسكو واليونيسيف، للمساعدة في إعادة إعمار العراق، وهذا لن يتحقق

الآن، إلا أن منظمات المساعدة ستحصل على كامل ثروتي بكل الأحوال، كل شيءٍ مرتّبٌ، المهم أن يتم عرض مقتنياتي، هذا هو ما أريد»
«إنك تهذّي»

«إنهم في برلين يتوقون بجنونٍ للحصول عليها... صدقني» ضحك فورستر «وغيرهم أيضاً يتمنون ذلك، فهذه التحف لن تكرر ثانيةً، عليك فقط أن تكبح جماح طمعك وأن لا تطلب الكثير»
«وماذا لو أنهم لا يريدونها؟»

«عندما سيكون لديك الحق في بيعها إلى أي متاحفٍ يدفع لك المبلغ الأكبر، أو أن ترسلها إلى إسبانيا أو إيطاليا»
نظر كريس إلى فورستر بصبر.

«ولكن لدي شرطٌ وحيدٌ. لا تبعها تحت أي ظرفٍ من الظروف إلى تجار الآثار، أو إلى جامعي التحف، أو هواة جمع المقتنيات، ولكن يمكنك التهديد بذلك» استدارت عيناً فورستر وكان يلهث من الإجهاد.

«أريد أن تصل تلك المقتنيات الثمينة إلى المتاحف العامة، بحيث يستطيع أي زائرٍ رؤيتها والانبهار بجمالها وروعتها»
«ما أزال لا أفهم...»

«ليس من الضروري أن تفهم، في برلين س يتم المحافظة على تلك التحف البابلية، لذلك عليك أن تذهب إلى هناك، وبالتحديد إلى بوابة عشتار»

«لا شيء يضمن لك أنني سأفعل ما تطلبه مني»
«إنك واهم، إنني أعرفك جيداً، لو كان ريتسي مكانك ربما كان سيقوم بما تحاول التلميح إليه، لكن ليس أنت! وما تعتقد أنه كان السبب وراء إعطائي إياك المهام، واختبارك طوال الفترة الماضية؟ لقد قمت بالخطيط منذ زمنٍ طويٍّ لهذه اللحظة، حتى لو أنتي لم تأتيني أن تكون

النهاية على هذا النحو» عاود فورستر السعال مجدداً «بالإضافة إلى أنك فرصتي الأخيرة»

«كم هذا حقيقي» وقف كريس وهو يحدق بناجر التحف من الأعلى
« هنا ينتهي كل شيء، لا يمكننا إخفاء ما يحدث هنا»

«عليك الانطلاق فحسب» رفع فورستر عيناه للأعلى ناظراً إلى
كريس «لا يوجد ما يدل على تورطك! وبونتي سيصمت! إنه حارسي
الشخصي، لقد أوصلتمني إلى جنيف، وسنقوم بمحو آثارك، لم تكن يوماً
هنا، هنالك شاحنتان ستقومان بعملية التمويه بينما تمضي أنت وحدك مع
التحف إلى برلين، عليك فقط المضي قبل أن يظهر أي أحد»
هز كريس رأسه «وماذا عن الأشخاص الذين أحدثوا كل هذا؟ هل
سيقومون أيضاً بـ...»

«وكيف ذلك؟ من يدري بسألتك؟ حتى لو أن أحدهم كان يراقبني...
ففي جينيف كنت أنت في الفندق، ولست في فيالتي. لقد أمرتهم بتبديل
السيارات، لم يرك أحد. ومن ذا الذي سيعرفك؟»
«و من هؤلاء؟ بهذا المقطع...محاولات للسطو...»

زم فورستر شفتيه «إنهم منافسين، أوغاداً! لقد قمت على مر أشهر
بالتفاوض مع متاحف (اللوفر وبرلين)، لا بد وأن شيئاً قد تم تسريبه إليهم،
وإلا لما وجدتهم هنا اليوم»

«لقد قمت منذ البداية بترتيب كل شيء... كل خطوة، حتى أنك
حسبت حساب ما حدث هنا»

«فلنلقي أني لم أخرجها من دائرة الاحتمالات. وماذا في ذلك؟»

صمت كريس مستغرقاً بالتفكير.

«لن أتمكن أبداً من بيع الآثار»

«هراءً، عليك أن تعرف هذا جيداً من خلال خبرتك في عملك السابق. إذا كانت المتاحف تشتري من لصوص المقابر وسارقي القبور فلماذا ليس منك؟» زم فورستر زوايا فمه إلى الأسفل بغضبٍ «خذ رقم الهاتف هذا، إنه للبروفيسور (سولنر)، وسترى أن طمعهم سيكون في مصلحتك، بالإضافة إلى ذلك فإن كل هذه التحف هي ملكي. صحيح أنها مسروقة ولكن حسب كل القوانين الدولية فإن ملكيتهااليوم تعود لي، لا يمكن لأحد أن... إنك تحقق الأمنية الصادقة والأخيرة لرجل يحضر» سعل فورستر مجدداً، مضى وقتٌ ليس بقصيرٍ قبل أن يطلب فورستر من كريس أن يحضر له حقيبته الجلدية من السيارة. كان على كريس أن يفتح القفل، ثم سحب فورستر بآيدٍ مرتجلةٍ بضعة أوراقٍ من الحقيبة.

«إقرأ»

حدق كريس بالأوراق، ثم جلس القرفصاء إلى جانب فورستر ليتمكن من القراءة، مستعيناً بالضوء المتسرب من داخل السيارة، كان عقد بيع بحث فورستر بعنة داخل جيب سترته وبهدوء سحب قلماً. أخذ العقد وكتب اسم كريس في المجال الفارغ لتعبئة الاسم على العقد، ثم ملأ في إحدى الفراغات أسفل الصفحة مبلغ الشراء. وضع فورستر إمضاءه على الصفحة الأولى ثم الثانية، ثم كتب اسمه لإبرام العقد.

«خذ» مد فورستر يده بالعقد إلى كريس «بمجرد توقيعك على هذا العقد، فسيصبح كل شيء ملكك. كان من المفترض أن يكتب اسم المتحف على هذا العقد، إلا أن اسمك قد حل محله الآن، ستأخذ نسخةً من العقد، لتضع اسمك كبائعاً، واسم المشتري عليه، ومهما حدث عليك أن تُبقي خانة السعر فارغةً، إنها مهمتك!»

«لن ينفع هذا أبداً»

«لماذا؟ إن بنود العقد واضحةً تماماً، يمكنهم التأكد من صحة توقيعي

في أي وقتٍ، من خلال محاميي، من بونتي أو من موظفي، أو من مصرفي، من أي جهةٍ، بضريبة واحدة ستزول كل الصعاب»
فكَرَ كريس بمشاكل شركته، بالمهام المتوقفة، وبأحلامه التي لم تتحقق.

«على التفكير ملياً إن أنا أردت أن...»
«تذكرة أن عليك الاستعجال. لأنك لم تكن هنا أبداً»
تدمر كريس ثم مضى.

كانت جثة سائق الدراجة النارية ملقاةً على بعد خطواتٍ منهم، وكان القناص المدد على الأرض لا يزال يحتضن سلاحه. إنزع كريス السلاح من القناص، وفتح في ثيابه عن ذخيرة احتياطية، ثم رفع الخوذتان الواقيتان عن رأسِيِّ الجثتين، رفع الدراجة وحاول تشغيلها عدة مراتٍ، ثم قادها باتجاه سيارة المرسيديس.

«هل فكرت بالأمر ملياً؟» سأله فورستر بصوتٍ مبحوحٍ «لقد حان وقتِ رحيلي، وعلى أن أعرف قرارك. بموافقتك فقط سأتمكن من احتمال ما ينتظري في الجحيم»

كان كريس ما يزال متربداً، إن استطاع تحقيق كل ما طلبه منه فورستر فسيتمكن من الخروج من كل مشاكله، أما إن أخفق في ذلك فعندها سيفٌ كما هو الآن.

«حسناً، سأفعل»

ابتسم فورستر بارتياح.

«حسناً. إذاً سأحصل منك الآن على يورو واحدٍ»
نظر كريس إلى تاجر الآثار بارتياح.
«أنا جادٌ في طلبي فعلًا»

آخر كريس يورو من جيبيه، ورمها في يد فورستر.

«دس يدك في الجيب الأيسر الداخلي لستري»
انحنى كريس، وأخرج ظرفاً من جيب فورستر.
«في هذا الظرف ستجد اسم ورقم هاتف الشخص الذي ستقوم
بالاتصال به في برلين، أحضر الصندوق»

كانت حقيبة السيارة عالقة، فلم يستطع كريس فتحها، وبعد محاولات
عدة استطاع أن يفتح جزءاً صغيراً منها، ولأن السيارة كانت مقلوبةً، انزلق
الصندوق الخشبي إلى الزاوية إلا أن الفتحة كانت ضيقةً جداً.
جثم كريس على ركبتيه، وأدخل يده في فتحة حقيبة السيارة، وبدأ
يسحب القطع الأثرية واحدةً تلو الأخرى، ثم أفرغ الكيس الذي كان يحتوي
على بعض الأطعمة والأشربة الخاصة بفورستر، ووضع به التحف.

«كم يؤلمني أن أراك تتعامل مع هذه الكنوز بتلك القسوة»
«هل لديك فكرةً بديلة؟» دمدم كريس بعصبيةٍ، وتقدم من فورستر
الذي رفع يده اليمنى بإعفاء إلى الأعلى.

«أود إلقاء نظرةً أخيرةً فحسب» قال فورستر بصوتٍ مبحوح «لمسةٌ
أخيرةً، أرجوك»
أومأ كريس موافقاً، ثم نزل إلى فورستر، وبدأ بإخراج القطع من
الكيس. لمعت عيناً تاجر الآثار الذي بدأ ولمرة الأخيرة يتلمس أسطع
الألوان الطينية ببرؤوس أصحابه.

و فجأةً سحب يده وقال «خذ معك جواز سفر ريتسي»
«ماذا؟» سأله كريس وهو يرمي كريس بنظرةٍ تنم عن عدم الفهم لما
يريد منه، بينما بدأ يعيد التحف إلى الكيس مرةً أخرى.
«هيا افعل، إنه تقريباً بنفس سنك. حتى وإن كانت الصورة
مختلفةً... لا يمكن للمرء توقع ما قد يحدث...»
بحث كريس في سترة ريتسي حتى وجد جواز السفر.

«ليس سيئاً» تتمم كريس، عندما وجد جواز السفر الدبلوماسي الصادر عن جمهورية مالطا.

«اليس كذلك؟» ضحك فورستر، وسحب جواز سفره بعثاء من جيب سترته «ألق به في سيارة المرسيدس، ولا تنسى أن تأخذ جوالك وسلاحك معك»

«ليس في نية أن أخوض حرباً»

«عليك أن تُحضر كل شيء» قال فورستر وقد بدا عليه الارتياب. «ساعدني. فلم يعد بإمكانني النهوض، خذني إلى سيارة (بي إم)» أمسك كريس بفورستر من تحت إبطيه وجره إلى السيارة، أطبق تاجر الآثار أسنانه على بعضها مصدرًا أثيناً حافظاً.

«ما زال ريتسي يجلس في المكان الخطأ، يجب أن يكون على مقعد السائق»

توجه كريس إلى سيارة (مرسيدس) وسحب الحارس بصعوبة إلى مقعد السائق.

«ابحث عن صفيحة الوقود الاحتياطية في سيارة (بي إم)، فإن لم تجدها هناك فعليك البحث في الشاحنة، إنك تعلم...؟» أومأ كريس موافقاً، ثم بحث في السيارة، وبالفعل وجد صفيحة الوقود، ثم صب الوقود على سيارة (مرسيدس) وأخيراً قام بمد خط من الوقود باتجاه فورستر.

أصبح كريس جاهزاً، قام يابعاد الدراجة النارية عن المكان. ثم أدارها، وجهزها للانطلاق. عاد إلى فورستر.

«والآن عليك أن تفادر المكان» أشار له العجوز بيده «لا حاجة للدموع، فإننا لم نكن قريبين من بعضنا لهذه الدرجة حقاً»

لاحظ كريس وجود المسدس بجانب فورستر، إنه ذلك السلاح الذي استخدمه تاجر الآثار من قبل لإنقاذ حيائهما.

«إنه هنا لاستخدامه في حال أن الأمر لم يتم بسرعة، فأنت ترى أنني ما أزال على قيد الحياة، بالرغم من إصابتي القاتلة في البطن، أم أنك تريد أن تتولى الأمر؟»

تلاقت نظرات الرجلين.

«كلا»

انحنى كريス وهمس في أذن تاجر التحف. ضحك فورستر بصوت عالٍ ثم أجابه بكلمة واحدة. أومأ كريس ثم استقام، وألقى نظرةً إلى الولاعة التي كانت بيد فورستر، ثم ذهب. ركب على الدراجة النارية، وانطلق دون أن ينظر خلفه.

بقي فورستر جالساً على الطين ومسندًا ظهره إلى سيارة (بي إم) بينما كان يقبض بيده على اليورو، الذي كان قد ريحه من صفقته الأخيرة. ضحك فورستر ببرضا، ثم شحد الولاعة فالتهمت النار خيط الوقود. انفجر خزان الوقود الخاص بالـ(مرسيدس) فتصاعدت ألسنة اللهب إلى السماء، ونمطى دوي الانفجار على صوت الطلقة التي خرجت من المسدس.. أربعين جسد كريس لوهلة عندما سمع دوي الانفجار الصادر من خلفه، رنت كلمة فورستر الأخيرة في أذنه عندما سأله «هل بقي ما تخفيه عنِّي؟»

«الكثير»

الفصل الحادى كلى

الفاتيكان الإثنين

في البداية رأى العصا المقوسة، فتبدادر إلى ذهنه عصا الأسقف ولكن هذه كانت مختلفةً، بسيطةً، وغير مُلبسة بقشور الذهب، وبدون زخارف عاجية، ولم تكن لها تلك الرأس الحلوذنية المعروفة. كانت مستقيمةً نوعاً ما، ولم تكن تشبه تلك العصي التي تُصنع باستخدام أدوات معينة، بل انتشرت عليها عقد، وكأن فروعاً كانت تريد أن تنمو منها ولكنها قُطعت.

كانت العصا ملساءً بطريقة ملفتة، وخصوصاً في جزئها العلوي قبل بدء انحناء رأسها بقليل. كان ذلك الموضع أملساً جداً، وكأنه قطعة من الماس المشذب... ماسةً سوداءً، حيث أمسكته الأيدي لملايين المرات. فلقد صبغتها قذارة الأيدي بلونِ داكنٍ، لم تكن عصا الأسقف. فيداه لم تكن قذرةً. وغير ذلك فإن لونها كان رمادياً غامقاً، وبasisةً مجردةً من لحاظها، وتلونت بفعل الضوء والأمطار.

اتسع رأس العصا الدائري ليصبح على شكل جاروف أشبه بالمجداف، كان يستخدمه للحفر في الأرض باحثاً عن المياه ليُسقي قطيعه عند نقص المياه السطحية.

ثم رأى الرجل الذي كان يحمل عصا الجاروف. كان ذلك الرجل متوسط الطول فعلاً، كان يعرفه، لقد رأه عشرات المرات لحد الآن، أم أنها كانت أكثر من ذلك.

إنه يرتدي ثياباً بسيطةً خاليةً من الألوان، منسوجةً من صوف الحيوانات، مطرزةً برسومٍ من الخيوط الذهبية التي لمعت تحت أشعة الشمس، حذائه من الخوص الجاف المجدول بشكلٍ أنيقٍ، وغطى رأسه بقطعةٍ من القماش البسيطة لحمايته من حرارة الشمس.

كان وجهه مستطيلًا وجسده قوياً، وكانه معتادٌ على العناء والعمل الشاق، وكانت عضلات ساعده تبرز عند أي حركة يقوم بها تحت لهيب الشمس الساطعة، بدا وجهه الجاف وكأنه قطعةٍ من الجلد التي تلونت بالسمرة، لم يتمكن من تقدير عمر ذلك الرجل.

اتسعت الصورة أمامه حتى ظهر قطبيع الأغنام، كالعادة. كانت تجتمع إلى جانب بعضها البعض وترعى بحثاً عن العشب الطري. اختار القطبيع موضعًا جيداً، فلقد كانت الأرض الرملية مليئةً بالأعشاب.

وقف الرجل متكتئاً على عصاه، وملقياً بالنصف العلوي من جسده على الجزء المستقيم من العصا ومسكاً بها بكلتا يديه، بينما كانت النهاية الدائرية للعصا ترتكز بشكلٍ مائلٍ على الأرض.

وقف وسط القطبيع، وكانت حفر الماء تنتشر في أرجاء المراعي. كان يراقب جميع الخراف وينظر بفضولٍ، حين ظهر قطبيع آخرٍ من جانب النخلة وعلى بعد مائتي خطوةٍ منه ويدأ بالاقتراب.

صفر الراعي، فظهر كلبان في المشهد، كانا ذا وجهين ذئبيين، وبينما حاصر أحدهم القطبيع على الفور، عدا الآخر بصحبة الراعي باتجاه القطبيع الجديد، وقاما معاً بمطاردة الخراف باتجاه قطبيعهم، إلى أن تمكنا من ضم القطبيعان إلى بعضهما فاختلطت الخراف.

سمع بندكت صوت ضربات الأجنحة، قويةٌ، عظيمةٌ، وغير متسرعةٌ
بل هادئةٌ، وواثقةٌ كالعادة.

نظر الراعي للأعلى، ما زال يرى بقعةٌ تحلق في السماء، ثم تعاظمت.
خرجت المخالف من قدميه القويتين، ثم رأى المنقار، والعينان الطامعتان
للسيداد الذي جلب الموت معه.

نبحت الكلاب، وبدأ الراعي يهروي بين خرافه.
حمل حجراً بجروفه، وألقاه باتجاه النسر في اللحظة التي اقترب
فيها من الأرض، ألقى بحجرٍ ثانٍ ثم بأخرٍ.
زعق النسر بصفيرٍ عالٍ، وقطع طيرانه باتجاه الأرض مستديراً
برشاشة في الهواء.

اتكأ الراعي مجدداً على عصاه، وهو ينظر بمحبةٍ إلى قطيعه الذي
ازداد عدده بشكل ملحوظ.

مر وقتٌ طويلاً دون أن يحدث شيءٌ، ثم عاود الراعي التحرك.
اقترب قطيع آخرٍ من بين تلال الرمال، على شكل مجموعاتٍ وأفرادٍ
سارت الخراف عابرةً المرعى باتجاهه.

رافقها الراعي، لا يوجد مع ذلك القطيع أي كلابٍ ولا حتى راعي، إنه
صيدٌ سهل للنسر. صفر الراعي لكلابه، التي انطلقت تطارد الخراف حتى
ضمتها هي الأخرى إلى قطيع الراعي.



انتقض البابا بندكت مذعوراً، لوهلةٌ أضاع شعوره بالمكان، لقد بزغ
فجر يومٍ جديدٍ، وأراد الصلاة في كنيسته الصغيرة الملحقة بجناحه الخاص.

جلس على الكرسي ذا المسند الحديدي، الذي كان في منتصف الغرفة. فجأة انتابه شعور بالقلق، فلقد كانت تلك المرة الأولى التي تكرر فيها هذه الأحلام بشكل مكثف ومتناول.

نهض وتوجه إلى المذبح، حيث كان ذلك الصندوق الصغير المزخرف بقشور الذهب ما يزال في مكانه، وقد وضع عليه صليب خشبي بسيط. فتح الصندوق بينما كان يمسك بيده الأخرى ذلك الصليب المصنوع من الخشب البسيط والقديم جداً، والذي ربما تم حفره في دير (مونت كاسينو) عندما كان القديس بندكت ما يزال على قيد الحياة. وضع الصليب على المذبح، ثم رفع الصندوق الصغير وجر الدرج السفلي المغلق بالملعمل إلى الخارج.

كان بداخله لوحٌ طينيٌّ، طُبع عليه مجموعة من الرموز، وإلى جانبه عدة مخطوطات من الأوراق ذات اللون المُصفر. أخذ المخطوطة الأخيرة وبدأ يقرأ.

لقد كانت واضحةً.

لقد حان الوقت.

ولكن فقط عندما ...



انتظر المونسنيور تيساني في الممر الموجود أمام مكتب البابا، وكان يحدق من النافذة. آلمت عيناه الأشعة الساطعة للشمس التي كانت تتنصف السماء تقرباً. استدار إلى الخلف وهو يفكر بكيفية اختيار الكلمات المنمقة لإعلام البابا بفشله، وتأكيده الولاء له في نفس الوقت.

لقد أجرى ذلك اللقاء مع الناشر الأمريكي نزولاً عند رغبة البابا، إلا أنه وخلال دقائق قليلة سيسقط من نظر قداسة البابا كالسقوط الحر من على حافة الجبل.

تخيل تيساني الوجه الشامته لزملائه القساوسة، والذين طالما كانوا يحسدونه على علاقته بقداسة البابا، والكاردينال ساشي، وثقتهما به من خلال اختياره هو بالذات لأداء المهام الخاصة. كانوا دائمًا ما يحاولون أخذ تفاصيل منه حول ما هو جديداً لاستعماله كمادة للثرثرة في كواليس الفاتيكان، ولكنه كان دائمًا يكتم عنهم ما يعرفه. والآن إن تخلى البابا عنه فسوف يعاني من التلميحات الشامته، ويتتحول إلى أضحوكة الفاتيكان.

لقد بدأ كل شيء في مساء يوم الجمعة ذاك بعد حديثه مع البابا، عندما استدعاه الكاردينال ساشي إلى مكتبه لمناقشة الحوار الذي دار بينه وبين البابا مرة أخرى.

«إن البابا ما يزال حزيناً على سلفه، فلقد كان شديد التقدير لإمكاناته، ولهذا فلقد قرر الاعتكاف في الدير لمدة ستة أشهر. إني أثق بك، ولكن عليك أن تزيل بعض الشكوك المتبقية لدى قداسة البابا، ولتحقيق هذا الفرض سيكون من المجدي أن أطلب منك هذا الطلب» صمت الكاردينال لبرهه «هل أنت مستعد؟»

أومأ تيساني موافقاً، إنه لن يعطي الآخرين فرصة ليشمتوا به.

«إن قداسة البابا ينتظر معلومات هامة، والتي كان من المفترض أن يتم تسليمها صباح هذا اليوم في (غروسبيتو) عند متحف الآثار. معلومات هامة بخصوص العقيدة، إن كنت تفهم ما أعني... إلا أن ذلك لم يحدث، وقداسته في حيرة من أمره. هل تعلم أنه صاح غاضباً عندما أخبره رئيس شرطة الفاتيكان بذلك؟» هز الكاردينال ساشي رأسه غير مصدق لما حدث «لقد كنت موجوداً بالصدفة، وعلى الآن أن أعتني بهذا الأمر... أرجوكم أن

تقوم بهذه المهمة بالنيابة عنِّي، وعليك أن تبقي عيناك متقطتان حتى لا تبُوء مساعينا بالفشل مجدداً. عليك أن تفهم، أنه لا يمكنني كاردِينال أن أصطحب رجلاً أمن عاديين لعملية تسليم... وفي نفس الوقت علىَّ أن أُنفِذ رغبة قداسته! هل تفعل هذا لأجلِّي؟»

وبهذا رافق تيساني صباح يوم الأحد كل من (أوغوستو بيكوريللي) من لجنة الأمن، وهو بمثابة جهاز للمخابرات الوقائية للفاتيكان، (إيجيديو كالفي) أحد الرجال المائة والعشرين الأقوى التابعين لجهاز شرطة الفاتيكان. وبعد كالفي أحد رجال الوحدات الخاصة التي تضم ما يقارب اثنا عشر عنصراً، وقد تم تدريبه وإعداده كفناص لمرافقه البابا أثناء زياراته خارج البلاد، وبهذا فهو يخفف جزءاً من الأعباء الملقاة على عاتق الحرس السويسري.

انتظروا كما كان الاتفاق في (غروسِيتُو)، لم يغفل كالفي للحظة عن مراقبة حقيبة النقود، ومن خلال الرد على أسئلته الحذرة علم تيساني أن بيكوريللي هو من قام بترتيب الاتصالات. لقد تم الحاق بيكوريللي بخدمة الفاتيكان منذ ثلاثة سنوات فقط، بعد أن عمل لحوالي عقد من الزمن مع مجموعة التدخل التابعة لقوات الشرطة الخاصة في مدينة (ليفورنو).

ثم تلقى بيكوريللي اتصالاً من الرجل الذي كان يزوده بالمعلومات، والذي أخبره بأنهم قاموا بتأجيل موعد التسليم مجدداً. أصبح بيكوريللي متوتراً، وهو يحاول تأكيد أن مصدر معلوماته ملتزم تماماً ويمكن الاعتماد عليه. بدأ تيساني يفهم حجم الدور الذي أسنده له الكاردِينال، فلقد كان عليه أن يتحمل مسؤولية الفشل بدلأ عن ساشي، لقد تأكد تيساني من ذلك عندما كانوا يعاودون الانتظار صباح هذا اليوم دون جدوى، ودون أن يتصل مصدر معلومات بيكوريللي ولو لمرة واحدة.

جف حلق تيساني عندما خطر بباله أنه لابد للأمر أن يكون على
درجة عالية من الأهمية، حتى يتم إرسال أحد الحراس الشخصيين للبابا
مع إلجيديو كالفي. ولكن ما هو ذلك الأمر؟ وأي نوع من الاتصالات تلك التي
كان يتمتع بها بيكوريللي، حتى...
هل قام قداسة البابا بارتكاب خطأ ما؟
هل يعاقبه الله؟

الفصل الثاني عشر

ألمانيا الشرقية

الإثنين

بدأ ارتعاش عضلاته المتشنجه يختفي شيئاً فشيئاً، وتناقص الصداع النابض في رأسه مع كل رشفة قهوة.

جلس كريس في الركن الخلفي للاستراحة محتمياً من نظرات الزبائن القلائل الذين تواجدوا فيها. كانت بقايا طعام فطوره ما تزال أمامه على الصينية، بينما ارتشف جرعات صغيرة من القهوة، التي أضاف إليها شيئاً من الكوينياك. لقد استطاع جسده التخلص من كمية الأدرينالين التي تراكمت على مر الساعات الماضية، وبدأ يطلب المزيد من التحفيز. في الماضي كان يقوم برياضة المشي بعد الانتهاء من أي مهمة خطيرة، حتى يتمكن من التخلص من بقايا التوتر.

لم يلحظه أحد، فغالبية الزبائن كانوا يجلسون في الجزء الأمامي من الاستراحة محدقين إلى التلفاز. فمنذ فترة وجيزة أذاعت نشرة الأنباء خبراً عن حادثٍ مروعٍ أودى بحياة العديد من الضحايا، وأشار أحد أجزاء النشرة بأنه تم العثور على شاحنة متوقفة في مكان الحادث وبها شخصٌ مقيدٌ، والذي أفاد بأنه سائق الشاحنة، وأنه تعرض لحادث سرقة أثناء توقفه في مرارب السيارات، ثم تحول الحديث فجأةً عن مذبحة حدثت بين مهربين،

على طريق السفر السريع رقم 9 حيث تم عدة مرات الهجوم على اللاجئين القادمين من أوروبا الشرقية، والذين كان من المفترض إيصالهم إلى أوروبا الغربية الثرية.

دارت في رأس كريス فكرة إغلاق هذا الفصل من حياته، بأن يقوم بتسليم هذه الآثار إلى الشرطة، ويدلي بأقوالٍ صريحةٍ وحقيقةٍ حول ما حدث فعلاً، فلو ضم لحادثة محاولة السرقة التي تمت في التوسكانا لأصبحت هذه هي المرة الثانية التي تتعرض فيها حياته للخطر بسبب مكائد فورستر.

أخذ يلعن بصوت منخفض، فلقد استغله فورستر منذ البداية. لقد أبقى على اتصاله به، لأنَّه أراد أن يجعل منه حجر شطرنج في لعبته، ليكون هو الجندي الأخير الذي سيقوم بإيصال الطرد. إنه لا شيء، مجرد هدفٍ صيدٍ تم تزويده بطعمٍ سمينٍ للبقاء عليه عالقاً بالصنارة. إنها صفةٌ عاديةٌ، كل شيءٍ مجهَّزٌ، كل شيءٍ يمكن توضيحه، كل شيءٍ سهلٌ، كل شيءٍ هراءً، لقد أعطى فورستر فرصةً جديدةً لاستغلاله عندما كان في الغابة. وما يزال هناك ذاك المجهول، الذي يمتلك الإمكانيات اللازمَة ليقوم بمثل هذه العمليات في مكائنٍ مختلفين، وفي وقتٍ واحدٍ، والذي كان باستطاعته الحصول على المعلومات التي يحتاجها ولديه مخزونٌ هائلٌ من الأسلحة والقتلة، ومن الواضح أنه لم يكن يخشى شيئاً لا الشرطة، ولا النتائج.

هل ماتزال أمامه فرصةً؟

لو أراد الاستمرار في هذا الأمر فعليه أن يكون سريعاً، عندما تصل تلك الآثار إلى المكان المحدد لها فلن تعود ملاحقته مهمةً بالنسبة للعصابة. إنك تخفي عنِّي شيئاً ما

الكثير

لم تفجِّر الكلمة الأخيرة لفورستر عن ذهن كريس أبداً.

في تمام الساعة السادسة أمسك بجواله.

طلب (إينا) وأيقظها من النوم.

«إنه أنا»

«ومَنْ غيرك!»

كان صوتها العذب ما يزال غارقاً في النوم، ولقد تبه إلى نبرة الانزعاج في كلامها، إلا أنه لم يعتذر عن اتصاله بها في هذا الوقت المبكر، ولكنه ترك لها الوقت الكافي للتأوه.

«لماذا تتصل في هذا الوقت المبكر؟ إبني ما أزال نائماً»

«إبني بحاجة لمساعدتك»

«وما يمكنني فعله؟» أصبح صوتها جاداً فجأة.

«بحث»

«ليس قبل الساعة العاشرة»

«عليك الذهاب إلى الشركة، يجب أن تبدأ بالبحث»

تذمرت إينا

«أسمعي!» همس عبر الهاتف «مات الكونت! لقد تم السطو علينا» أخبرها بشكل عام ما حدث معهم «والآن أصبحت أنا المالك للقليل من المجوهرات وبعض الألواح الجصية»

«المجوهرات ستكون لي، أين أنت الآن؟»

«في إحدى الاستراحات على طريق السفر السريع رقم 9. اتصلي بي عند وصولك إلى الشركة» سمع لعناتها وأنهى المكالمة.

نظر حوله للتأكد بأن أحداً لا يراقبه، وفي ذلك الركن المحمي عن الأنظار أخرج أحد الألواح الطينية من الكيس القطني، وأخذ يقلبه بين يديه. تأمل الختم الخاص بنبوخذ نصر الثاني. أما عن مضمون اللوح فلم يتقوه فورستر بجملة واحدة.

ربما كانت الألواح تتحدث عن بطولات ذلك الملك. كتاب تاريخ أثريٌ أعاد الألواح بحرصٍ إلى الكيس، بينما كان يتفقد المكان بنظراته. كان العاملين في الاستراحة يستعدون لاستقبال زبائن الصباح، ويرتبون الطاولات في الخارج.

أمسك بالختم الدائري أولاً ثم أعاده، وأخرج أحد العظام، طولها لا يتجاوز العشر سنتيمترات، ربما كانت بقايا عظميةٌ بنهايات مهشمة. هل هي عظامٌ بشريةٌ أم حيوانية؟ ولماذا احتفظ فورستر بهذه العظام مع الألواح الطينية؟ لماذا قام بالاحتفاظ بها أساساً؟ كم عمرها؟ هل هي بعمر الألواح؟

وإن كان الأمر كذلك فهل هي ثمينة؟ خلال بحثهم عن تاريخ الإنسان الأول في أنحاء العالم، يقوم علماء الآثار دائمًا بالبحث عن البقايا البشرية، وينقبون عن البقايا العظمية تحت الأرض، والتي يعود تاريخها إلى آلاف السنين. فهل لهذه العظام حقًا تلك الأهمية؟ ربما كانت بقايا عظامٍ لنبوخذ نصر نفسه...

بحيرة كبيرة أعاد الآثار إلى الكيس، ثم كان هنالك تلك الورقة التي وضعها أيضًا في الصندوق، كانت عبارةً عن خارطةٍ موضعٍ رسمت خطوطه باللون الأبيض والأسود، وكان أحد أطرافها ممزقاً، وكأنها نزعت من أحد الكتب. بالإضافة إلى أنها ملساءً، وذات لونٍ مائلٍ إلى البني، وقد بدت أثار ثنيةٍ في وسطها، بينما دعمت جهتها الخلفية بشرطٍ رفيعٍ من الورق الأبيض عند مكان الثنية تماماً.

ويبدو أنها فقدت بعض أجزائها في الزاوية اليمنى من الأعلى، وكذلك من الأسفل. الزوايا الحادة تدل على أن أحدهم قام باستخدام المقص لقطع تلك الأجزاء من الورقة.

كانت الخارطة تصور رسوماتٍ لسور أحاط بمناطق قليلة النباتات، وتم الإشارة إلى مناطقٍ و مواقعٍ بـأحرفٍ كبيرةٍ، أحادية أو مزدوجة. وكان هنالك خطٌ أبيضٌ واضحٌ يبدأ من النصف الأيسر للورقة عابراً كاملاً الرسم، وكأنه شارعٌ عريضٌ ومنحنٍ، رُمز له بالحرف E، إلا أن الخارطة لم تحتوي على تفسيرٍ لمعاني تلك الأحرف.

في مكانٍ ما على الخارطة رسمت إشارة صليبٍ.
لابد وأن ذاكرته لم تعد تعمل بشكلٍ صحيحٍ، فلقد سمع من فورستر تعليقاً حول هذا، إلا أنه لم يعد يذكر مضمونه.
«إنه لم يذكر شيئاً واضحاً بشأنها» دمدم كريس بصوتٍ منخفضٍ «ربما تكون هي».

في الفيلا كانت ممددةً على الرمال الناعمة في إحدى الفاتريات.
و فجأةً تذكر.

«إنها تعود إلى بقايا بشرية، انقرضت منذ زمنٍ بعيدٍ»
و في لحظاتٍ شعر كريس أنه بحاجةٍ إلى التمعن في هذه العظام. كان مجرد شعورٍ ليس أكثر.
و في هذه الأثناء رن جواله.
«أنا في الشركة»

بدا صوت إينا عملياً الآن.
«مستعدةً للعمل؟» سأّلها وهو يرتشف القهوة.

«عندما أنتهي من تحضير قهوتٍ سأكون جاهزةً، ما هو الموضوع؟»
في الواقع كان يريدها أن تبحث عن معلوماتٍ حول الشخص الذي سيقوم بتسليمه الآثار في برلين، إلا أنه أصبح الآن مهتماً بشيء آخر.
«حاولي أن تجدي معلوماتٍ عن إمكانية أن يقوم شخصٌ عادي بتحديد عمر الأشياء بطريقة تحليل الكربون المشع»

ضحكَت بصوت عالٍ
«ماذا على أن أفعل؟»
«قومي بذلك فحسب»
«ولماذا»
«لأجل العظام»

«ألا يجدر بك أن تستثمر وقتك في الحصول على مهام جديدة للشركة؟» قالت إينا بنبرة صلبة كالجليد «عن أي عظامٍ تتحدث؟ عظامك أنت؟» ضحكَت بسخرية «إن كانت ستتوفر لنا المال...»
«نستطيع» قال كريس بنبرة تعرف إينا تماماً أنها جادة.
«هل قلت طريقة تحليل الكريون المشع؟»

«نعم، فبهذا يمكن للمرء أن يحدد عمر الأشياء، لم تكن دراستي في كلية الشرطة هباءً»

«انتظر، واحدةً تلو الأخرى»

صمت وتركها تبحث في الإنترت

«في مدينة كيل» قالت إينا بعد فترة من البحث تخللها سبابٌ ولعنةٌ
«جامعة كريستيان ألبرشت. مختبر لاينتس لتحديد الأعمار النسبية،
والمطلقة للحفريات والنظائر البشرية، هناك تستطيع فحص العظام»
«بهذه البساطة؟»

«حسب المكتوب هنا، فإن المرء يستطيع فحص كل ما يريد،
وستتكلفك حوالي الثماني مائة يورو، وما هي تلك العظام؟ إنك لم تذكر لي
الكثير سابقاً، ماذا يجري؟»

«لاحقاً، والجامعة تريد الحصول على المال؟»

«نعم. في أيامنا هذه لم يعد هنالك شيءٌ بالمجان» ضحكَت مجدداً
«بل إنهم يعرضون تحليلات سريعاً... و تستطيع أيضاً أن تقرر كيفية الحصول

عليه، إلا أنه سيحيد عن الدقة بفترةٍ تتراوح بين 40 إلى 80 سنة، كلما أردت
تحديداً أدق كلما زاد الثمن
«وماذا عن المدة؟»

«يبدو أنك لا تريد الانتظار، من أربعة إلى خمسة أسابيع»
«ويطلقون على هذا تحليلًا سريعاً»
ساد الصمت لوهلةٍ بين الاثنين.
«في الحالات العادية يضمنون لك النتائج خلال ثلاثة أشهرٍ، حسب
ما هو مكتوبٌ هنا»
فكر قليلاً.
ثم قال «ولكن هنالك بديل».



مدينة دريسدن الإثنين

استغرقت السفارة إلى مدينة (دريسن) ما يزيد عن الساعتين
والنصف. اتخد كريس مخرج مدينة (فيلدرمان) المترع من الطريق السريع،
ثم دخل المدينة وتوقف عند متجرٍ صغيرٍ يبيع ملابساً رخيصة الثمن.
هناك اشتري لنفسه عدة ملابس داخلية، وبضعة قمصانٍ قطنية
وينطال جينز، ثم توجه إلى أقرب محطةٍ للوقود، حيث قام بشراء خارطةٍ
للمدينة، ومنشأة، وبخاخٍ لتنظيف الزجاج.
في الحمام النظيف إلى حدٍ ما، قام بتبديل ملابسه.
ثم قام باليقاء ما كان يلبسه في حاوية تجميع الملابس القديمة، بعدها

ركن دراجته النارية على بعد شارعين من محطة الوقود بين السيارات المصطفة. رش قبضات الدراجة وزجاجها الأمامي بمنظف الزجاج ومسحه بالمنشفة بشكل جيد، متمنياً أن لا تعثر الشرطة عليها بسرعة، هذا لو كانوا يبحثون عن الدراجة أصلاً.

لو أنه محظوظٌ فسيقوم أحدهم بسرقة هذه الدراجة، ولذا فإنه أبقى المفتاح معلقاً بها.

ثم توجه إلى أقرب موقف لسيارات الأجرة، وطلب منه اتصاله إلى مكتب تأجير السيارات عبر أوروبا، والذي كان يتعامل معه دائماً عندما يحتاج إلى استئجار سيارة.

لم يكن كريس يعرف الكثير في مدينة (دريسن)، ولذا فقد ضل الطريق عدة مرات. قبل أن يصل إلى العنوان الذي يقصده بالقرب من نهر الألب. كانت تلك المنطقة تشكل الحد الفاصل بين مجموعة ثكنات بحاجة إلى إعادة البناء وسلسلة من الطرق التي تضم فللاً تارخية يتم ترميمها. كان من الواضح أن المبنى قد تم بناؤه لهذا الهدف معين فهو حال من أي زخارف، وكانت واجهته من الحجر الطبيعي الأملس، وله درج خارجي طويل، وكان سور المدفن يحد الطريق المقابل له تماماً.

صعد كريس الدرج، وعرف عن نفسه في منطقة الاستقبال. بدا له من المنظر العام أن هذه المؤسسة تضم مكاتب للهندسة الوراثية حسراً، ولاحظ أن كل الأشخاص الخارجين والداخلين من وإلى هذا المبنى بعمر طلاب الجامعات.

في هذا المكان بدا هو (وأين سندر) الذي خرج من المصعد مبتسمًا، كعجوزين.

«وأين سندر - الماسة - إنه دهرٌ من الزمن! يا إلهي إنه حقاً منذ زمنٍ بعيدٍ. تعال!» قال كريس وقد أشرق وجهه.

احتضنا بعضيهما .

أطلق لقب الماسة على واين في المدرسة لأنه كان دائمًا ولفتره طوله يحمل معه مكيراً . كان والد واين يقتني مجموعةً من الأحجار المعدنية والكريمة، ولقد تبعه واين في هذا المجال، وكان خبيراً في تحديد الأزمنة . كان آخر لقاء بين كريس وواين منذ أكثر من عامٍ تقريباً، حين التقى صدفةً في مطار فرانكفورت . كان كريس عائداً لتوه من اليابان، حيث قام بإيصال طردٍ يحوي أوراق الكرييون من أحد أصحاب مصانع السيارات في ألمانيا إلى شريكه هناك، بينما كان سندر قد أنهى مؤتمراً في الولايات المتحدة بخصوص أحد أقسام البحث الخاصة به . ولقد وجداً نفسيهما فجأةً يقفان إلى جانب بعضهما البعض في إحدى مقاهي المطار، ولأنهما كانا مستعجلين فلقد تبادلاً أرقام الهواتف على وعدٍ بأن يتواصلان في الأيام القادمة، إلا أنه ومنذ ذلك الحين لم يقم أيٌّ منهم بالاتصال بالآخر .

لقد تفاجئت كثيراً عندما اتصلت بي سكريترتك، وسألتني إن كان

يامكانك زيارتي هنا

«مساعدتي» ضحك كريس «إنها تهتم بهذا اللقب»

«فليكن إذاً

في المصعد أخذ كريس يتأمل صديق طفولته . بدا الكبر على واين سندر، لقد فقد الكثير من شعر رأسه، وما تبقى منه كان ذا لونٍ رماديٍّ مبيضٌ . كان لون جلده باهتٌ، وكأنه لا يرى الشمس، بينما غارت عيناه الزرقاء في محاجرها، وبالرغم من أنهما كانتا تشعلان بالفرحة إلا أن كريس لم يلح بهما الكآبة .

كان العالم يرتدي قميصاً وينطألاً من الجينز، وقد بدا عليهما الاهتمام لكتلة غسلهما، أكمام القميص كانت مثنيّة إلى الأكواع، بحيث ظهر الشعر الكثيف الداكن، والذي كان مصدراً للتدرُّج أصدقاء واين في شبابه إذ

كانوا يلقبونه بالقرد . فلقد كانا في مدرسة واحدة لفترة طويلة، حيث كان والد واين سندر يعمل كموظفي في قسم التشريفات التابع للسفارة الأمريكية في مدينة (باد غودسبيرغ)، وكان يشجع ابنه بشكل متعمد على اختيار أصدقاء من الألمان. وبما أنهم كانوا يسكنان في نفس المنطقة، فقد اعتادا أن لا يفترقا لفترة طويلة.

«لم أكن أتوقع بأننا سنلتقي يوماً في دريسدن» ضحك كريス بسرو، وربت على كتف صديق طفولته «كيف أتيت إلى هنا؟ فعند لقائنا في مطار فرانكفورت لم تحدثني كثيراً عن عملك»

خرجا من المصعد وعبرما الممر بأبوابه الحديدية المتعددة، والتي كانت تفتح مصدرةً صوت أزيزٍ خفيفٍ.
وأخيراً دخلا في ممرٍ طوويلٍ وعربيضٍ، تقرعت منه أبوابٌ كثيرةٌ عن اليمين والشمال.

«بعد أن تخرجت من الجامعة عملت في عدة وظائف مملة قبل أن أبدأ مع إحدى الشركات التي تهتم بالتقنية الجينية في (هابيلبيرغ)، ولقد تم بيعها فيما بعد لأنها لم تكن تملك رأس المال الكافي لتمويلها، ولكن أبحاثها كانت هامةً. ثم تم نقل المقر إلى هنا بعد أن قررت حكومة (سكسونيا) تبني ودعم فكرة المدينة البيولوجية»

كانت بعض الأبواب مفتوحةً. إلا أن تصميم المكان ذكر كريス بالمطبخ، ولكن وجود الأنابيب والقوارير الزجاجية المضفوطة وأجهزة الطرد المركزية والميكروسكوبات والمضخات، كانت تؤكد بأنها مختبراتٌ علميةً.

«إنها مزارعنا» قال واين سندر ضاحكاً حين انتبه إلى نظرات كريس «إنه المكان الذي نقوم به بزراعة البكتيريا، تعال معي»
دخل إلى غرفة صغيرة بدت وكأنها مكتبٌ يوجد بها طاولةً مرتبةً وأمامها كرسي آخر، أشار إليه واين سندر ثم اختفى.

نظر كريス حوله، يبدو أن المكان الذي تم تخصيصه لصديق طفولته متواضع جداً بالنسبة لمنصبه كرئيس مجموعة من الباحثين، كانت مساحة الغرفة لا تزيد عن 15 متراً مربعاً، وطاولة المكتب قديمةً ومهلةً إلا أن أدوات العمل الخاصة به بدت حديثةً جداً، فشاشة الالازما كانت كبيرةً، وظهرت عليها صورةً على درجةٍ عاليةٍ من الوضوح.

عاد سندر يحمل بيده كوبين كرتونيين من القهوة الساخنة.
«إنها خليةٌ في مرحلة الانقسام» قال سندر عندما لاحظ نظرات كريス إلى الشاشة.

«وهل يجدي هذا نفعاً؟» سأله كريス

«ماذا الانتحال؟» ابتسم واين سندر «على بعد بضعة مئات من الأمتار، وفي بناءٍ عالٍ وحديثٍ يوجد أحد معاهد (ماكس بلانك)، العاملين به من أكفاء العلماء، والطلبة الذين حضروا من مختلف بقاع الأرض وأمامهم هدفٌ واحدٌ وهو جائزة نوبل. والحال نفسه في مدينة (لايزينغ)، والكلية التقنية هنا تعمل أيضاً في مجال التقنية الجينية، فالأموال تتدفق لدعم الأبحاث في هذا المجال، ومؤسساتٌ صغيرةٌ كثيرةً انتقلت إلى هنا لتتموّل في ظل المعاهد الحكومية الضخمة. فبمجرد أن يتوصل أحد هم إلى شيءٍ مهمٍ، تقوم الشركات الكبرى بشرائه منه، وبذلك يصبح رجلاً مهماً»

«إذاً فالأمر بهذه السهولة؟ أوما كريس «ولكن ألم يكن الأجرد بك أن تكون في مكانٍ آخرٍ بدلاً من وجودك في...»

«ليت الأمر كان بهذه البساطة» قاطعه سندر مبتسمًا «إنهم يريدونني أن أكون هنا

«وهل سعدت أسرتك بالانتقال؟»

أدبار سندر عيناه.

«هذا فصل آخرٌ من حكاياتي، في البداية أتيت وحدني إلى هنا لمدة

سنتين، زواج عطلة نهاية الأسبوع، كان كل شيء على وشك الانهيار. ومع مرور الوقت استطاع الجميع التعود على هذا الوضع - الأطفال أكثر من زوجتي - وكان المدراء على الجانب الآخر سعداءً بوجود أحد أبناء جلدتهم في موقع العمل هنا «كم طفلًا لديك؟»

«ضحك سندر أربعة. وأنت؟»

كذلك ضحك كريس «لا يوجد. فأنا لم أعد حتى متزوجاً. بالنسبة لي نجح عملي في تدمير كل شيء، لقد عملت في الشرطة، وفي النهاية كنت دائم التواجد خارج المنزل، تماماً كما تحدث هذه المشاكل دوماً» ثم حدثه بكلماتٍ مقتضبةٍ عن شركته التي قام بتأسيسها فيما بعد.

ساد الصمت لدقيقة، نظر خاللها واين سندر إلى الشاشة بينما كان كريس يراقبه باهتمام.

«ما يجري هنا عبارة عن برنامجٍ متكاملٍ» كان سندر سعيداً حتماً باهتمام كريس «عليه أن يصطدم بالنقطة التالية، فالحاسوب يتحكم ببرنامج يقوم بتحليل السوائل البروتينية»

«يبدو الأمر مثيراً حقاً»

«هو كذلك، فالبروتينات تعتبر بمثابة الملح في الحساء الجيني، إنها تقوم بنقل المعلومات المحفوظة مسبقاً في الجينات»

«لا أفهم شيئاً من هذا»

«إن الأمر بسيطٌ للغاية، فالبروتينات تتكون من أحماضٍ أمينية، ويوجد منها عشرين. وهذه الأحماض بتركيباتها المختلفة تؤدي مهامٍ خاصةً جداً. فإذا حدث شيءٌ ما في إحدى خلايا جسمك، فيكون أحد البروتينات بتركيبته الخاص جداً للحمض الأميني، هو المسئول عن ذلك»

أومأ كريس مبتسمًا.

«ولهذا اكتفيت أنا بـأيام الشهادة الإعدادية»

«والآن تحاول أن تكسبني كزيونٍ»

«إن كان هذا ممكناً» إبتسِم كريـس بمـكـرٍ «لـابـدـ وأنـ لـديـكـمـ دائـماـ ماـ تـرـيـدـونـ نـقـلـهـ،ـ لـقـدـ قـمـتـ بـتـأـدـيـةـ مـهـاـمـ لـبعـضـ شـرـكـاتـ التـقـنـيـةـ الـجـينـيـةـ،ـ بـلـ وـقـمـتـ بـنـقـلـ فـيـرـوـسـاتـ،ـ لـمـ أـشـعـرـ بـالـرـاحـةـ أـثـنـاءـ ذـلـكـ إـلـاـ أـنـتـيـ كـنـتـ أـحـصـلـ عـلـىـ

«ـمـاـلـ جـيـدـ بـالـمـقـابـلـ»

«ـنـعـمـ،ـ فـقـدـ نـقـوـمـ أـحـيـاـنـاـ بـطـلـبـ هـذـاـ النـوـعـ مـنـ النـقـلـ الـخـاصـ»

«ـرـائـعـ» ضـحـكـ كـرـيـسـ بـرـضـاـ «ـوـلـكـنـيـ هـنـاـ لـسـبـبـ آـخـرـ تـمـامـاـ»

الفصل الثالث عشر

مدينة (دريسان)

الإثنين

كانت العظام ممددة على الطاولة.

- «بشرية أم حيوانية؟»

- «مقاييس الحكم هو الخلية» قال (واين سندر) بعد برهة.

- «من أين حصلت عليها؟»

برر (كريس) موقفه بقصة مزج فيها بين الحقيقة والخيال. وكان هدفه أن لا يجر صديقه إلى أعماق هذه القصة بشكل أكبر «لقد توفي والداي منذ عشر سنوات. ووجدت هذه العظام بين الأشياء التي خلفها لي. لا يمكنك تخيل مدى تفاجئي. والدي وهذه العظام...» وقف ثم بدأ يتجول في الغرفة بتوتر وهو يهز رأسه وكأنه هو نفسه لا يصدق ما حدث «أعرف بماذا تفكر. لقد خطر ذلك أيضاً في ذهني للوهلة الأولى. والدي، عامل البناء، ما يمكن أن تكون علاقته بهذه العظام؟ وقفت مذهولاً أمام الصندوق الصغير» صمت (كريس) متعمداً، ريثما يحضر الكذبة التالية.

- «في ذلك الصندوق وجدت ورقة. كتب عليها (رهن) وتاريخ يعود إلى عام 1978 وكذلك اسم شخص. قمت بربط الأمور ببعضها فتوصلت

إلى أن والدي كان يطلب مالاً من أحدهم. أنت تعلم أنه كعامل بناء كان يقوم بأعمال إضافية كثيرة».

- «وماذا عن منزل والديك؟» حدق العالم بصديق طفولته يامعan. «قمت بيبيعه. في البداية احتفظت بالنقود جانبأً. لتحقيق حلمي...» أنت تعلم ما أعني» انتظر (كريس) تعليقاً ساخراً كما كان يفعل معه (سندر) دائمأً. إلا أن صديقه بقي صامتاً. «ثم مُرّح المارك الجديد في البورصة. اعتقدت أنه يامكاني تحقيق أرباح من ذلك. كله ذهب هباءً. ولأنني لا أملك رصيداً احتياطياً وأحتاج حالياً لكل سنت، تساءلت في نفسي، لو أن هذه العظام ذات قيمة».

- «كريس) تاجر الآثار».

- «أني حتى لا أعلم إن كانت هذه العظام تعود إلى إنسان. إن هذا سيساعدني كثيراً. لديك ميكروسكوبات هنا أليس كذلك؟».

- «هذا صحيح. وإلى ماذا ترمي بسؤالك؟»

- «أريد أن أرى الوحدات العظمية -العظمونات-».

- «وما مدى معلوماتك عن هذا الموضوع؟»

- «ليس الكثير. ولكنني تعلمت في تأمين الأدلة أنه بهذا يمكن للمرء تمييز العظام البشرية عن الحيوانية. ففي العظام البشرية يفترض أن تكون العظام موزعة بشكل عشوائي. أما في العظام الحيوانية فإنها تكون متصلة ببعضها».

- «أحياناً وليس دائمأً». قال (واين سندر) «يوجد خبراء يمكنهم فحص هذا إلا أنه ليس من اختصاصي» كثف يديه أمام صدره ورمق (كريس) بنظرة متفرضة: «ما كادت مساعدتك تتصل بي حتى تصل أنت إلى هنا. ماذا لو لم أكن موجوداً...». ضحك (كريس) بصوت عالٍ.

- «أصبت. حسناً سأعترف أن مختبرك كان الخيار الثاني وأنني قررت بشكل تلقائي أن آتي إليك. لقد كنت صباح هذا اليوم في مدينة (لابيزينغ). في معهد علوم نشوة وتطور السلالات البشرية التابع لمعهد (ماكس بلانك)».

- «هكذا إذًا».

- «لقد كنت في مهمة نقل إلى مدينة (بيتر فلد). ولأن هذا المعهد موجود في مدينة (لابيزينغ) فكرت بإنهاء المهمتين معاً. هناك يعمل ذلك السويدي. (بيبو)»

- «يبدو أنك تنتقي الأفضل» عدل (سندر) من جلسته على الكرسي باهتمام «يعتبر (سفانت بيبو) أباً لنظرية تحليل الحمض النووي. لقد كان هذا الرجل أول من قام باستخراج وفحص الحمض النووي من عظام تعود لآلاف السنين. إنها جرأة كبيرة منك أن تطلب منه أن يفحص عظاماً وجدتها في ترفة والدك. هل ادعيت أن بحوزتك عظاماً لومياء من (ألمانيا) تعود لآلاف القرون من الزمن؟ هز (سندر) رأسه باستياء (كريس) لو لم يكن لديك شيء آخر فلن أستطيع تصدق كلمة منك... أعني أنها قد تكون أي نوع من العظام... فلماذا سيهتم (بيبو) بفحصها؟ ولماذا سيستمع إليك أساساً؟»

- «هذا ما حدث بالفعل. فأنا لم أتمكن من الوصول إلى (بيبو). لقد كنت هناك وسألتهم إن كان بإمكانهم مساعدتي. كنت أعتقد أن مثل هذه الفحوصات يمكن إجراؤها في وقت قصير. فالجامعات تقوم بمثل هذه الفحوصات باستخدام طريقة تحليل الكريون المشع لتحديد العمر مقابل بعض مئات من اليورو».

- «إذًا كنت تريد تحليلاً سريعاً في مدينة (لابيزينغ)...»

- « تماماً. ولكنهم أرادوا أن يعرفوا من أين حصلت على هذه العظام، وإن كانت ملكي، ومعلومات من هذا القبيل».

هز (سندر) رأسه مجدداً «كريس»! مرة أخرى... لو لم تخبرني بالزبد فلن أصدق كلمة مما تقول! لا تكاد تجد عظاماً في ترفة والدك حتى تساور بها إلى أحد فطاحل علم تحليل الأحماض النووية القديمة!».

حدق (كريس) بصدق طفولته، تردد، وتقلصت ملامح وجهه، وأخيراً أجاب بصوت منخفض: «حسناً. إن الورقة التي تركها والدي تحتوي على المزيد من المعلومات التي لم أخبرك بها».

ـ «هكذا إذًا» تبسم (سندر) برضاء.

ـ «يدعى أن هذه العظام تعود إلى أحد الجواسيس من (بلجيكا). هناك وفي الثمانينيات من القرن الماضي تم العثور على أدوات وعظام حيوانية وهياكل عظمية للإنسان القديم، إنسان الكهوف الد (نياندرتال). هذا ما كتبه والدي على أي حال. وبهذا فلابد وأن لها قيمة معينة. لقد كان والدي متخففاً من أن يسأله أحد من أين حصل عليها وهذا قام ياخفائها ولم يقم ببيعها» ثم رفع (كريس) يديه بإشارة إلى أنه قد أدى الآن بكل ما لديه.

ـ «إنسان الكهوف، ولهذا اخترت (لايزينغ)⁶»

ـ «إنها أقرب ما يكون أليس كذلك؟ لقد كنت أتوق لمعرفة لأي من الكائنات تعود هذه العظام. حيوان؟ أشباه الإنسان؟ إنسان الكهوف؟»

ضحك (سندر) وكان يبدو عليه الرضا؛ لأنه استطاع كشف ما يخبئه صديقه القديم.

ـ «ولماذا لم تنهي هذه المهمة في لايزينغ»

ـ «لقد خشيت أنهم ربما لن يعيدوا لي تلك العظام. فالقانون الألماني الخاص باللقى الأثرية له حيله. إنني أعرف ذلك من خلال عملي في قضية مماثلة. فالشروط الخاصة بالتسجيل والإثباتات فظيعة. وأنا لا أملك أوراقاً ولا إثباتات ملκية، ليس بحوزتي سوى تلك العظام. فإن قاموا

بمصادرها ... سيتبع ذلك المزيد من المتابع. لذا فقد فكرت باللجوء إليك.
حسناً: هل هذا ممكن؟

قاد (سندر) (كريس) إلى غرفة ممتلئة بالأجهزة التقنية. وفي زاوية الغرفة جلست سيدة أمام شاشتي مراقبة موضوعتين على طاولة، وإلى يسارها كان هناك جهاز من الحديد اللامع، بلغ ارتفاعه نحو مترين، ويداً بناوئه معدداً للفاية.

تعرف (كريس) إلى طاولة فحص، ورأس أداة تحسس، ورأى شريطاً متصلأً بالشاشة.

- «هل لي أن أقدم لك (ياسمين برسون)، إنها ملاكنا السويدي». في البداية رأى (كريس) مؤخرة الرأس والشعر الأشقر الفامق، وعندما استدارت نحوهم رأى تلك الابتسامة الودودة التي ارتسمت على الوجه ذو القسمات المتسقة، والعينين الزرقاويين الفاتحتين.

- «مرحباً» قالت (ياسمين برسون) ومدت يدها تجاهه لتحيته. كل شيء فيها كان دقيقاً، وناعماً، ورشيقاً. كانت ترتدي معطفاً أبيضاً فوق بنطال جينز وقميص قطني.

- «إذاً فأنت الصديق صاحب عظام الـ (نياندرتال) الذي يستطيع قراءة العظمنات».

بقيت نظراتها الساخرة معلقة بوجهه لوهلة «من قام بمعانقتك؟ هل أمضيت الليلة الماضية في قفص أحد الجوارح في حديقة (لايزينغ) للحيوانات؟»

تلمس (كريس) الخدوش الطفيفة على خده. لحسن الحظ كانت تلك هي الآثار الوحيدة الواضحة من صراع البقاء الذي عاشه تلك الليلة.

- «أستعمل طريقة الحلاقة المبللة، وصباح هذا اليوم كانت يدي ترتعش بشدة. كنت أعلم أنني أخضع إلى تحقيق هنا».

- «حسناً». بدا عليها الاقتتاع. لمعت عيناهَا وهي تبسم له. لبست أولاً قفازات في يدها، ثم تناولت العظام من يديه. استدارت بكرسيها ووضعت العظام على طاولة الفحص.
- «يبدو كأنه ثاقب آلي ضخم». قال (كريس) «ما هذا؟»
- «إنه جهاز الماسح الإلكتروني» قالت دون أن تقطع عملها.
- لاحظ من نبرة صوتها أنها مستمتعة بما تقوم به «إنه يؤدي المهمة دون حاجتنا لأخذ شريحة رقيقة من العظام كما هو الحال عند استعمال الميكروскоп الضوئي».
- أوضحت له أن هذا الجهاز يقوم بتحسس السطح بشكل تدريجي من خلال إرساله حزمة قوية من الإلكترونات.
- «ثم يقوم بنقل النقاط المتحسسة إلى جامع حيث يتم بثها على الشاشة. كل نقطة تتحول إلى بكسل على الشاشة. يمكن تشبيه هذه العملية بما يحدث عند بناء الصورة على شاشة التلفاز».
- كان نطقها لللغة الألمانية يحمل ل肯ة خفيفة، مما زاد من جاذبيته.
- انتبه (كريس) لنفسه كيف كان يحدق بعنقها ويتأمل خطوطه الناعمة.
- «نحن نتحسس مقطعاً صغيراً فقط» قال (واين سندر)، بينما كانت هي تركز في جيوش من الأزرار والمنظمات والضوابط التي ذكرت (كريس) بقمرة الطيار.
- «سينتهي الأمر سريعاً» استدارت نحو (كريس) ولمعت عيناهَا بسعادة. شعر فجأة بحرارة قوية ترتباشه ولم يكن لها علاقة بالفحص.
- وأخيراً ظهرت أولى الصور على الشاشة. قامت (ياسمين برسون) بتكبير حجم الصورة على إحدى الشاشات بينما أبقيت على صورة الموضع الذي يتم فحصه من العظام بحجم عادي على الشاشة الأخرى.

- «هناك، هذه الدوائر الصغيرة هي العظمونات» شرح له (واين سندر) بهدوء «إنه يشبه القضيب المفرغ قليلاً وفي قناته الوسطى تمر الأوردة الدموية».

نظر (كريس) إلى الصورة العامة لشريحة العظام المختارة فبدت له كتلة كثيفة وصلبة.

- «إن العظمونات هي المعززات الرئيسة داخل العظام وتوجد في العظام المحيطية. أي في قشور العظام» قال (واين سندر) بموضوعية خارقاً جدار الصمت.

- «يوجد قنوات بداخل العظمونات. فهي ليست سوى نظام من القنوات مصغرة جداً».

نظر (كريس) إلى الشاشة التي تظهر الصورة المكثرة. فرأى التصوير المضخم للشريحة العظمية بينائها الفاتح والغامق. تعرف على حلقات صغيرة قد تم تكبيرها بشكل ملحوظ.

- «ويبين القنوات الطولية، هناك أيضاً قنوات عرضية. نظام متشابك. إنه عمل إعجازي».

بدا كأن العظام مكونة من عدة أجزاء متفرقة وليس متداخلة بشكل كامل ببعضها البعض. ذكر ذلك البناء (كريس) بالمنازل الجاهزة المكونة من أعمدة وألواح غير متداخلة بشكل تام. إلا أنه لم يتمكن من ملاحظة نظام موحد، فكانت القضبان تظهر في العظام بشكل غير منظم.

- «إنها تمتد إلى المحور الطولي للعظم. تسير دائماً باتجاه القوة الفاعلة الضاغطة».

نظر (كريس) جانباً. كان صديق طفولته مستغرقاً تماماً في الفحص، منحنٍ قليلاً ومستنداً بكلتا يديه إلى الطاولة، وبدا كأنه نسي كل ما حوله.

- «إنها بطول عشرين ملليمتر ويبلغ قطرها بين 150 إلى 200

ميكرومتر». نظر (واين سندر) إلى الشاشة بانبهار «وتكون العظامونات من صفائح يصل عددها إلى العشرين والمبنية من مخاريط متوازية من الكولاجين الليفي ذي النمط 1. وتمتد تلك اللوالب في الشرائح المجاورة بشكل متعاكش و...»

- (واين)، كف عن التحدث بهذه اللغة الصينية المختصة» قالت (ياسمين برسون) ضاحكة، عندما انتبهت إلى نظرات (كريس) المرتبكة.

- « تماماً» نظر (كريس) بشكر إلى الشابة السويدية، التي بادلته نظرة تحمل معنى، لا داعي للشك.

- « وما هي أهميتها؟»

- « عليك مبدئياً أن تعرف مهامها». هز (سندر) رأسه مستكراً «يبدو أنك لم تتعلم الكثير من دراستك تقنيات الجرائم».

- «إنها الحاملات الرابطة الرئيسة» كان صوت (ياسمين برسون) مخملياً وناعماً، فشعر (كريس) أن ظهره يتصرف عرقاً.

- «إنها تقوم بإعادة بنائها بشكل مستمر. فإن تغير مركز الثقل على العظام من خلال كسر عظمي مثلاً، فإن العظامونات تتلاعماً مع هذا التغير من خلال إعادة البناء».

- «إذاً لا بد من أن يكسر أحدهم عظامه حتى يحدث تغير في البناء».

- «إن العظام دائم التعرض لتغيرات في الضغط» رد (واين) بصبر «عندما يبلغ المرء الثلاثين عاماً تبدأ عملية تراجع بناء العظام ببطء». وهذا وحده يؤدي إلى تغير في الضغط. النسيج العظمي يستمر في إعادة البناء. وبهذا فإنه مع مرور الزمن يتكون بناء مميز».

حدق (كريس) مجدداً في الشاشة. كان البناء واضحاً للعيان. بين العظامونات كانت هناك كتلة لم يستطع تفسيرها.

- «هذه صفات الربط» قالت (ياسمين برسون) التي كانت تراقبه ضاحكة «وهي ناتج إضافي لعملية إعادة بناء العظامونات. يمكنك اعتبارها حسناً للفراغات بين العظامونات».

- «يبدو أنني ما أزال ذكياً كما في الماضي» قال (كريس) ورفع يديه مستسلماً «لا يمكنني القول إن كانت متصلة ببعضها بتسلسل أو أنها متفرقة بطريقة عشوائية. هل هي بشرية أم حيوانية؟»
تابع (سندر) النظر إلى الشاشة وهو يطرق برأس إصبعه عدة مرات على الصورة المكبرة «تبعد أنها متفرقة بطريقة عشوائية... وعلى الجانب الآخر... يمكننا أيضاً القول أنها متراقبة بشكل تسلسلي، ولكن...»
- «عظام بشرية».

- «نحن لسنا اختصاصيين في العظام». قال (واين سندر) «ما رأيك، (ياسمين)؟»
- «إنه (نياندرتال). أليس كذلك؟» برقـت عيناهـا «في الحقيقة أنا لا أعرف بالضبط».



جلسوا مجدداً في مكتب (سندر).

- «كنت أنتظر نتيجة واضحة».

- «أعرف ذلك. ولكنني سبق وحذرتك أننا لسنا خبراء في هذا المجال. إضافة إلى ذلك، من المفروض أنك تعلم درجة الصعوبة في مثل هذه الفحوصات».

أوما (كريـس). وبالرغم من أن فـن تشريح العظام يقف منذ زـمن

طويل على أساس متينة، إلا أن الأطباء الشرعيين لم يكونوا ليسمحوا بانتزاع نتائج سريعة منهم وخصوصاً عند عدم توفر عينات من الأنسجة.

- «بالطبع إن النتيجة الحاسمة تتوفّر في حال تحليل الحمض النووي. عندها فقط ستفتح أمامنا كافة الأنوية النسيجية لهذا الكائن، الذي كان يدب بهذه العظام على الأرض. ولهذا فإن محاولتك في (لايزينغ) كانت صحيحة.»

- «يمكنكم هنا أيضاً إجراء تحليل للحمض النووي. هل يمكنك فعل هذا؟»

- «إن أمكننا التوصل عبر المقارنات أن هذه العظام تعود إلى إنسان الكهوف وأن حمضه النووي لا يختلف عن الحمض النووي لإنسان اليوم. فسيكون هذا سبق رائع حتماً» ضحك (واين). برقت عيناه وأعادت تلك الابتسامة العريضة شيئاً من أيام الشباب المرحة إلى تعاير وجهه. رأى (كريس) لوهلة (واين سندر) القديم يعود إلى الحياة.

- «لا تزعج من كلامي» عاود (سندر) الضحك.

- «لقد أثبتت سفن بيبيو من خلال تحليل الحمض النووي عكس ذلك تماماً. فالحمض النووي الخاص بالـ (نياندرتال) وذاك الخاص بالإنسان الحديث يختلفان بشكل كبير عن بعضهما، بحيث أنه لا يمكن للـ (نياندرتال) أن يكون أصل إنسان اليوم وهذا ما ينادي به بعض العلماء حتى الآن.»

- «ولكن بتحليل الحمض النووي سنعرف حتماً أكثر مما نعرفه الآن. فهل ستقوم بهذا؟»

- «إنك تخيل أن الأمر بهذه السهولة. أليس كذلك؟ ولكن الحقيقة ليست هكذا. إن عزل الحمض الأميني عن المادة الأساسية يعني، تحريض انقسام للخلايا وتفكيك الكروماتين... الآلات موجودة.»

– «إذًا».

– «أستطيع الاعتماد على أساس الكروموسومات، حين أتيقن من أن عددها ثمانية وسبعين، وبهذا تعود تلك العظام إلى كلب؟ أو إن كانت ستة وأربعين كروموسوم، فعلى أيضاً أن أقوم بفحص نواة الخلية أو حمض الميتوكوندريا الوراثي؟»

صمت الاثنان.

أخيراً أومأ (سندر). «سأقول لك شيئاً واحداً من الآن: لا أستطيع أن أعدك أن هذا الأمر سينجح. وخصوصاً عندما أرى كيف أنك قمت بنقل العظام في كيس قطني ملفوفة بأوراق المرحاض التي أخذتها من حمام إحدى الاستراحات الموجودة على طرق السفر في هذا العالم... وفي مثل هذه الحالة سيضرب أي عالم بيديه على رأسه».

– «أعلم. لقد تعلمت ذلك في الدرس الأول من تقنية الجرائم... أعلم».

– «فوجود الأوساخ وبقايا الحمض النووي لشخص ما لمس هذه العظام أو خلية جلدية، سيفسد العينة».

– «هل مازال لديك المزيد من الأخبار السيئة؟» ضحك (كريس). لقد علم أنه عندما يبدأ صديق طفولته بالجدال فإنه يكون على وشك قول شيء ما.

– «في العادة تراكم الأحماض النووية في السنوات التي تلي موت الأعضاء. الحمض النووي جزء من الأحماض الأمينية وبهذا فإنه حساس بالنسبة للمياه والأكسجين. وعند توفر الشروط المناسبة للتخزين فإن عملية التلف هذه تكون أبطأ ويصبح بالإمكان الحصول على حمض نووي سليم أو قطعة سليمة. هل حافظت العظام على جفافها أثناء التخزين؟»

- «نعم. طلما كانت بحوزتي» أجاب (كريس) «لقد احتفظ والدي بها داخل صندوق خشبي. أما أنا فبالتأكيد لم أضعها تحت صنبور المياه... أوماً (سندر) «حسناً...»

- «هل يمكنني انتظار التحليل؟» سأله (كريس) ملهمًا.

- «إن كان لديك وقت» هز (سندر) كتفيه «قد تأخذ بضعة أيام. أولاً يجب أن نحضر مواداً من العظام. بضعة جرامات فقط. سنقوم بطحنها بشكل جيد وبعدها نقوم بترطيب هذا الطحين بقليل من محلول ملح الفوسفات ثم نأخذ عينات بأتايب ب ماصلة ونقوم بعملية فصل لبلازميد الحمض النووي. ثم نترك هذا الناتج ينمو حتى يصبح لدينا الكمية الكافية من المواد التي نحتاجها للفحص. نقوم بتنديته بمصل متعدد السكاريد والأحماض الأمينية. وفي النهاية نقوم بإيقاف عملية انقسام الخلايا باستخدام مشتقات الكولشيسين. وعندما تتمو... - هذا في حال أنها نمت، تنتظم الكروموسومات بالشكل الذي تكشف فيه أمامنا جميع أسرارها. نقوم بعملية فصل متكررة من خلال جهاز القوة الطاردة، ونلونها باستخدام كحول الميثيل وحمض الخليك الجليدي، حتى نستطيع تمييز ما نرى. هذه هي الإجراءات، وليس العمليه بالسرعة التي تخيلها. إن الموضوع يختلف عن فحص شريحة من التفاح تحت الميكروسكوب. اتفقنا؟»

- «اتفقنا».

أوماً (سندر) فتبعه (كريس) إلى أحد غرف المختبرات. وكما فعل صديق طفولته كذلك قام (كريس) بدوره بارتداء معطف أبيض، وقفازين مطاطيين، وكمامه للفم، وقناع يغطي كامل الرأس وله نافذة من زجاج الإكريليك أمام الوجه.

توجه (سندر) إلى منضدة طويلة كانت محمية بلوح من الزجاج يرتفع إلى السقف.

رفع أحد نوافذ اللوح الزجاجي إلى الأعلى بحيث يمكنه إدخال يديه إلى الصندوق الزجاجي ثم وضع العظام على الأرضية الصلبة. أخذ (سندر) الأنابيب الطويل ذا الرأس الثاقبة، الذي كان معلقاً على خطاف. ثبت قرصاً منشارياً صغيراً على رأس الجهاز ثم قام بتشغيله. ذكر صوت الأزيز المزعج (كريس) بزيارتة الأخيرة إلى طبيب الأسنان.

فجأة ظهرت (ياسمين برسون) في الغرفة حاملة بيديها مجموعة من الأوراق طبعت عليها صور لِبنية العظام.

أوقف (سندر) الجهاز ونظر إليها متسائلاً.

- «ربما علي أن أخبركم بشيء قبل أن تبدأ». لقد لاحظت أمراً ما هنا...»

- «ماذا؟ ما هو الذي لاحظته؟» سألها (كريس) بنبرة فضولية.

- «أنتم الرجال دائماً لا تنتبهون إلى الأمور الواضحة» ثم ضحكت.

- «ماذا تقصدين؟» دمدم (واين سندر) مهذراً.

- «منذ ثلاثة أشهر قمت بفحص عظام أخرى تحت المجهر. ولقد رأيت تلك الدوائر الصغيرة أيضاً... إلا أن الدوائر في هذه العظام تبدو مكسرة. هذا غريب».

رفعت ورقتان مما تحمل أمام (كريس) و(سندر)، وأشارت بسبابتها إلى الصور.

حدق (سندر) بالموقع الذي أشارت إليه.

- «معك حق». قال (سندر) بعد لحظات «مكسرة أو مقطوعة على أي حال محطمبة بشكل أو بآخر. هذا صحيح».

- «الكل». قالت (ياسمين برسون) «في العظام الأخرى لم يكن هذا هو الحال».

أنصت (كريس) إلى نبرة صوتها المتذمرة. وكأنها تشكي في أمر ما.

- «العظمام التي فحصتها منذ ثلاثة أشهر كانت كمساعدة مني لمعهد الطب الشرعي، حيث تعطلت أجهزتهم ولم تصلهم قطع الغيار. كنت أتحدث وقتها مع الأطباء الشرعيين بينما كانوا ينظرون إلى صور العظام على الشاشة».

- «حسناً. وماذا بعد؟» تتمت (سندر) وقد نفذ صبره «وما معنى ذلك كله؟ هذا إن كان له معنى».

- «وقتها قال الطبيب الشرعي أنه بمساعدة العظامونات يمكن التعرف على عمر الإنسان. فعند الشباب تكون سليمة».

- «حسناً... أكمل».

- «كلما تقدم الكائن الحي بالعمر، تحطم المزيد من العظامونات. والحال هنا أن جميعها مكسرة. إن كان ما أخبرني به الطبيب الشرعي صحيحاً، فهذا يعني أن هذه العظام قديمة».

أطربت قليلاً، وهمست كأنها تحدث نفسها «بل قديمة جداً».

الكتاب الثالث

الاكتشاف

إله الكتاب المقدس هو نفسه
إله السرد الوراثي (الجينوم)

(فرانسيس كولنس)،
مدير مشروع الجينوم البشري

الفصل الرابع عشر

(فيلكابامبا، الإكوادور)

الإثنين

– «بِحَقِّ الْجَحِيمِ! مَا الَّذِي أَتَى بِهِ إِلَى هَنَا؟» تلمسَتْ (زوبي بورسل) المنضدة الخشبية البسيطة وهي تنظر حولها ببرودٍ. خزانة صغيرة وطاولة وكرسيان خشبيان شديداً القساوة. كل شيءٍ من الخشب.

كانتْ (زوبي) في منتصف الأربعينيات، وبصفتها المسئولة المالية، كانتْ تدير القسم المالي لشركة (تيسابي)، إحدى أكبر الشركات المصنعة للعقاقير في العالم. كان شعرها الفحمي الأسود متوسط الطول يحيط بوجهها المثلث بملامحه الناعمة، المُزین بطريقة خفيفة وعينيها ذواتي اللون الأخضر القاتم. فقط زوايا فمها المنحنية للأسفل كانتْ تشير إلى الطريق الصعبية التي قطعتها في سبيل عملها. كان جسدها رقيقاً، وعادةً ترتدي زياً داكناً مع قمصان بيضاء، ولم تكن تشعر بالراحة ببنطال الجينز والقميص القطني اللذين كانتْ تلبسهما اليوم.

وبصفتها المديرة المالية كانتْ مهمتها الأساسية تتمثل في دفعها المستمر لأسهم شركة (تيسابي) إلى الأعلى. إلا أنه وفي هذه المرحلة لم يكن الحال كذلك. وسيتوجب عليها بعد دقائق تبرير الموقف لـ (هانك تورنن) رئيس مجلس إدارة الشركة.

- «هذا هو عالم (هانك) الحقيقي». قال (ند بيكر)، الذي وقف عند الباب المفتوح ينظر إليها باستمتاع، «(هانك) عالم ولا يتحمل الفخامة في محطة أبحاثه».

كان (ند بيكر) ذا ملامح ناعمة وعينين عبقريتين، وطول متوسط، يمارس رياضة الجري لمسافة عشرة كيلو مترات بشكل يومي. كما أنه يعمل عالماً في الهندسة الوراثية.

اختارته ليكون مستشارها في الشؤون العلمية حتى لا تكون وحدها في مواجهة أي أسئلة متخصصة.

كانت (زوبي بورسل) مختصة في الاستثمارات المصرفية، وملمة بعالم المال والاستثمارات.

ولأن العلوم الطبيعية كانت صندوقاً أسود بالنسبة لها، وهو في الحقيقة المجال الذي تعمل به (تيسابي)؛ كانت مضطربة للخضوع إلى تعليمات الرئيس التنفيذي (أندرو فولسوم)، الذي كان هو أيضاً عالماً في الهندسة الوراثية كرئيس مجلس الإدارة.

كانت تعلم أنها ستكون رئيساً تنفيذياً أفضل من (فولسوم). وعلى (هانك) أن يعطيها تلك الفرصة. إلا أن الرجل كان دائماً يولي المناصب العليا للعلماء بدلاً من خبراء المال. على الأقل حتى الآن. ولكن (زوبي) كانت تحفظ في جعبتها بورقة رابحة.

- «العالم الحقيقي، شيء مضحك!» تهدت «تحليل مياه، رصد نمو الأشجار، حصد الطحالب والنباتات، والبحث في روث الخفافيش عن بذور غير مهضومة... هل هذا رئيس مجلس إدارة مؤسسة!».

- «هذا هو العلم. (زوبي)! رد (ند بيكر) بلطف.
خرج الاثنين إلى الثكنة الرئيسة.

- «هكذا هو الحال هنا. (فيلكابامبا) البقعة الساخنة حيث ينمو

عدد كبير من النباتات. لا يوجد مكان في هذا العالم يُعمر به الناس كما هو الحال هنا. فهم يصلون إلى أعمار تتعدي المائة عام أحياناً. هذا ما دفع العلماء إلى البحث عن الأسباب.».

- «حسناً» زمرت (زوبي)، بينما كانت تصعد الدرجات الصغيرة الثلاث المتبقية للوصول إلى باب البيت الخشبي

- «تمَّ لي الحظ في هذه المعركة يا (ند)».

عبرت باب التكمة مروراً بباحثين متسلحين كانوا يجلسون أمام حواسيبهم محمولة بعد زحفهم في الغابات، ليسجلوا ملاحظاتهم، محولين مفامراتهم في الغابات إلى أعمال بطولية.

هزت (زوبي) رأسها بقizzo عندما رأت أحدهم يرفع خفافشاً مشرحاً بيده ويضحك.

فتحت الباب، ودخلت إلى الغرفة الخلفية.

لم يلقِ (هانك تورنن) إليها حتى نظرة.

- «مرحباً» (زوبي). من صوت ضحكتهم عرفت أنك أنت. (أندرو) هنا أيضاً.

كانت خصلات شعر (هانك) الموجة دهنية ومتسلحة. آثار من غبار الطلع كانت عالقة في شعره بينما كانت رؤوس أصابعه سوداء.

أومأت (زوبي) برأسها محبيبة (هانك) و(فولسوم).

جلس الرئيس التنفيذي لـ (تيسابي) جانب (تورنن) إلى طاولة خشبية مطلية باللون الأبيض. وعلى غير عادته في ارتداء الثياب الفاخرة، كان (فولسوم) يرتدي كما (تورنن) بنطال جينز وقميصاً منقوشاً بالمريلات. عيناه الذئبيتان كانتا ترمقانها بنظرات شامته.

بينما اصطفت كؤوس تحمل نباتات على لوح الخشب المضفوط، كانت الأوراق والأزهار تنتشر على سطح الطاولة.

تفحص (هانك تورنن) تركيب إحدى الأوراق مستخدماً زجاجة تكبير.

- «ضعى حاسوبك المحمول في مكان ما بحيث لا تؤدى به هذه العجزات النباتية».

كان (هانك تورنن) يبلغ الخامسة والثلاثين من عمره، وقد تولى منصب رئيس مجلس إدارة (تيسابي) منذ ثلاث سنوات. وبوصفه أحد كبار المساهمين في تلك المؤسسة العائلية سابقاً، كان توليه هذا المنصب، بعد انسحاب والده، أمراً مفروغاً منه. كان يسعى إلى تحضير الاندماجات، بحيث يقرب المؤسسة من خلالها إلى مصاف أكبر شركات تصنيع العقاقير، وكان يقوم بادارتها بطريقة ممتازة مستعيناً بمستشاريه، ولكن بالطريقة التي يضمن بها بقاء السلطة في يده.

- «ماذا يقول الد (وول ستريت)؟»

- «لقد تمكنا من السيطرة على الأزمة تقريراً». أجبت (زوبي بورسل)، «لقد تمكنا من المحافظة على قيمة السهم عند ثمانية عشر دولاراً. كاد سهم عقار (أفينكس) أن يقضي علينا. وكما يبدو إننا لن نستطيع طرحه حالياً في الأسواق. هذا ما قالته الإدارة الأمريكية للأغذية والأدوية».

- «أعلم ذلك. فأنا أيضاً أستطيع متابعة ذلك من خلال حاسوبي. لم تكن بوابة رئيس مجلس الإدارة بالفكرة السيئة منك. أحسنت يا (زوبي). ولكن كيف حدثت الأزمة؟»

- «السبب كان تحكيم ثالث لـ (أفينكس)، الذي دحض تحكيمنا الخاص وفحوصاتنا المخبرية. كان من المفترض أن يصبح (أفينكس) منتجنا الأقوى في السوق. إلا أن التحكيم الثالث أفاد أنه عديم الفاعلية ويفؤد إلى ظهور الكثير من الأعراض الجانبية السيئة. كان على (أندرو) أن يحذرني

مبيناً! لقد توجب عليه أن يقوم بسحب (أفينكس) من السوق في وقت مبكر جداً.

- «والتخلي عن ربح ما يقارب مئات الملايين من الدولارات؟
- ولكن ما كانت أسهمنا ستتهاوى إلى هذا المستوى. هل تدرك أي ثروة تلك التي أضعتها؟»

- «لقد أجريت حساباتي بهذا الشأن. وباقتراحك كان سعر الأسهم سيهبط بسرعة أكبر. ولكننا خسرنا الثروة. أما بتلك الطريقة، استطعنا أن نستفيد من مردود مبيعات العقار كل يوم» - تجرع (تورنن) رشفة من زجاجة الجمعة خاصة - «سيعاد سعر السهم الارتفاع. أليس كذلك؟ أليست هذه هي مهمتك؟»

صوب نحوها إحدى نظراته الحادة التي لم تفهم معناها في البداية.
إلا أنها أدركت بعد لحظات أن المعركة قد بدأت ولا مجال للتراجع.
- «تقديرات (أندرو) للعواقب كانت مخطئة، وكان قليل الحديث مع إدارة الأغذية والأدوية. ونحن نقوم بشراء براءات الاختراع الخاطئة».

استدار رئيس مجلس الإدارة ونظر من النافذة.
- «نحن نقوم سنوياً بشراء براءات اختراعات لجينات لا نستطيع استخدامها».

- «... لا نستطيع استخدامها بعد». تتم (فولسوم) بنبرة متعالية ورمقها بنظرة احتقار.

- «عالم ما يقوم باكتشاف تسلسل جيني، فيبادر بتسجيل براءة اختراع، ونحن نشتري حقوق استخدامه، لأننا قد نستفيد منها في وقت لاحق».

كانت (زوي) تدرك أنها غير محقّة بخصوص (فولسوم). فباتتأكيد كان بين براءات الاختراع تلك ما يمت بصلة وثيقة لأبحاث الشركة. إلا أن

الكثير منها تم شراؤه بناءً على التوقعات، وذلك بسبب العادة السيئة لدوائر تسجيل براءات الاختراع، التي كانت تسارع إلى حجب إمكانية استخدام أي اكتشاف لسلسلة جينية بعد أن يتم تسجيله.

- «تعالى إلى هنا يا (زوي)». تقدم (هانك تورنتن) من النافذة، فتحها وانتظر حتى تقف هي إلى جانبه. «هل ترين ذاك الجبل والوادي؟»

- «نعم»! تعجبت حيث كان ذلك الهواء منعشًا، بالرغم من وجودهم جنوب (الإكوادور) وبارتفاع ألف وست مئة متر. وحتى في أعلى مناطق الجبل كان كل شيء أخضر. تذكرت فجأة أن الثكنات لم تكن مجهرة بالمدافئ.

- «هذا الوادي يسمى أيضًا (الوادي المقدس) والجبل أيضًا هو جبل مقدس (مندينجو)». قال (هانك) كأنه يحدث نفسه.

- «أعرف ذلك. لقد كان الملجأ الأخير لشعوب الإنكا».

- «كم المعلومات الضئيلة التي نعرفها عن هذا الجبل، هو نفسه كم المعلومات التي نعرفها عن جبل براءات الاختراع، التي تقوم بجمعها. نحن نبحث على أمل أن نصل يوماً إلى الاكتشاف الكبير. هل تفهمين ما أعني؟» أرادت (زوي) الإجابة، إلا أن رئيس مجلس الإدارة أشار إليها بيده آمراً: «الكارثة الحقيقية كانت أنه في الاختبار الثالث تم الاستشهاد بدراسنا. التي كانت قد أشارت قبل طرح المنتج إلى ما أثبتته نتائج الاختبار».

- «حقاً. لقد كان (أندرو) ومعاونيه يفطرون في نوم عميق. لم يكن لهذا أن يثبت في التقرير».

- «هذا صحيح من ناحية». عاود رئيس مجلس الإدارة الجلوس، وتفحص بنية ورقة النبات بيده، «لقد نال (أندرو) نصيبه من التوبيخ أيضاً. ولكن مجال الأمن هو من اختصاصك. إننا لا نعلم بعد، أي حيوان ذاك الذي قام بالروث في حظيرته الخاصة؟ لكن أداءك كان سيئاً يا (زوي)».

ابتلعت (زوي بورسل) لعابها . لقد فوضها (فولسوم) منذ ما يزيد عن العام بشؤون الأمان.

- «في مثل هذه المؤسسة الكبيرة لا يمكن تأمين كل شيء». أخبرها (فولسوم) في إحدى اللقاءات الثانية «ولو حدث شيء سيئ فستُلف مشنقة جميلة حول عنقك».

كان ما يزال عليها الاحتمال. فلا بد أن تحيين لحظتها المواتية. إلا أن (فولسوم) باشر ببده هجومه التالي: «يبدو أن هناك خلاً أمنياً» قال بصوت متحفظ، «هناك من يريد بيع نتائج أبحاثنا للمنافسين! (زوي)، ماذا ستفعلين لحماية مرهم الحرائق الجديد خاصتنا؟» حاولت (زوي بورسل) التقاط أنفاسها.

ابتسم (فولسوم) الذي كان يستمتع بمباغنته لها، «إنه أمر مزعج ولكنه بسيط...»

- «أنا لا أراه كذلك» نظر (هانك تورنر) إلى الأعلى بينما تعلقت يده الممسكة بالزجاج الكبير في الهواء، كأنها حشرة. «(زوي) إنها مليارات من اليورو تلك التي يريد أحدهم سرقتها منا».

كان علماء (تيسابي) يعملون منذ سنين على أبحاث حول استخلاص مضاد حيوي من جلد الإنسان، وكانوا على وشك طرح مرهم حرائق جديد في الأسواق.

الجلد هو أكبر جهاز للإنسان، يحيط به ويحميه ويعزله عن بيئته الخارجية.

ولأن الجهاز المناعي للإنسان هو أقوى وأقدم نظام دفاعي على الإطلاق، كان من الأولى الاستفادة منه.

في نهاية التسعينيات تم التوصل إلى أن الجلد البشري يقوم بإنتاج مضادات حيوية زلالية، تقوم بالقضاء على الفيروسات والبكتيريا والفطريات

بسرعة مذهلة، بسرعة أكبر بكثير من المضادات الحيوية العادمة. لم يكن لدى العوامل المسببة أي وقت لبناء مقاومة. تم إيجاد الآلاف من المواد على الجلد، في السائل الدمعي، في الأمعاء، في الرئتين وفي كريات الدم البيضاء...

- «نحن نعمل على معالجة الموقف». أطربت (زوبي)، فمنذ أيام أخبرها (بيتر سولفان)، مدير أمن (تيسابي)، عن الاختراق الأمني الذي حدث. لقد حصل (سولفان) على نصيحة من أحد رجاله. لم تكن تتوقع أن الأمر كان قد وصل إلى مسامع (فولسوم).

- «لم يحدث شيء بعد، (سولفاني) يقوم بجمع معلومات حول أسماء الأشخاص وأماكن التسلیم. سنقوم بمنعهم». أطرب (هانك تورنن)، «اعتن بالأمر بشكل شخصي. عليك أن تقومي بوضع حد لهذه المهزلة!».



جزر (كایمان)

الإثنين

القى (بيتر سولفان) نظرة أخيرة على الطائرة التي كانت من طراز جولف ستريم G550، البالغ طولها خمسة عشر متراً وعرضها أكثر من مترين، وتتسع لتسعة عشر راكباً. جلس رجاله الستة على المقاعد الجلدية الوثيرة ذات اللون الزعفراني، وبدأ أنهم مستمتعون بالجلوس في الدرجة الفاخرة. ولأنه لم يكن يعلم حقاً ما ينتظرون، طلب طائرة الشركة الكبيرة، التي يمكنها الطيران لمسافة 12000 كم، والمجهزة للرحلات ذات المسافات الطويلة. وقف مدير أمن شركة (تيسابي) في ممر الطائرة. كادت الحرارة

المصحوبة بالرطوبة تمنع الهواء من الدخول إلى فمه. بسرعة البرق شعر بالعرق يتسبب من كل مسام جسده الممتلئ، وفي أجزاء من الثانية أصبح رأسه الحليق رطباً.

- «هل علي أن أرافقكم؟» سأله (بيت سبارو)، أحد قادة المجموعات ورمق (سولفان) بنظرة قلقة. بدا (سولفان) بوجهه الشاحب ووجنتيه المتذلتين والعرق المتسبب، كأنه على وشك أن يصاب بنوبة قلبية.

- «كلا!» فلم تكن تعلم أسماك القرش الشابة قساوة لحمه بعد.

أخذته السيارة، التي كانت بانتظاره، مباشرة إلى بناء حديث يضم مجموعة من الشركات. كان بها عدة مكاتب، -تقرب المئة- لشركات بسيطة اتخذت من هذا البني مقراً لها. كان عدد العمال المراسلين الذين يتبعون لهذه الشركات يعد بعشرات الآلاف، ولم يكن مالكونها يظهرون إلى العلن. كان هؤلاء الأشباح الذين يديرون الأعمال النظيفة وغير النظيفة، هم الشراء الحقيقي لجزيرة (كايeman)، التي تتبع للتاج البريطاني، وأصبحت منذ الثمانينيات أحد أهم مراكز العالم في استضافة الشركات الأجنبية.

كان الشراء يعتبر هنا مقياساً لكل شيء. وهكذا تم استثمار المليارات من الأموال، التي تم جمعها عن طريق الاتجار بالمخدرات، وفي مشاريع نظيفة، وانتشرت في دوائر المال العالمية.

عرف (سولفان) نفسه لموظفة الاستقبال في مكتب المحاماة، وتمت مراقبته من قبل أحد العاملين اللطفاء إلى قاعة الاجتماعات. انتظر وحيداً بينما كان يتفحص الغرفة بنظره. كان أثاث القاعة داكناً، وامتلأت الجدران بالرفوف التي تحمل المراجع القانونية. على أحد الجدران البارزة عُلقت لوحة زيتية لمؤسس هذا المكتب. كان الهواء البارد الصادر عن أجهزة التكييف في القاعة تحدياً جديداً لدورته الدموية بعد الحرارة والرطوبة العاليةتين اللتين كانتا في الخارج.

عندما فتح الباب، كادت أنفاسه تتوقف. هاهي تقف أمامه ظالماً
الكاربيـ.

كانت السيدة ممشوقة القوام، بأذرع وأرجل طويلة، وتقدمت باتجاهه
بخطوات واثقة للغاية. كانت ترتدي تورة سوداء محاكاة بأناقة، أظهرت
تفاصيل جسدها المثير، وقميص ذهبي اللون.

ـ «يوم سعيد . (نوانا ويب)». قالت السيدة.

دارت حول طاولة الاجتماعات، فذكرت مشيتها (سولفان) بأنثى
النمر الأسود .

جلس في الجهة المقابلة لها . بينما كانت نظرات عينيها السوداين
اللامعتين ترمقانه بسخرية .

ـ «أنا محامية، وأمثل الرجل الذي كنت على موعد عمل معه. هل
كانت رحلتك مريحة؟»

ـ «جداً. أشكرك». تأمل شعرها الأسود ذا اللمعة الزرقاء، وتذكر
تلك القصة التي سمعها منذ سنوات في (الأنتيل). لقد فكر الرب بعقاب
مناسب لأدم الذي كان دائم التذمر والملل. وفي أحد الأيام اعتصرت من
جسد أدم عدة سوائل، واستعفار من الشيطان الملح السحري، ثم خلط المواد
بعضها جيداً فخرجت أنثى (الأنتيل). ومنذ ذلك الحين أصبح لدى أدم
الكثير مما يشغله فتوقف عن التذمر .

ـ «هل ستعوداليوم؟»

ـ «للأسف فور انتهاء اجتماعنا هذا». قال (سولفان) بنبرة آسفة،
بينما استرق نظرات إلى انحناءات القميص حول صدرها الممتئـ.

ـ «جيد جداً وفعال. أود أن أراه». قالت (نوانا ويب) دون تردد .
انتزع (سولفان) نظراته بعيداً عن عينيها، وحمل حقيبة الملفات
خاصة ووضعها على الطاولة. فتحها وأدارها باتجاهها .

- ألقت نظرة سريعة على محتويات الحقيبة ثم ابتسمت، «أعتقد أنه لا مانع لديك أن يقوموا بعدها؟»
- «كلا». زفر من أعماقه عندما لمح أسنانها ناصعة البياض.
- دخل رجل نحيل يرتدي بدلة رسمية، حمل الحقيبة وجلس في أحد الأركان الخلفية للقاعة.
- أمامها على الطاولة ظهر فجأة ذلك الظرف، ومع أنها كانت طوال الوقت تحمله بيدها إلا أنه لم يلاحظه.
- «هل هذه زيارتك الأولى لجزيرة (كايمن)؟»
- «كلا». تجولت نظراته في الجلد اللامع من العنق إلى بداية فتحة الصدر.
- «وهل تقوم بزيارات عمل متعددة إلى هنا. كما الكثيرين غيرك؟»
- «في الماضي نعم». نظر إليها (سولفان) مبالغًا في رسم ابتسامة الفائز على شفتيه.
- «إني أعرف الشاطئ ذا الأميال السبعة برمالي البيضاء الناعمة. إنه كالحلم».
- «أتمنى أن تكون كافة الأمور قد تمت كما كنت تأمل. وإن كان الحال غير ذلك فمكتبنا مستعد دائمًا لاستقبال المزيد من الموكلين».
- «كنت أود مقابلة شريكك في العمل هنا ...»
- ابتسمت له المحامية بتعالٍ.
- «ولهذا نحن هنا. السرية هي أهم ما يميزنا».
- وجهت المحامية نظرها إلى الموظف الذي أومأ لها أن كل شيء على ما يرام ثم غادر غرفة المكتب.
- «أرجو أن لا أكون قد دفعت ثمناً أغلى من المعلومات التي سأحصل عليها» قال (سولفان).

- «هذا ليس من شأنى».

انتبه (سولفان) إلى جاذبية فمها ثم انتقل بنظره إلى الحاجبين المرسومين بعنابة.

- «عشرة ملايين تعتبر مبلغاً كبيراً. تتمت أخيراً، بينما كان يفكر أنه في عمليات تبييض الأموال يُدفع نصف المبلغ تقريباً لمن يقوم بعملية الفسيل.

«هل تجده كذلك؟»

دفعت المحامية بالطرف على الطاولة.

لحظة، اجتاحته رغبة في جرها إلى الطاولة ومعانقتها. ترددت يداه ثم أمسك بالطرف.

فتحه. وجد بداخله قطعة من الورق طُبع عليها بالآلة الكاتبة اسم شخص وشركة، إضافة إلى تاريخ، زمن ومكان للقاء.

عندما نظر إليها كانت عيناهما الداكنتان ترمقانه بخوف. أومأ، وودعته بابتسامة باردة.

بعد ساعة كان يجلس في الطائرة مجدداً، ويفكر في تلك المرأة الجميلة، صعبة المنال.



(فيكابامبا)

الإثنين

كانت تغلي، وتلعن نفسها لأنها لم تكن مستعدة لحركة (فولسوم) الأخيرة. كان معها ورقة رابحة وكان عليها أن تنتصر.

- «لدينا مشكلة أكبر بكثير يا (هانك)» - سددت باتجاه هدفها - «فـ

(أندرو) يتحمل مسؤولية موت إنسان. في مرحلة الدراسة قبل الإكلينيكية. إن خرج ذلك إلى النور فإن السهم سيهوي بسرعة مصعد قطعت حباله. علينا أن نحضر أنفسنا، وأن نطور استراتيجية، لبيعه بطريقة فعالة».

- «بيع رجل ميت بطريقة فعالة؟» قال (فولسوم) بنبرة لاذعة، وهز رأسه باستياء.

ثم صرخ: «علينا أن نخفي هذا الأمر تماماً».

- «(زوي)! عدم حدوث وفيات أثناء تجريب العقاقير أمر لا يمكن ضمانه منذ البداية». رد رئيس مجلس الإدارة بهدوء ونظر إلى (فولسوم) بازدراء.

- «قد تلعب الخبرة دوراً مهماً في القدرة على تخفيض نسبة المخاطر لأدنى درجة، لأن النتائج بالنسبة للشركة تكون كارثية دائمًا. انهيار الأسهم، تحقيقات، نيابة، ومصادر نتائج الأبحاث...، تعلمون هذا طبعاً». وضع (تورنن) رأسه بين يديه «تعويضات بأرقام فلكية وتوقيف الشركة عن ممارسة نشاطها لأشهر، (زوي) هل كنت تعنين ما قلته؟»

ازدردت لعابها. فدفع رئيس مجلس الإدارة دعم موقف (فولسوم).

عليك أن تتابعني... - قالت في نفسها -

- «هذا لن يبقى سراً. أيام (أندرو) أصبحت معدودة. لقد حدث هذا في مشروعه. لقد كان هناك عندما فارق الرجل الحياة. لا يجب أن تصل الأمور إلى حد تقديم استقالته بسبب الضغوط الخارجية. فعدم أخذ الأسواق بجدية أمر قاتل».

- «الأسواق. وما هذه أيضاً؟

اشرأب عنق (هانك تورنن) ووضع الزجاجة المكربة على الطاولة.

بينما تلاشت الملامح الصافية لوجهه.

- «(زمي). الأسواق ليست إلا منتج اصطناعي للمال». ابتسم (فولسوم) بانتصار، «الأسواق لا تساوي شيئاً من دون المصدر. ومصدرها يوجد هنا.».

أشار (هانك تورنر) إلى النسبة «إنها نبتة طبية تم العثور عليها، فحصها، إعادة اكتشافها، دراستها، تقييمها، تصنيعها، وايصالها إلى الناس لتساعدهم. بعد ذلك، وفعلاً بعد ذلك كله تأتي الأسواق والمال والأسماء» صمت (تورنر) مدة محسوبة، تابع: «فبالأسهم لا يستطيع المرء علاج السرطان ولا حتى زكام بسيط. والأمن يقع في نطاق مسؤوليتك».

نظرت (زمي) بفضول «هل كنت تعلم...؟»

- «طبعاً أعلم بذلك. هل تعتقدين أن (أندرو) سيغطي عنِّي أمراً كهذا؟»

- «(هانك) هل ستقوم بإخفاء الأمر؟»

- «أنا لا، بل أنت».

هُزِّت رأسها بحنق وأطفأت حاسوبها المحمول. شعرت بالإعياء. كيف لها أن لا تُقدر الموقف بشكل أفضل؟
لقد قام (هانك) بتحميسها طوال الوقت لتصييد أخطاء (أندرو)، وهذا هو ذا يتخلى عنها الآن.

إنه شخص يحب الاستعراض. دارت تلك الأفكار في رأسها مع شعور بالملاراة. كلماته. لم تكن تتخيّل أنها ستُخسره هو أيضاً.

- «(هانك). أعتقد أنني أخطأت التقدير» حاولت الابتسام.

وقف وأمسك كفيها بقوّة، جرها باتجاهه حتى أصبح فمه عند أذنها اليمنى.

- «لن ينفع الأمر بهذه الطريقة. عليك إخفاء الجثث.

اعتنِ بشكل شخصي بهذا الاختراق الأمني. هل تفهمين؟ وعليك أن

تدركى أنك تتحركين في عالم تزداد فيه سيطرة العلماء. كما عليك أن تتعلمي أشياء أكثر لتعايشي معه».

كان صوته قوي ومرتفع يصدر صفيرًا مزعجاً. بينما قامت عيناه الخضراوتان بتشريحها بنظراتهما. عند استخدامه تلك النظرات يصبح له ذلك الحضور الطاغي، كأنه سحر الكهنة.

- «في النهاية ما الذي نبحث عنه جماعنا هنا؟» نظر إليها بتحمٍ «ولا تفكري بتفاهة يا (زوي). فكري بأمور كبيرة».

كان (أندرو فولسوم) يجلس على كرسيه بتوتر.

- «هل تعتقدين حقاً يا (زوي) أني لا أعرف عن ماذا يبحث (أندرو) كالمجنون؟ أعتقدين أن يامكانه أن يقوم بهذا دون موافقتي؟ هل على إخبارك بما حدث في مختبرات العالم، عندما أعلن هذا البروفسور من جامعة (فرايبورغ) في (ألمانيا)، أنه اكتشف الكروموسوم رقم 4 المسؤول عن الشيخوخة؟»

تحنخ (فولسوم)، إلا أن رئيس مجلس الإدارة لم يعر انتباها لنائبه.

- «(أندرو) وأنا نبحث عن الشيء ذاته. أنا عن طريق النباتات، وهو عن طريق البشر. وللوصول إليه فإن كل شيء سيكون مسموحاً».

الفصل الخامس كلّل

(دريسن)

ليلة الإثنين إلى الثلاثاء

قامت (ياسمين برسون) باختيار مطعم البيتزا.

- « رائع! »، قال (واين سندر) عندما دخلوا إلى البهو الخارجي للمطعم «شهية طيبة. سأذكر هذا المطعم، لماذا لم نأت إلى هنا من قبل؟ » كانت الطاولات المغطاة بالملاءات الناصعة البياض تقف تحت أشجار الزيزفون وقد رُتّب عليها فوط منشأة.

ذكرت الأوعية الفخارية الممتلئة بالأزهار (كريس) بالتوسكانا. أعمدة الإضاءة ذات الارتفاع المتوسط والأضواء الصفراء أضفت على المكان لمسة من الشاعرية.

تماهت الأصوات المكتومة والضحكات الخافتة، وخرير مياه النافورة مع هواء المساء العليل الدافئ.

جلسوا على آخر طاولة متوفرة وطلبا نبيذاً أحمر وبيتزا. بقيت (ياسمين برسون) صامتة لوقت طويل، وكانت تبتسم عندما كان الرجال يضحكان بينما يسردان ذكريات الطفولة المرحة.

وبدأت الثقة تعود شيئاً فشيئاً بعد فراق السنين.

- « أنا أحسدك. شركة خاصة، سيد نفسك واستقلالية إلى حد ما.

إنه حلم... حسناً، ربما». قال (سندر) وهو يفكر ثم رفع كأسه ليشرب نخب (كريس).

- «كيف وصلت إلى هذا؟» سالت (ياسمين) بفضول.

أعاد (كريس) بعجلة ما كان قد قصه على (سندر) ظهر هذا اليوم، «فجأة يقوم المرء بذلك. ولكن الأمر ليس سهلاً». طرح (كريس) بعض همومه -على الطاولة-، التي تتعلق بزيائته، والبحث المستمر عن مهام جديدة حتى يستطيع الاستمرار. وفي الختام تحدث عن خسارته لزيائن كثر بعد ما قام به في (ميونخ)، «غالباً ما يتم دفع ثمن الأخطاء والثقة الزائدة بالنفس بشكل مباشر. فما زال اليخت الذي طالما حلمت بامتلاكه بعيد المتناول».

- «أي يخت ذاك؟» أصفت (ياسمين) باهتمام.

نظر في عينيها الزرقاء وتمني لو أنهمَا كانا لوحدهما. أحس مجدداً بذلك الشعور الذي انتابه عندما التقى زوجته للمرة الأولى، وقد ظن أن هذه الأحساس لن تعود ثانية.

- «إنك ما تزال متمسكاً بحلمك». قال (سندر) ودسّ قطعة من البيتزا في فمه.

- «بالتأكيد! ما زلت مقتدياً بخطى القبطان (جيمس كوك)، الذي جاب بلاداً لم يسبقه إليها أحد. اكتشافات كبيرة تلك التي حققها ك (تاهيتي) وجزر (الإيستر)».

- «هذا أمر رائع!». قالت (ياسمين برسون) ضاحكة بينما ألقت بخصلات شعرها إلى الخلف، ونظرت إلى (كريس) مشجعة «وأخيراً أقابل شخصاً يحلم بشيء غير الحصول على جائزة نوبل».

- «هل هذا هو حلمك؟» وجه (كريس) سؤاله نحو (واين).

- «إنه هدف كل عالم» أجاب (سندر) بجدية تامة.

- «يجب أن تعلم أن العلماء يخوضون حروباً دامية فيما بينهم» ثم أوضحت (ياسمين برسون) بصوت حميم «فكل منهم يحسد الآخر على نجاحه».

- «أعتقد أنك تبالغين كثيراً» علق (سندر).

- «بل قليلاً فحسب».

رن هاتف (سندر) المحمول. نظر إلى الشاشة الصغيرة للحظات ثم ضغط زر إنهاء الاتصال.

- «لا أستطيع تصديق ذلك. فأنت تعملون في مجال ما تزال فيه أمور كثيرة لاكتشاف». قال (كريس).

- «لا تنس أننا نعمل في مؤسسة ربحية. يحيط بها ساتر ضخم من السرية حتى لا يخرج شيء إلى العلن. إن التكتم الذي يحيط بعملنا لا تجده حتى في أجهزة الاستخبارات».

- «ولكن ماذا عن تقارير الأبحاث العلمية...»

- «... غالبيتها تصدر عن علماء يعملون في الجامعات والمعاهد التي تقوم الحكومة بتمويلها، ولهذا فهي مجبرة على إعلان النتائج العلمية». رن جوال (سندر) مجدداً، وهذه المرة قام بالرد على الاتصال «سأحضر حالاً» هذا كل ما قاله.

رمقته (ياسمين برسون) بنظرة قصيرة ثم وجهت حديثها إلى (كريس) «وماذا عن القبطان (كوك) الآن؟»

- «سأقوم حتماً بالإبحار إلى وجهاته الثلاث، الأولى بسفينة (إندر) خاصة. (تيرا ديل فيجو)، (ناهيتا)، (نيوزيلاندا)، (أستراليا) - الأرض الجنوبية المجهولة - التي تم وصفها من قبل رسام الخرائط الروماني (بومبونيوس ميلا)». بدا الحماس والتشوق في صوت (كريس).

- «لقد أخبرتك سابقاً أن نهاية (كوك) كانت أليمة» ابتسם (واين سيندر).

- «وکیف هذا؟» سائلت (یاسمین برسون).

- «في رحلته الأخيرة تم قتله وتقطيعه من قبل سكان (جزر الهاواي). ثم أعيدت قطعة متقطعة من فخذه بلغ وزنها ثمانية أرطال. بعدها تم العثور على فروة رأسه مع أذنيه. أما عظامه فقد تم طهيها لاعتقادهم بالقدرة على حبوب الكابا، فـ «منزل القادة الكبار».

انکمش، وجه (یاسمین، نسوان) بتقزز:

- إنك لن تستطيع إخافتي. فقد أخفقت في هذا سابقاً». تتمم (كريس). كانت الطقوس نفسها التي كان الاثنان يقومان بها في أيام شبابهما. مما يكاد (كريس) أن يستفرق في أحلامه حتى يذكره (سندر) تلك النهاية المأساوية للمكتشف الكبير.

- «أعلم ذلك» قال (واين سند).

- ولكن لتحقيق هذا أحتاج للمال. وهذه هو العائق حالياً.

تشاب (كريس) لشدة إعيائه. لقد مضى أكثر من 30 ساعة على استيقاظه من سرير الفندق في (جنيف) صباح الأحد. ولقد أبقاء التوتر متنبهاً، إلا أن مفعول النبيذ الأحمر بدأ بالظهور.

- «لقد أخبرتك أن سفينة (إندفر) كانت تقوم بنقل الفحم، وكان لها حيزوماً مسطحاً، فهي أشبه بالتابوت. طولها 30 متراً، تفوح منها الروائح الكريهة، مهترئة وملئية بالقمل كما جمِّع سفن ذلك العصر».

«لكن سفينة (إندر) خاصتي ستكون حديثة. سريعة وقادعة للمياه. إنها زورق شراعي بكامل العدة والعتاد المقدم».

ـ «هل حصلت على رخصة قيادة المراكب الشراعية؟»
ـ شرب (سندر) الجرعة الأخيرة في كأسه وقام واقفاً، «كريس»،

على الذهاب الآن، فالوضع في بيتي سيء للغاية. لقد سعدت بلقائك،
المرة القادمة سنقضي وقتاً أكبر مع بعضنا. سأتصل بك عند ظهور
النتائج، ثم استدار (واين سندر) إلى مساعدته ضاحكاً: «انتبهي يا
(ياسمين). لقد بدأ حلمه في مرحلة المراهقة عندما فرأ مقاً حول
(جيمس كوك)، وكان يصف طقوس ممارسة الجنس في (تاهيتي)، التي
رصدها (كوك). وهذا هو دافعه الحقيقي» ضحك (سندر) بشكل
مستفز ثم رفع يده محياً وغادر المكان.

- «ماذا حدث؟» سأله (كريس) وهو يراقب صديق شبابه من الخلف.
- «زوجته» قالت (ياسمين برسون) بين رشفتين من النبيذ «كان
الاتصالان الهاتفيان عبارة عن دعوة للرقص».

- «كانت تستطيع المجيء معنا».

- «إنهم أربعة أطفال. هل تعلم ما يعنيه ذلك؟»
- «لا».

- «بالضبط». ترددت (ياسمين) لوهلة، ثم نظرت إلى (كريس) «إن
زواجهما أصبح على شفى الانهيار. لقد كان ينتظر شيئاً آخر من الزواج غير
تبديل غيارات الأطفال، وغسلهم، واطعامهم، وتركيب قطع الليفو أو تدريب
على القراءة لطفل في الصف الثاني الابتدائي. لقد تبين لهما منذ عدة أيام
أن ابنهم ذو الخمسة عشر سنة يقوم بترويج المخدرات. ولقد ألقى
بالمسؤولية على زوجته».

- «ليس لدى ما أقوله في هذا الشأن».

- «إن هذا يوته و يجعله عصبي المزاج وقليل الصبر. إن حاله يزداد
سوءاً. وخصوصاً في الأشهر الأخيرة. وبالتأكيد، هو يحلم كعالم بتحقيق
اكتشاف مذهل. ولو كان الأمر بيده لبقي يعمل في المختبر ليلاً ونهاراً».
- «يبدو عليه الإرهاق والتشتت».

– «بالتأكيد . فمن ناحية يؤنبه ضميره، ومن ناحية أخرى يريد استكمال أبحاثه . وهنا دائماً الخلاف حول هذا . إنني قلقة عليه للغاية».



أدارت المفتاح وجرت الباب باتجاهها ثم دفعته دفعة صغيرة إلى الداخل.

– «ألن يزعجك هذا حقاً؟

– «لا» نظرت إليه بابتسامة سعيدة وواثقة .
دخل (كريس) خلفها إلى الشقة.

عندما سألها إن كانت تعرف فندقاً أو نزلاً صغيراً في المنطقة، قالت له أنه باستطاعته المبيت عندها، «في غرفة منفصلة!» استدركت ضاحكة .
كانت الشقة تقع قرب المعهد، ومكونة من ثلاث حجرات، وقد تم تجديدها من وقت قريب . كان الأثاث ذا ألوان فاتحة وتم ترتيبه بطريقة أنيقة بينما علقت رسومات حديثة على جدران غرفة الجلوس .

– «ستنام في مخزن الأثاث» . أرشدته إلى مكان نومه في الغرفة الثالثة، التي كانت تحتوي على أريكة تصلح للنوم أحاطت بها أكواخ من الصناديق، وعدد كبير من الرفوف الخشبية الغير مركبة .

– «أتمنى أن لا تزعجك هذه الفوضى . وإن كان كذلك، فللأسف لا يمكنني تغيير الوضع، حيث إنني انتقلت إلى هنا منذ وقت قريب، ولم أنتهِ بعد من ترتيب الشقة» .

تركته وحده في الغرفة فوضع أشياءه على الأرض .
كان هناك حقيبتي سفر إلى جانب الباب . ظهر من إحداها طرف

دمية قماشية لتنين أخضر اللون. انحنى (كريس)، وفتح الحقيبة فوق نظره على علبتين بلاستيكيتين. سحب إحداهما إلى الخارج فوجد صورة لوحش آلي مرسومة على الملف الخارجى. كان رأسه مربعاً، وله قناع حديدي، وعيناه صفراوتان، ويدان كالمقص. وقد كتب على العلبة (بيونكل) المقاتل الآلي.

إن هذه اللعبة المصنوعة من المعدن غير ملائمة للأطفال. هكذا فكر (كريس) ثم أخرج اسطوانتين مضغوطتين من الحقيبة، كتب عليهما أسطورة (قطار نوى)، مسموح برؤيته والاستماع لمحته من عمر الست سنوات.

أعاد كل شيء إلى الحقيبة، وبينما كان يقف محتاراً، فتحت (ياسمين) الباب.

- «يا إلهي، كم يبدو عليك التعب. برغم ذلك يمكننا شرب القليل من النبيذ قبل خلودك إلى النوم الطويل». كانت قد بدت ثيابها وارتدى بيجامة حريرية صفرا اللون، مكونة من قطعتين.

- «بكل سرور».

- «إلى المطبخ». قالت، وسبقته إلى الخارج. تبعها وأحضر زجاجة النبيذ المفتوحة من المطبخ بينما قامت هي بوضع كأسين فارغين على طاولة غرفة الجلوس وارتدى على الأريكة وجرّت غطاءً على كامل جسدها حتى ذقنهما.

- «أحياناً أشعر بالبرودة».

صب النبيذ في الكؤوس ثم جلس على الأريكة الأخرى.

ساد الصمت.

كان طوال وقت المساء يفكر كيف ستكون ردة فعلها لو أنه حاول مغازلتها. عندما عرضت عليه المبيت في شقتها، اعتقد أنها دعوة مباشرة

له للتقارب منها . وسرعان ما أصبحت شديدة البعد والبرود ، والآن تصدر إشارة واضحة من الرفض وهذا ما أوقعه في حيرة .

ذلك الشعور المتبادل بالراحة ، الذي ساد بينهما طوال المساء ، وتلك التعليقات المرحة التي كانت تطلقها أثناء الحديث ، كل ذلك اختفى تماماً . حتى أنه بدأ يفكر بالمبيت في فندق .

كانت تحدق إلى كأسها بينما ترتفع بعض الجرعات من النبيذ الأحمر بين الفينة والأخرى . كانت عيناهَا متحجرتين ورطبتين .

تجولت نظرات (كريس) في أرجاء الغرفة ، ثم توقفت عند أحد الجدران الذي عُلقت عليه بعض الصور الشخصية . كانت هناك صورة لزوجين من العجائز ، وأخرى لـ (ياسمين) وهي تقف بين مجموعة في مختبر الأبحاث ، وثالثة لها وهي ترتدي لباساً أخضر اللون ...

- «هل هذه شقيقتك؟» سأله (كريس) بعفوية عندما رأى صورة سيدة تقف إلى جوار (ياسمين) وإلى جانبها صبي صغير . كان من الصعب عدم التوصل إلى أنها شقيقتان مع أن وجه السيدة كان يوحي أنها أكبر سنًا ، ويحمل خطوطاً تتم عن المعاناة . وبالرغم من أن وجه الصبي لم يكن يوحي أنه قد تجاوز الست سنوات أو السبع ، إلا أنه كان ينظر إلى عدسة التصوير بعينين تمان عن معرفة تفوق عمره بكثير . تذكر (كريس) الألعاب التي رآها في حقيقة السفر .

عندما لم يسمع ردها ، استدار نحوها فوجدها تمسح عينيها بكفيها .

- «نعم إنها شقيقتي ، وهذا ابنها الذي يبلغ الآن السابعة من عمره . يعيشان جنوب (السويد) ». كان صوتها يحمل شيئاً من التكتم ، كأنها لا تريد الحديث عن هذا .

- «لا يوجد زوج؟»

- «فقط عند تكون الجنين ثم تخلّى عنها بعد الولادة مباشرة.»
- انكمش وجهها، «أنا متعبة. سأخلد للنوم». قالت باقتضاب.
- «لقد رأيت حقيبة السفر ويدخلها التنين القماشى».
- أومأت، ووضعت الكأس على الطاولة بحركة واحدة ثم نحت الفطاء
- جانباً وقفزت واقفة.
- «سأذهب غداً لزيارتهم».



احتاج (كريس) إلى دقة ليدرك أين هو. إنها التاسعة والنصف صباحاً.

نهض ثم فتح الباب المؤدي إلى الممر. من خارج الشقة تسلل إليه صوت طفل يلهمو بينما تقوم والدته بتأديبه. ثم سمع قرقعة الأطباق الصادرة من المطبخ وقد عبق المكان برائحة القهوة.

- «صباح الخير». قال متعباً.

- «أهلاً». وقفت أمام جهاز تحميص الخبز ونظرت إليه من فوق كتفها. لقد عادت تلك الابتسامة المشرقة، التي عرفها في المعهد وفي مطعم البيتزا. وبالرغم من أنها كانت مصطنعة نوعاً ما، إلا أنه لم يعد يشعر بذلك المزاج الكئيب الذي خيم عليهما في الليلة الماضية.

- «هل نمت بشكل جيد؟»

- «كل شيء على ما يرام» ابتسם وانسحب إلى الحمام، حلق ذقنه وبالغ في الاستحمام. ثم ارتدى أحد القمصان القطنية التي قام بشرائها من أحد المتاجر الرخيصة في اليوم الفائت.

- «يا له من قميص أنيق». قالت (ياسمين) مازحة، عندما دخل المطبخ ورأت ذاك القميص الذي يحمل رسمًا لشاطئ البحر «الخلتان هما أكثر ما أعجبني».

كانت ترتدي بنطالاً من الجينز وقميصاً فاتح اللون وقد زينت وجهها بشكل خفيف، بينما وقفت تتفحص بعض الأوراق الخاصة بالسفر التي كانت تحملها بين يديها.

- «إنه شراء عشوائي، فلم أكن أحمل الكثير من الثياب معي». جلس إلى الطاولة الصغيرة، ونظر إليها وهي تلقي نظرةأخيرة على تذكرة السفر.

- «هل ستسافرين اليوم؟»

- «نعم».

صب كوبًا من القهوة لنفسه وانتظر. إلا أنها لم تضف شيئاً لإجابتها المقضبة.

- «لم أفهم بشكل جيد ما قلته ليلاً أمس، فقد كنت متعباً جداً. هل ستسافرين إلى شقيقتك وابنها؟»

- «الأصح، إلى ابن شقيقتي، نعم».

لاحظ لوهلة تغيراً في نبرة صوتها. بدا له مجدداً تلك النبرة الصادة التي عرفها الليلة الماضية.

وقفت وظهرها له، وهي تتبع ترتيب حقيبة يدها، ثم وضعت بعصبية شيئاً على سطح خزانة المطبخ.

اللعنة، فكر (كريس)، لقد كان من الواضح أنني قمت باختيار الموضوع الخطأ.

- «لم تخبريني الكثير عن نفسك. ما هي طبيعة عملك بالضبط؟» قال (كريس) وتمنى أن ينجح في كسر التوتر الذي ساد حوارهما.

- «أنا ٦ - صحت بارتباك- باحثة في الكيمياء العضوية. أولًا في معهد (ماكس بلانك) حيث تعرفت على (واين). ثم ساعدني في الحصول على وظيفة في الشركة. ومنذ ذلك الوقت وأنا أساعده. أبحاث عن الجزيئات، البروتينات، التي كان يطلق عليها سابقاً اسم الزلال والإنزيمات. إنها المواد الدقيقة في الجسم، التي تنقل الرسائل وتستطيع فعل الكثير».

جلست إلى الطاولة وكانت عيناهما الزرقاء وين مضيئتين وصافيتين، وقد عادت إليها تلك الابتسامة الجميلة. ارتشفت قهوتها.

- «كيف يأتي المرء إلى (دريسن)؟ ولماذا إلى هذه المدينة بالذات؟

- «صدفة». ابتسمت «كان لي صديقة بالمراسلة تقيم في (دريسن) أتيت ذات مرة لزيارتها. تطورت هذه الصداقة وكانت أبحث عن مقعد دراسي في الخارج. وكانت هذه المدينة تعيش حالة مثيرة من إعادة البناء. هذا هو السبب».

- «إنك لم تأكل شيءًا أشار (كريس) إلى الخبز المحمص فاكتفت بهز رأسها رافضة.

- «لقد تناولت فطوري».

أخذ (كريس) قطعتين من الخبز ودهنهما بقليل من الزيادة والمربي، «البروتينات. كنت أعتقد أن الجينات...»

- «إنه أمر معقد بالنسبة لغير المختصين».

- «حاولي».

- «تشكل البروتينات نسبة 50 بالمائة من الوزن الجاف للخلايا، وهي أهم مجموعة من المواد في الأعضاء. وهناك ما يزيد عن العشرة آلاف نوع من البروتين يعمل في الأعضاء البشرية. بروتينات للبناء والنقل والتخزين. وتقوم البروتينات التي تعمل كأجسام مضادة في بناء جهاز المناعة لجسمك وتقضى على أي دخيل».

- ابتسم (كريس)، «لقد فهمت منذ البداية. أنت تهتمين بتلك الأشياء الصغيرة، التي يقدمها علم الأحياء».
- «يمكنك الاستمرار بالتهكم. الوحدة الأصغر التالية هي الأحماض الأمينية التي تتكون منها البروتينات».
- «لقد سمعت عنها سابقاً. علّق مازحاً «يوجد منها عشرين أليس كذلك؟»
- «هل تهتم بهذا حقاً؟ فالماء لا يصادف الكثير من المهتمين بهذا الشأن».
- «كنت أود زيادة مدخراتي ولهذا قمت باستثمارها في شراء أسهم لشركات التكنولوجيا الحيوية، التي ازدهرت بها الأسواق الجديدة في تلك الأيام. كان بإمكاني تحصيل ثمن سفينة (إندرفر) خاصتي خلال عامين، وهذا ما قاله لي مستشار الاستثمارات آنذاك».
- «يا إلهي. تلك السفينة (إندرفر) مجدداً. هل ذهب كل شيء أدرج في الرياح؟»
- «بضعة من الفتيا العباقة قاموا بصرف مالي لشراء بعض الأنابيب المخبرية وبعض الخراطيم، التي جلبت مردوداً جيداً، ثم ذهب كل شيء».
- «لقد أحرز العلم قفزات كبيرة، لكنها لم تكن بتلك الأهمية التي يتم نشرها. عليك تخيل الأمر كالكون، فقد تم اكتشاف بعض الكواكب بحيث يمكن للمرء النظر إلى نقطة معينة وتفسير بعض الأمور. إلا أنه لا يمكننا حتى تحديد حجم ذلك الذي نحاول اكتشافه. كيف لنا ذلك؟»
- وقفت، ووضعت كوبها في حوض الفسيل ثم قامت بإعادة الزبدة والمربى إلى الثلاجة.
- «على الذهب قريباً...»
- أومأ، ثم ساعدتها في ترتيب المطبخ.

- «ماذا عنيت بذلك؟» سألهما بعد برهة.

- «حتى زمن قريب اعتقد العلم أن الجينات هي التي تحكم في كل شيء. إلا أننا أدركنااليوم أن البروتينات والأنواع المختلفة من الأحماض الأمينية، تلعب دوراً أكبر بكثير مما كان يعتقد. خذ الأفاغي كمثال...»
- «الأفاغي؟»

- «نعم. سُمِّها. لقد تم حديثاً التوصل إلى أن سُمِّها عبارة عن خليط معين تحمله بداخلها، مكون من الأحماض الأمينية. أو خذ البكتيريا. فقد تم اعتماد نظرية أن البكتيريا لا تهرم. واليوم تم إثبات أن البكتيريا تهرم كما كل شيء حي.».

- «أفهم ما تريدين قوله».

وقفا إلى جانب بعضهما أمام حوض الغسيل. هو يقوم بفسل الأطباق والأكواب، وهي تقوم بتجفيفها. تلامست أذرعهما عدة مرات أثناء ذلك. لاحظ فجأة أن الزغب الموجود على ذراعها قد وقف، كأنه صعق بالكهرباء. لم يجعله الاضطراب الذي شعر به يفكر بشكل واضح.

- «نحن نضع البداية. لقد قمنا بفتح الباب بشكل بسيط. كيف يمكننا فهم هذا؟ وأن تقول بثقة أن ذلك يكون كذا وكذا، وأن الآخر كذا وكذا...»

- «هل سنرى بعضاً مرة أخرى؟»

- «لنبدأ بكلمة لماذا. فإذا نظرنا إلى الأدوية التي يتم طرحهااليوم في الأسواق، فإننا نعلم فحسب أن لها هذا أو ذاك التأثير، ولكننا لم نكتشف بعد لماذا يحدث ذلك».

أمسك بيدها وجدتها نحوه. انزلق جسدها بعفوية تجاهه.

- «هل سنرى بعضاً مرة أخرى؟»

- «هل ترغب بهذه؟»

أحس بجسدها الدافئ والطري. اجتاحته رغبة جامحة. اقتربت

بجسدها فجأة تجاهه وابتسمت. استنشق عطرها الناعم، ودفعت يدها
اليسرى الملتفة حول عنقه برأسه بحيث أصبح قريباً جداً من وجهها.

كانت شفتها نصف مفتوحتين، وأمسكت أسنانها البيضاء بشفته
السفلية بشكل مباغت وبدأت بشدها بلطف.

- «نعم؟ - همس وهو يتأمل الغمازة في زاوية فمها اليمنى - نعم، بكل
تأكيد. وأنت؟

- «منذ الدقيقة الثانية».

عادت مجدداً لتقبيل شفته السفلية. تفاجأ عندما سحبت النصف
السفلي من جسدها إلى الخلف.

- «ولماذا منذ الدقيقة الثانية؟»

- «ليس الآن».

- «أعتقد أن عليك الذهاب...»

- «خلال ساعتين» قالت وقد لمع بؤبؤ عينيها.

ثم أهلت جسدها بدفعة واحدة من بين ذراعيه. وخيم ظلال على
وجهها، باحثة في عينيه عن إجابات لأسئلة لم يكن يعرفها. ولمح وشاحاً من
الأسرار لم يستطع تفسيره.

- «أرجوك، ليس الآن. إن الأمر صعب جداً، وسأقوم...، كم تمنيت
لو أننا تعرفنا إلى بعضنا قبل هذا اليوم ولو أنك كنت معـي في...،
لتـساعدـني...، ولكن...» - بدا صوتها يائساً. «إنـنا نـرغـبـ بالـتأـكـيدـ بـبرـؤـةـ
بعضـناـ مـجـدـداً...ـ السـبـتـ،ـ حـسـنـاً؟ـ هـلـ هـذـاـ مـمـكـنـ؟ـ وـعـنـدـهـاـ رـبـماـ...ـ سـنـبـقـيـ
عـلـىـ اـتـصـالـ هـاتـقـيـ...»

- «ما الأمر؟»

- «أرجوك! لا تسألي... آسفة... ليس الآن».

الفصل السادس عشر

مدينة (كولونيا)

الخميس

وقف (كريس) أمام نافذة مكتبه المطل على حديقة (كولونيا) لوسائل الإعلام، ينظر إلى الساحة ذات البركة المائية فوق مرآب السيارات. كانت الساحة تخلو من أي إنسان بينما كانت هبات الرياح تجلد سطح الماء. لقد وعدته أن تتصل به، لكنها لم تفعل حتى الآن. لم يكن يعلم أين هي. هل ما زالت تزور ابن شقيقتها؟ أين اختفت؟ لقد ترك لها رسالة على المجيب الآلي الخاص بها ناقها إلا أنها لم تعاود الاتصال به. هل يجري وراء وهم؟ حدق في الموجات الرمادية الصغيرة لمياه البركة، ثم إلى السماء المبلدة بالغيوم. طقس كئيب، وأفكار يائسة أو أنه العكس. استدار دون أن يستقر على فكرة.

كان مكتبه في الطابق السابع بمساحة عشرين متراً مربعاً. على الجدران ثبتت رفوف للملفات، وزينت مساحات من الجدران البيضاء بمطبوعات ضخمة للرسام والفنان الأميركي (أندي وارهول). نظر بتجهم إلى ترکة (فورستر).

على السطح الزجاجي لمكتبه كان هناك بعض الأوراق التي تحوي حسابات للأسبوع القادم، ووراءها الألواح الطينية والعظام.

انعكس ضوء مصباح القراءة على سطح الألواح الطينية فلمعت حبيبات الرمل المكونة لها بلون مُحمر بينما بدت بعض مواضع من العظام ذات لون عاجي.

لقد كان (واين) قد اتصل به صباح هذا اليوم ليعلمه أنه لم يتمكن من الحصول على أي نتائج. فالحمض الوراثي المستخلص من العظام لم يستجب لمصل النمو. إنه ميت.

- «عليك أن تعرف بالحقيقة». قال له (سندر) محذراً «من أين أنت هذه العظام حقاً إن معرفة هذا سيسشكل نقطة ارتكاز مهمة بالنسبة لي». تردد (كريس) في البداية. ثم أخبره عن الألواح الائتمي عشر، وعن المهمة المشوّومة لنقلها إلى (برلين). فما كان من صديق شبابه إلا أن ضحك بمكر.

- «إن تخيلاتك تزداد إثارة! دعك من هذا الهراء يا (كريس). إن لم تشاً أن تخربني بالحقيقة، فلا داعي لهذا كله». ثم أغلق (واين) الخط. واتضح له (كريس) صحة الحكمة القديمة القائلة أن الحقيقة دائماً ما تكون أغرب من الخيال.

لم يعد هناك فائدة من وجوده هنا. فقد ناقش خطة العمل للأسبوع القادم مع (إينا). وعليه أن يركز تفكيره الآن بما ينوي الإقدام عليه. جلس أمام جهاز الحاسوب وبدأ بالبحث في الشبكة العنكبوتية عن أحدث الأخبار فيجريدة (جيبيف). لقد تم التعرف على (فورستر). لقد توصلوا إلى شخصية المستأجر من خلال سيارة المرسيديس وشركة التأجير. كان البيان الأخير قد صرّح أن شرطة (جيبيف) قامت بعقد مؤتمر صحفي حضره كذلك المحامي المسؤول عن إدارة تركه (فورستر). ولقد قال المحامي أنه ليس بإمكانه تفسير وجود (فورستر) في الأراضي الألمانية، حيث إن سيارة خاصة لنقل المقتنيات الآثرية الآشورية كانت بطريقها إلى (اللوفر). ولقد تم السطو عليها.

ووفقاً لوصية (فورستر)، لقد ترك ما تبقى لديه من تحف أثرية لعدد من المتاحف. وأوصى أن تذهب كافة الأموال التي سيحصل عليها من عملية البيع وكل ما لديه من ثروة إلى اليونسكو واليونيسيف بهدف المساعدة في عملية إعادة إعمار العراق. على أن يتم تخصيص النصيب الأكبر لمنطقة (بابل) وما حولها.

لم تذكر الكلمة عنه أو عن الطرد الذي بحوزته. فكر (كريس) بارتياح. ثم ما لبث أن خطر بباله أنه لو كانت الشرطة تبحث عنه فإنهم؛ لأسباب تكتيكية لن يقوموا بالتصريح عن تلك المعلومات، لأنهم يطمحون للوصول إليه.

مرة أخرى نظر إلى الحسابات. لقد بدت سيئة للغاية. ثم أخذ الهاتف الجوال الخاص بـ (ريتسي) وطلب الرقم الذي أعطاه إيه (فورستر). - «نعم». بدا الصوت في الجانب الآخر مليئاً بالدخان. تردد (كريس) متقائحاً. فلم يخطر له أن الشخص سيكون امرأة.



(صوفيا أنتي بولس) بالقرب من مدينة (كان) الخميس

وقفت (ياسمين برسون) بأرجل مرتعدة في دهليز المستشفى وهي تتظر إلى داخل الغرفة ذات الباب المفتوح وإلى ذلك الجسد الصغير جداً تحت الغطاء على سرير المرضى البالغين.

نظر (ماتياس كيلسون) بوجهه الجامد وجلده المريض الشاحب إلى أمه، التي كانت تجلس على حافة السرير وتبتسم له مشجعة. بينما كانت

رسومات القرادنة الباحثين عن الكنز، المنقوشة على بياضات السرير ذات الألوان الزاهية، تسرّر منهم جمِيعاً.

كان الطفل ذا السنوات السبع يرفع بيديه الضعيفتين مجسم (بيونكل) المقاتل الآلي إلى الأعلى.

كان يصدر نشيجاً بصوته الضعيف، كأنه فأر، كان يعيد تمثيل أحد مشاهد فيلم أسطورة (قطار نوي). فقد شاهد الفيلم الذي أحضرته له (ياسمين) معها منذ ساعتين ثم استفرق في نوم عميق بعد شعوره بالإعياء. تفرغرت الدموع في عيني (ياسمين) وتلاقت نظرات الأخرين. لم تظهر أي دموع في عيني (آنا كيلسون) ولكنهما كانتا غارقتين في حزن عميق.

في الدهلiz كان (جالك دوفور) يتقدم بخطوات هادئة ثم دخل الفرفة دون أن ينظر إلى (ياسمين). تحدثت (آنا) إلى (ماتياس) بصوت منخفض وعميق، بعدها وقفت وتبعطت الطبيب. عبروا الدهلiz إلى غرفة الزوار. جلست السيدتان بصمت محدثتان إلى (دوفور)، الذي بدا عليه شيء من المعانة والتفكير وهو يأخذ ملف الأوراق من فوق الطاولة الصغيرة.

- «يُؤسفني أن أعلمك -تجه نحو (آنا)- أن ابنك يعاني فعلًا من عوز البروتين الفا 1، أنتي تريسين الوراثي. وبانتسار النمط الظاهري ZZ تصل نسبة إنتاج المصل إلى 20٪ كحد أعلى من التركيز الطبيعي، مع وجود خطر كبير في إمكانية إظهار صورة المرض».

لقد قام الطبيب بتأكيد ما كانتا تعلمانيه مسبقاً. فقد حدث طفرة في الذراع الطويلة للجين رقم 14. فتم استبدال الحمض الأميني الجلوتامين، بالحمض الأميني ليسين.

الفا 1، مضاد التريسين ينتمي إلى بروتينات المرحلة الحادة، ويكون بكميات كبيرة في الكبد عند حدوث التهابات وذلك لمقاومة البروتينات

البانية للزلال. وعند تبادل الأحماض الأمينية تغير طيات الببتيد، فيترافق هذا الإنزيم في مكان تكونه من خلايا الكبد عوضاً من أن يكون في خدمة الجسم كمصل. وقد يؤدي التجمع المغلوط لهذا الإنزيم إلى تدمير خلايا الكبد.

- «إن (ماتياس) مصاب بأخطر أنماط هذا المرض، الذي يتطور إلى مرض مزمن في الكبد».

حدقت (ياسمين) في وجه شقيقتها، الذي شقت جلده خطوط عميقه، كأنها الأحاديد. وتحولت شفتيها إلى خطين مطريقين على بعضهما لشدة الأسنان، بينما تحولت تجاعيد الضحك إلى خطوط تعكس الأسنان. كانت (ياسمين) تدرك كم أن (آنا) تلوم نفسها لأنها لم تبادر إلى مساعدة ابنتها في وقت مبكر. ولكن هذا كله هراء. فلم يكن ذاك المرض من النوع النادر جداً، ولم يكن تطوره إلى مرض كبدي بالأمر المحتوم.

- «بناء على ما أشرت إليه، إنكم لم تتمكنوا من إيقافه» -خرجت الكلمات بصعوبة من بين شفاه (آنا) - «فقد قال الأطباء أن عملية زراعة كبد جديد هي الحل الوحيد الممكن لإنقاذه. يا له من كابوس».

- «ولماذا لم يتم هذا حتى الآن؟». سأله (دوفور) وشعر بقشعريرة تجتاح أعماقه. دائمأً هذا السؤال: لماذا؟ لماذا لم تنجح التجربة مع (مايك غيلفورد)؟ لماذا مات ذاك الشاب الأميركيكي؟ ولماذا أقتعه بالخضوع لتلك التجربة؟ لماذا لم يعرفوا بعد... لماذا هذا الطفل الصغير الآن؟

- «في البداية يجب العثور كبد ملائم لطفل صغير. ويشرط أن لا تكون نسبة التفاوت بين وزن المترع والمترقي أكثر من خمسة وعشرين بالمائة. وبموت طفل آخر كان من المفترض إنقاد (ماتياس). إلا أن حجم الكبد لم يكن ملائماً. بالرغم من أن هذا لا يحدث في عشرين بالمائة من الأعضاء المترعر بها».

استقررت (ياسمين) بالتفكير فيما مرت به شقيقتها حتى الآن. لقد ناقشتها شقيقتها عدة مرات في أمر التبرع بالكبد الحي. بما أن الكبد يتكون من فلقتين، وتكون الفلقة اليسرى أصغر بوضوح من الفلقة اليمنى. بهذا تناح فرصة تبرع أحد الوالدين الأصحاء بالفلقة اليسرى إلى الابن. وهذا سيؤدي إلى تقليل عدد الأطفال المسجلين على لائحة الانتظار. تذكرت (ياسمين) بألم تلك الليلة التي سألتها فيها شقيقتها إن كانت هي أيضاً مستعدة لتقديم مثل هذه التضحية.

- لا يمكنني الإجابة على هذا السؤال. من الناحية النظرية البحتة سيكون الرد سلبياً حتماً. لا يمكنني أن أقول لك ببساطة: حسناً سأفعل هذا. عندما يكون السؤال محدداً، عندها فقط سأتمكن من الإجابة. فرأي إجابة في غير تلك الحالة ستكون غير صادقة. لماذا تسألين؟» لم تستطع (آنا) كبح دموعها فانهارت باكية. ثم صرخت قائلة: «لقد قررت أن أتبرع بالجزء الأيسر من كبدي لابني!» ثم تابعت: «إلا أن هذا لن يتحقق! فزمرة دمي مختلفة. والتوافق في زمرة الدم يعتبر شرطاً أساسياً.

لمدة يومين كانت (ياسمين) تتجول بين غابات بلادها، كأنها مخدرة، بعدها قامت بإجراء الفحوصات الحاسمة. ولكن زمرة دمها هي الأخرى لم تكن مناسبة، وهذا ما جنبها اتخاذ أصعب قرار في حياتها.

ثم لاح أمل جديد، عندما بدت عملية نقل لجزء من الكبد ممكناً. كاد التبرع بالجزء الأيسر من كبد رجل غريب أن ينقد حياة (ماتياس). إلا أن نتائج فحوصات المناعة التي تسبق العملية كانت سلبية.

فقد أظهر تحليل نقل الدم تناقضاً بين مصل الملتقي وخلايا الدم البيضاء للمتبرع. وفي هذه الحالة ستكون عملية النقل مميتة.

كان العلاج الجيني هو الحل الأخير بالنسبة لـ (آنا) لإنقاذ حياة ابنها

«(ياسمين)، إنك تعاملين في إحدى هذه الشركات. وأنت تعاملين جيداً إلى أي مدى وصلتم حتى الآن. وأنت تعرفين بالتأكيد أين يتم تطوير العقاقير التي بإمكانها إنقاذ ولدي! حتى وإن كنتم تستخدمنون المياه المُبحرة، سجلني أسمائنا. ولا يهم في أي مكان من العالم يحدث هذا».

صاحت (آنا)، هددت، بكت، ترجمتها، عانقتها، ضمتها، بل عصرتها تقرباً، دفعتها ثم انهارت إثر نوبة البكاء الحادة.

جمعت (ياسمين) معلومات حول هذا في مؤسسة (تيسابي) وقامت بترتيب الاتصال.

طردت تلك الذكريات من رأسها، وأصفت إلى الأسئلة التي كان يطرحها (جاك دوفور) بصوت هادئ.

«ـ ماذا عن الأب؟ لماذا لا يحاول المساعدة في هذا الأمر؟»

ـ «لقد أخفى بعد الولادة بقليل. ولده بحاجته وهو غير موجود».

ـ «ـ كان صوت صرير أسنان (آنا) يخترق أضلاع وأرجل (ياسمين). نظرت (ياسمين) إلى الطبيب بريبة. بدا لها (دوفور) غارقاً في التفكير ومتربداً بطريقة غريبة، وكان يحدق بالطاولة بشكل متكرر. كان إقرار الموافقة ما يزال موجوداً عليها. حيث أُشير إلى موضع التوقيع بنقاط متالية. بينما أححيط الفقرات القانونية الحرجية التي تشير إلى حماية الأطباء محاطة وقد طبعت بخط عريض».

ـ «ـ نحن بحاجة إلى إجراء بعض الفحوصات قبل أن تقومي بالتوقيع»

ـ قال (جاك دوفور) فجأة.

ـ «ـ هذا سيؤدي إلى تأجيل عملية البدء بالعلاج لبضعة أيام. إلا أنني أريد التأكد بشكل جازم».



مدينة (كونونيا)

الخميس

- «من هناك؟» سأل الصوت الأنثوي

- «بروفيسور (سولنر)؟»

- «من يتكلّم؟»

احتاج (كريس) إلى بضعة ثوانٍ لتجاوز المفاجئة «هل تعني لك (بابل) شيئاً؟ اللقاء المرتقب يوم الإثنين الماضي باكراً، الذي للأسف لم يتحقق».

- «من أنت؟ إن لم تعرفي بنفسك فسوف أغلق الخط». كان صوتها هادئاً، حازماً ومسؤولأً. وبدت ثقة هذه السيدة بنفسها شديدة الواضح.

- «إنه بخصوص تسليم الآثار إلى متحف الشرق». ترقب (كريس) ردّة الفعل. لقد سمع أنفاسها، وكأنها تصعد الدرج أشاء حديثها على المحمول. صدر صوت خفيف ثم قطع الخط.

عاود (كريس) الاتصال، إلا أن الخط كان مشغولاً.

تدمر ولعن، ثم ضحك بمرارة. كيف له أن يتخيّل أن كل شيء سيتم بسهولة؟ بعد نصف ساعة تمكن مجدداً من سماع صوت السيدة المدخنة على الهاتف.

- «لماذا تقومين بإغلاق الخط؟ إن كررت ذلك ثانية فسيُسعد هذا متحف (اللوفر). فالآثار بحوزتي».

ساد الصمت.

- «أنت لست الشخص الذي قمنا بالتفاوض معه حتى الآن».

- «هذا صحيح، فمن كنتم تتوافقون معه انسحب من الصفقة، ويعتبر آخر لم يعد لديه أي اهتمام بها، ولقد قام بنقل كافة التوكيلات لي». ومجددأ ساد الوجوم على الجانب الآخر. ابتسم (كريس) ببراء، لقد تخطى لتوه العقبة الأولى.

- «حسناً. يمكننا محاولة ذلك» أخيراً قالت البروفسورة ذلك بارتياح.
- «هل الشخص الذي كان على اتصال معنا هو ذاك الذي كتب عنه الصحف السويسرية بإسهام منذ يومين؟»
- هنا سكت (كريس) للحظة.
- «كيف خطرك ذلك بيالك؟»
- «وهل تعتقد أن خبر السطو على حافلة تقل آثاراً آشورية إلى متحف (اللوفر) لن يلقى اهتماماً؟ لقد انتشر هذا النبأ داخل الوسط في غضون ساعتين. ولقد تابعت كذلك المؤتمر الصحفي صباح هذا اليوم بخصوص الحادث على طريق السفر رقم 9، هل كان هذا أنت؟»
- «كلا. وأياً كان ذاك الذي قام بتلك الجريمة، فإنه قد ضرب في المكان الخطأ. فالألواح الطينية معي. لقد كنت حتى الآن أنتظر التعليمات. ومن الواضح أنها لن تأتي...، ومع هذا فإنني سأقوم بتنفيذ الجزء الخاص بي من العقد».
- «هل تعني أن سفر (فورستر) إلى (برلين) لم يكن إلا حيلة تمويهية، بينما تقوم أنت عملياً بنقل الألواح الأثرية؟»
- «رائع أيها السيدة البروفسورة، استمرى بالتفكير هكذا». قال (كريس) في نفسه.
- «هل كنت تعرفينه؟»
- «(فورستر)؟ كلا ليس شخصياً، -اصطنعت سعلة خفيفة- ولكنـه معروف بالنسبة لي، كتاجر تحف طبعاً. إنه رجل ذو سمعة مريبة».
- «وبالرغم من ذلك تريدين شراء التحف منه؟»
- «إنها صفقة مشروعة». قالت ببرود.
- «وماذا الآن؟» سأله (كريس) بعد لحظات «فأنا سأحل مكانه».
- «اذهب إلى الشرطة».

- «لن أفعل هذا. فنحن نتحرج الكتمان التام في مجالنا، وليس من الوارد اللجوء إلى الشرطة».
- «ماذا تعتقد، كيف سيبدو هذا، إن قمت أنا الآن...».
- «أنا المالك وهذا مثبت في العقد».
- ـ ساد الصمت لوهلة... «هل تريـد مـالـ؟»
- «نعم. طـبعـاً».
- «إن جـمـعـيـةـ الشـرـقـ وـمـمـوـلـوـهـاـ لـيـسـواـ تـجـارـاـ».
- «وـأـنـاـ لـاـ أـعـمـلـ فـيـ جـمـعـيـةـ خـيـرـيـةـ».
- «أـرـادـ (ـفـورـسـتـ)ـ تـسـلـيـمـاـنـ الـأـثـارـ دـوـنـ مـقـابـلـ».
- «لـقـدـ أـخـبـرـنـيـ (ـفـورـسـتـ)ـ أـنـهـ تـمـ الـاـنـفـاقـ عـلـىـ السـعـرـ».
- ـ سـادـ جـوـ مـنـ التـوـتـرـ الـحـادـ،ـ كـأـنـ الـجـوـالـ قـدـ شـحـنـ بـطـاقـةـ عـالـيـةـ.
- «لـقـدـ كـانـ عـرـضـنـاـ الـأـخـيـرـ مـئـةـ أـلـفـ يـوـروـ».
- «إـنـكـ لـاـ تـجـيـدـيـنـ الـكـذـبـ».
- «ضـحـكـ (ـكـرـيـسـ)ـ بـتـهـكـمـ».
- «هـنـىـ أـخـتـصـرـ الـوـقـتـ.ـ لـقـدـ تـمـ الـاـنـفـاقـ عـلـىـ مـبـلـغـ عـشـرـ مـلـاـيـنـ».
- ـ عـلـىـ أـنـ يـتـمـ تـحـوـيلـهـاـ إـلـىـ الـيـونـيـسـيفـ وـالـيـونـسـكـوـ.ـ وـكـانـ مـنـ الـمـفـتـرـضـ أـنـ تـرـىـ الـأـثـارـ صـبـاحـ يـوـمـ الـإـثـنـيـنـ،ـ يـوـمـ الـثـلـاثـاءـ تـقـوـمـونـ بـتـحـوـيلـ الـمـبـلـغـ وـيـوـمـ الـأـرـبـعـاءـ يـتـمـ التـسـلـيمـ.ـ هـكـذـاـ كـانـ الـاـنـفـاقـ».
- «ماـذـاـ لـدـيـكـ لـتـسـلـمـهـ؟ـ لـمـ يـدـأـيـ ذـهـولـ أـوـ يـأـسـ عـلـىـ الـعـالـمـ».
- «أـلـوـاحـ طـيـنـيـةـ سـوـمـرـيـةـ».
- «اـذـهـبـ إـلـىـ الـشـرـطـةـ وـأـوـضـحـ لـهـمـ الـأـمـرـ،ـ وـبـعـدـهـاـ يـمـكـنـاـ إـتـمـامـ الصـفـقـةـ فـيـ أـيـ وـقـتـ».
- «سـوـفـ يـصـادـرـونـ كـلـ شـيـءـ».
- «تـمـاـمـاـ.ـ هـلـ عـلـيـنـاـ أـنـ نـدـفـعـ ثـمـ تـصـادـرـ الـمـقـتـيـاتـ وـهـيـ بـحـوزـتـنـاـ؟ـ إـنـكـ لـاـ تـقـنـعـنـيـ.ـ هـذـهـ الـلـقـىـ تـعـودـ لـنـاـ أـصـلـاـ وـتـمـ سـرـقـتـهـاـ».

ابتسم (كريس) فقد تباً (فورستر) بما سيحدث.

- «تعتبر القوانين السويسرية فيما يخص الآثار ملائمة جداً للمهربين. حيث يحصل المرب على الآثار ويقوم ب تخزينها مدة خمس سنوات في مستودع الجمارك، بعدها يصبح له الحق في امتلاكها. وأنت تعلمين جيداً أن هذه اللقى كانت بحوزة (فورستر) مدة أطول من تلك بكثير. فلن يفيدك ما قلته في مثل هذه الحالة».

- «توجد اتفاقيات دولية».

- «اتفاقيات اليونسكو؟ ضحك (كريس) ساخراً. «قانون نقل الملكية الثقافية؟ ينص على مضي ثلاثين عاماً كمدة للتقادم. وهذه المدة تجاوزها أيضاً. إضافة إلى أن الكثير من هذه القوانين لا تزال في كثير من البلاد معلقة للبحث. وفي (ألمانيا) لم يتم تطبيقها بعد. وذلك لسبب بسيط. وهو أن (ألمانيا) إحدى أكبر أسواق تجارة الآثار. إنه الرياء في كل مكان».

- «وما هو تصورك للأمر؟»

- «سأقدم لكم سعراً خاصاً. مليون يورو مكونة من ألفين وخمس مئة ورقة، تدفع لي نقداً. هذا العرض متوفراً لمرة واحدة فقط. إن لم يكن لديكم اهتمام، فسيسعد هذا حتماً (اللوفر) أو المتحف البريطاني. فلطالما ألمهم أن يكون مكتشف (بابل) هو الألماني (كولدوي)».

مرة أخرى ساد الصمت.

- «هل لديك اسم؟»

- «(ريتسي). هل يعجبك هذا؟»

- «إيطالي؟ سيد (ريتسي)، إنك تتحدث الألمانية بطلاقة. عاود الاتصال بي مساء الغد».

- «كلا. غداً صباحاً. فإذاً أن تنهي الصفقة غداً أو لا».

الفصل السادس عشر

(باريس) مساء الخميس

كان (هنري مارفن) يطل من جناحه في الفندق الفاخر على (الشانزلزيه)، كان قد أزاح الستائر جانباً بينما أبقى يديه متشبستان بالقماش. كاد ينفجر وهو يحاول كبت غضبه عندما رأى الألوية المطبوعة على الدفاتر الصفيرة التي أراد البريتوريانين من خلالها نشر أفكارهم في (أوروبا). يوم الأربعاء القادم ستبدأ فعاليات المؤتمر الذي دعت إليه جمعيتهم الدينية، والذي ستطلق من خلاله حملتهم الدعائية في (أوروبا). وخلال هذا س يتم التعريف بالكتيب الصغير.

عاد الناشر إلى أريكته، وتأمل تلك المعالم الناعمة لوجه (إريك مايكل لافاليه)، التي أظهرتها بطريقة أكثر وضوحاً تلك النظارة المصممة خصيصاً. لم يلحظ حتى شعرة خيط على بذلته الداكنة، وتوقع (مارفن)، أن هذه البذلة لا تعني لذلك الرجل أكثر من منحه منظراً أنيقاً وشعوراً بالأمان.

كان (لافاليه) شاباً ذكياً ومثقفاً، درس علم الفلسفة، وهو خبير باللغات القديمة، التي كانت تَعَد دراستها، سابقاً، بمستقبل زاهر. لقد قام بدعم من أحد أساتذته باكتشاف ونشر ترجمة لخطوطات أكادية حول

عرش المفترض (سرجون)، في مجلة اللوفر. لقد حقق هذا الملك 34 انتصاراً على ملك أوروك ومن ثم أسس الامبراطورية الأكادية العظيمة التي حكمت بلاد ما بين النهرين لمدة مئة وستين عاماً.

إلا أن القانون حرم هذا الشاب من مكانته الاجتماعية والعلمية، حين تم القبض عليه عندما كان يقوم بتزوير شهادات لقطع أثرية لصالح أحد التجار المحتالين. وكانت تباع هذه الشهادات مع القطع الأثرية لإيهام المففلين من جامعي التحف بأنها ذات قيمة أثرية عالية.

دفعت هذه المشكلة بـ(لافاليه) إلى أحضان البريتوريانين، وهنا انتبه (مارفن) لهذا الشاب وبدأ الاعتناء به.

إنه ما يزال بحاجة الشاب الفرنسي. وكان على (جاستن باري) أن يحصل أخيراً على البضاعة التي أراد (مارفن) عرضها على البابا. وبالمقابل يريد أن يحصل على اعتراف بالبريتوريانين كأخوية دينية أو ربما كحبرية خاصة. وبهذا يستطيع تتوسيع انتخابه كرئيس للبريتوريانين.

الثلاثاء سيكون اليوم الكبير. على الدرجة نفسها مع (الأبوس داي)! هذا حقه! وسيكون هو على قمة الأخوية الدينية!

سيقود رعية تضم أكثر من مئة وخمسين ألف من المؤمنين في جميع أنحاء العالم، بإيمان لا يتزعزع ويقادون بطريقة أشد من (الأبوس داي)، وسيتبعونه إلى كل مكان، لا أحد سيجادله فيما ينوي فعله.

وحتى تحصل الحملة الدعائية على المزيد من الدعم، سيتم الكشف عن بعض أعضائها من المشاهير. وستعلم القارة العجوز أخيراً، لماذا يدور هذا الصراع الدامي في (الولايات المتحدة) بين العلم والإيمان. وستحصل هذه الشرارة إلى هنا لتحول معابد هؤلاء الكفرة إلى ركام ورماد. لم يدرك العلماء بعد أنه مستعد للذهاب إلى النهاية!

والآن فشل (لافاليه) في تصميم كليب يوقف مشاعر الناس

ويشدّهم. إلا أن (لافاليه) لم يكن متّلّفاً ولم يكن الشخص الذي يعرف أي نوع من العشب الروحي ذاك الذي تحتاجه تلك الخراف المضطربة.

- «بغض النظر عن التأخير في عملية التحضير لطباعة ذلك الكتيب، فإن الأمر الأسوأ عزيزي (لافاليه) هو أن تصميم ومحظى الكتيب لم يكونا بالمستوى المطلوب أبداً. الكثير من الفيزياء والعلوم الكونية، والقليل جداً حول الحفريات وعلم الأحياء الدقيقة والتفكير البشري الصحيح! لماذا لم تلتزم بنماذجنا المحفوظة؟»

- «أردت تقديم شيء جديد». قال الفرنسي ببساطة.

- «أعني لو أنك التزمت بالحجج التي قمت أنا باختيارها، لزاد ذلك من قوة الإقناع».

- «كلمة شرف! كلمة شرف! صدقني. لقد قمنا بتغيير هذه النصوص عدة مرات ونعرف تماماً قوة تأثيرها». أخذ (مارفن) أحد الكتيبات وبدأ يقرأ وهو يهز رأسه مستكراً: « علينا أولاً أن نرد على الجدل الدائر بيننا وبين العلماء، ونوضح لهم أنه لا يوجد سوى نموذجين لبدء الخليقة. إما الطريقة العشوائية أو الطريقة المدروسة. النشوء والارتقاء، أو الخلق الإلهي». رقم (مارفن) الفرنسي بنظرة حنونة، كأنه الأب الصديق بالرغم من أنه كان يود لو أنه يرسله إلى الجحيم.

- «ومن ثم عزيزي (لافاليه)، يجب أن تأتي إحدى حجاجنا. علينا أن لا ندع الناس في هذه الحيرة وقتاً طويلاً. كان علينا أن نبني لهم منذ البداية أن نظرية النشوء والارتقاء مجرد أحد النماذج، بمعنى آخر هو إيمان العلماء. وبينما تبني عقيدتنا على الإيمان بالخلق الإلهي كدين، فإن عقيدتهم تبني على العلم فحسب. وبهذا فإنك تقول باختيارك لهذه الكلمات أن نموذج النشوء والارتقاء مجرد نظرية وليس أكثر».

نظر (لافاليه) إلى الناشر الأميركي بحيرة: «أنت تعلم جيداً أن

مصطلح نظرية، يتم استعماله في العلم بمعنىً مختلف تماماً، فهو يعبر عن أعلى درجات المعرفة.».

- «(لافاليه) ولكن هذا هو المقصود بالضبط، علينا مهاجمتهم من هناك».

- «أنا أيضاً عالم في الفلسفة الإنسانية، ويسري مصطلح النظرية بالنسبة لي.»

- «ولكن ليس باللغة العامية (لافاليه). يجب أن نبدأ من هنا. وهذا أيضاً يكمن خطأك. يجب أن نتعامل على أساس المستوى اللغوي للقارئ، ونطرح حججنا من خلاله. بالنسبة لهم تبقى النظرية مجرد فرضية، لم يتم إثباتها». أظهرت إيماءات وجه (لافاليه) مدى امتعاضه من التلاعب بمعنى مصطلح النظرية.

- « علينا أن لا أن نقى...» تمهل ليجد التعبير المناسب. أمال (مارفن) رأسه ورفع حاجبيه. كان متشوقاً لمعرفة كيف سيتمكن (لافاليه) من الخروج من هذا المأزق. فقد مر (مارفن) بالكثير من التجارب مع أعضاء جدد كانوا متأثرين بالأفكار العلمية البعثة، فوقعوا هنا في مثل هذا الارتباك.

- «... نختبئ خلف هذه التعبيرات الدلالية. فنحن لسنا مضطربين لذلك».

- «معك حق عزيزي (لافاليه)، إلا أن العالم ليس بتلك العدالة التي تتمناها. لقد اخترع أعداؤنا الطفرة لأنهم لم يتمكنوا حتى الآن من التوصل إلى ما يربط بين الكائنات وحيدة الخلية والإنسان، ولا أي برنامج للحمض النووي استطاع أن يثبت تحول الأنواع. البكتيريا تحوي جينات لأنواع من البكتيريا ليس أكثر. لم يعثروا على جينات بشرية متحولة أو على جينات من سمك القرش».

مع كل كلمة كان صوت (مارفن) يرتفع ويصبح أكثر انفعالاً. وما لبث أن أحمر وجهه الهادئ وتوجهت سباباته كالأسهم نحو (لافاليه).

- «إنهم يحاولون يائسين الاحتجاج بتشابهات مختلفة وأعضاء ضامرة. فتصبح الخياشيم بالنسبة لهم القنوات الداخلية للأذن البشرية. إنهم يدعون حدوث عدد لا متناهٍ من الطفرات العشوائية ليفسروا من خلالها تكون مخلوق معقد كالإنسان. كم هائل من الصدف العشوائية، التي لا يمكن حدوثها حتى من الناحية الإحصائية. وهنا يمكننا تجاهل ذلك الأمر الصغيرة. أليس كذلك؟ وأنا لا يعجبني على الإطلاق عدم ذكرهم لاسم الإله الخالق ولو لمرة واحدة».

- «مونسينيور (مارفن)، لقد التزمت بالتطورات التي حدثت في بلادكم فحسب. ففي أحد نقاشهما لم يذكر أولائك، الذين يحاربون العلماء ونظرية النشوء والارتقاء، اسم الرب. وكان ذلك معمداً».

- «أعلم». قال (مارفن)، وشرب القليل من النبيذ الأحمر ثم وضع الكأس بعصبية على الطاولة «فالخدعة الجديدة التي يستخدمها بعض مثيري الفتن من البروتستانتيين، أنهم يقارنون بينهم وبين العلماء لأنهم يريدون إقطاع الناس. وفي سبيل هذا هم يتجاوزون نفاطن الهجوم أملاً بالتقدم. ولقد سمي الرئيس هذا بالنقاش بين مدرستين فكريتين».

لم يبدُ على نظرات (لافاليه) أنه قد فهم ما عنان الرجل الأكثر نفوذاً بين البريتوريانيين «وما هو الخطأ في ذلك؟ إن كان هذا سيؤدي إلى تحقيق الهدف وإسقاط القناع عن وجه العلم ونظرية النشوء والارتقاء».

- «الخلق هو صناعة الإله! إنه مذكور في السفر الأول والثاني من العهد القديم في الكتاب الأول لموسى. ويشرح بدء الخليقة بعشر خطوات خالية من المغالطات وبالسلسل نفسه الذي يبينه العلم أيضاً في المراحل الأساسية لنشوء الحياة...»

جمع (مارفن) نفسه وخفض نظراته بعيني (لأفاليه)، كأنه منوم مفناطيسى.

- «في البداية كان خلق السماء وكل العالم، أي الكون. ثم تسلل الخيط الأول للضوء، الذي سماه الإله بالنهار، ستار الغاز والغبار، اللذان يعتبران من شروط وجود الحياة. فصل الله السماء عن الأرض وبهذا خلق الدورة الهيدروليجية. الحرارة والضغط، والخطوة الرابعة، أوجد اليابسة والبحر...»

ازداد اندماج (مارفن)، وأشار له (لأفاليه) بيده باسترضاء، لكن البريتورياني لم يتوقف.

- «...وفي الآية الحادية عشرة أوجد المياه الصالحة للحياة، الضوء وكميات كبيرة من ثاني أكسيد الكربون. وفي المرحلة السادسة بدأت النباتات بانتاج الأكسجين، وبهذا تغير الجو وأصبح شفافاً، وأصبح بالإمكان رؤية الشمس والقمر في السماء، اللذان يلعبان دوراً في تحديد الزمن، اليوم، النهار والليل وفصول السنة. وأمر الله أن تدب الحياة في المياه، والهواء، وأوجد الدواب والحيوانات البرية على الأرض» - أخذ نفساً ثم تابع - «ثم خلق الله الإنسان، وفي اليوم السابع أنهى الخليقة، ومنذ ذلك الحين لم يوجد شيئاً جديداً بعدها!»

تحول صوت (مارفن) العالى إلى شبه همس: «(لأفاليه)، عليك أن تنتبه لهذا. بناء على حساب الاحتمالات، فإن احتمال أن يكون موسى هو الذي خمن ودون هذا التسلسل الصحيح، سيتجاوز الملايين. وبغض النظر عن التسلسل، فكيف توصل موسى إلى تلك الخطوات تحديداً، التي عرفها العلم الحديث فيما بعد واعتبرها أساساً لتكون الأرض والحياة؟ على العكس تماماً من أساطير الخلق الأخرى والملائكة بالمقاتلات!»

- «مونسينيور (مارفن)، أنا أواقفك الرأي تماماً...»

- «إنه خلق الله!» ارتفع صوت (مارفن) مجدداً «على الجميع أن يعرف هذا! نحن البريتوريانيين حماة الكتاب المقدس. وهنا يمكن تمييزنا عن البروتستانتيين. نحن نخلص لإلهنا. والذين يجادلون دون ذكره فإنهم يخونونه وينكروننه. إنهم ليسوا أفضل من أولئك الذين يؤمنون بنظرية النشوء والارتفاع». - «مونسينيور (مارفن)، فلماذا قام الفاتيكان إذاً بالاعتراف بنظرية النشوء والارتفاع؟»

- «بلبلة، (لافاليه)، بلبلة في أعلى المستويات. ولكن مهمتنا المقدسة ستدعم...» قطع رنين المحمول كلام (مارفن)، أخذ رشفة من النبيذ الأحمر ثم أجاب باقتضاب: «نعم».

وقف (مارفن) فور سماعه اسم المتصل، وتوجه إلى الحجرة المجاورة. كان (لافاليه) بمثابة مساعد لـ (مارفن). فقد كان قريباً من المقدسيين، لكن بقي عليه أن يجتاز الاختبار الأخير. وحتى ذلك الحين لم يكن يحق له معرفة كل شيء.

- «أخبرني» صاحت عينا (مارفن) حتى بدت كأنهما خطرين.

- «ومن هو ذاك الخنزير؟»

- «يدعى (ريتسي)» قال الصوت الذكوري عبر الهاتف.

❖ ❖ ❖

(برلين)

بعد قليل

جعل الاتصال الهاتفي ضفط (جاستن باري) يرتفع حتى احمر جلد وجهه القاسي وكاد أن يصاب بنوبة قلبية. وبالرغم من أن (مارفن) لم يشر إلى فشله يوماً، إلا أنه كان يدرك أن هذه هي فرصته الأخيرة.

مسح بيده على شعر رأسه الداكن ذو القصبة العسكرية القصيرة، ارتشف جرعة من الكوينياك ثم ألقى بنظرة باردة إلى نائبه (كولين غلاسر). كان (كولين غلاسر) يكاد يكون توأمًا للممثل (آلن ديلون). اختاره (مارفن) دون أن يستشيره منذ نحو عام ليصبح رئيساً للأمن في (أوروبا)، وقد أوضح له أنه هو من سيقوم بالتحكم في كل الأمور.

كان (باري) يشغل منصب رئيس الأمن ومنتسب إلى البريتوريانين منذ خمس سنوات. لم يكن يعني له الإله شيئاً إلى أن انفجرت قنبلة بجانبه أثناء مشاركته في حرب الخليج الأولى في العراق. وقد نجا من الموت المحقق بأعجوبة.

هناك، وفي ليالي الصحراء الهدئة والصافية عاد بذاكرته إلى صلوات الطفولة. ذات ليلة وعلى سريره العسكري في إحدى الخيام المنصوبة في الصحراء العاصفة، وبين أصوات شخير زملائه، قطع على نفسه عهداً جديداً مع الله، أن يبقى مخلصاً وتابعًا له إلى الأبد.

بعد الحرب ساقته أقداره إلى وحدة مكافحة التجسس في قاعدة القوات البحرية الأمريكية في (سان ديغو)، حيث تعرف بعد سنوات على البريتوريانين وانضم إليهم. تفاهم (مارفن) مع (باري) منذ الوهلة الأولى. فقد وجد الاثنان طريقهما إلى الله من خلال الحرب. (مارفن) في (فيتنام) و(باري) في حرب الخليج. وكلاهما واجه في الحرب ذلك الاختبار الصعب، الذي أرشدهما في النهاية إلى الطريق الصحيح.

إضافة إلى ذلك كان (مارفن) معجبًا بخبرة (باري) في مجال التجسس الوقائي، الأمر الذي جعله يعينه رئيساً للأمن.

شكل (باري) فريقاً للأمن يدين بالولاء التام له (مارفن). كانت مهمته الأخطر حتى الآن هي مطاردة الآثار، وذلك لأن اعتراف الكنيسة بجمعياتهم كأخوية دينية كان مرهوناً بنجاحهم بتلك المهمة.

- «لا يجب أن نخفق هذه المرة» - تتم (باري) وارتدى على الأريكة في أحد أفخم فنادق (برلين) - «والا فسينتهى أمري».

- «هذا لن يكون». قال (غلاسر) وهو يحدق في شاشة التلفاز الذي أعاد رفع صوته بعد أن كان قد أوقفه أثناء مكالمة (باري) الهاتفية.

إنك تنتظر تلك اللحظة، فكر (باري)، وصب لنفسه كأساً جديداً من الكوبياك بينما كان يلخص أحداث الأيام الأخيرة.

لأشهر طويلة لم يتمكنوا من التوصل إلى أن (فورستر) هو المشجع السري للمتاحف، فقد كان يقدم عروضه للمتاحف البرلينية من خلال مراسلين وقنوات مختلفة. ومنذ نصف أسبوع فقط، تمكنا من النجاح في ذلك. عندما قاموا بتعقب أحد الرسل من (برلين) إلى (جييف) عند توجهه إلى إحدى شركات الأمن.

وقع اختيارهم على (فريديريك بيرغ). كان رجلاً في سن التقاعد، متين البنية، ممتئ الجسم وذا وجه متحجر المعالم وعيتين بنظرات نادمة دوماً.

كان يعمل كموزع للموظفين في شركة الأمن التي عينت المراسل الأخير، وكان مستعداً لبيعهم كل ما يريدون معرفته من معلومات مقابل حفنة من الدولارات.

حصل (باري) على المعلومات الخامسة من (بيرغ) عند لقائه به ظهر يوم السبت في كاتدرائية (سانت بيبير) في البلدة القديمة في (جييف).

- «قام موظفونا بملئ الشاحنة منذ صباح هذا اليوم. ستتطلق مساء الغد متوجهة إلى متحف (اللوفر) في (باريس). ستصل صباح يوم الإثنين وسيتم تكريفيها. وتتابع الثلاثاء طريقها إلى (برلين)، ثم تعود بعد ظهر الأربعاء».

كانوا منذ أيام يراقبون فيلا (فورستر) في ضاحية (كولونييه

بيليريفي) في (جييف) وقد رصدوا وصوله إلى هناك بعد ظهر يوم السبت. لقد أبقاموا ذلك العجوز على الطرق طوال يوم الأحد. فقد ذهب للتنزه في إحدى الحدائق في (مانجو) وأعجب خلال زيارته لمحف تاريخ الطبيعة بنسخة الهيكل العظمي الخاص بالأثيوبي (لوسي)، قبل أن يتوجه بعد الظهر إلى مطعم فاخر في أحد الفنادق الفريقة، للاستمتاع بتناول وجبة غنية.

كان حارسه الشخصي (أنتونيو بونتي) يرافقه طوال الوقت. ثم أعاد تاجر التحف إلى الفيلا، وفي وقت متأخر من ذلك المساء انطلاقاً من الشاحنة باتجاه (فرنسا).

قاموا بمتابعة الشاحنة وكانت عملية السطو على وشك الحدوث عندما اتصل بهم (بيرغ) ليخبرهم بذلك النباء المرعب.

- «إنه لا يرافق الشاحنة المتجهة إلى (اللوفر)».

- «لقد رأيته بنفسه بسيارته الجاكوار» -أجاب باري- «وكان حارسه الشخصي برفقته».

- «هذه هي الخدعة. وجود (بونتي) مجرد تمويه. إنه يرافق شبيهاً تم اختياره بعناية فائقة. ولكنه ليس (فورستر)».

- «كيف لك أن تكون متأكداً إلى هذا الحد؟»

- «لقد تحدثت لتوi مع مديرني. قام بمراقبة انطلاق الشاحنة من الفيلا، وعاد إلى المكتب منذ دقيقةتين. وقد لاحظ وجود الشبيه وسأل (بونتي) عن ذلك. الأشياء المهمة بحوزة (فورستر) الحقيقي، الذي انطلق منذ ساعتين في طريقه إلى (برلين)».

شلّ اتصال ذلك الخائن تفكير (باري) لدقائق، ثم قرر تصديق ما قاله (فريديك بيرغ). فغير اتجاهه منطلاقاً إلى (برلين)، بينما قام (كولين غلاسر) وفريقه بالسطو على الشاحنة الأخرى عند الحدود الفرنسية.

لم يكذب (فريديريك بيرغ)، وكان (باري) سعيداً لأنه أعطاه المزيد من الدولارات.

عندما صوب (غلاسر) فوهة مسدسه إلى جبين (بونتي) استطاعوا معرفة رقم السيارة ونوعها ومواصفاتها، الحارس الأمين لتاجر الآثار.

أعطى (باري) تلك المعلومات التي تمكن من الحصول عليها إلى الفريق الاحتياطي المتوجه إلى (برلين).

انطلق فريق الدراجات النارية من (برلين) وقطع نحو مئتين وخمسين كيلومتراً على الطريق السريع حتى وصل إلى تقاطع (هيرمس دورف)، حيث يتقاطع الطريق السريع رقم 4 من الغرب مع الطريق السريع رقم 9 من الجنوب. ومهما كان اختيار (فورستر) فسيكون الطريق السريع رقم 9، هو الذي عليه أن يسلكه للوصول إلى (برلين).

ثم قام الفريق بالتعرف على السيارة عند منطقة إصلاح طرق خلف التقاطع مباشرة، حيث افتعلوا وجود عطل في إحدى الدراجات النارية، وقاموا بإعطاء إشارات ضوئية للسيارات المارة للتخفيف من سرعتها.

حسنت تلك الأخبار من مزاج (باري) للحظات. فقد قام (نويل بابن بريديج) بترتيب كل شيء، وتمت السيطرة على شاحنتين. إلا أنه من خلال جهازه الجوال الذي أبقاءه مفتوحاً، كان على (باري) أن يتبع تفاصيل فشل العملية دون أن يتمكن من التدخل. فقد كان على بعد مئات الكيلومترات عندما تم محو فريقه.



مدينة (دريسن)

مساء الخميس

جلس (واين سندر) أمام جهاز الحاسوب الخاص به يلعن تلك الإجراءات الأمنية المشددة للمؤسسة، التي تحول دون قدرة العاملين على تحميل أو نسخ أي معلومات من أجهزتهم دون إذن المشرف على بنك المعلومات. الذي كان يراقب بدقة ما يمكن نسخه من معلومات. وفي حالات الارتياب، قد يقوم المشرف بالاتصال بالمكتب الرئيس للمؤسسة لسؤالهم عن كيفية التصرف. إلا أنهم لم يكونوا بالدقة المطلوبة فيما يخص تبادل البريد الإلكتروني وسائل المعلومات.

في كل فرع من فروع المؤسسة كان هناك مختص واحد على الأقل في مجال الكمبيوتر، الذي كان يخضع لإدارة المكتب المركزي، حيث يتم هناك إبلاغ الأمن عن أي أمر مريب يحدث. إلا أنه بقي أمر واحد لم يتمكنوا من السيطرة عليه: لا وهو الأوراق.

فلم يستطيعوا ضبط ما يتم طباعته بشكل يومي على الأوراق. ضغط (سندر) على زر الطابعة، التي بدأت بطباعة المعلومات على الأوراق. اضطر (سندر) لإعادة ملئ الطابعة ثلاثة مرات بالأوراق. ثم أخذ الرزمة المطبوعة ودسها في الحقيبة التي أحضرها معه.

كان على وشك أن يطفئ أنوار مكتبه عندما تذكر (كريس) وتحليل الطعام الخاص به. لم يطرأ أي تغيير على العينة حتى الآن. فقد كانت الخلايا ميتة ومعها الحمض النووي. محلول النمو لم يحدث أي مفعول. ولم يعد (سندر) يتوقع أن هذه الحقيقة ستتغير. لقد استخدم مجموعات أولية مع محلول مغذي قوي دون أي نجاح. احتوى محلول المغذي على فيتامينات متنوعة، سكر، أملاح، أحماض أمينية ضرورية، حمض الجلوتامين، حمض السيستين المذاب. كانت درجة حرارة الحاضنة تساوي 37 درجة مئوية

تماماً. وبهذا قام بتحضير كل ما هو مطلوب لتحويل تلك العينات من العظام الميتة إلى مزرعة من الخلايا الصالحة للفحص.

ربما لم يكن هذا المحلول المغذي بالقوة المطلوبة. فعندما تكون بقايا الخلايا قديمة ومتآكلة، قد تحتاج إلى محفز قوي لمساعدتها على الانقسام. هذا إن كان هناك حياة متبقية في هذه الخلايا أصلاً.

لم يفكر خلال الأيام الثلاث الماضية بصديق طفولته كثيراً، فقد كان شديد الانشغال بمشاكله الخاصة. حيث توجّب عليه أن يجمع أحدث المعلومات في مذكرته، التي احتوت على كافة المعادلات ونتائج الأبحاث والخطوات التفصيلية للمنتج. وقد استغرق وقتاً طويلاً لإحداث ثلاثة أخطاء متعمدة ودقيقة حتى يتمكن من حماية نفسه.

كانت قصة (كريس) وتلك العظام، مجرد محاولة صغيرة لصرف الأنظار عما ينويه فعلًا، إضافة إلى أنها خدمة لصديق شبابه بالرغم من عدم افتتاحه بما رواه له من أحداث. فقد فاقت القصة التي رواها له (كريس) صباح هذا اليوم على الهاتف كل توقعاته. تاجر آثار يريد أن يكفر عن ذنبه، وصيته الأخيرة... عملية نهب وسطو... هل يعتبره أحمق لهذه الدرجة؟

لا يهم، إن أراد صديقه الاحتفاظ بأسراره فهو أيضاً لديه ما يخفيه. تنهد (سندر)، ونظر حوله مجدداً، ثم قرر أن ينهي تلك اللحظات العاطفية. كل دقة يمضيها في هذا المختبر تبقيه بعيداً عن مشكلات بيته. فقد وصلت الأمور هناك إلى حد لا يتحمل. ففي الليلة الماضية نشب خلاف كبير بينه وبين زوجته عندما أخبرها أن عليه السفر مرة أخرى. وضع حقيبته وتوجه إلى المختبر. كان يريد ترك ورقة لـ (ياسمين) يخبرها فيها أن عليها تدمير الخلايا المزروعة عندما تأتي في عطلة نهاية الأسبوع لإطعام الحيوانات.

ما هذا الانفجار العظيم؟. فتح باب حاضنة الخلايا، وفي قعرها حيث وضع بالأمس محلول المغذي، نمت الخلايا بشكل مخيف حتى أن بعض الأوعية كانت ممتلئة بشكل كامل بتلك الخلايا.

- «أمر لا يصدق» - تتمت (واين سندر) - «ربما ستحصل فعلاً على نتائج التحليلات يا (كريس)».

ارتدى قفازين ووضع حمامنة غطت أنفه وفمه، وسحب بعض الخلايا من الحاضنة، ووضعها مجدداً في أنبوب يحوي على محلول المغذي. لم يكن يعلم حقاً لماذا يقوم بهذا، ولكن جرت العادة على تحضير خلايا احتياطية من الخلايا المزروعة؛ لاستخدامها في حال الحاجة لإعادة عملية الفحص في حال حدوث خطأ ما.

نظر (سندر) إلى ساعته. ربما يستطيع إنهاء عملية التحليل إن أسرع بالعمل. شرط أن لا يكون ذلك على حساب جدول أعماله. فالصداقة لن تكون على حساب المصلحة الخاصة.

انتابه شعور غريب بالتوتر والسعادة العميق، كأنه يقوم للمرة الأولى بتحضير النمط النووي. فبحساب عدد الكروموسومات سيستطيع إخبار (كريس) إذا ما كانت تلك العظام بشرية أم إلى أي من الحيوانات تعود.

- «(كريس)، إن كانت ستين كروموسوماً فإنها تعود إلى البقر. وإن كان عددها ثمانية وأربعين فإنها تكون لنوع مثلي».

الفصل الثامن عشر

مدينة (برلين)

الجمعة

كانت المنطقة المحيطة بمتحف (بيرغامون)، كأنها ورشة عمل ضخمة. فقد تم تكسير الشارع في عدة مواضع؛ لمد أنابيب جديدة وتحسين طبقة الإسفلت.

بعد بحث طويل تمكّن (كريس) من العثور على مكان لإيقاف سيارته إلى جانب جامعة (هومبولد) حيث أدار اللوحة التي تحمل عبارة: -مكان مخصص لآليات الورشة- باتجاه الرصيف. فقد كان من غير المحتمل أن تحتاج تلك الآليات إلى الموقف في مثل هذا الوقت من يوم الجمعة.

قام أحد المارة بتأنيبه على تصرفه وهدده بالاتصال بالشرطة ثم تابع سيره متذمراً بينما توجه (كريس) نحو جسر القصر. كانت الحديقة ممتلئة بالراغبين بالاستمتاع بدفء حرارة الشمس اللطيفة من بعد ظهر ذلك اليوم.

خلع (كريس) سترته القطنية، وألقاها على العشب ثم وضع حقيبته تحت رأسه واستلقى على ظهره ناظراً إلى نافورة الماء النابعة من البركة ثم أغمض عينيه تاركاً أشعة الشمس تنشر حرارتها اللطيفة على وجهه بينما كان يسمع الأصوات والضجيجات من حوله.

انطلق هذا الصباح من مدينة (كولونيا) باتجاه (برلين)، وقام بحجز غرفة في نزل صغير في ضاحية (فيلمرزدورف) حيث كان متاداً على النزول به عند زيارته لـ (برلين).

عندما رن هاتفه المحمول اعتقد أنها (إينا) وتريد سؤاله عن مهمة ما. إلا أنها كانت (ياسمين) «يسعدني سمع صوتك مجدداً» قال بلهف «أين أنت؟» تماسك محاولاً تهدئة نفسه بالرغم من أنه كان سيرقص فرحاً لشدة سعادته.

- «مازالت في السفر». قالت بصوت بارد ويعيد.

بُهت (كريس) من تلك البرودة، فلقد تحدث عدة مرات على المجيب الآلي الخاص بها وكان قلقاً عليها.

- «هل أصبحت ذكري من الماضي بالنسبة لك؟» سألهَا «حيث كان من المفترض أن تبدأ قصتنا»
- «عفواً؟

- «أنا سعيد باتصالك...»

- «المعذرة، فتركيزي مشتت» بدا صوتها فجأة أكثر رقة.

- «ما الخطيب؟ أولاً لم تقمي بالاتصال، وأنا لا أعلم أين أنت،
والآن... لقد أردنا اللقاء في عطلة نهاية الأسبوع. ماذا حدث؟»
صمتت. ثم سمع أنينا. هل تبكي؟ انتصب (كريس) جالساً.

- (ياسمين). ما الأمر؟

- «ليس الآن، حسناً» صمتت مجدداً، ثم بدا صوتها متماساً «أنا في طريق العودة. سأكون سعيدة إن كان باستطاعتنا اللقاء في عطلة نهاية الأسبوع. غداً اتفقنا؟»

- «سأكون سعيد بذلك جداً».

- «متى؟»

- «قبل الظهر على أبعد تقدير. فمدينة (دريسن) لا تبعد كثيراً عن (برلين)».

«(برلين)؟ ولماذا أنت في (برلين)؟»

ضحك، «علي أن أنهى صفة هنا ولكن بعدها سأكون متفرغاً» -
صمت قليلاً - «أنت أيضاً؟ هل ستفرغين غداً لـكلينا فقط؟»
- «ربما». قالت بتردد.

- «هل باستطاعتي مساعدتك؟»

- «سأخبرك غداً بكل شيء، وبعدها ستفهميني، حسناً؟ أنا لا أريد
قول أي شيء الآن. أرجوك! فالموضوع لا يتعلّق بك».

وقف (كريس)، وحرك قدميه المرتخيتين وتوجه نحو متحف

(بيرغامون)، الذي كان مبناه يضم متحف الشرق الأدنى كذلك.
كانت ورشة أعمال الطرق توجد في الشارع الصغير المتعد أمام
المتحف أيضاً. حجب مبني المتحف بالسور المرتفع الخاص بورشة الأعمال،
الذي أحاط به بينما تم تجهيز طريق إسمعني خاص بالمشاة.

عبر (كريس) الطريق إلى الجانب المقابل للمتحف، ونظر إلى ذلك المبني
الضخم ذي الأجنحة الثلاث، الذي استغرق بناؤه من عام 1930 حتى إتمامه
نحو خمسين عاماً. لم ير سوى بضعة من الزوار يصعدون الدرج المتعد من
الشارع ماراً فوق مياه قناة (كوبيرغرابن) وصولاً إلى بوابة الدخول.

اتجه مسرعاً نحو التقاطع التالي ثم استدار إلى اليسار. إلى يمينه
كان ذلك المطعم الصغير الموجود خلف السور المرتفع لحظة قطار الضواحي.
وعلى الرصيف رُتّبت الطاولات والكراسي في صفين. وبما أن الأماكن كلها
كانت محجوزة، كان عليه أن يقبل بالجلوس قرب موقف الحافلات مستنداً
إلى عمود الاستعلامات، بينما لمح بعينيه شابين يقفنان في حالة انتظار وهما
يرتديان زياً من الجلد خاص بسائقي الدراجات النارية.

من مكانه كان يستطيع أن يرى الشارع المتجه إلى المتحف. ثم طلب فجأةً من الكابتشينو وكوباً من الماء.

كانت (رامونا سولنر) هي التي اقترحـت هذا المكان، بعد أن رفض (كريـس) أن يكون اللقاء داخل المتحف. وبالرغم من رغبـته الشديدة بـمشاهدة بوابة عـشتـار، إلا أن خـطر القبـض عليه بـتهمـة السـرقة وـهو يـحمل في حقـيبـته تلك الأـلواـح الأـثـرـية، كان كـبـيراً جـداً.

حضرـت البروفـسـورـة قبل المـوـعد المـحـدـد بـخـمـس دقـائـق، وـيـداً أـنـها وـصـفت لـه نـفـسـها بـشـكـل جـيـد. فـتـعـرـفـت (كريـس) فـورـاً عـلـى تلك السـيـدة ذات الجـسـم المـتـنـاسـقـ والـرـقـيقـ، وـذـاكـ الشـعـرـ النـاعـمـ الطـوـيلـ ذـيـ اللـونـ الجـوـزـيـ وـالـمـنـسـدـلـ حـتـىـ أـسـفـلـ الـظـهـرـ.

كان وجهـها يـعـكـسـ شـبـابـاً وـحـيـوـيـةـ، بـيـنـماـ تـجـولـتـ عـيـنـاهـاـ فـيـ أـرـجـاءـ المـكـانـ. كـانـ تـرـتـديـ قـمـيـصـاً كـرـيـمـيـ اللـونـ وـقـتـورـةـ وـسـتـرـةـ بـلـونـ أـزـرـقـ الدـاـكـنـ. قـدـرـ (كريـسـ) عـمـرـهـاـ بـنـهـاـيـةـ الـثـلـاثـيـنـياتـ. كـانـ الرـجـلـ بـجـانـبـهاـ أـطـوـلـ مـنـهـاـ بـمـقـدـارـ بـسـيـطـ، وـكـانـ يـرـتـديـ بـذـلـةـ غـامـقـةـ. دـخـلـ الـاثـنـانـ إـلـىـ الـمـطـعـمـ ثـمـ عـادـاـ فـخـرـجـاـ بـعـدـ بـرـهـةـ وـجـلـسـاـ إـلـىـ إـحـدـيـ الـطـاـوـلـاتـ الـفـارـغـةـ فـيـ الـخـارـجـ. رـمـقـتـ الـبـرـوـفـسـورـةـ وـجـوـهـةـ الـحـاضـرـينـ، كـأـنـهـمـ ثـلـاثـةـ مـنـ الـطـلـابـ الـجـدـدـ.

فـكـرـ (كريـسـ)، أـيـهـاـ السـيـدةـ الـبـرـوـفـسـورـةـ (رامـونـاـ سـولـنـرـ)، بـيـدـوـ أـنـكـ دـاهـيـةـ. ثـمـ اـنـتـظـرـ مـدـةـ عـشـرـ دقـائـقـ وـرـاقـبـهـاـ أـثـنـاءـ طـلـبـهـاـ الـمـشـرـوبـيـاتـ.

بـدـاـ التـوـتـرـ عـلـىـ مـرـاقـفـهـاـ بـيـنـماـ كـانـ يـجـلـسـ عـلـىـ كـرـسـيـهـ. لـمـ تـكـنـ تـلـكـ الـبـذـلـةـ الـتـيـ بـدـتـ لـلـنـاظـرـ عـنـ بـعـدـ كـأـنـهـاـ زـيـ رـسـمـيـ لـرـجـلـ أـعـمـالـ، سـوـىـ بـذـلـةـ كـهـنـوـتـيـةـ ذاتـ يـاـقةـ بـيـضـاءـ. وـهـيـ تـعـتـبـرـ الـلـبـاسـ الرـسـمـيـ لـلـقـساـوـسـةـ خـارـجـ الـدـيـرـ. لـقـدـ كـانـ الرـجـلـ قـسـيـسـاـ. وـكـانـ بـيـدـوـ عـلـيـهـ الـاـرـتـيـاـكـ.

لـاـ يـوـجـدـ شـيـءـ مـثـيـرـ لـلـرـبـيـةـ، فـكـرـ (كريـسـ)، الـذـيـ أـلـقـىـ بـنـظـرـةـ تـفـحـصـيـةـ

أخيرة على الشارع وزيائن المطعم. ثم وقف ومرّ بين الطاولات المصطفة على الرصيف.

- «السيدة البروفسورة (سولنر)؟»

- «نعم؟» كانت عيناهما متقطتين وذاتا لون جوزي كلون شعرها. لقد تعرف على صوتها المبحوح من خلال اتصالاتها الهاتفية. وهكذا بدت له أكثر جاذبية.

- «إن لم يكن لديكما مانع، فأنا سأشعر براحة أكبر في ذلك الركن» قال (كريس) هذا وأشار إلى طاولة في الركن الخلفي ثم توجه إليها.

- «إنه مكان جيد لمراقبة المحيط. أليس كذلك؟» قالت بنبرة مازحة بعد أن جلست على الكرسي المقابل لـ (كريس). ارتسمت خطوط منهكمة حول فمها تعكس نوعاً من التعالي.

- «شيء من هذا القبيل» تتمم (كريس).

- «بماذا علي أن أناديك؟»

- «لنبي على (ريتسي)».

كانت قد اتصلت به صباح هذا اليوم لتخبره برغبتها بتأجيل اللقاء إلى الأسبوع القادم. إلا أن (كريس) أصر على هذا الموعد مهدداً بأنه في مثل هذه الحالة سيقوم بلقاء أحد ممثلي المتحف البريطاني يوم الإثنين المقبل.

- «حسنا - يا (ريتسي). والآن حصلت على اللقاء الذي كنت تتوقع إليه. ماذا لديك؟» أصبح صوتها فجأة يحمل نبرة ساخرة.

تفحصت (كريس) مرافقها بعينيه.

- «آه. أعتذر» ضحكت بتعالي. «أقدم لك (توماس برانداؤ) إنه من أصدقاء فنون الشرق الأدنى».

- «وقد أ أيضاً. لماذا أنت متواتر هكذا؟» سأله (كريس) «هل هناك ما يسبب لك الإزعاج؟»

كانت يدا (برانداو) تلتف حول كأس النبيذ الأبيض.

- لا يروقني هذا النوع من الأجواء التأمرية والسرية».

- لا يوجد شيء من التأمري أو السرية فيما نفعله. كل ما هنالك

أنتي أحاو إعطاءكم شيئاً تركه لكم رجل يدعى (فورستر). ليس أكثر».

- « وما هو هذا الشيء؟» سألت وهي تلف رجليها على بعضهما وتشبك يديها فوق الجزء الأعلى من فخذها تماماً في الموضع الذي تنتهي عنده حافة تورتها على الرجل العاري ذات اللون المسمّر.

أجبر (كريس) نفسه على عدم الاستمرار في النظر ثم رفع حقيبته من الأرض ووضعها على الطاولة. أخرج منها ظرفاً وسحب منه عدة صور. « مجرد صور؟ أخذت البروفسورة الصور وألقت عليها نظرة سريعة ثم أعادتها بملل إلى (كريس) «إن لم يكن لديك المزيد... لقد أردت هذا اللقاء...»

- «مازانا في المرحلة الأولى... إنك لا تعتقدين حقاً أنني سأقوم بحمل تلك الكنوز النفيسة معي في كل مكان».

- «لقد وصلت مع (فورستر) لأبعد من هذا» - أجابت به بلهؤ « فهو على الأقل قام بيارسال نسخة من النص لي».

- «هذا أمر جيد» - ضحك (كريس) مستمتعاً - «إنك الآن تعلمين قيمة تلك المقتنيات».

ابتسمت، كأنها تفكّر بشيء ما ثم ضربت بكف يدها على سطح الطاولة (ريتسي)، وبغض النظر عن الاسم الذي تود أن تسمّي نفسك به:

هل تدرك حقاً قيمة تلك المقتنيات التي بحوزتك؟»

- «أخبريني أنت» تتمم (كريس).

- «إن تلك الألواح لا تقدر بثمن، إن أردنا تقييمها بالنسبة لتاريخ الحضارات في العالم».

- «وهي تعود للجمعية الألمانية للشرق». تدخل (برانداو) في الحوار بصوت يحمل رعشة تنم عن احترام مكبوت. - « فهو الذي قام بتمويل عمليات التنقيب في (بابل)، حيث تم العثور على تلك القطع الأثرية. في ذلك الوقت قام المجمع بتسجيل حقوقه في ملكية تلك اللقى. يجب أن تكون سعيداً بأننا لم نقم بإبلاغ الشرطة».

- «يوجد آخرون يتمنون الحصول عليها...»

- «طبعاً يوجد هؤلاء» قالت (رامونا سولنر) وقد لمعت نظرة التهديد في عينيها الجوزيتين «متاحف أخرى أو هواة جمع التحف. ولكن (فورستر) لم يشاً تسلیم تلك القطع لأي من هؤلاء. على الأقل كانت تلك هي الفكرة التي وصلتني منه».

- «هل التقى به من قبل؟»

- «كلا. كان يرسل مندوبي عنـه. (فورستر) نفسه لم يحضر أبداً، لكننا تحدثنا عدة مرات عبر الهاتف».

- «وبناء على هذا فإنك حتى الآن لم ترى تلك الألواح الطينية على أرض الواقع؟» سأـل (كريـس) الذي كان يزداد يقـيناً أن (فورـستر) قد خـدـعـه بـشـكـلـكـبـيرـ.

- «كلا. كل ما رأيناـه حتى الآن كان مجرد صور. وإن كانت أفضل من تلك التي تحتفظ بها في الظرف معـكـ. كما أنه لدينا أجزاء من النص وترجمـتهـ. هل لديك المزيد؟»

تردد (كريـس). إلا أنه لن يستطـعـ التـقدـمـ في مـفاـوضـاتـهـ إن لم يـقـمـ بـتقـديـمـ الأـدـلـةـ. فـقامـ بـإـخـرـاجـ تلكـ الصـحـيفـةـ الصـفـرـاءـ المـتـأـكـلـةـ الأـطـرـافـ،ـ التيـ وـجـدـهـاـ معـ الأـلـواـحـ.

أمسـكـتـ (رامـونـاـ سـولـنـرـ)ـ بـالـورـقـةـ بـتـأـنـ وأـخـذـتـ تـحدـقـ بـهـاـ.

تابعت بسبابة يدها اليمنى الخطوط المرسومة على الخارطة، التي كانت تؤدي دائمًا إلى إشارة الصليب في أسفل الصفحة.

«هل تعلم ما هذا؟»

«كلا» قال (كريس) «ليس لدى أدنى علم. تبدو، كأنها مطبوعة من أحد الكتب».

«وهي كذلك» تجاهلت يد (برانداو) الممدودة، واستمرت بالإمساك بالورقة. «هذه خارطة ملقة من كتاب —عودة قيام بابل— من عام 1913. كتبه (روبرت كولدوي)، الرجل، الذي قام بالتنقيب في (بابل) بتكليف من مجمع الشرق الألماني. لقد قام (كولدوي) بنشر نتائج التنقيب في هذا الكتاب». أدارت البروفسورة الرسمة بين يديها.

«بيان رموز الخريطة مفقود... هنا في اليسار نهر الفرات. هذا هو الموقع بأكمله. تم تحديده وتصويره بطريقة عبقرية» قالت في النهاية.

«وما هو وجه الخصوصية في هذا؟»

«يبدو حتى أنه ليس لديك أي معلومات. أليس كذلك؟» تملأ (برانداو) ونظر إلى (كريس) بازدراء.

«كلا ليس لدى معلومات».

كان (كريس) يود لو أنه يصفع ذلك القس على وجهه. فكل دقيقة تمر تجعل من وجود هذا الرجل أمراً مزعجاً.

«يعتبر (كولدوي) أباً للتنقيب الحديث» —شرحت (رامونا سولنر)— «فقد كان أول من قام بالتنقيب بشكل منهجي وبطريقة قياس الأراضي. وما زالت طريقة هذه تشكل أساساً لأعمال التنقيب الحديثة. فقد أوجد معايير متطرفة لعلم الآثار».

«هل دخلت المتحف؟» قاطعها (برانداو) بشكل مفاجئ.

«كلا». أجاب (كريس).

- «خسارة» - كان صوته يقطر احتقاراً - «في هذه السنة بالذات يوجد ركن صغير يعرض معلومات حول شخص (كولدوبي) وانجازاته. إنها الذكرى المئة والخمسين لميلاده. عليك زيارته فهذا سيساعد على توسيع الثقافة».
- «حسناً الآن» تدخلت البروفسورة ونفخت الرسمة التي كانت تحملها بيدها «إشارة الصليب هذه تدل على الموقع الذي تم العثور فيه على الألواح. التي تريد التخلص منها».
- «وكيف عرفت ذلك؟»
- «من (فوريستر)، ومن سواه؟»
- مد (كريس) يده فتناولته الرسم، وبدأ يحذق به.
- «إن إشارة الصليب توجد في موضع تمت الإشارة إليه بالحروفين - EP - إلى جانبه حرف -Z- فما معنى ذلك؟»
- «يا إلهي! أدار (برانداو) عينيه بازدراء..
- «لقد قام (كولدوبي) باكتشاف معبد كان قد تم بناؤه لتقديس أحد الآلهة التي لم تكن معروفة آنذاك» قالت البروفسورة وقد رمقت القس بنظرة تحذيرية. «وهذا ما يبرر وجود الحرف -Z-. واليوم توصل الباحثون إلى أن هذه الآلهة هي عشتار، آلهة العدالة. وربما تعني لك قوانين حمورابي شيئاً. لقد تمنت (بابل) بنظام قانوني مميز، وخصوصاً فيما يخص حماية الضعفاء. وكان لهم آلهة لكل شيء. فالرموز -EP- تشير إلى معبد الآلهة (نينورتا)».
- «أخبريني عن محتوى تلك الألواح».
- راقب (كريس) القس، الذي كان مزاجه يتراوح بين العصبية وقلة الصبر. وكان يتمايل على كرسيه ويعدل جلسته حسب المزاج الذي كان يعترف به تلك اللحظة. تارة ينفض الغبار عن سترته، وتارة يتهدى بتوتر أو تتقبض ملامع وجهه بشكل عابس.

- «وكيف لنا أن نعلم؟ أود تذكيرك أنك أنت من لديه تلك الألواح».
- ضحك بانتصار ثم قامت بجذب طرف تورتها بطريقة استعراضية.
- «ولكنك حصلت على نسخة من النص. هذا ما قلته سابقاً».
- ضحك (كريس) وثبت نظراته في عينيها «ولقد أثارك محتوى ذلك النص وإلا ما كنت لتقبلي بالسعر الذي طلبه منك (فورستر)».
- مضت ثوانٌ معدودة قبل أن تطفئ تلك الشراارة التي لمعت في عينيها.
- «ذلك الاتفاق يعتبر سارياً فقط في حال كان كل ما ادعاه (فورستر) صحيحاً...»
- «ستحصلين عليها الآن بمبلغ أقل بكثير».
- «يجب أن أرى الألواح أولاً».
- «إن قمت بتسليمي المال...» ابتسم (كريس) «لا أرى أي حقيبة بحوزتك. فمن غير الممكن حمل مثل هذا المبلغ في جيب البنطال ببساطة».
- «المال لا يوجد معنا هنا».
- «خسارة. لم أكن أتوقع أنك تريدين إلغاء الصفقة».
- «لا أريد ذلك. أود فحص التحف الأثرية أولاً ثم نحضر المال».
- حتماً عليهم أن يقوموا بهذا. نظر إلى الطاولات المحيطة بهم قبل أن يدخل يده في حقيبته.

لقد كانت بداية عادمة للدخول في عطلة نهاية الأسبوع. كان الناس يستمتعون بأشعة الشمس، ويتداولون الأحاديث حول أمورهم اليومية، وعن مدرائهم الحمقى. مررت حافلة نزولاً في الشارع ثم توقفت وفتحت أبوابها مُصدرة صفيرأً خفيفاً.

أدار رأسه فرأى الزوجين بزيهما الأسود لسائقي الدراجات النارية ما زالا في حالة انتظار. كان رأس الرجل حليقاً، بينما زينت الفتاة عينيها بطلاء كثيف.

لاحت عينا كل من (برانداو) و(سولنر) نظرات (كريس) المتوجلة بدقة. ابسمت مستمتعة، بينما هز القس رأسه. أدخل (كريس) يده في الحقيقة وسحب علبة مصنوعة من البلاستيك الصلب المضاد للصدمات ثم فتحها.

تهد (برانداو) بصوت عالٍ بينما فتح (كريس) اللفافات القطنية التي كانت تحيط بالألوان الطينية.

- «يبدو أنك منم لا يتذوقون الفن». تتمم القس.

- «بل يبدو أنني رجل عملٍ». أجابه (كريس).

- «هل تسمح لي؟» سالت البروفسورة.

تلاذت كل الشكوك التي انبتها في الدقائق الماضية. وتحولت تلك المرأة التي كانت منذ برهة تتمتع بروح التهم وتحلى بالصلابة إلى المختصة والخبرة التي تمنع كامل تركيزها لتلك القطع الأثرية النادرة.

انزلقت يداها على الألوان الطينية. وأظهر ارتعاش أصابعها لـ (كريس) مدى شوقها لحمل تلك الألوان بين يديها.

تصاعدت ضحكات عالية من الطاولة المجاورة تماهت مع رنين الكؤوس وأصوات أدوات الطعام. إلا أن البروفسورة كانت قد دخلت في عالمها الخاص، الذي لم تعد معه قادرة على إدراك ما يدور حولها.

أمسكت يداها بتلك الألوان الطينية الصغيرة بعناية، لا يتجاوز طول الواحد منها العشرة سنتيمترات. كانت ممثلة بالرموز المتلاصقة ومالت السطور بطريقة خفيفة إلى الأسفل، لأن الكاتب لم يتمكن من المحافظة على استواء الخط على طول اللوح.

كانت البروفسورة تقلب الألوان بين يديها، وتقريرها إلى عينيها بشكل مبالغ فيه، بينما بدا على وجهها المسترخي بعض علامات الخيبة.

- «للأسف» قالت البروفسورة أخيراً، ثم مددت الألواح بحزم على قطع القماش.
- «ما الخطب؟» سأله (برانداو)، ونظر إليها أولاً ثم إلى (كريس) «أليست هي تلك التي...؟»
- «نعم وكلاً» رمقت البروفسورة (كريس) بنظرة حادة «ريتسي» يعلم أكثر مما يدعى.

استمر (برانداو) بهز رأسه مستغرباً مما يحدث ثم أمسك بطرف القماش الحامل للألواح وجره باتجاهه. أحمر وجهه وبدأ قلبه ينبض بقوة، كأنه مضخة مياه جوفية. عندما أمسك بالألواح بحماس انزلق القماش عن الطاولة، لعن (برانداو) بينما كان يحاول التقاط القماش من الأرض برؤوس أصابعه بطريقة تثير السخرية ثم وضعها على الطاولة، وعاد ليمسك الألواح مجدداً.

- أمسك (كريس) بذراع القدس قبل أن تلمس يده تلك الألواح.
- لا تفعل. فهي للشخص المختص وإن حملتها فربما ستسقط منك على الأرض».

- «دع ذراعي!» - همس القدس - «إني لا أقبل أن ألتقي بـلص وأفاق، ثم يقوم ياهانتي أيضاً!»

زاد (كريس) من ضغطه حتى سحب القدس يديه عن الألواح. وعندما أفلت (كريس) الذراع أشاح القدس بنظره عنه متمنياً له عذاباً أليماً في الجحيم، بينما كان (كريس) يبتسم.

- «أحد هذه الألواح تعود إلى نبوخذ نصر فختمه واضح عليها» نظرت البروفسورة إلى (برانداو) «ولكنه ليس واحد من الألواح التي تعطي هذه اللقى قيمتها الحقيقية».

- «عفواً» ابتسם (كريس) «ولكن كان على أن أجري هذا الاختبار البسيط. ولا فكيف لي أن أعرف أنك أنت الشخص الذي تدعين؟»

- «الريبة تملأ حياتك أليس كذلك؟» فاض صوت (برانداو)
بالاحترار.

- «لقد مات (فورستر)، ألا يكفي هذا؟» هز (كريس) رأسه. كان (برانداو) رجلاً غير مريح، ولكنه غير مؤذٍ ويبدو أنه يعيش خلف أسواره الخاصة على جزيرة السعادة الفامررة. لو أنه عمل لشهرين فقط في قسم

الشرطة الجنائية لغير الرجل من طريقة تفكيره حتماً. «وماذا كتب عليها؟»

- «أحقاً لا تعلم؟» نظرت (رامونا سولنر) إلى (كريس) غير مصدقة.

ثم ضحكت «ومن أين لك أن تعلم؟ لقد دونت نبودن نصر الثاني نجاح إحدى حملاته العسكرية على إل (كيش)، حيث انتصر عليهم وضمهم إلى مملكته.

على الأقل هذا ما تقله الترجمة التي أرسلها (فورستر). وهذا اللوح يصف الفتح المظفر لمملكة إل (كيش)، إذا كان بالإمكان اختصار ما حدث في هذه العجلة. فبعد الانتصار قام نبودن نصر الثاني بأخذ بعض المقدسات من معبد الإله (نینورتا) في (كيش)، التي أصبحت منذ ذلك الحين الآلة المقدسة (نینورتا) في (بابل).».

- «(كيش)؟ تذكر (كريس) أنه سبق وأن سمع بهذا الاسم من (فورستر) عندما كانا ما يزالان في (التوسكانا).

- «إنها إحدى ممالك منطقة ما بين النهرين في زمن السومريين، وكذلك آورك.».

- «لا تبعد عن بابل» قال (برانداو) بتعالٍ «تقريباً على مرمى البصر. تبعد أقل من مئة كيلومتر. كان ذلك زمن المدينة الدولة، فكل مدينة تشكل مملكة. والوقت الذي بدء به بناء نظام الدول كان دموياً وشرساً.».

قطب (كريس) جبينه «وما العلاقة التي تربط بين رجل دين وألواح طينية من زمن السومريين، وألهة (بابل) الوثنية؟»

الفصل التاسع عشر

مدينة (برلين)

الجمعة

تشوق (كريس) لسماع إجابة القس، إلا أن (برانداو) نظر إلى البروفسورة بصمت تاركاً لها الحديث.

- «عندما قام ذلك الرجل المجهول بتقديم عرضه لنا من خلال وسطائه، وبعد أن علمنا من أين أتت هذه اللقى والتاريخ الذي يفترض أن يكون مرتبطاً بها، قمنا بالطبع بالبحث في أرشيفنا. وهذا أمر منطقي أليس كذلك؟» لمعت عيناً (رامونا سولنر)، كأنها تلقي محاضرة على أحد تلاميذها.

لقد ذكر (كولندي) فعلاً في أحد تقاريره التي أرسلها إلى مجمع الشرق، أن اثنين من عمال التنقيب التابعين لبعشه قد لقوا حتفهم. ولقد عزا وقوع هذه الحادثة لعمليات ثأرية شخصية بين قبائل تلك المنطقة» - فكرت قليلاً - «إضافة إلى ذلك، لقد تكررت عمليات سطو قام بها البدو هناك».

- «هل تعنين أن رواية (فورستر) عن كيفية سرقة هذه التحف كانت صحيحة؟»

بدا على (رامونا) أنها تزن الأمور في عقلها. انتهز (كريس) تلك

الفرصة ليلقي نظرة إلى زبائن المطعم الآخرين، الذي لم يكن أحد منهم مكتراً بما يدور على طاولتهم.

- «هل أخبرك أيضاً بما حدث في نهاية العشرينات من القرن الماضي؟» سألته أخيراً.
هز (كريس) رأسه نافياً.

- «لقد تم عرض هذه التحف الأثرية علينا من قبل». لم يتفاجأ (كريس). فمن الطبيعي أن يسعى السارق والقاتل للحصول على المال.

- «هل تعلم أن الفضل في وجود مقتنيات مجمع الشرق ومتحف الشرق الأدنى بأسره وكذلك الكثير من التحف الموجودة في متحف (برلين)، يعود إلى رجل واحد؟ هل سبق لك أن سمعت عن رجل يدعى (جيمس سيمون)؟»
- «كلا».

- «وذلك الحال في (برلين) كلها تقريراً. فإن طرحت هذا السؤال على أي شخص هنا فإنه لن يستطيع الإجابة». هزت (سولنر) رأسها باستياء «حتى إنهم لم يقوموا بتسمية أي من الشوارع باسمه».
- «من كان هذا الشخص؟»

- «ولد (جيمس سيمون) لأحد العائلات الألمانية التي كانت تعمل في التجارة، وتعود جذورها إلى ولاية (مكلنبورغ)، ولقد استطاعت أن تكون ثروة من العمل في القماش. وكان الفن بأشكاله المتعددة هو أحد هواياته السرية. فقام بجمع عدد كبير من المقتنيات الأثرية كما لو أنه كان يدعم عمليات التنقيب».

- «عليك أن تخبريني المزيد فليس لدى أي معلومة عنه» تمت (كريس).

- «منذ عشرات السنين بدأ البريطانيون والفرنسيون عمليات التتفيق عن الآثار في صحارى مصر وبلاد ما بين النهرين. وأرادت (ألمانيا) أن يكون لها نصيب في هذا، إلا أنه لم يوجد من يقوم بتنظيم هذه العملية وتحضير كل ما يلزم لإنجازها. فأخذ (سيمون) هذا الأمر على عاتقه وقام بتأسيس مجمع الشرق الألماني، وتمكن من خلال علاقاته وثروته من الحصول على موافقة تسمح للألمان بالتفيق في منطقة الشرق الأدنى. لقد كان هو الذي أمد الكثير من منشآت التتفيق بالمال اللازم، وكذلك بتأمين المواقف على الحفر. وهو أيضاً الذي أوصى بكل ما كان بحوزته من مقتنيات أثرية، والكثير من الأعمال الفنية للمتحف. لو لم يوجد ذلك الرجل، لما وصلت متحف (برلين) إلى ما هي عليه اليوم».

- «هكذا هي الحياة» تتم (كريس) «ومتى دخل (فورستر) في اللعبة؟»

- «في نهاية العشرينات، توجه رجل مجهول إلى (سيمون) وعرض عليه أن يشتري منه مقابل الكثير من المال، تلك الألواح التي هي بحوزتك الآن. وكان ذلك بالأسلوب نفسه تماماً، عن طريق وسطاء تم إرسالهم من مجهول».

- «ولماذا لم ينجح الأمر آنذاك؟»

- «لا نعرف بالضبط. ولكن يبدو أن هذا الوسيط التقى أحد ممثلي المجمع، وليس (سيمون) نفسه. على الأقل هذا ما استنتجناه من مضمون التقارير التي وجدناها. وربما لم يتمكن (سيمون) من تجميع هذا المبلغ من المال. فقد حولته الحرب العالمية الأولى إلى رجل فقير، كما الكثيرين غيره. فلم يعد ذلك الثري كما كان الحال قبل الحرب. انتهى كل شيء. إضافة إلى ذلك، كان مريضاً جداً. وفي مثل هذه الظروف لا يمكن إتمام الصفقة. على أي حال، لقد كان هناك وسيط في (برلين)، وهذا الوسيط قام فيما بعد... بالاتصال بالكنيسة».

غاص (كريس) في ذكرياته. فلم يخبره (فورستر) بأي شيء عن هذا الأمر عندما كانا في (التوسكانا) أو حتى ليلة الحادث على الطريق السريع.

- أردنا طبعاً تتبع هذا الخيط. وكنا نعلم أن بعض المستندات قد وصلت إلى السفارة البابوية. وبعد ذلك بمنة وجيزة عاد السفير البابوي إلى روما. وحاولنا معرفة المزيد منذ أن تواصل معنا (فورستر) للمرة الأولى منذ أكثر من نصف عام. والآن عرفت دور (برانداو) في هذه الصفقة كما تسميهما. إنه ناشط في مجمع الشرق، وهو موظف في الأبرشية، وقام بدعم الأبحاث في روما بعد أن تمكّن أحدهم هنا من التوصل لما حدث آنذاك».

- «وماذا بعد؟» سأله (كريس) بحماس لا يمكن إخفاوه.

- «كان للكنيسة علاقة ازدواجية مع عمليات التقييب في بلاد ما بين النهرين» - شرحت (رامونا سولنر) بهدوء - «فبعد الثورة الفرنسية انحسرت سلطة الكنيسة، وتم الحجز على الكثير من ممتلكاتها في عدة بلاد. كما أغلقت الأديرة ومنعت الجمعيات الدينية. لقد كان يُنظر إلى الكنيسة على أنها رأس النظام الإقطاعي. ثم تلقت ضربة أخرى. ضربة وجهت ضد العقيدة، ضد ثوابتها».

- «هلا حدثتني أكثر؟» قال (كريس) «يبدو أن الأمر مثير».

فهو لم يكن يعرف الكثير عن تاريخ الكنيسة فضلاً عن عدم إلمامه بأغوار التفاسير الدينية. فتربيته الدينية كانت بروتستانتية، وانتهت بدرس التثبيت. صحيح أن زواجه كان كنسياً إلا أن زياراته التالية للكنيسة كانت بهدف سياحي بحت.

- «من خلال أعمال التقييب في بلاد ما بين النهرين وفارس، التي بدأت أساساً في الربع الأول من القرن التاسع عشر، وكانت تجري من قبل الإنجليز والفرنسيين حصرياً، ظهرت إلى النور الكثير من الكنوز والمباني التي تعود إلى آلاف السنين. وكذلك الألواح الطينية».

- أومأت البروفسورة مشيرة إلى اللوح الصغير الموجود على الطاولة.
- «وبذلك تأسس علم جديد وهو علم الآثار الآشورية، يختص بالآشوريين، الذين أسسوا أول مملكة في تلك المنطقة. وهو العلم الذي اختص به أنا. وعندما تم فك تلك الرموز وترجمة النصوص، ظهرت تلك الأمور المثيرة الموجودة على الطاولة» صمتت قليلاً وارتشفت بعض الماء.
- «وما كان ذلك الشيء المثير؟» سأله (كريس).
- استعد القس للإجابة وقد قطب ملامح وجهه. إلا أن العالمة كانت قد رمقته بطرف عينها بنظرية ذات معنى، ثم بادرت بالحديث.
- «تم التعرف على شعوب ومواقع كانت قد ذُكرت في كتاب العهد القديم، وبهذا بدأت عملية مراجعة لمصداقية محتوى الكتاب المقدس. حيث وجدت تناقضات. وكانت أحياناً تناقضات عميقه. فظهرت التشككـات في الكتاب المقدس. ومن أهم تلك الاكتشافـات، أن فقرات كاملة وردت في العهد القديم كان قد تم تدوينها بشكل أدبي على مثل هذه الألواح في عصور أقدم منه بكثير».
- «الكتاب المقدس منقول؟» لمعت عيناً (كريـس) باستمـاع.
- «هذا ما توقعـته تماماً» خرق (برانـداو) صـمتـه «الكتاب المقدس ليس منقولاً. فالكتاب المقدس من الله. وهو يعلم الحقيقة التي تحتاجـها لخلاصـنا وليس فيه أدنـى خـلـل».
- «ولـكن ماذا لو...»
- «نحن المسيحيـون نقدس العـهد القـديـم كـكلـمة اللهـ الحـقـةـ. هل تـريدـ التـشكـكـ فيـ جـوـهـرـ الـكتـابـ المـقـدـسـ؟»
- «حسـناًـ. رـبـماـ» قـالـتـ (سـولـنـرـ) بـنبـرـةـ منـبهـةـ «ـعـلـىـ أيـ حـالـ لـقـدـ دـارـتـ خـلـاقـاتـ حـادـةـ. وـبـدـأـ الـمـجـتمـعـ مـتـابـعـةـ عـمـلـيـاتـ التـقـيـبـ باـهـتـامـ لـأـنـهـ طـرـحـتـ فـجـأـةـ أـسـئـلـةـ حـولـ مـصـدـاقـيـةـ مـحـتـوىـ الـكتـابـ المـقـدـسـ. فـفـيـ (ـأـلـمـانـيـاـ) أـثـارـ الـعـالـمـ

(فريدریش دیلیتش)، الذي كان يرأس قسم الشرق الأدنى في المتحف الملكية، عاصفة حادة عندما ادعى أنه ليس فقط المحتوى الأدبي للكتاب المقدس بل والديني والأخلاقي أيضاً قد تطور من رواد بابليين. حتى أنه أنكر كون العهد القديم من وحي الله.

- «إنها ترهات لفرد» همس (برانداو) بعصبية «إنه هجوم ساذج على أكثر كتب عقيدتنا قداسة».

- «سافر (دیلیتش) إلى (أوروبا) و(أمريكا) مؤججاً بمحاضراته عواصف من الجدل والأسئلة حول مصداقية محتوى الكتاب المقدس».

- «انهالت عليه الانتقادات من كل صوب. حتى أن القيسير (فيليهم) الثاني قام بتأنيبه. (دیلیتش)! ثم حرك (برانداو) يده بإشارة ازدراه.

أحس (كريس) بالتوتر الذي ساد النقاش بين العالمة والقس. بينما تسرد (سولنر) حقائق يسارع القس بالرد عليها بطريقة الشرح.

- «لقد تم حصر الكنيسة بهذه الطريقة في الزاوية. هل هذا ما يمكنني فهمه؟» سأله (كريس).

ضحك (برانداو) باستهزاء.

- «هذا ليس كافياً لإحداث ما تقول. لقد اعتادت عقيدتنا على التصدي لمثل هذه الترهات ودحضها».

- «وهل يوجد المزيد؟

- «بالطبع» أخذت (سولنر) بأطراف الحديث مجدداً «فهناك منتقدي الكنيسة، الذين يبحثون بعلمية تامة حول هذا الموضوع بالتحديد، ويريدون أن ينزعوا القناع عن وجه العقيدة المزيفة، كما يقولون».

- «إنهم ضالين، يحاولون أن يدنسوا كل ما هو مقدس بذرعة الكشف عن الحقيقة. ولكن هيهات أن يصلوا إلى مبتغاهم».

- «لا ينفي لك أن تفهم كل العلماء بأن دوافعهم سيئة دائماً»

استدارت البروفسورة فجأة إلى مرافقتها «لن يجدي نفعاً أن نخوض هنا في جدل بين العلم والدين».

سبب ذلك التوتر الحاد بين الاثنين نوعاً من الإرباك لـ (كريس). فكيف يكون اهتمامهما بهذه الألواح مشتركاً إن كانت نظرتهما لأهميتها بهذا الاختلاف؟ ماذا يدور هناك خلف الكواليس؟

دس (كريس) يده مجدداً في حقيبته وأخرج لوحاً طينياً آخر وكان أيضاً ملفوفاً كما الأول بقطعتين من القماش القطني.

- «هذا أحد أقدم الألواح الطينية» قال هذا، ورفع القماش عن القطعة الأثرية «لقد شرح لي (فورستر) كيف يمكن معرفة ذلك من خلال الرموز والمواد المستخدمة في صناعة اللوح. لا بد أنك تعرفين ذلك أيضاً». أومأت البروفسورة.

- «أخبريني عن أهمية هذه الأشياء ثم نبدأ صفقتنا. سأختفي وستستطيعان متابعة جدلهما. فلدي مشاكل أخرى».

وكما فعلت سابقاً قامت بفحص اللوح الصغير بمنتهى التركيز. وبعد مرور بعض الوقت سحبته مبكراً يدوياً صغيراً من حقيبتها. لدقائق انحنت إلى الأمام وتفحصت الرموز المحفورة على ذلك اللوح الصغير.

- «إنه بالفعل أحد أقدم الألواح. وما استطعت التوصل إليه على عجلة هو تطابق النص الموجود هنا مع بعض فقرات الترجمة التي أرسلها لنا (فورستر)».

- «أيهما؟ زمجر (برانداو).

- «الطوفان الكبير».

- «الطوفان الكبير؟» ضحك (كريس) باستمتاع «هذا موجود في معظم الثقافات تقريباً، حتى أنه تم العثور على دلائل في البحر الأسود

تشير إلى حدوثه فعلاً. فعلى عمق كبير تحت سطح البحر وجدت بقايا قرًى غارقة. **فما وجة الأهمية في هذا؟**

- وكذلك في المدينة الملكية (أور) في سومر تم العثور على أدلة. طبقات طينية بسمك أمتار بين مستويات الأرض. وفي تاريخ زمني متطابق. ولكن ما يوجد هنا أكثر من ذلك. إنه أقدم تصوير للطوفان الأعظم» مررت يدها على شعرها ملقية إياه إلى الخلف. «إنه أقدم من وصف الطوفان الكبير في ملحمة (جلجامش) حتى إنه أقدم من سرد الملك (زيوسودرا) الذي يعد الأقدم حتى وقتنا هذا».

فكر (كريس)، فبعد عودته من (دريسدن) أمضى اليومين الماضيين في (كولونيا) بجمع المعلومات حول أصول الكتابة وتاريخ بلاد ما بين النهرين حتى يتمكن من التعرف على ما سيقوم بنقله.

وخلال هذا قرأ عن تلك الملحمة التي تصور مفاجمة الملك (جلجامش). فأصول هذا الملك تعود إلى (أوروك)، التي كانت أول أكبر المدن الملكية في (سومر). ولقد أمضى حياته في البحث عن الحياة الأبدية دون أن يجدها. وتم وصف الطوفان الكبير في هذه الأسطورة.

- «ما هو أو من هو (زيوسودرا)؟» سأله (كريس).

- «حسب رواية الكتاب المقدس، إن الله أعطى نوحًا والبشرية معه فرصة النجاة من الطوفان. وذلك رحمة من الله».

قاطع القس البروفسور ((... فمَحَا اللَّهُ كُلَّ قَائِمٍ كَانَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ)). هل تعرف هذا يا (ريتسي)؟» نظر إلى (كريس) بجدية «أم أنك مُلحد؟ وبارك الله نوحًا وبنيه وقال لهم: ((انمُوا وَاكْثُرُوا وَامْلأُوا الْأَرْضَ... هَا أَنَا ذَا مَقِيمٍ عَهْدِي مَعَكُمْ وَمَعَ نَسْلَكُمْ مِّنْ بَعْدِكُمْ... وَأَقِيمْ عَهْدِي مَعَكُمْ، فَكُلُّ ذِي جَسَدٍ لَا يَنْقُرِضُ بَعْدَ الْيَوْمِ بِمِيَاهِ الطُّوفَانِ، وَلَا يَكُونُ بَعْدَ الْيَوْمِ طُوفَانٌ لِيَتَلَفَّ الْأَرْضُ... هَذِهِ عَلَمَةُ الْعَهْدِ الَّذِي أَنَا جَاعِلُهُ

بيني وبينكم وبين كل ذي نفس حية معكم مدى الأجيال للأبد)) الكتاب المقدس، (ريتسي)، الرواية الحقيقة توجد في الكتاب المقدس». نظرت العالمة إلى القدس وانتظرت حتى يصمت.

- «إن نص سرد (زيوسودرا) حول الطوفان الكبير أقدم من ملحمة (جلجامش)، التي اعتبرت لزمن طويل أقدم ما دون حول الطوفان الكبير. بل إنه يقول شيئاً مختلفاً تماماً: فهناك أقسمت الآلهة على أن تدمر البشر، وذلك لأنهم أزعجوا هدوءهم. لقد أصبح البشر يشكلون عبئاً عليهم بعد أن خلقوهم من طين، حتى يصيغوا عبيداً يعملون لأجلهم. ولماذا عاش البشر؟ ليس لأن الآلهة أو الرب أراد أن يكون حليفهم، كما يروي الكتاب المقدس. كلا. بل بسبب الخيانة. لقد أفسحى أحد الآلهة ويدعى (إنكي) إلى (زيوسودرا): يا (زيوسودرا)، أيها الساكن في مدينة (شورياك)، / دمر بيتك، / ابني سفينتك، / ازهد بالثروة، / دع الآلهة، / واحتفظ بالحياة. لقد أدعى (فورستر) أن قصة الطوفان الكبير المذكورة في ألواحه أقدم بكثير من سرد (زيوسودرا).».

بدأ (كريس) يفهم سر اهتمام العالمة. بالنسبة للباحثين في التاريخ القديم سيكون من المبهر ظهور وثائق أقدم. ولكن هل سيكون العثور على نصوص تحوي المضمون نفسه أو شبيهاً له مبهراً حقاً؟

- «لابد أن هناك المزيد الذي يختفي وراءها ...»

نظرت (رامونا سولتر) طويلاً إلى (كريس) قبل أن تجيبه.

- «لقد أعطانا (فورستر) أجزاءً من النص المترجم فحسب...»

- «وماذا في ذلك؟»

- «... ولكن إن كان ما في الترجمة صحيح، فإنه...» ترددت قليلاً ثمتابعت «هذه الألواح تعود إلى ملك عاش بعد الطوفان الكبير، الذي يعيد سرد قصة (زيوسودرا)...»

- «هيا أخبريني» ألح (كريس). «إذا كان كل ذلك معروفاً على أي حال، وتم العثور على نسخة (زيوسودرا)، فما كان الجديد في العثور على رواية مماثلة أو نموذج جديد؟»
- «يتابع الملك السرد، يؤكد رواية (زيوسودرا) ثم يأتي ما هو جديد، نعم، شيء لا يمكن تجاهله.»
- «لماذا تحاولين إضفاء تلك اللمسة من الإثارة؟»
- «يحتوي النص إلى جانب أسطورة (زيوسودرا)، على رسالة مختلفة تماماً.»

رأى (كريس) كيف وضع (برانداو) يده على ساعد البروفسورة، محاولاً لفت نظرها. إلا أنها رفعت صوتها وخرجت منها الكلمات بصوت، وطريقة، ولفظ يوحي بخطورة ما ستقول: «اللوح يحتوي على أجزاء من الوصايا. على صورتها الأولية القديمة.»

- «الوصايا؟» تنفس (كريس) بعمق وتردد قبل أن يظهر جهله بهذا الشخص «وما هذا؟» تنهد (برانداو) بازدراء.
- «هل حقاً لا تعرف ما هي؟» نظرت إليه البروفسورة بجدية.
- «كلا. وهل يتوجب علي ذلك...؟»
- «إنها الوصايا...»
- «الوصايا العشر في الكتاب المقدس؟ من العهد القديم؟»

الفصل العلليان

مدينة (كان) الجمعة

اتجهت العبّارة صوب جزيرة (سانت أونورات). جلس (دوفور) في القسم الخلفي، وتأمل تلك الصورة البانورامية الضخمة لجبال الألب البحرية، شمال شرق مدينة (كان). كان يقطن مدينة (فالبون)، بالقرب من مركز أبحاث (تيسابي). إلا أنه لم يذهباليوم إلى المشفى بل قاد سيارته تلك الكيلومترات القليلة إلى مدينة (كان). وهناك أوقفها في المرأب الكبير الذي يقع في الجهة الجنوبية الفريبة من نهاية الميناء، ثم اشتري تذكرة ووقف مع السياح على رصيف الميناء ينتظر قدوم العبّارة التي ستقلهم إلى الجزيرة.

عند وصولهم إلى جزيرة (سانت أونورات)، عبر رصيف الميناء واتجه يساراً، بينما سار السياح إلى الأمام باتجاه الدير.

سار تحت سقف من خشب الصنوبر يقع في الجهة الشرقية من الجزيرة، التي لا يتجاوز طولها الكيلومتران والنصف، وعرضها الخمس مئة متر، بينما انعكس اللون التر��وازي لمياه البحر على يده اليسرى.

وبعد مدة وصل إلى بقعة جرداء بُنيت عليها كنيسة صغيرة. كانت جدرانها من أحجار الغابة، بينما غطى سقفها القرميد الأسطواني. وشكلت

الأحجار المربعة الضخمة إطاراً وداعماً للباب المحشور والمختفي نوعاً ما. كانت ألواح الخشب غامقة، بل سوداء تقريباً.

وتحللته الشقوق في الموضع التي تتلاصق بها الألواح مع بعضها. كان الباب مغلقاً وبدا القفل صدئاً.

- «هل وجدت الروح الخاطئة طريقها؟» تقدم جسد الأب الممتلئ قادماً من جهة الكنيسة المقابلة للبحر باتجاه البقعة الجرداء. بان ثوب الراهب بلونه الرمادي الفاتح من بين ظلال الأشجار.

توجه (دوفور) إلى الأخ (هيرونيموس)، الذي كان يتأمل الواجهة بكل حب.

- «لقد وعدت رئيس الدير أن أقوم بترميم كنيسة لوترنيتي لإرضاء الرب. هذه هي المهمة الأخيرة التي وضعتها لنفسي».

دارا حول الكنيسة التي اتخذت النهاية الشرقية من بنائها شكل زهرة البرسيم بأجزائها الثلاث النصف دائرية ونواخذها الصفيرة.

- «إنها لا تبدو بحالة سيئة جداً» قال (دوفور) عندما لاحظ الأسطوانات القرمídية التي كانت تحمي الزجاج المتتسخ للنوافذ.

- «هذا صحيح. فبالمقارنة مع الكنائس السبع الموجودة على هذه الجزيرة تعتبر بحالة جيدة نسبياً. في عام 1993 تم ترميم كنيسة القديس (كابراسيوس) التي تقع في النهاية الأخرى لجزيرة.

وبالرغم من أن كنيسة (سانت سوفيير) بحاجة ماسة إلى الترميم إلا أن كبر حجمها يجعل الأمر فوق طاقتني».

كان هناك باب آخر للكنيسة في الجهة الشرقية، وكان حاله كحال الباب الأمامي تملؤه الشقوق. فجأة ظهر مفتاح كبير في يد (هيرونيموس) الذي استخدمه في فتح ذلك الباب.

- «لماذا هنا؟» تردد (دوفور) بالدخول خلف (هيرونيموس) إلى داخل الكنيسة شبه المظلمة «إنها كنيسة المقبرة»

- «إنها ملائمة تماماً. فأنت تحمل رائحة الموت. لقد قمت بالقتل! أنت قمت بالقتل!»

صمت (دوفور) متأثراً

تجولت نظراته على الأرضية الحجرية الغير مستوية، التي اصطفت عليها عدة مقاعد خشبية.

في النهاية الدائرية للكنيسة إلى جهة اليمين، برز لوح حجري متوسط الارتفاع. كان الصليب الرفيع المحفور في وسط اللوح هو الرمز الوحيد الذي يشير إلى الهوية المسيحية لهذه الكنيسة.

- «جاك. لقد دعيتك للقائي هنا في هذا المكان لأتحدث معك. وأنت تعلم عن ماذا؟»

- «لقد كان حادثاً» قال (دوفور) بنبرة منهكة.

- «لا تكذب!» همس (هيرونيموس).

في الضوء الخافت للكنيسة لم يتمكن (دوفور) من رؤية شيء سوا معالم الرأس المميز للقس. بينما كان الظلام يغطي وجهه. «ألم أعلمك في صغرك وصايا رب؟ أ ولم تعد أن تحفظها؟ كيف تملكك الشيطان؟»

كان الأب (هيرونيموس) هو من قام بتعليميه سبل الرب في صفره، وهو أيضاً من استمع لأول اعترافاته. وحتى عندما تم رسمه كأسقف، أبقى الأب عينه على الشاب (دوفور). ثم انتقل (هيرونيموس) إلى (روما)، وأخذت العلاقة بين الاثنين بالفتور.

- «لم يتملكني الشيطان!»

- «لا تعارضني!» صاح الأب (هيرونيموس) فجأة «أنا أعرف ذلك أكثر منك. لقد رافقت هذا الشاب في طريقه إلى الرب، بينما كنت أنت مع

رئيسك في العمل تفحصان العينات تحت المجهر. لو كنت أعلم كم أنتما
بائسين... لقد قمتا باستغلالي. أنت من استغلني».

أخفض (دوفور) رأسه بصمت. فعندما علم أن الأمر قد انتهى، قام
بتطلب المساعدة من القس؛ وذلك لإجراء الطقوس الدينية الخاصة بالموت.
فبعد عودة الأب (هيرونيموس) منذ ما يقارب نصف العام وجد
ملادأ له مع إخوانه الرهبان الثلاثين في دير السيسطرين البندكتيين الذي
يقع في جانب الجزيرة المطل على البحر المتوسط.

والذي يعتبر أقدم النماذج لأبنية الأديرة على الإطلاق. لقد التقى
صادفة قبل ثلاثة أشهر في بلدتهما الأصلية (كولوبريس)، ومنذ ذلك
الحين لم يقم (دوفور) بزيارة القس في الدير إلا مرة واحدة.

- «لم أشاء أن أترك (مايك غيلفورد) يموت دون أن تباركه الكنيسة.
كانت الخدمة الأخيرة...»

- «وماذا عن الرب؟ لماذا لا تقوم بخدمته؟ لماذا تساعد على نشر
الإلحاد في العالم؟ لماذا تقوم بارتكاب الخطيئة بحق خلق الرب؟
صاحب القس بصوت عالٍ تردد في أرجاء الكنيسة المظلمة» (جاك).

هل ما زلت تؤمن؟
- «بالطبع».

- «إني لا أصدقك. (جاك) أنا لا أصدقك» خرجت زفراة عميقة من
صدر القس «(جاك). لقد عملت لسنوات طويلة في (روما)، وكان علي أن
أشتغل في أمور كثيرة. بما في ذلك علم الهندسة الوراثية. (جاك) لقد وهبت
نفسك للشيطان!»

- «أردت أن أساعد، أخترع، أكتشف، أبحث، أعلم لماذا الأمور على
هذا النحو، كيف تكون...»

«الكذبة!»

- «الحقيقة الخالصة...»
- «ليس سوى كذبة!»
- «أيها الأب، أرجوك... نحن نعتقد أننا وجدنا الطريقة التي تمكنا من استخدام إنزيم التيلوميراس بنجاح في عملية إعادة ترميم الكبد».
- نظر إليه الراهب متfragجاً.
- «التيلوميراس؟ هز القس رأسه «لو لم تخني ذاكرتي، فإنه الإنزيم الذي يقوم بإعادة ترميم أو إطالة نهايات الكروموسومات، عندما تقصر».
- «من أين...؟» قاطع (هيرونيموس) كلام (دوفور).
- «لقد أخبرتك سابقاً، أنه كان على في (روما) أن أشتغل أيضاً بعلم الهندسة الوراثية...» ولدرجة أعمق مما يمكنك توقعها، أنه (هيرونيموس) جملته في نفسه.
- أو ما (دوفور) «التيلوميرات عبارة عن أغطية صفيرة موجودة على نهاية الكروموسومات الحاملة للمادة الوراثية، وتقوم بالمحافظة على سلامة الحمض النووي. وهي تحمي نهايات الكروموسومات حتى لا تلتتصق أشلاء انقسام الخلية بنهايات أخرى. وهي تكرارات معينة لأزواج قاعدة الحمض النووي. هذه النهايات هي الموضع التي تبدأ بها مضاعفة انقسام الخلية. وللإنسان عدة آلاف من هذه الأزواج في نهايات الكروموسومات، ويعتمد ذلك على نوع الأنسجة، فإما أن تكون أكثر أو أقل. ومع كل انقسام خلوي، أي تجدد للخلية يفقد الإنسان بعض من تلك الأزواج، وبذلك تقصر نهايات الكروموسومات. وعند نفاذها تتوقف الخلايا عن الانقسام».
- «والذي تكون تيلوميراته أطول منذ البداية، يعيش وقتاً أطول، لأن خلاياه يمكنها أن تنقسم أكثر. أنا أعرف موقف العلم من هذا».
- «ولكن يوجد إنزيم، يستطيع أن يعيد إطالة نهايات الكروموسومات أو أن يوقف عملية تقصيرها».

- «التيلوميراس. هذا الإنزيم يمنع التيلومير من الوصول إلى تلك النقطة التي يكون بها بالقصر الذي يحول دون إعادة انقسام الخلية. فيتوقف عامل الهرم وتستمر الخلايا بالانقسام».

- «إنه إنزيم الخلود» -تمت الأب (هيرونيموس)- «الذى تابعه الأبحاث العلمية بكل اهتمام. وعندما خرجت التقارير الأولية إلى العلن زحفت تشكيكات الفاتيكان كما خرجت الأفعى التي أسقطت آدم من الجنة. لو أن كلمة الرب...»

- «ولكنه إنزيم الموت أيضاً» -تنهى (دوفور)- «ففي ثمانين إلى تسعين بالمائة من حالات أمراض السرطان يكون هذا الإنزيم نشطاً. إنها تتجاوز الموت الطبيعي للخلية، مما يحول دون موت الخلايا السرطانية، ويفؤدي ذلك إلى تزايد نموها إلى ما لا نهاية، وبهذا تقوم بالقضاء على أعضاء الكائن الحي. ومنذ بضعة أعوام تجري تجارب يتم من خلالها معالجة الخلايا بإنزيم يجعلها لا تهرم في الوقت المفترض لها، وكذلك لا تتطور إلى أورام سرطانية. لقد عرقلنا أنه عند تكون الخلايا السرطانية فإن التيلوميرات تقصر بشكل مفاجئ وتنتشر الخلايا السرطانية، لأنها تُنشط إنزيم التيلوميراس بينما تستطيع إبقاء التيلوميرات ثابتة، وبهذا تموت الخلايا السرطانية، طالما لم تكن في الوضع الملائم لذلك. من الواضح أنه توجد مجموعة من العوامل المختلفة التي تؤدي إلى تكون السرطان بفعل إنزيم التيلوميراس، وهنا بدأنا العمل».

- «إن التيلوميراس يعمل فقط في الخلايا التي ما تزال تقسم. كما في خلايا الجلد أو الكبد، ولكن خلايا الدماغ وخلايا عضلة القلب تتوقف عن الانقسام لدى البالغين. إنكم مخطئون».

- «أيها الأب، إننا نقوم باكتشاف هذا المحيط الضخم بالقيام بعدة عمليات غطس صغيرة. والحقيقة هي، أننا نجحنا بذلك عندما أجرينا

تجارب على دودة النيماتودا، فقد قمنا باستنبات التيلومير باستخدام الإنزيم. واستطعنا بذلك تمديد متوسط عمرها من عشرين إلى أربعة وثلاثين يوماً. إنها زيادة في عمرها بنسبة تزيد عن الخمسين بالمائة.

- أيها المسؤولون، ماذا دهى عقولكم؟ التقدم في العمر هو إجراء بيولوجي يتعلق بالارتباط الاجتماعي، الضغط العصبي، واللياقة البدنية والنفسية. إن عملية زراعة التيلومير وحسب علمي تكون باستنبات جزء بديل. فـيأخذ المرء خلية من أحد غضاريف ركبة معتلة ويعمل على تمديدها باستخدام التيلوميراس ثم يعود فيزرعها ثانية».

- يوجد أكثر من ثلاثة نظريات حول تقدم السن. إلا أنه لا أحد يعرف حتى الآن كيف تتم بالفعل. وقد تكون نظريتنا خاطئة أيضاً. فالتيلوميرات تتكون من قسمين فاعلين. الأول هو الجزء الأكبر من البروتينات والثاني هو الحمض النووي الريبي المعروف بـ RNA، ويمكن زيادة طول نهايات التيلومير بواسطته. والجين المسؤول عن جزء البروتينات يوجد على الكروموسوم الخامس بينما يوجد الجين المسؤول عن جزء RNA على الثالث.

حدق الراهب بالباحث الذي بدا عليه الزهو، وذكره ذلك بحالة الرضا التي يصل إليها عندما يتفرغ تماماً لعبادة رب.

- لقد بدأنا قبل تلك النقطة التي تقترب بها التيلومير الخاصة بالخلية، وقبل أن تبدأ الخلايا السرطانية بال تكون بفعل إنزيم التيلوميراس. فنحن نسعى إلى تجديد خلايا الكبد المصابة باستخدام بروتينات التيلوميراس الصحيحة، ودون أن ندع مجالاً لتشكل الخلايا السرطانية». فهم (هيرونيموس). إنهم يحاولون استخدام الإنزيم تماماً عند تلك اللحظة التي لا يمكن عندها حدوث نمو عشوائي للخلايا.

- لقد قمنا باختبار بروتينات مختلفة، التي يتكون منها إنزيم

التيلوميراس، وأثبتت نجاحاً ملحوظاً في تجارينا على الحيوانات» قال (دوفور) عندما لاحظ النظرة الغاضبة للقس «وبهذا استخدمنا الإنزيم للاستمرار في انقسام الخلايا دون ظهور تأثيرات ضارة. ثم قمنا بالخطوة التالية. ففي حالة (مايك غيلفورت) تم استخدام بروتينات التيلوميراس، التي سبق استخدامها في تجارينا على الحيوانات دون ظهور أي آثار جانبية. كانت خلايا كبده مصابة بشكل بسيط، وبحسب كل الملاحظات العلمية كان التيلومير من حيث الطول بعيداً جداً عن النقطة التي قد تحدث فيها إنزيمات التيلوميراس طفرة فتتشكل الخلايا السرطانية».

– «فكيف مات إذ؟»

– «إننا لا نعلم» قال (دوفور) بصوت منخفض «ربما بُنية البروتين أو جزء خاص من حمضه النووي، تسببت في تفجر الخلايا السرطانية. أو ربما الفيروسات المعدية، نحن ببساطة لا نعلم» نظر (دوفور) إلى الأرض «إنني أبحث عن التكبير عن ذنبي، أريد الاعتراف!». «كلا!».

كان (دوفور) يشعر باليأس، فهو من قام بحقن (مايك غيلفورت). ونظرات الثقة العميقاً التي نظر بها (غيلفورت) إليه ما زالت تلاحمه. فقد ابتسם له الشاب بينما كان هو يضفط على مكبس الحقنة.

– «أبتي يكاد شعوري بالذنب يقتلني!».

لقد قام بتأجيل الفحص التالي لـ (ماتياس كيلسون)، حتى وإن كانت أمه تعلق كل أملها على ذلك. نظرت إليه دون أن تفهم السبب، إلا أنه لم يكن بمقدوره أن يشرح لها ولن يفعل ذلك. كان عليه أن يكتشف المسibبات أولاً.

ارتعش القس (هيرونيموس) من ضرية القدر الإلهية المزدوجة. من جهة، إن التحديد المسبق لعدد مرات انقسام الخلايا بناء على طول

التيلومير يحد من مدة الحياة. وإن تم تجاوز ذلك الحاجز فإنه من ناحية أخرى قد تحدث طفرات مرضية في الخلايا بطريقة لا متناهية مما يؤدي إلى موت الأعضاء.

ومرة أخرى تتحقق كلامة الرب، وأيضاً هذا الجزء من الخطة الإلهية كان مذكوراً في الكتاب المقدس: ((هو بشر وتكون أيامه مئة وعشرين سنة)).

الفصل الواحد والعشرون

مدينة (برلين)

الجمعة

ضبط (كريس) سرعة خطواته لتلائم خطوات العالمة. مرّاً أمام متحف (بيرغامون)، اتجها يساراً، سارا بمحاذاة الحائط الخلفي للمتحف القديم ثم تحولاً مجدداً باتجاه حديقة (لوست غارتن).
لقد أملى كامل شروطه ليتمكنها من فحص كل الألواح التي بحوزته، وبعد تردد قصير وافقت البروفسورة على كافة شروطه.
اعتراض القس ذو الوجه المشؤوم، لأنهم لم يسمحوا له بمرافقتهم، وأخيراً كان عليه أن يستسلم ويفضي. إلا أن (كريس) كان قد سمع ما قاله، بأنه سينتظرها في مكاتب اتحاد المولين.

- « علينا الاتجاه يساراً» قالت (رامونا سولنر) أثناء مرورهما أمام الواجهة الأمامية للكنيسة الكاتدرائية. على الجهة المقابلة من الطريق كان يقع قصر الجمهورية، إنه أحد آثار الحقبة الشيوعية في ألمانيا الشرقية، الذي ما زال بانتظار تنفيذ أمر إزالته منذ سنوات.
قطعا جسر (ليبيكناخت)، الذي يصل من جهة الشرقية بين جزيرة المتحف والمدينة. على الجانب الآخر وقفت البروفسورة تبحث في حقيبة يدها عن بطاقة المرآب.

استغل (كريس) الفرصة ونظر إلى الخلف. كانت إحدى المجموعات السياحية تعبر الجسر خلفهم، عائدة من جولتها باتجاه الحافلة أو الفندق. في وسط المجموعة شاهد (كريس) زوجين. وعلى العكس من باقي أفراد المجموعة، بدت عليهما الجدية ولم يكونا يتبادلان الحديث مع أحد. كلاهما كان يرتدي بزة جلدية سوداء خاصة بسائقي الدراجات النارية وأحذية ثقيلة.

كان الرجل حليق الرأس وقد علق في كل من أطراف حاجبيه حلقة حديدية صغيرة، واعتلت وجهه ابتسامة غامضة. بينما كانت الفتاة تضع حلقاً فضياً على أنفها، وكانت عيناهما مزينة بشكل كثيف وجفناها مطليان باللون الأحمر. وعندما كانا على بعد عشر خطوات. تذكر (كريس) أنه رأهما يقفان على محطة الحافلات بالقرب من المطعم.

هل كانت صدفة؟

ليست صدفة.

استدار (كريس) وحدق في الطريق المنحدر. على الجهة اليسرى وقف بناء جديد ذو واجهة من المرمر والزجاج. كانت بوابة المرآب، الذي ركنت البروفسورة سيارتها فيه، تطل على الشارع.

إلى الأمام كان هناك تقاطع طرق، يليه على الجهة المقابلة من الشارع بدت المساحة الخضراء أمام برج التلفاز.

- « علينا الدخول من هنا » قالت (رامونا سولنر)، عندما تابعا سيرهما خلال زقاق يمر بين الأبنية المتلاصقة.

- « لاحقاً، على أولاً أن أتأكد أنهما لا يتبعاننا ».

عجل من خطواته، وسار نحو التقاطع ثم اتجه يساراً. تذمرت البروفسورة، وتبعته مسرعة. استدار عدة مرات إلى الخلف بينما كان

يتوقف بطريقة مفاجئة أمام واجهات المحلات، مقلباً بعض الملصقات والبطاقات المعروضة أمام الأكشاك السياحية.

- «قليلة جداً هي المرات التي رأيت فيها هذه الحالة الواضحة من جنون الارتياب. على طبيبك النفسي أن يهتم بك بشكل أفضل» وقفت إلى جانبه وتأملت اللوحات الجدارية المختلفة للمعالم السياحية المهمة لمدينة (برلين).

دخل (كريس) من البوابة الكبيرة التي كُتب عليها بأحرف ملونة (الحياة البحرية). اشتري تذكرين من كوة التذاكر الموجودة في الداخل. أخبرته بائعة التذاكر أن تذكرة الدخول إلى معرض الأحياء المائية تشمل أيضاً جولة بمصعد الأسطوانة المائية الموجودة في المبنى المجاور. أوّل (كريس) بعجلة ثم غاص في ظلمات بهو المعرض ويرفقة (رامونا سولنر). قادهما الخيط الضوئي الرفيع إلى حجرات مختلفة تضم أحواضاً مائية متباعدة الأحجام. إلى جانب الأسماك المحلية يستطيع المرء مشاهدة المناظر الطبيعية للحياة المائية وسكانها.

بينما مرّ (كريس) أمام بعض الأحواض دون أن يلاحظها ووقف متأنلاً لأوقات طويلة أمام أخرى، وكان يلتفت خلفه بين الحين والآخر. سارت البروفسورة خلفه بصمت، متجلبة التفوه بأي تعليق بعد أن أخبرها (كريس) بنبرة غاضبة أن موت (فورستر) لم يكن من وحي خياله المريض بجنون الارتياب.

كان هناك أطفال صغار يضفطون أنوفهم على الألواح الزجاجية للأحواض، وكان بعض الآباء يشرحون لأنائهم أن بعض الأسماك لا يمكنها العيش إلا في المياه العذبة. بينما تمنى رجل بعمر الستين أن تكون إحدى سمات الشبوط الكبيرة هي وجة عشائه في ليلة الميلاد القادمة. توقف (كريس). ففي أحد الأحواض كانت أسماك الشفافين

بأحجامها المختلفة تسبح بحركات متأنية عند أرجلهما في أعماق الحوض.
واستمرت بالانزلاق بخطوط دائرة منتظمة أمامهما.

إتكاً إلى الحائط الحجري الموجود إلى جانب أحد حواف الحوض
وانتظر. وفي هذا الموضع كان يتوجب على كل من بدأ جولته بعدهما أن يمر
 أمامهما.

وبعد مدة وجية، لم يستطع (كريس) ملاحظة أي شيء غير عادي،
 إلا أنه فضل الانتظار لدققتين إضافيتين.

- لقد قلت لي سابقاً أن النص يحتوي على أجزاء من الوصايا
العشر بصيغتها الأساسية، وهذا ما يجعله جذاباً بالنسبة للدين ومهماً
 بالنسبة للعلم. ماذا كنت تعنين بذلك بالضبط؟

- لقد تأخرت بطرح سؤالك، لقد توقعت أن تطلب المزيد من
 المعلومات في حينها.

- بدا على (برانداو) الانزعاج ولم أرد أن أستفزه أكثر. وكنت مهتماً
 بالتوصل إلى اتفاق حول الصفة أولاً. ولكن يمكنك أن تخبرني الآن».
نظرت (رامونا سولنر) إلى إحدى سماكت الشفرين التي سبحت
 باتجاهها «ماذا تعرف عن الوصايا العشر أو الكتاب المقدس أو بمعنى آخر،
 عن نساء العهد القديم؟

فكرة (كريس) «يحتوي على كلمة الله، وفي زمن ما قام شخص
 بتدوينها. هذا ما تقوله الكنيسة».

تذكر بشكل ضبابي تلك الأسئلة والاعتراضات التي وجهها يوماً إلى
 القس، الذي كان ببساطة يتجاهل الإجابة عنها «ثم تم تسريبها لاحقاً، ولم
 تعد ذات أهمية. حدث هذا منذ زمن طويل جداً».

- لا بد أنك تعلم أن الوصايا العشر هي جوهر قوانين العهد
 القديم؟

- «أنت الخبرة هنا ...»

- «إن قام المرء بملاحظة نصوص الوصايا العشر وتحليلها من عدة زوايا، وعلى أساس علمي، يمكنه التوصل إلى ما يلي: في الأساس لم تكن كلمة الرب، بل مجموعة من عظات الأنبياء، التي تم بعد ذلك صياغتها إلى قانون سماوي لا يقبل الدحض».

- «ماذا تعنين بهذا؟»

- «تنوع الوصايا بين واجبات ومحرمات، بين كلام الرب وكلام يهوه. إنها تحوي على شرائع طويلة وقصيرة، بسبب أو بغير سبب. هذا الاختلاف في التوازن يُظهر التباين بين الجوهر وبين الزيادات التي تمت إضافتها فيما بعد».

- «هل تعنين أنه لا يوجد نص أصلي موحد؟ بل إنه جدار مبني من مجموعة من الحجارة بدلاً أن يكون سداً من حجر المنليث؟»

- «بالضبط. هذه هي تفسيرات العلماء على أي حال، لقد قاموا بتحليل نصوص الكتاب المقدس. إنه ليس تخصصي، ولكنني سأحاول أن أخصه. إنهم يقولون، لقد تم العثور على سلسلة أساسية من الوصايا، التي قد تكون أخذت من عظة (إرميا) النبي في الهيكل. وهناك كتب: (أتسرقون وتقتلون وتزنون وتحلفون كذباً وتبخرون للبعل وتسيرون وراء آلهة أخرى لم تعرفوها) وقد وجدت قائمة المعايير هذه بالترتيب نفسه تماماً في الوصايا العشر. وقد تم نظم الإعلان النبوى للإرادة الإلهية في سلسلة من الوصايا. وحسب رأي العلماء إن النشأة الجدلية ما تزال واضحة».

- «هل تقصدين، أن أصول الوصايا العشر تعود إلى نبوءات».

- « تماماً. لقد تم تنظيمها بهذا التسلسل لاحقاً. إلا أن الوصايا التالية لا تعود إلى النبوءات، بل تم اقتباسها من مهر لقوانين أخرى ومن

طقوس عبادية. (أنا يهوه) أنت من العبادات. وبهذا تم تعريف سلسلة الوصايا على أنها وحي إلهي. يثبت يهوه ادعائه الأساسي هذا من خلال إخراجه لإسرائيل من أرض مصر.

ومن هنا يستخلص مطلبه: (لا يكن لك آلهة أخرى إلى جانبي) وهذا ما تم تقريره ليصبح في البداية. إنها أولى الوصايا».

- «مثير، ولكنه مُعَقَّد» تتمم (كريس).

- «يلاحظ تتابع الشرائع الأخلاقية. فيما تضفي ثلاثة من الوصايا أهمية إضافية خصوصاً على الوصية الأولى: لا تتطق باسم الرب باطلأً، لا تصنع لك تمثلاً، ولا صورة، وقدس يوم السبت. ولقد تأثر كل من الدين اليهودي والمسيحي بهذه الوصايا الثلاث. ولقد تجلى انصياعهم للوصية الأولى باتباعهم تلك الوصايا الثلاث».

حاول (كريس) البحث في داخله عن أي ردة فعل، عن القليل من الاعتراض، عدم التصديق، أو الثورة على هذا التحليل الرصين. لا شيء... بل كان معقولاً.

- «إذاً فأنت تدعين، أن موسى لم يتلقَ الوصايا العشر في سيناء من الله مباشرة، كما ورد في الكتاب المقدس».

- «التفسيرات العلمية تقول: نعم. هذا صحيح».

نظر (كريس) في عيني البروفسور الجوزيتين.

- «أنت عالمة. فهل أنت مؤمنة أيضاً؟ هل ما زلت تستطعين الإيمان؟»

ضحك بارتباك.

- «إنك تطرح السؤال بطريقة خاطئة. فلو كانت من المترسمتين، الذين يرون نصوص الكتاب المقدس كسطور معبودة، وعمل متكامل، ويؤمنون بما جاء به بشكل حريفي، وبأنه لا إمكانية لتأويله، لكنت سأواجه مشكلة بالتأكيد».

إما أن آخذ الكتاب المقدس بحروفه وأرفض أي شيء آخر، وخصوصاً الحقائق العلمية. أو أن أعتبر الكتاب المقدس عملاً روائياً لمجتمع كان مازال يبدأ بالتشكُّل. أو كاكتشاف، يوضح الماضي ويُسترشد به لصنع حاضر أفضل، كتاب تاريخ، وهكذا يصبح مفتوحاً للجميع، وكذلك للمفاهيم المنافسة».

«وما علاقة كل هذا بالألواح الطينية؟»
وبدلأ من الإجابة، حدقت البروفسورة في أحد الزوار المارين، الذي
رمقها بنظرات جريئة.

«هل تعرفينه؟ سألهما (كريس).»

«أنا لا» ضحكت مستمتعة «إني أحدق بالرجال الذين يحاولون
لفت انتباهي بنظرات مباشرة. غالباً ما تنجح هذه الطريقة في صدهم،
أكثر من الكلمات».

«إن كان كل ما قلته صحيحاً. فأين الرابط؟»

«الألواح الستة الجديدة ترجع إلى عهد نبوخذ نصر الثاني. إلا أن
ذلك غير مهم في هذا السياق. فقد دون فيها معاركه وانتصاراته على الـ
(كيش)» - صممت مدة وجيبة، كأنها تطلب انتباهه الكامل - «الألواح الأقدم،
التي سطا عليها نبوخذ نصر في تلك المعارك ثم خبأها في معبد (نينورتا) في
(بابل)، هي التي تحتوي على الأمر المثير. يصف الملك كيف دمرت المملكة بعد
الطوفان الكبير في (كيش)، والوصايا التي تلقاها في تلك الأثناء ((عدم
تقديس إنليل وزينابا ولعنهمما، وتقديم الأضاحي للألهة الأخرى، والقتل،
والسرقة، والخيانة الزوجية، والقسم الكاذب كلها خطايا، يجب على شعبي
أن ينبذها. هذا ما يقوله (نينورتا) البشر والله (كيش).)) هل فهمت؟»

«هل تقصدين أنها متطابقة مع النبوءات التي يفترض أنها كانت
أساساً للوصايا العشر، إن كان ما قلته عن شأنها صحيحاً.»

- تماماً، مما يزداد وضوحاً، هو أنه علينا قراءة الآداب العربية القديمة، أي الكتاب المقدس والعهد القديم، كجزء من التاريخ القديم لثقافة الشرق والأديان.».

فجأة اتضح لـ (كريسن) ما قد كشفته له العالمة. قد تكون تلك المعلومات ليست بالأهمية الكبيرة بالنسبة له. إلا أنها حتماً لن تستساغ من قبل المخلصين باتباع الكتاب المقدس.

- نصوص كثيرة ومتباينة من بلاد ما بين النهرين و(مصر) ومملكة الحثيين (أوغاريت)، معروفة منذ زمن، وقد تم تفسيرها علمياً بشكل أفضل. لم تعد كل آراء ودعاوى العهد القديم، وشروط المجتمع، وحتى نظرة الرب لإسرائيل القديمة، دون ترابط. ويمكن قراءة إثبات ذلك على أقدم الألواح التي تم العثور عليها. بل ويمكن القول أن هذا الاكتشاف يشكل انتصاراً للعلم على العقيدة.».

الفصل الثاني والعشرون

مدينة (برلين)

الجمعة

في هذه اللحظة دخل الشاب والفتاة المرتديان زيّ سائقي الدراجات النارية من بوابة الدخول الرئيسية.

إنهما مستمران في متابعتنا ولم يهتما بمشاهدة سمك الشفنيين، فكر (كريس)، عندما رأهما يختفيان بعيداً. إنهما لم يلحظا سمك الشفنيين بالرغم من أن الجميع يتوقف هنا. أحد أكثر الموجودات إثارة لم يسترعى انتباهمما ولو لمرة ثانية.

لا يمكن أن يكون ذلك مصادفة؟

هل وقع في الفخ؟ هل تلك المرأة التي ترافقه هي فعلاً البروفسورة؟ في حال أنهما ملاحقان فما يزال بإمكانهما العودة إلى المدخل الرئيس مرة أخرى، ومفادة معرض الأحياء المائية. وعندها سيعلم متبعيهما، أن أمرهم قد اكتشف. لا أحد هنا يعاود الخروج من بوابة الدخول. لا بد أن هناك من يؤمن مراقبتهما من الخلف. على الأقل هذا ما كان سيفعله لو كان مكان متبعيه.

قرر المضي قدماً، كي يتأكد إن كانا ملاحقين حقاً، وفي هذه الحال عليه أن يلعب معهم لعبتهم.

- «تعاليٰ»

- «وأخيراً» حولت (رامونا سولنر) نظراتها من سمك الشفافين. هرول (كريس) عبر صالات المعرض ذات الضوء الخافت ثم توقف في الصالة الأخيرة، حيث كانت أفراش البحر تحرك ذيولها لتفوض تحت مياه الحوض ثم تعود لترتفع إلى السطح.

عبرًا حاجزاً في صالة البيع. كان الشابان ذوا البرزات الجلدية السوداء يقظان أمام رفوف معدنية عليها أسماك بلاستيكية قابلة للنفخ. مر (كريس) من جانبيهما متوجهًا إلى الخارج.

و جداً أمامهما ممراً يزيد عرضه عن العشرين متراً يقود إلى المبنى المجاور. وكان مكتظاً بكراسي وطاولات تعود إلى المقاهي الموجودين فيه.

- « علينا التوجه يميناً إن أردنا التوجه إلى سيارتي » قالت العاملة. أدار وجهه فوجد الشابين يتبعانهما « ليس بعد » تتم (كريس). اندفعت عائلة أمامهما عبر باب كهربائي ذو زجاج داكن ويؤدي إلى المبنى الموجود على الجانب الآخر.

جولةأخيرة للتأكد، فكر (كريس)، ثم تبع العائلة. في الداخل و جداً نفسيهما يعبران مطعماً قبل أن يصلا إلى البهو الداخلي الرئيس.

خمن (كريس) ارتفاع هذا البهو المربع بنحو الأربعين متراً. كانت الجدران ذات النوافذ المتطابقة التصميم، توحى بأنهما في فناء مسقوف. في وسط البهو ثبتت أسطوانة مستديرة بارتفاع أكثر من عشرين متراً، على عمود بارتفاع يقارب العشرة أمتار. كان المنظر يبدو، بأنه قطعة من البوطة المثبتة على عود يقف بشكل عمودي على أرض القاعة. كان العود مستديراً ويحتوي على مصعد زجاجي بطابقين، ولقد سُد

مدخله بعمودين حديديين تصل بينهما حبال. كان بالإمكان رؤية السلم الحلواني المعدني داخل القمرة الزجاجية للمصعد، الذي كان يقود إلى الطابق الثاني. قدر (كريس) أن ذلك المصعد يتسع ربما لثلاثين شخصاً موزعين على طابقيه.

كان قطر الأسطوانة العظيمة المثبتة فوق العمود يبلغ نحو عشرة أمتار، وقد ملئت تماماً بالمياه. إنها حوض للأسماك، ويدخله انتصب أربعة أعمدة من البازلت بينما كانت أسماك ذات ألوان زاهية تسبح في مياهه. وكان المصعد الزجاجي ينزلق في طريقه إلى الأعلى عابراً ذلك الحوض الضخم.

أمام مدخل المصعد وقف حشد من الناس. وكان رجل بزي أزرق يقف أمام حاجز من الحبال محاولاً منع أحد الزوار المنتظرین من الدخول إلى الموقع. ترددت أصوات أحاديث الزوار المتحمسين في أرجاء القاعة. أدار (كريس) وجهه إلى الخلف باتجاه المطعم. إنها هناك.

طويلان وضخمان بوجهين عابسين. كان الرجلان يحدقان إليه بشكل واضح. وقفوا أمام مدخل المطعم بساقين متباينتين وأيدٍ ملتفة حول بعضها البعض، كأنهما يقولان له «لن تخرج من هنا».

كان شعرهما قصيراً، وقد ارتديا سترات رقيقة ومنتفخة مناسبة تماماً لإخفاء الأسلحة. وإلى جانبهما وقف الشاب والفتاة بزيهما الجلدي الأسود، وكانت الفتاة تبتسم له بوقاحة.

نظر (كريس) إلى أعلى، كان المصعد قد وصل إلى الجزء العلوي من الحوض. خرج الركاب من المصعد وعبروا الجسر متوجهين إلى أطراف القاعة. رأى (كريس) على ارتفاع نحو 25 متراً طبعات الأقدام الداكنة على الأرض الزجاجية ذات اللون الحليبي.

- «تعالي معي!» أمسك (كريس) العالمة من مفصل يدها وسحبها معه.

- «ماذا دهاك؟ إنك تؤلمني!».
- «قربياً».

بخطوات سريعة عبر القاعة وهو يتساءل عن أهمية ذلك الهيكل المعدني الذي يعلوه بعده أمتار. إنه يمتد من منطقة المطعم وحتى المصعد. في منتصف سقف القاعة رأى المزيد من السقالات المعدنية تمتد من الجوانب باتجاه المصعد، كأنها جهزت لتركيب جدران مسبقة الصنع. في ركن آخر من البهو انتصب فاصل خشبي في القاعة أمامه طاولات عالية وقف إلى جانبها مجموعة من الناس يحملون معهم حقائب سفر وأمتعة.

استوعب (كريس). إنه فندق. ثم أصوات الأصوات. لقد حاولوا لاحقاً فصل بهو استقبال الفندق عن منطقة المصعد. وسيقومون بتركيب ألواح زجاجية عازلة للصوت على تلك السقالات الممتدة في أعلى القاعة حتى يتم منع تسرب الضوضاء إلى منطقة الفندق، وفي الوقت نفسه يمكن لضيوف الفندق رؤية حوض الأسماك الضخم.

للح (كريس) مخرجاً آخر، وكان من الواضح أنه يقود إلى الفندق. شعر (كريس) بالارتياح لوهلة، ثم سرعان ما تلاشى عندما رأى أن هناك شخصين يحرسان هذا المخرج أيضاً. كان أحدهم متوسط الطول، وذو شعر أشقر غامق، ولحية كثيفة. بينما كان جسم الآخر يشبه مصارع الحلبة مما جعل (كريس) يتصرف عرقاً عندما تخيل الضغط الذي ستسببه ضربة ذراعي ذلك الرجل على سلسلة ظهره.

رفع الرجل الأشبه بالمصارع يده اليمنى بهدوء شديد حتى وصلت إلى ارتفاع صدره، ثم وجه سبابته بشكل مباشر مشيراً إلى (كريس).

- «اللغنة!» تتمم (كريس)

استدار إلى الخلف وجرّ البروفسورة معه، واتجها نحو منتصف القاعة. كانت تعترض على تصرفاته إلا أنه لم يكن يكترث لها. في تلك الأثناء كان المصعد قد وصل إلى الأسفل وبدأ يحمل لفيفاً جديداً من الزوار. وكذلك انزلق الشاب والفتاة المرتديان بزّات سائقي الدراجات النارية إلى الداخل. لقد كانت فرصتهما الأخيرة للهرب.



- «ما الذي يحدث؟» سالت (رامونا سولنر) بحنق.

- «كأنك لا تعلمين...» نظر إليها (كريس) ببرود «إن كان لا بد أن ينتهي الأمر هنا، فستكونين أنت أيضاً معي. هل فهمت ما قلته؟ في الوقت الحالي أرى الأمر هكذا: أنت تتنمّن لهؤلاء، هل فهمت؟»

- «أنتمي لمن؟»

- «انظري حولك».

أدارت البروفسورة رأسها في كل الاتجاهات.

- «هل تقصد الرجلين الواقفين هناك عند المدخل؟»

- « تماماً. إنهم هنا لأجلني. والاثنان إلى يسارنا أيضاً...»

- «ومن أين لك أن تعرف...» صمتت. كانت أيدي الرجال اليمنى طويلة بشكل ملفت، تكاد تصل إلى ركبهم. فقط عندما ألقت بنظرة ثانية انتبهت إلى المواسير الحديدية «إنهم يحملون أسلحة...»

- «... مزودة بكاتم للصوت. ولماذا يا ترى؟»

خطا (كريس) بضع خطوات قصيرة داخلاً إلى المصعد ساحباً العالمة

وراءه. فمواجهة خصمين سيكون حتماً أسهل من مواجهة أربعة. دخلا المصعد متباوzen المرشد، وزجا بنفسيهما بين الجموع المحتشدة داخله ثم وقفا على الدرجات الأولى للسلم اللوبي. هناك في الأعلى، وعند بوابة الخروج كان الشابان ذوا البرزات الجلدية السوداء بانتظارهما.

في اللحظة الأخيرة قفز المصارع ورفيقه ذو الذقن الكثيف إلى داخل المصعد. هز المرشد رأسه باستحياء. ثم أغلقت الأبواب.

بدأ المصعد يتحرك بهدوء صاعداً إلى الأعلى. طلب المرشد من الجميع الانتباه، وبدأ يشرح بزهو عن تلك الأسماك المتنوعة التي كانت تسبح حولهم.

لم يرفع (كريس) عينيه عن متبعيه الواقفين في الأسفل عند باب المصعد. في البداية كانا ثابتين مكانهما، إلا أنهما وبعد مدة وجية بدءاً بالتحرك باتجاه السلم دافعين نفسيهما بين جمع ركاب المصعد المتذمرين. كان (كريس) ما يزال قابضاً على معصم (رامونا سولنر)، التي كانت تتممل تحت قبضته.

- «توقف» همس (كريس) بامتعاض. كان فمه ملائقاً لأذنها «أني ما أزال حتى الآن لا أعلم إن كنت تتممين لهم. إلا أنه على اعتقاد ذلك. ولهذا فعليك أن تعتبرني نفسك رهينتي»

- «إنك تهذى بلا شك!» تمنتت بعصبية، ولعنت عينها بغضب «وما عساك تفعل إن قمت الآن بالصرخ هنا؟»

- «ربما ذلك سيساعدنا. ولكن من الأفضل أن تساعديني في اللحظة المناسبة.»

نظرت إليه بعينين تملؤهما الأسئلة.

- «انتظري!» قال لها، ونظر إلى الأعلى حيث يقف الشاب والفتاة. كان الشاب يتلمس سترته الجلدية ثم دس يده اليمنى في جيبه

الداخلي. وفي الأسفل أصبح الرجل ذو اللحية الكثيفة قريباً جداً من المرشد.

- «عليك الصعود إلى الطابق العلوي إن كنت تود الرؤية بشكل أفضل» خاطبه المرشد باستثناء.

لفت الصيحات المفاجئة انتباه (كريس). ثلات غواصين كانوا يسبحون حولهم داخل حوض الأسماك.

- «نعم. إن ما ترونـه حـقـيقـي» قال المرشد «هـؤـلـاءـ الفـوـاـصـوـنـ يـقـوـمـونـ بـتـنـظـيـفـ زـجـاجـ الحـوـضـ بـشـكـلـ يـوـمـيـ،ـ إـلـاـ نـهـمـ تـأـخـرـواـ الـيـوـمـ كـثـيـراـ عـنـ مـوـعـدـهـمـ».

كان الغواصون يحملون عبوات صغيرة من الهواء المضغوط على ظهورهم، ويسكعون قطعاً من الاسفنج بأيديهم.

- «يبلغ سمك زجاج الأكرييليك الخاص بهذا الحوض، ثمانية سنتمترات في الأعلى وأثنين وعشرين سنتمتر من الأسفل. أما عرض الحوض نفسه فيبلغ ثلاثة أمتار... فعلاً... لا يمكن للمرء رؤية ذلك... كمية المياه تبلغ المليون لتر، وتحتوي على أكثر من 2500 من الأسماك التي تم جلبها من بيئات حيوية مختلفة وكلها تعيش في هذا المحيط المائي الاصطناعي. نعم، هذه هنا هي أسماك نابليون، وهناك يمكنكم رؤية أسماك الفراشة».

لم يعد يفصل بينهما وبين ملاحيهما سوى زوج من العجائز، وشاب كان متشبثاً بسور السلم ولم يتحرك أبداً، بالرغم من كل محاولات المتبعين لإبعاده. كان ذلك الشاب يزيد من شد عضلات جسمه كلما حاول الرجل ذو اللحية الكثيفة زيادة الضغط عليه.

- «عند وصولنا بعد لحظات إلى الأعلى، أرجوا منكم أن تعبروا الجسر ثم تستخدموا المصعد الآخر للنزول. نشكركم على زيارتكم».

أفلت (كريس) العالمة وأنزل حقيبة الظهر من فوق كتفه ثم انحنى قليلاً إلى الأمام بحيث يخفي حقيبة الظهر عن عيون الفضوليين. بأصابع متأنية جر السحاب ودس يده داخل الحقيبة، في البداية تحسست يده العلبة البلاستيكية التي تحتوي على الألواح ثم أخيراً لمست أصابعه المعدن. سحب مسدس (ريتسى)، ودسه في حزام بنطاله. هدأت بروفة معدن السلاح من أصابعه. لم يعد يشعر أنه أعزل تماماً.

توقف المصعد ببطء، وفتحت أبوابه المؤدية إلى الجسر.

- «أبي، إن الرجل يحمل مسدساً».

قدر (كريس) عمر ذلك الصبي بخمس أو ست سنوات. كان يقف على درجة أعلى من تلك التي يقف عليها والده، وكان يحدق بـ (كريس) بفضول متناهٍ. في البداية كانت نظرات الأب إلى (كريس) تنم عن الاستغراب، ثم سرعان ما تحولت إلى نظرات مذعورة.

- «اهريوا! هيا اهريوا!».

صاح بزوجته وابنته اللتين كانتا تقفان على الدرجة التي تليه «هيا تحركوا! إن الرجل يحمل سلاحاً حقاً».

فجأة بدأ الجميع بالصرخ. ولأن التقدم إلى الأمام لم يكن ممكناً؛ ازدادت صيحات الذعر ارتفاعاً. نظر (كريس) إلى الأعلى حيث كان المخرج. هناك وقف الشاب والفتاة قاطعين الطريق. إلا أن اندفاع الجموع المذعورة الخارجة من المصعد أجبرتهما على التنجي جانباً. سعدت العائلة التي كانت تقف أمام (كريس) الدرجات القليلة المتبقية إلى الأعلى ثم اختفت بين الجموع الهاربة على الجسر.

تلقي (كريس) ضربتين على ظهره. كان الزوجان العجوزان خلفه يحاولان الاندفاع إلى الأمام.

- «علياً، الالتصاق بي من الخلف!» صاح بالبروفسورة، وصعد

الدرجات القليلة المتبقية. وقف الشاب والفتاة أمامه فجأة. قفز (كريس) دافعًا بجسده الفتاة. فجسدها لن يستطيع مقاومة ثقله كجسد الرجل. ارتطمت أجسادهما ببعضهما وأحس (كريس) بصدرها الطري. وهنا ومض ألم حاد في جهة كليته اليمنى.

لوهله لم يعد يمكن من الرؤية لشدة الألم فسقط مع الفتاة على الأرض. أدار رأسه فانفرزت أسنانها الحادة والمؤلمة في أذنه اليسرى. من الأعلى اتجهت قبضة نحوه وأصابته في أعلى الصدغ. اندفع رأسه نحو الأسفل وارتطم بحافة أنفها. صرخت الفتاة من تحته.

قفز واقفًا، ومدّ يده اليمنى، وصدّ بيده اليسرى الضربة التالية، ثم أصابت حافة يده الجهة اليسرى من رقبة المهاجم، الذي تهاوى على الأرض دون أن يصدر أي صوت.

قفز (كريس) على الجسر.

- «هيا! تعالى!» صاح فهرولت (رامونا سولنر) خلفه. هناك في الأسفل اشراقب الأعناق إلى الأعلى حيث ترددت الصيحات من الأعلى إلى الأسفل.

عدت العائلة أمامهما، كان الأب مستمراً بالصرخ بينما يجر ابنه خلفه. تقدم (كريس) إلى وسط الجسر ثم استدار إلى الخلف.

قفز الرجل ذو بنية المصارع خلفه على الجسر ثم جثا على ركبتيه، ورفع يده اليمنى في الهواء مصوبياً فوهة سلاحه باتجاه (كريس) مباشرة. - «إلى الأسفل!» صاح (كريس) بـ (رامونا سولنر)، التي أسرعت مارة من أمامه «انبطحي أرضًا!».

رمى (كريس) بنفسه إلى اليمين على أرضية الجسر ذات اللون الحليبي، بينما انبطحت (رامونا سولنر) خلفه. مرت الطلقة فوق رأسه.

ضغط (كريس) على زناد سلاحه فارتج المسدس في يده، وتردد صوت الطلقة في أرجاء القاعة. أصابت حافة السور المعدني فدوى صوت أزيزٍ حاد.

تعثر الزوج العجوز على الجسر خلف الرامي. ارتطمت السيدة بالقناص الجاثم على ركبتيه فسقطت فوقه. حاول زوجها الإمساك بها فهوى هو أيضاً إلى الأرض.

وبهذا أصبح المرمى خالياً أمام الرجل ذو اللحية الكثيفة الذي وطأ الجسر خلف الزوجين العجوزين.

جهز (كريس) سلاحه مجدداً.

رفع الرجل ذو اللحية الكثيفة يديه فأصابته الطلقة في الجزء الأعلى من منطقة الصدر. تدحرج إلى الخلف واختفى عن الجسر. نهض (كريس) وأسرع باتجاه قمرة المصعد.

قام ملاحقه ذو الجسد الأشبه بمصارع الحلبة، بدفع العجوزين اللذين كانوا مرتيمين عليه جانباً.

ضرب (كريس) رأس الرجل بمؤخرة سلاحه فانكمش الأخير على نفسه وسقط مجدداً على الأرض منهاراً.

تابع (كريس) طريقه بعجلة ونظر داخل قمرة المصعد. وفيها كان الزوجان متعلقان ببعضهما، كأنهما زوج من العث الذي أصابه الدوار جراء رشة بالمبيد الحشري.

في تلك الأثناء تعثر الرجل المصاب بالطلقة جانب حجرة المصعد وباتجاه موازٍ لحافة حوض السمك ثم تمسك بالسلم، الذي كان يستخدمه الغواصون للنزول إلى الحوض. كان الدم يفطّي الجزء العلوي من قميصه وكانت بقعة الدم تتسع، كأنها زهرة تتفتح بسرعة. ثم ما لبث الرجل أن فقد توازنه وانزلقت يده عن حافة السلم وسقط بشكل رأسى

في الحوض. تناثرت المياه إلى الأعلى وبدأت قدماء تتخبط في المياه بحركات بلهوانية ثم ما لبث أن فتح كفه وهوى منه المسدس إلى أعماق الحوض. سبع أحد الغواصين من الأسفل باتجاه الرجل وأمسك بالجسد المنقضى بينما كانت خيطان من الدماء تحيط بجسديهما، ثم تحولت إلى وشاح أحمر ما زال يختلط بالمياه حتى تحول إلى لون زهري شاحب يحيط بالرجلين.

ارتطم الرجلان ببعضهما حتى بدايا كأنهما يتصارعان. ثم حاول الغواص أن ينتزع نفسه من بين يدي الرجل المصاب. إلا أن الأخير لم يدرك أن الغواص كان يحاول مساعدته.

وعلى هذه الحال كان الرجلان يغرقان إلى الأسفل وبالرغم من أن الغواص كان يحرك الزعانف المطاطية التي كان يرتديها بقدميه، إلا أن قوة حركته لم تمكنه من رفع الجسددين المتشابكين إلى الأعلى. كانوا ملتصقين ببعضهما البعض وتلتئف أجسادهما في الماء، كأنها زوج من الأفاعي في رقصة حميمة.

توهجت شرارة بيضاء ساطعة.

اندفعت بعدها المياه من كل جانب إلى الأعلى وتصاعدت غمامه من الفقاعات من الجسددين فتناثرت نثرات لحمية وأجزاء من العضلات، وأحشاء بشرية في المياه. وتدفقت الدماء من بقايا الأجساد، كأنها محطة مضخات.

حدق (كريس) بدهشة في موقع الانفجار، حيث تلونت المياه هناك بلون الدماء الأحمر. إنها قبلة يدوية، خطر ببال (كريس)، يبدو أن الرجل المصاب قام بتفعيل قبلة يدوية.

في اللحظة التالية انفجر الجدار الزجاجي للحوض. تردد الصوت الفريد لصريح زجاج الأكريليك المتحطم في أرجاء المكان.

- «يا إلهي!» وقفت (رامونا سولنر) إلى جانب (كريس) بشكل مفاجئ وارتمت بين ذراعيه محتمية بهما.

تدفقت المياه من ارتفاع يبلغ نحو العشرين متراً إلى أسفل القاعة من الفجوة التي حدثت في الحوض. وكاللبل الذي يتسلل إلى النهار، بدأ الصدع يمتد من الفتحة المحدثة في الأعلى بشكل طولي باتجاه أسفل الحوض. تردد الهدير الصاخب للمياه المرتطمة في الأرجاء. ودفع شلال المياه بقایا الأشلاء البشرية باتجاه القاعة.

استدار (كريس) فرأى الزوجين يركضان فارين على الجسر. كان الرجل ذو جسم المصارع ما يزال ملقىً على الجسر في حالة غيبوبة، بينما يمر من فوقه ما تبقى من الفارين.

حدق (كريس) إلى الحوض مجدداً. كانت قوة امتصاص المياه قد سحبت بقایا الأشلاء البشرية باتجاه الشرخ. ثم تلاشت في دوامة من المياه والأسمال، التي انسكبت في القاعة.

امتزج صوت صرير قوي مع هدير المياه، ثم انشطر الزجاج على طول الشرخ.

بدوي يضم الآذان اندفعت مياه الحوض إلى القاعة. رأى (كريس) أجساد الغواصين الآخرين، اللذين كانوا ينتفضان محاولان مقاومة قوة الامتصاص التي ما لبثت أن تغلبت عليهم وألقت بهما إلى القاعة مع فيض مليون لتر من المياه.

الفصل الثالث والعشرون

مدينة (براغ)

بعد ظهر يوم الجمعة

- «إني لا أراه» قالت (زوبي بورسل) وحدقت بالمحيطين حولها بعصبية.

كانت تعليمات (تورنن) في (فيلاكابامبا) أن تشرف هي شخصياً على عملية القضاء على ذلك الوغد، الذي أراد بيع نتائج أبحاث شركة (تيسابي) إلى المنافسين. وهذا ما دفعها إلى المجيء إلى مدينة (براغ). وهي تقف الآن عند جسر برج البلدة القديمة وتحاول التركيز في الحشود البشرية التي تمر على جسر (شارلز).

- «لا تحدي الناس هكذا. إنك تثيرين الانتباه بشكل كبير» وبالرغم من أن (بيتر سولفان)، مدير أمن (تيسابي)، كان أحد الأشخاص الذين يثرون اشمئزازها، إلا أنه كان في الوقت نفسه يدفعها إلى احترامه «كل شيء تحت السيطرة».

كان رأسه الحليق تماماً يزيد من شعورها أنه شخص لا يكترث بالآخرين. كانت وجنتاه المتسللitan يتناقضان مع جسده الممتلئ جداً لدرجة تجعله مهدداً بالتعرض لأزمة قلبية في أي لحظة.

قبل ما يزيد عن أسبوع أخبرها (سولفان) بأمر الخيانة التي كانت

على وشك أن تحدث في محاولة لبيع نتائج الأبحاث. وأرادت أن تعرف مصدر المعلومات.

- «لقد استخرجتها بصعوبة من أحد أصدقائنا الذين يعملون لدى المنافسين، ولقد كلفتنا الكثير، بل وأراد الحصول على المزيد، إن هو أخبرنا عن الشخص ومكان إتمام الصفقة» هكذا كانت إجابته، وأعطته هي الإذن بإجراء عملية التسليم على جزيرة (كايمان)، بينما طارت هي إلى (فيلاكابامبا).

لم تكن متأكدة من أن (سولفان) قد قام بإخبار (فولسوم) بالأمر. الذي قام بدوره بحصরها في الزاوية عند لقائهما مع رئيس مجلس الإدارة في (فيلاكابامبا). وعدم معرفتها تلك كانت تقف سداً بينها وبين (سولفان). إلا أنه كان عليها أولاً أن تمنع محاولة الخيانة وبعدها يأتي أي شيء آخر، بما في ذلك الثمن الذي دفعه (سولفان) على جزيرة (كايمان) لشراء المعلومات حول موعد التسليم.

- «إن لم ينجح هذا الأمر فسوف أطيح بك عن كرسيك!» همست محذرة «عليك أن تمسك به! وإياك والمراؤغة!». وبالرغم من أن صوتها كان أشبه بفتحي الأفاعي. إلا أن (بيتر سولفان) تابع قضم فطيرة البطاطا التشييكية، وقد بدا الصحن الكرتوني في يده كالبقعة الداكنة التي تشبعت بزيت فطيرة البطاطا.

لقد أفسدت عليه هذه الحشرة اللعينة كل مساعديه بأسئلتها الكثيرة المستفزة، وبادعائها المستمر بأنها تعرف كل شيء بشكل أفضل. كان (سولفان) يقود ثلاثة فرق كل منها مكون من رجلين. في مهمته الأخيرة في مدينة (براغ) في نهاية عام 1985، كان فريقه مكون من أكثر من عشرين رجلاً. كان ذلك أقاء الحرب الباردة. لقد مر الآن نحو عشرين عاماً على تلك الحقبة. وخمسة عشر عاماً منذ أن قاموا

بالاستغناء عن خدماته. فبين يوم وليلة بعد انتهاء الحرب الباردة أصبح الكثير من العاملين لدى الـ (سي أي إيه) (مكتب الاستخبارات المركزية الأمريكية) بلا قائد.

ولقد حالفه الحظ بالحصول على منصب مدير الأمن في شركة (تيسابي). وبقيت علاقاته التي كان قد أسسها أثناء عمله السابق ذات قيمة كبيرة. فقد قام أحد معارفه القدامى بإمداده بتلك المعلومات، وبهذا استطاع أيضاً أن يمول حياته المرفهة بشرائه يختاً أمام جزر (الباهاما).

- «لقد قام الهدف بالاتصال منذ قليل»، أعلن (بيتي سباروف)، قائد المجموعة الأولى «كان عرّابه رجلاً، متوسط الطول، يرتدي بدلة غامقة وقميصاً أزرق فاتح، من دون ربطة عنق، إنه في مثل عمري تقريباً، ومتواتر قليلاً. وقد اختفى باتجاه العنصر رقم واحد».

- «ماذا يعني هذا؟» سألت (زوبي بورسل).

- «لقد تم التواصل مع جرذ الجهة الأخرى. لقد حان الوقت. رقم واحد هو أنا». مد (سولفان) رأسه فرأى بعد لحظات مرسال الجهة المستلمة يخرج من بين جموع الناس. ثم يتوقف عند فرقة فلكلورية مؤلفة من ستة أشخاص.

ظهر الخائن وهو يسير بخطوات مسرعة على الجسر ويمر إلى جانب الفرقة الفلكلورية دون أن يتواصل ولو بنظرة واحدة مع المرسال. أحسنت صنعاً، فكر (سولفان). لو أنك تقوم بتحويل سرعتك أو تقوم بأي حيلة، لكان بإمكانك مضايقتنا فعلاً. إلا أننا لن نسمح أن تصل الأمور إلى هذا الحد.

وعندما ابتعد المرسال عن الفرقة الموسيقية، تأهب (سولفان). لن تستطيع التلاعب معي. تمدد جسد (سولفان)، كأنه وتر قوس الرماية، وتقدم بديناميكية عالية، لم يكن لأحد أن يتوقعها من هذا الجسم الضخم

الممتهن. بينما كان يعطي بعض التعليمات لرجاله من خلال جهاز اللاسلكي الصغير المثبت بستره.



مر (واين سندر) من جانب الفرقة الفلكلورية دونما انتباه. وكانت وجوه المارة تعبّر من أمامه بسرعة. بينما تحول توتّره إلى حالة من الانتباه والحدّر التامّين. صعد ببطء إلى جسر (تشارلز). وبدأ يشعر بثقل تلك الرزم من الأوراق التي كان يحملها في الحقيبة المعلقة على كتفه.

- «هل تزيد التراجع؟» سأله نفسه مجدداً. وكانت الإجابة، «لا»، كما دائمًا. ثم تابع سيره بخطوات مسرعة. «لا وألف لا. إنها فرصتك فاغتنمها مهما كلفك الأمر!»

- «إنك تساور إلى مدينة (براغ) للعب القمار مجدداً». صاحت به زوجته قائلة قبل سفره. ففي العامين اللذين قضاهما وحده في مدينة (دريسن) تحول إلى لاعب قمار. في البداية كان يذهب إلى صالة اللعب بهدف التسلية، ثم ما لبث أن بلغ مرحلة الإدمان. لقد خسر، ولم يمتلك القوة الكافية للتوقف في الوقت المناسب. فبدأ يسحب من مدخلاته، وشيئاً فشيئاً خسر كل ما كان يملك.

كادت زوجته تُجنّ، وكان قد قطع لها وعداً بكل ما هو مقدس أنه سيقطع عن اللعب إن هي أتت للعيش معه في مدينة (دريسن). والحقيقة أنه استطاع أن يكبح جماح رغبته في اللعب مدة وجيزة.

إلا أن توقعاتها كانت في محلها. فقد عاود اللعب. ولكنّه كان يتّجنب صالات القمار الكبيرة والمشهورة، ويرتاد صالات صغيرة وغير مرخصة.

وبهذا بلغت ديونه ما يزيد عن مئتي ألف يورو. وحصل على قروضه الأخيرة من أحد المقرضين الخاصين الذي ألمعه بدفع فوائد مرعبة: لأن مصرفه لم يبدى استعداداً لرفع سقف ديونه لديه.

- «إنني مسافر إلى مدينة (براغ) لتأمين مستقبل أفضل لنا. صدقيني!» قال لها قبل أن يذهب إلى المختبر لطباعة المعلومات.

كانت معلوماته حول المضادات الحيوية البروتينية التي ينتجها جهاز المناعة الخاص بالجلد البشري لا تقدر بثمن، فهي تقوم بالقضاء على الجراثيم وإعادة ترميم الأوردة بطريقة ذاتية. بالاكتشافات الجديدة لأقدم نظام دفاعي للجسم البشري أصبح بالإمكان تطبيق طرق علاجية حديثة، وطرح مراهم دوائية جديدة تماماً للحرق والجروح في الأسواق. فهو يقدم معلومات تُمهد لتطور جديد من الأدوية العلاجية.

أجواء ساحة المدينة القديمة جعلته يتنفس الصعداء لوهلة. فعلى يساره كان مبني البلدية ذو الساعة الفاكية التي تعود إلى القرن الثالث عشر، التي يتجمع حولها الناس على رأس كل ساعة للاستمتاع بمشاهدة حركات قطعها الفنية.

وعلى يمينه في الجهة الجنوبية للساحة، رأى صف الأبنية بواجهاتها التي تم زخرفتها بعناية فائقة في عصر النهضة، والتي طالما جذبت انتباهه في زياراته السابقة لهذه المدينة.

أصبح هدفه على بعد مئة متر. حيث يقف النصب التذكاري لـ (جان هوس) محاطاً بالأعشاب والنباتات من جهته الخلفية بينما كانت جهته الأمامية عبارة عن أدراج نصف دائري يجلس عليها بعض المارة للراحة.

تردد قليلاً. ولكن ليس بسبب الخوف. كلا، فعلى العكس تماماً كان

يستمتع بتلك اللحظة. فقد كانت تلك الساحة ذات النصب التذكاري تمثل له طاولة القمار التي سيلعب عليها اللعبة الرابحة الأكبر في حياته. إنه يمسك بزمام الأمور. فقد اشترط عليهم تأمين نفسه بأن يغير ثلاثة من نهايات المعادلات بطريقة خاطئة. وقد قبلوا عرضه على مرض، وبهذا يستطيع أن يضمن أنهم لن يتلاعبوا به.

وسيكون الألماس هو الثمن لتلك المعلومات التي سيقدمها لهم (سندر) الملقب باللمسة. فهو أكثر عملية من الأموال النقدية، ولن يكون هناك تتبع للتحويلات المصرافية إلى حسابه في أحد بنوك (سويسرا). وبالرغم من درايته بالألماس، إلا أنه لن يعطيهم المعادلات الصعيبة حتى يقوم بتحويل تلك الماسات إلى نقود. إضافة إلى أنه سيحصل على خمس مئة ألف يورو نقداً كعريون، وسيقوم باستخدام بعضاً منها للعب في إحدى صالات القمار هذه الليلة. ضحك ببرضا.

ثم يعود إلى مدينة (دريسن) ليرى ما حل بعينات العظام الخاصة بصديقه (كريس). فبانقسام الخلايا واجه حقيقة مرعبة...
لابد أن الحظ يحالفه تماماً في هذه المدة، أخيراً، وبعد كل خيبات الأمل التي مر بها، اليوم سيحصل على المال، وقريباً ربما يحقق شيئاً علمياً.

واحدة تلو الأخرى، قال في نفسه. فربما ارتكب خطئاً ما بسبب ضغط الزمن واستعجاله، فلا يكون الاكتشاف المرتقب اكتشافاً أصلاً. أما الآن فعلية أن يحصل على المال أولاً...
فجأة، وقفت أمامه شابة متوسطة الطول ترتدي بنطال جينز وقميصاً فوقه سترة خفيفة. كان شعرها الأحمر ينسدل على كتفيها، وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة لطيفة، ووضعت على عينيها نظارة ذات إطار مربع؛ مما جعلها تبدو أكبر من عمرها.

- «معذرة، هل تعرف هذا المكان جيداً؟» سأله بطريقة خجولة وباللغة الألمانية. بينما كانت تحمل بيدها خارطة نصف مفتوحة للمدينة، وتلوح بها أثناء الحديث.

كاد (سندر) أن يرد بطريقة غير ملائمة، لأنها أخرجته من حالة التركيز التي كان عليها، إلا أنه قرر أخيراً الاندماج في الحوار. ربما كان السبب يكمن في رأسها المنحنى قليلاً أو في ابتسامتها التي تنم عن حاجتها الماسة للمساعدة.

- «ما هو المطلوب بالضبط؟»

- «أريد الذهاب إلى متحف (دفوراك).»
هز (سندر) رأسه معتدراً.

- «فأنا أيضاً لم أزره من قبل. إن لم يكن معك كتيب دليل السائح، فعليك...»

كان ما يزال ينظر إليها بشفقة حين شعر أن حقيبته الجلدية انزلقت عن كتفه. وفجأة تلاشى ذلك الثقل عن عظمة كتفه، الذي كان يسببه ضغط سير الحقيبة التي كانت تحمل أوراق خيانته. ارتطمت نهاية السير الجلدي بوجنته قبل أن يسقط متسارعاً نحو الأسفل. وحلقت بده اليمنى في الهواء، التي كان يسند بها الحقيبة من الأسفل حيث تحررت من الوزن. وأصبحت المساحة، بين جسده ويده اليمنى، خالية.

التفت (واين سندر).

كان اللص قد ابتعد بمسافة تزيد عن خمسة أمتار قاطعاً المساحة باتجاه ممر (ميلاطيكوفا)، زقاق ضيق قبالة مبني البلدية.

- «أيها الوغد!» صاح (سندر).

صعد الدم إلى رأسه بلمح البصر، وتسارعت نبضات قلبه حتى كادت عروقه تتفجر. بدأت الأفكار السوداء تحاصره من كل جانب، «تمت

خيانته... غشوه... تم بيعه إلى أوغاد...» ليس بهذه السهولة! ركض خلف اللص، إلا أن قدميه كانتا ثقيلتان، كأنهما مُكبلتان بأصفاد حديدية. وفي عجالته ارتطم ببعض السياح. «أفسحوا الطريق» صاح وهو يتبع عدوه. أخفى اللص عن الأنظار. تسلل إليه اليأس، وشعر كأن رأسه سيتفجر. ذهب كل شيء هباءً. انتهى كل شيء! - «مُغفل!».

في تلك الأثناء قام رجلان بتجاوز (سندر). كانا شابان قويين وسرعى الحركة. شقا طريقهما بين جموع الناس دونما اكتتراث، يصيحان في الناس ويرميان كل من يقف بطريقهما أرضاً. لقد فهم... ربما سيقومان الآن بـ...

اتضحت الصورة فجأة أمام (سندر). فقد كان اللص ممسكاً بالحقيقة الجلدية بيده اليمنى، بينما أوقفه رجل كان يلف قبضته اليسرى حول ياقه قميصه ويشير له بيده اليمنى، أن يسلمه الحقيقة. إنه الوسيط الذي كان ينتظره.

وبالتالي فإن هذا يعني...
عاوده الأمل مجدداً.

ربما كانت تلك بالفعل مصادفة حمقاء، وأنه وقع ضحية لأحد لصوص الحقائب المألفين. أسرع خلف الرجلين اللذين كانا قد سبقاه باتجاه اللص. لن يتمكن ذلك اللص من مواجهة الرجلين أو الإفلات من قبضة الوسيط.

وبينما كانت الفرحة تغمر قلبه، ظهر ثلاثة أشخاص خلف الوسيط: سيدة نحيلة بشعر داكن، معها رجل شاب وآخر ذو جسد ضخم، ورأس حليق.

تعجب (سندر) من السرعة التي كان يتحرك بها ذلك الرجل بالرغم

من جسمه الممتئ. سقط المرسال فجأة جاثماً على ركبتيه ثم ارتمى على أرض الساحة منهاراً وقد شُد رأسه حتى النهاية متوجهاً إلى الأعلى. بدأ (سندر) ينتحب.

وقف الرجل ذو الجسم الضخم في الشارع، كأنه تمثال رودس الضخم. كانت يداه ممدودتان وتشيران إلى الرجلين الآخرين، اللذين سقطا أرضاً على بعد بضع خطوات منه.

ثم قام الرجل السمين بالقبض على ذراع اللص وجره بعيداً عن الزقاق متوجهاً به إلى نهاية الساحة. ركض (سندر) خلفهم.

الفصل الرابع والعشرون

مدينة (برلين)

الجمعة

أصوات الصراخ جعلت (كريس) يهرع مسرعاً. فعلى الجانب الآخر من الجسر كان هناك ما يعيق تدفق الجموع الهازية. وبماشة ظهر على الجسر رجلان من بين الحشود البشرية، خلفهما كان آخر ركاب المصعد يحاول الفرار متوجهًا نحو الأدراج.

إنه الفريق الآخر، فكر (كريس)، لقد استخدما المصعد الداخلي للصعود من البهو السفلي إلى الأعلى. كان وجهيهما مشحوذان بالغزيمة. ولم يحاولا إخفاء المسدسات المزودة بكتام الصوت التي كانوا يحملانها.

- «ماذا سنفعل الآن» سألت البروففسورة.

تدمر (كريس)، اللعنة كم من حُسن الحظ عليه أن يجلب حتى يتمكن من الفرار من هؤلاء؟

- «اتبعيني! هيا ... وأسرعي...»

قفزا من على الجسر إلى منطقة المصعد، دخلاه ونزلوا السلم الداخلي مسرعين. كان مرشد المصعد يجثم مذهولاً أمام لوحة التحكم ممسكاً كتفه بيده اليمنى.

- «هيا لنعد إلى الأسفل؟» صاح (كريس) ودفع الرجل في ظهره. الذي ضفت بدوره على أحد الأزرار فأغلق الباب العلوي للمصعد. «حظ سيء» تتم (كريس)، بينما سدد أحد الرجلين فوهة سلاحه باتجاه زجاج المصعد.

- «ماذا يجري هنا؟» سأله مرشد المصعد متلعثماً، بينما كانت القمرة تستمر في الهبوط إلى الأسفل.

كان كل جسده يرتعد، بينما يحدق بنظرات جامدة إلى لوحة التحكم.

- «لا يمكن لهذا الشيء أن يتحرك بشكل أسرع؟» صاح (كريس). كانت الأطراف الحادة لزجاج الجدار الخارجي المحطم للحوض ترسم خطأً مميتاً. بقايا من الأشلاء البشرية والأسماك الميتة عَلَقَت على الزجاج المسنن، كأنها تُحمل على رؤوس الرماح. بينما غمرت المياه أرجاء القاعة وتسررت من بين الجدران. بدأ سطح المياه بالعودة إلى الهدوء تدريجياً، وانخفض ارتفاع الأمواج. كانت أجساد الغواصين المقدوفة خارج الحوض قد تكونت على أرض القاعة المغمورة بالمياه.

توقف المصعد.

- «افتح الباب» قال (كريس) وهو يشير بفوهة مسدسه باتجاه المخرج.

- «ولكن الماء....»

- «لا تقلق فإنك لن تفرق» - صرخ (كريس) - «هيا افتح الباب!». فتح الباب وتدفقت المياه إلى داخل قمرة المصعد. قفز (كريس) إلى المياه التي بالكاد بلغ ارتفاعها منطقة حوضه، ودفع بجسده إلى الأمام عابراً المياه، وتبعته (رامونا سولنر).

- « علينا الخروج من هنا!» صاح مجدداً. وقد حدد البوابة التي دخل منها كهدف عليهما الوصول إليه.

تاثيرت المياه من حوله عندما اخترقت رصاصتان المياه في منطقتين بالقرب منه، كأنهما طوربيدان صغيران اختفي في المياه.
رفع (كريس) رأسه إلى الأعلى وهنالك، على ارتفاع 25 متراً استطاع أن يرى رأساً وذراعاً. ثم لمع شيء ما.
هذه المرة عوت الرصاصة خلف رأسه مباشرة.

صرخت (رامونا سولنر) بصوت عالٍ عندما ارتطمت الرصاصة التالية بالمياه أمامها.
ـ «أسرع!». وأخيراً وصل (كريس) إلى ركن المطعم، وخرج من الجزء المكشوف من القاعة.

نظر حوله. تبعته البروفسورة بوجه شديد الااحمرار. تابع (كريس) سيره مسرعاً، وتدفقت المياه إلى الممر الخارجي بعد أن فتح باب المدخل الرئيس، ثم توزعت خارجاً بجميع الاتجاهات. فاضت المياه المتدفقة على الكراسي والطاولات الموجودة في الممر. إلى اليمين وباتجاه شارع (ليبكنتخت) تجمع أول الفضوليين يتناقشون باهتمام بالغ حول ما يجري.
ـ «إلى اليسار!». صاحت (رامونا سولنر).

نظر (كريس) إلى الخلف. كان هناك رجل يتبعهما مسرعاً. لابد أنه الرجل الثاني، وقد نزل من على الجسر مستخدماً المصدع الداخلي للמבנה. ركضاً عبر الممر باتجاه الشارع محاولاًن الاختفاء عن نظره.
ـ «إلى اليمين!» صرخت خلفه عندما توقف أمام المفرق التالي عند إحدى نوافير المياه الصغيرة. تجاوزته مسرعة ودخلت إلى أحد الأزقة وهي تفتح حقيبة يدها باحثة فيها عن بطاقة المرآب.

وفي الزقاق، على بعد نحو المتر من مدخل المرآب توقفت أمام عمود فضي اللون ولا مع وبارتفاع متوسط.
حاول (كريس) دفع الباب، لكنه كان مغلقاً.

بأصابع مرتعنة، مررت (رامونا سولنر) البطاقة أمام القارئ الآلي
المثبت بالعمود . فلم يحدث شيء .

- «اللعنـة!». صرخت وضررت بقدمها الأرض. ركض الملاحق
باتجاهها بكل قوته. قفز (كريـس) من أمام الباب ووقف في طريقه. وقبل
ثلاث خطوات من (كريـس) قفز الرجل مـعـدـفـاً بـقـدـمـيـه فيـ الهـوـاءـ.

القى (كريـس) بنفسه إلى الأرض وتدحرج على كتفه مـبـعـدـاً. حـلـقـ المـلاـحـقـ بـجـانـبـهـ ثـمـ سـقـطـ مـرـتـطـاًـ بـالـأـرـضـ. بـحـرـكـةـ وـاحـدـةـ أـصـبـحـ (كريـس)ـ عـنـهـ دـفـعـ قـدـمـهـ بـقـوـةـ رـاكـلـاـ المـطـرـوـحـ أـرـضاـ عـلـىـ حـافـةـ ذـقـنـهـ، فـبـقـيـ الـأـخـيـرـ مـسـتـقـلـيـاـ عـلـىـ الـأـرـضـ مـسـتـسـلـمـاـ لـلـدـوـارـ الـذـيـ أـصـابـهـ.

مررت (رامونا سولنر) بطاقة المرآب مـجـدـداًـ أـمـامـ القـارـئـ الآـلـيـ .
صدر صوت غريب وخافت جداً، ثم فتح باب المرآب. انزلقا من
فتحة الباب، ونزلـاـ عـلـىـ الأـدـرـاجـ الإـسـمـنـتـيـةـ بـسـرـعـةـ. بدـأـ الزـجاجـ خـلـفـهـماـ
بـالـارـتـجـاجـ تـحـتـ الضـرـيـاتـ الـفـاضـيـةـ لـلـمـلاـحـقـ.



كان (كريـس)ـ قدـ أـوـقـفـ سـيـارـةـ الـمـرـسـيـدـسـ المـكـشـوـفـةـ منـ نوعـ SLـ فيـ
سـاحـةـ (مـونـبـيـجوـ)،ـ لـيـسـ بـعـيـدـاـ جـداـ عـنـ المـرـآـبـ.ـ جـلـسـ عـلـىـ مـقـعـدـ السـائـقـ
وـهـوـ يـقـرـعـ عـلـىـ عـجـلـةـ الـقـيـادـةـ بـرـؤـوسـ أـصـابـعـهـ بـحـرـكـاتـ عـصـبـيـةـ.ـ كـانـ التـوـتـرـ
مـاـ يـزـالـ يـجـعـلـهـ يـشـعـرـ،ـ كـانـ كـرـةـ حـدـيـدـيـةـ قـدـ اـسـتـقـرـتـ فيـ أـمـعـائـهـ،ـ إـلـاـ أـنـهـ بـدـءـ
يـفـكـرـ بـشـكـلـ أـكـثـرـ وـضـوـحـاـ.

- «إنـكـ لـنـ تـسـتـطـيـعـ إـقـنـاعـيـ بـيـسـاطـةـ.ـ فـبـالـتـأـكـيدـ لـمـ أـقـمـ أـنـاـ بـخـيـانـةـ
نـفـسـيـ.ـ وـبـهـذـاـ لـاـ يـبـقـيـ أـمـامـيـ سـوـاـكـ أـنـتـ وـالـقـسـ».ـ

كان (كريس) قد خلع حذاءه وجواريه. علق الجوارب أمام فتحات مكيف السيارة وقد أداره إلى أعلى درجة من الهواء الساخن حتى تجف سرعة.

- لا أعلم حقاً ما على قوله. إلا أنه لا مصلحة لي في خداعك. فأنا أريد الألواح!». كانت البروفسورة تدخن السيجارة تلو الأخرى. وقد بدأت عضلات جسدها بالارتخاء تدريجياً.

كانا يسمعان أصوات صفارات سيارات الشرطة والإسعاف، التي كانت متوجهة إلى موقع الحادث، بين الفينة والأخرى.

- «السنا قريبين جداً» كانت تتنفس في كل مرة تسمع بها أصوات الصفارات.

- «لماذا؟ هل يعلم أحد نوع السيارة التي تقودنها؟ لديهم الآن ما يشغلهم عن تفتيش السيارات الواقفة. مازال لدينا بعض الوقت». فعلتهم الآن إجراء التحقيقات، تقليل كل التفاصيل، إعادة سماع القصة مجدداً، وال Thur على المفارقات؛ للبدء بتحديد خيوط الحادث. الأعمال المعتادة لرجال الشرطة. نفع مفتألاً.

- «لقد أخبرتني سابقاً أنه كان هناك محاولة لإتمام صفقة بيع في العشرينات من القرن الماضي، ولكنها لم تنجح. وقام أحدهم بإعلام الكنيسة بالأمر. حدثني أكثر حول هذا».

- «نحن لا نعلم الكثير. لماذا؟ كل شيء في الخفاء. من مع من... الأجزاء النصية، التي أرسلها لنا (فورستر) قبل نحو نصف عام، استطعنا ترجمتها وفهمها».

- «كيف ذلك؟ لقد قلت أن البحث في أرشيف الكنيسةباء بالفشل».

- «صحيح. إلا أننا وجدنا أجزاءً لإحدى المخطوطات في صندوق لم يتم الانتباه إليه مسبقاً، كان موجوداً في مخازن المتحف».

- «وكيف مثل هذا أن يحدث؟»

- «حقيقة الحياة، وواقعية الألمان. ما تزال مخازن المتحف مليئة باللُّقى التي لم يتم التعامل معها بعد. وهذا يحدث في كافة متاحف العالم. الكثير منها ينام في أركان الأقبية» توقفت قليلاً.

- «إضافة إلى وجود عامل آخر. ف(سيمون)، أكبر داعم ومشجع للمتحف في (برلين)، كان يدين باليهودية. يمكننا القول: أننا محظوظين، لأنَّه لم يتم إتلاف وتدمير كل ما تم نقله في السنوات المأساوية التي مرت في الثلاثينيات والأربعينيات من القرن المنصرم. ولسبب ما، لم يهتم أحد بتركة ذلك الرجل.»

قاطعها (كريس) بإشارة من يده وهو يحدق في الرجل المسن الأشعث، الذي كان يمر مبتسمًا بجوار السيارة وينظر إليهما بفضول. مسح الرجل بيده على الرفraf الأيمن للسيارة، ثم ما لبث أن كَوَّ يده بشكل قبضة وضرب بها بغضب على حديد الصندوق الخلفي.

- «أيها الوغد!» تمنت العالم بعصبية.

- «لا عليك منه. لقد أحبطته الحياة! وماذا حدث بعد ذلك؟»

- «بعد الحرب، قام الروس بالسطو على الكثير من المتاحف، وفي نهاية الخمسينيات حدثت موجة كبيرة من إعادة الموجودات، بين الرفاق الاشتراكيين. ولكن كان التركيز آنذاك على أعمال إعادة الإعمار. ومجدداً بقيت بعض اللُّقى حبيسة المخازن».

كانت أعصابها تزداد هدوءاً كلما استمرت في الحديث. فالتركيز في أمور تعرفها وتتألفها، ساعدتها في التغلب على تلك الصدمة الدموية التي عاشتها.

- «وكيف عثرتم على الصندوق الذي يحتوي على تلك الأجزاء؟»

- «لقد بدأنا منذ مدة بالتحضير لمعرض عن (كولدوبي)، الذي سيتم افتتاحه الآن في المتحف وذلك بمناسبة ذكرى ميلاده المئة والخمسين. ولهذا

بحثا في السنوات الأخيرة في المخازن، وقمنا بتأمين الوثائق الالزمة وتصنيفها. ثم جاء عرض (فورستر)، ولم يكن من الصعب استنتاج أن مخطوطة كانت قد كُتبت منذ زمن طويل».

«وكيف ذلك؟»

«لقد تمت طباعة ترجمة جزء من نص اللوح بواسطة الآلة الكاتبة. وبهذا لم يكن من الصعب معرفة أن ذلك النص يعود لقرون قديمة ماضية. كان من الواضح أن (فورستر) قام بتصوير أجزاء من النص. وللأسف لم تكن تلك النسخ المchorة كاملة. فقد قطع النص من أوسطه».

«ولهذا تريدين رؤية الألواح أولاً، لتأكدك من أنها بتلك الأهمية التي كان عليها ذلك النص الذي تعرفينه».

« تماماً. على أي حال، لقد بحثا بشكل مركز في النص الذي أرسله (كريس)، وقمنا بترتيب الأجزاء مع الانتباه لما قد تكون أهميته سابقاً. كان عملاً مضنياً إلى أن توصلنا إلى الدلائل التي أوضحت لنا الأحداث التي جرت في ذلك الزمن».

«ولكنكم لم تحصلوا على المخطوطة التي تعود إلى العشرينيات».

قال (كريس) مستنجدًا.

«كلا. لقد اخترت».

«وهي لا توجد في أرشيف الكنيسة أيضاً؟»

«كلا، حسب علمي».

«الحقيقة هذا الأمر ليس بتلك الأهمية بالنسبة لي» قال (كريس)

«وماذا عن المال؟»

«وماذا عن الألواح؟ إنك لم تحضرها جميعها معك في حقيبتك».

«باستطاعتنا إتمام هذه الصفقة بشكل رائع خلال ساعتين. أنا أريك الألواح وأنت تسلميني المال».

تنهدت بعصبية، «طمعك بالحصول على المال في جانب، وعلى الجانب الآخر توجد الحقائق! فأنا لا أتجول في مدينة (برلين) حاملة هذا المبلغ الضخم من المال! وخصوصاً إن لم أكن أعلم ما سأحصل عليه بالمقابل!».

«تعلمين قريباً. هل تريدين هذا أم لا؟»

«إن كانت الألواح الأخرى تحتوي على ما أشارت إليه الألواح الأولى، فسيبقى الثمن الذي عرضناه ثابتاً. (برانداو) بانتظار مكالمتي الهاقية. وبعدها تستلم المال».

«في هذا المساء» أصر (كريس).

«كما تم الاتفاق عليه سابقاً. في هذا المساء».

«أصبحت مستعجلة فجأة».

رفعت (رامونا سولنر) يديها بإشارة توضيحية: «لابد من حماية الآثار من المجانين أمثالك أو كاللذين حاولوا السطو علينا هذا اليوم. وفقط لأن هذه هي قناعتي، فأنا ما أزال هنا حتى الآن».

هز (كريس) رأسه باستياء، «أنت تكذبين»، قال بلؤم.

«كل البشر في هذا العالم من القديسين! هنا، عليك الاعتراف بأنك تطمحين للحصول على الألواح مهما كلف الأمر! هذا عرض غير مسبوق، معظم العلماء يحلمون طيلة حياتهم أن يحظوا بمثل هذه الفرصة. فلا تلوميني على صراحتي».

ساد صمت بارد للحظات، ثم تحنحت.

«حسناً الآن، أريد أن أفحصها، أريد أن أقوم بأبحاث حولها والكتابة عنها. نعم، اللعنة هذا صحيح! إنها فرصة نادرة جداً ومن الأرجح أنها لن تتكرر مرة أخرى. هل تشعر الآن بالارتياح بهذا الاعتراف؟»

«طبعاً. بالتأكيد». تتم (كريس) مازحاً. «والآن سأريك إياها» ثم أدار محرك السيارة.

- «ولكن مازال لدى سؤال آخر: هل لديك بالفعل الحقوق القانونية لامتلاك هذه المقتنيات؟»

- «لقد قمت بإبرام عقد شراء» كان (كريس) يدرك إلى أين تريد أن تصل. ففي حال حدوث أي مشكلة، فإنها ستقوم بالانسحاب، ولعب دور الحمل البريء.

- «ولم تلطخ يديك بالدماء؟»

ضحك (كريس) مقوهاً، «ألم تكوني معي منذ قليل... هل نسيتني؟ لقد قمت بالدفاع عن نفسي فحسب. وبما أننا نتحدث حول هذا الموضوع، فكيف يبدو الأمر بالنسبة لك؟»

- «هل فقدت عقلك؟»

- «وماذا عن لفتك للأعمال الخيرية؟» سألهَا.
ترددت قليلاً، «جمعيتنا لا تملك الكثير من الموارد كما نتمنى. ولهذا فإن (برانداو) سيقوم بدفع المال لشراء المقتنيات التي عرضها علينا (فورستر). ستبقى تلك اللقى الأثرية ملكاً له، إلا أنها ستُعرض في المتحف بصفة إعارة مستمرة».

- «هذا أمر جيد، أن تجدوا مهتماً جديداً للتحف الأثرية. هل هو (سيمون) آخر؟»

- «إنك لا تدرك كيف تسير الأمور في هذه الأيام. بالرغم من دعم الأشخاص والشركات لنا، إلا أن هذا لا يكفي أبداً. هل تعلم تكلفة الحفاظ على الثقافات؟»

- «الآن فهمت من أين أتيت بالمال بهذه السرعة. كنت متشككاً في البداية. ومن هو ذاك الشخص؟»

- «إنه ناشر. والرجل قريب من الكنيسة».

«آها، إذاً فإن (برانداو) يقوم بدور الحماية. فهمت الآن». تبسم (كريس) برضاء.

- الرجل مهتم بشكل خاص باللُّقى الأثرية الخاصة بالشرق الأدنى. وهو يقوم بدعمنا، كما أنه يدعم (اللوفر) والمتاحف البريطاني. إنه مهووس بكل ما هو جديد من اللُّقى الأثرية ونتائج الأبحاث».

- «هل مازلتم تقومون بالتنقيب؟»

- «بالطبع. حالياً، الأمر على درجة من الخطورة، إلا أن التنقيبات استمرت لقرون مضت، بمراحل متقطعة بعض الشيء».

- «ولماذا كل هذا الاهتمام الذي يبديه هذا الرجل بنتائج التنقيبات؟»

- «إنه شديد التدين. ويقوم بنشر مطبوعات كنسية، وهو حسب علمي، عضو في إحدى الجمعيات الدينية».

- «هل يمكن أن يكون هو وراء عملية السطوة؟»

- «لديك أفكار غريبة» - هزت (رامونا سولنر) رأسها باستكار - «لا يمكن أن يدفع الرجل تلك الأموال، ثم يقوم بالسطو علينا».

حرك (كريس) السيارة مخرجاً إياها من مكان وقوفها، لقد مرت ساعة على انتظارهما هنا.

- «سأريك الآن كل الألواح. علينا التوجه إلى ضاحية (فيلمرزدورف)».

فجأة دبت الحياة في الشوارع، تجمّعات من الناس في كل المقاهي والحانات للاستمتاع بتلك الليلة الدافئة.

- «ما كل تلك الحشود» قال (كريس) متذمراً.

- «شارع (أورانينبورغ). هناك عند التقاطع عليك أن تتجه إلى اليمين، ثم إلى اليسار، هذه هي الطريق الأنسب».

- «وأين سنصل بعد ذلك؟»

- «إلى (بابل) الجديدة في هذه المدينة».
- قاد السيارة حسب إرشاداتها.
- «هل قمت بدراسة تلك الأجزاء من النصوص بشكل جيد؟»
- «بالطبع»، قالت (رامونا سولنر) وحذفت بـ (كريس) بنظرات مشوّشة.
- «إذاً هل يمكنك أن تخبريني شيئاً حول العظام؟ ماذا يوجد عنها في النصوص؟»
- ضحكـت البروفـسورة بـسـخـرـيةـ.
- «عظام؟ ليس لدى علم بأـيـ عـظـامـ. إنـنيـ أـسـمـعـ بـهـاـ الـآنـ لـلـمـرـةـ الأولىـ».
- «ربـماـ يـوجـدـ شـيـءـ حـوـلـ تـلـكـ الـعـظـامـ فـيـ النـصـ المـتـرـجـمـ؟ـ»
- استـغـرـقـتـ فـيـ التـفـكـيرـ مـدـةـ طـوـلـةـ.
- «صـحـيـحـ...ـ لـقـدـ أـخـبـرـ بـنـوـخـ نـصـرـ فـيـ الـواـحـهـ -ـ هـذـاـ فـيـ حـالـ كـانـ
- مـحتـوىـ الـوـثـائقـ الـمـصـوـرـةـ حـقـيـقـيـ -ـ أـنـهـ قـامـ بـاـحـتـلـالـ (ـكـيـشـ)،ـ وـنـقـلـ إـلـىـ (ـبـابـلـ)
- كـلـ الـمـحـتـوـيـاتـ الـمـقـدـسـةـ الـتـيـ كـانـتـ مـوـجـوـدـةـ فـيـ مـعـبـدـ (ـنـيـنـوـرـتـاـ)ـ فـيـ (ـكـيـشـ)ـ.
- لـقـدـ أـعـادـ تـوـحـيـدـ الـمـلـكـةـ،ـ وـأـخـذـ مـعـهـ عـظـامـ الـرـاعـيـ لـعـبـدـ (ـنـيـنـوـرـتـاـ)ـ».
- «وـمـنـ هـوـ (ـنـيـنـوـرـتـاـ)ـ؟ـ»
- انتـقضـ (ـكـريـسـ)ـ وـأـطـلـقـ بـوـقـ السـيـارـةـ بـجـنـوـنـ حـيـنـ تـجاـوـزـتـهـ إـحـدـيـ
- الـسـيـارـاتـ الـمـسـرـعـةـ فـيـ شـارـعـ (ـشـاـوـسـيـهـ)ـ الـضـيـقـ وـالـمـمـتـلـئـ بـالـحـفـرـيـاتـ.
- انتـظـرـتـ (ـرـامـونـاـ سـولـنـرـ)ـ إـلـىـ أـنـ أـنـهـيـ (ـكـريـسـ)ـ لـعـنـاتـهـ.
- ثـمـ تـابـعـتـ الإـجـابـةـ «ـكـانـ (ـنـيـنـوـرـتـاـ)ـ إـلـهـ الـمـدـيـنـةـ فـيـ (ـكـيـشـ)ـ كـمـ كـانـ
- (ـمـرـدـوـخـ)ـ إـلـهـ الـمـدـيـنـةـ فـيـ (ـبـابـلـ)ـ.ـ كـانـ عـالـمـ الـآـلـهـ آـنـذـاـكـ وـاسـعـ جـداـ وـكـثـيرـ
- الـتـوـعـ.ـ كـانـ لـكـلـ شـيـءـ آـلـهـةـ خـاصـةـ.ـ وـبعـضـ الـآـلـهـةـ كـانـتـ تـجـمـعـ الـكـثـيرـ فـيـ آـنـ
- مـعـاـ.ـ فـيـ عـالـمـ الـآـلـهـةـ الـخـاصـ بـالـحـضـارـةـ السـوـمـرـيـةـ،ـ يـعـتـبـرـ (ـنـيـنـوـرـتـاـ)ـ إـلـهـاـ

للمدينة، والهَا للحرب، والهَا للتكاثر، والهَا للنباتات، هو أيضاً ابن إله الرياح وابن (إنليل)، مستشار الآلهة. وتقول مصادر أخرى أن (زيابا)، إله (كيش)، قد تجلى بداخله. وحسب ما ذكر في أحد الألواح، فإن (نيورتا) قام بنقل الملكة إلى (كيش) بعد حدوث الطوفان الأكبر».

«ومن كان راعي المعبد الذي أخبر عنه نبوخذ نصر»

«ربما كان أحد الملوك. لقد ورد ذكر أحدهم بذلك اللقب، ويعتقد أنه كان أول من وحد الملكة السومرية. وقد يكون مجرد كاهن في المعبد. فهذا اللقب ما يزال ليومنا هذا مرادفاً للشخص الذي يحمي الرعية ولو بالمعنى المجازي».

فكان الراعي يعتبر في الأزمنة السالفة منصباً مرموقاً ومهماً. وقد وصلت إلينا الكثير من الصور الشعرية المرتبطة بهذا المصطلح. الرعاة يعيشون حياة البداوة، يرافقون قطعانهم، وغالباً ما يكون ذلك بعيداً عن المناطق المأهولة، وفي المراعي قليلة الخضراء وهم مسؤولون عن الحفاظ على القطيع» ثم صمتت.

«أكملني حديثك. فأنا أُنصلت إليك».

«ومن كل هذه الأسباب تأتي أهمية تلك الألواح. فلم تتوفر حتى الآن أي نصوص تعود إلى العهود التي تلت الطوفان الأكبر بشكل مباشر. فمن الواضح أن كُل المخطوطات المعروفة اليوم تم تدوينها في عهود متأخرة جداً، إنها تعود إلى زمن (أوروك). وما زال الكثير يختفي في الظلام».

«هل تعتقدين أن تلك العظام أي قيمة؟ سواه كانت تعود لأحد الملوك أو لذلك الإله... (نيورتا)؟»

ضحكـت (رامونـا سولـنـر) بصـوت عـالـٍ.

«ـذـات قـيـمة؟ مـاـذا تعـني بـهـذا؟ أـتـعلـم أنـكـلـ تلكـ العـظامـ التـيـ عـشـرـ عـلـيـهاـ أـثـاءـ عـمـلـيـاتـ التـقـيـبـ فـيـ مدـيـنـةـ (ـخـرـسـبـادـ)ـ وـمـدـيـنـةـ (ـسـوـزـاـ)ـ وـ(ـبـاـبـلـ)ـ أوـ

(أورك) يتم طلبها وتمويلها اليوم. في كل مقبرة تم اكتشافها يوجد أكواخ منها. وكل عظمة يتم العثور عليها تعتبر ذات قيمة. خصوصاً بالنسبة لهواة جمع اللقى الأثرية. فهناك من يعتقد وجود قوة سحرية في تلك العظام. وعندما يجب على المرء أن يعتقد بذلك بشكل قاطع» ضحكت مجدداً. «ومن الأولى أن تكون عظام الآلهة ذات قيمة أكبر. فهي نادرة جداً».

«ولا بد أن تكون الكنيسة الكاثوليكية خير مثال على ذلك...»

« تماماً» نظرت إلى (كريس) مازحة «فالكنيسة الكاثوليكية مليئة بالكثير من تلك اللقى الأثرية، وأظافر القديسين، ومسامير الصلب، وقصاصات صوفية من أثواب الرهبان، ونثرات خشبية يعتقدون أنها من صليب المسيح. وأنا أرى أنها شكل من أشكال العبادات الوثنية».

«لحسن الحظ أن قسيسك ليس معنا الآن» تبسم (كريس) «إذاً فأنت تعنين...»

«أنا لا أعني شيئاً. إن كان هناك عظام فسنقوم بتحديد عمرها. ثم يمكننا أن نعرضها ونقول، أنها قد تعود إلى أحد الملوك أو أحد الآلهة السومرية. وإن قمت بزيارة متحف الشرق الأدنى، فسوف ترى، أننا اليوم تمكننا من عرض مقبرة بأكملها».

صمتت حين لاح على يسارهما تحت ضوء الأشعة الحمراء لشمس الغروب ذلك المبني الضخم. وقد امتد السقف الزجاجي ذو الثلاث مئة متر الخاص بمحطة قطارات (برلين) من الشرق إلى الغرب. تكسرت أشعة الشمس على عشرة آلاف وحدة من الألواح الزجاجية المقطعة بعناية.

«انظر إلى هذا» قالت (رامونا سولنر)، وأشارت إلى أربعة من الحاملات الحديدية كل منها بارتفاع يزيد عن سبعة أمتار. «إنها بابل خاصةنا. تلك هي الأبنية البرجية. الحاملين الحديديين يمسكان ببرجي المكاتب، التي سيتم بناؤها فيما بعد بشكل عمودي كهيكل من الحديد

والخرسان المسلح، ثم يتم إزالته كجسر متحرك على نفق القطار. ويبلغ قطر الحبل الحديدي نحو ثلاثين سنتيمتراً. ألم تأتي إلى هنا من قبل؟ أمر لا يصدق.».

– «بذخ وتبذير للأموال، هذا ما تعنيه.».

– «مليارات. فوحدها عملية بناء المحطة كلفت سبع مئة مليون يورو، والمفترض أنها كانت ستتكلف مئتين وخمسين مليون يورو فقط.»
القى (كريس) نظرة سريعة على ورشة البناء، التي أطل منها برجا المكاتب، اللذان سيختاران لاحقاً السقف الزجاجي.

– «عند التقاطع القادم إلى جهة اليسار نصل إلى منطقة الحكومة وحديقة الحيوان. ثم نتابع الطريق إلى ضاحية (فيلمرزدورف)» قالت فقاد السيارة متوجهًا إلى خط الالتفاف.
مرت سيارة فورد مونديو مسرعة إلى جانبهما الأيمن مصدرة صوتاً عالياً من محركها. زادت السيارة من سرعتها والتقت بشكل مفاجئ بكل قوتها.

تلقى (كريس) ضربة قوية في ظهره وارتدى إلى الأمام. أمسك حزام الأمان بالنصف العلوي من جسده وجراه إلى الخلف. ضفت (رامونا سولنر) يديها على تابلوه السيارة وصرخت مذهولة.

سارعت المونديو باتجاههما مجدداً مسددة ضربتها التالية من الخلف. في المرأة الخلفية رأى (كريس) القضبان اللامعة المثبتة على مقدمة سيارة الدفع الرياعي.

das بقوة على دواسة الوقود، وأدار عجلة القيادة إلى أقصى اليسار منطلاقاً بسيارته في الاتجاه المعاكس للسير. مررت السيارات بشكل مائل إلى جانب بعضهما البعض، ثم ارتطمت سيارة المونديو بجانبها عند المقعد الخلفي بسيارة المرسيدس المكشوفة. وفي الوقت نفسه تم صدم السيارة من

الأمام. بينما قامت شاحنة صغيرة بكشط مقدمة سيارة المرسيديس من الأمام.

ومرة أخرى صدمت سيارة الدفع الرباعي الموجودة خلفهما سيارتهما المكشوفة. وبعد أجزاء من الثانية اقتربت الشاحنة الصغيرة المحملة بكومة من الرمال لتصبح إلى جانب سيارة الدفع الرباعي عند صندوق سيارتهما الخلفي.

– «فلنخرج من هنا! هيا – بسرعة!».

دفع (كريس) الباب، وقفز إلى الخارج جائماً على الأرض وسحب مسدس الكورث من حزامه. ثم جر حقيبة الظهر مخرجاً إياها من تحت مقعد السائق. نظرت البروفسورة إلى المقعد الخلفي، حيث كانت سترتها ملقة هناك، ترددت قليلاً، تذمرت ثم انزلقت من على مقعد مرافق السائق إلى مقعد السائق. أمسكتها (كريس) من كتفها وجرّها إلى الشارع.

– «انتبه!» صاحت بينما كانت عيناهما تتبع فوهه سلاح (كريس) التي كانت تراقص أمامها.

ألقى (كريس) بالحقيقة على كتفه، قفز من مكانه ودار حول الجزء الخلفي من الشاحنة الصغيرة. من جهة اليسار انطلقت صيحات رجال وصرير فرامل، وتعدد دوي جاف لصوت الاصطدامات المتتالية.

قفز (كريس) على مقدمة إحدى السيارات، وحط في الجهة الأخرى على الطريق المعبد بالإسفلت.

– «انتظر من فضلك!»

كانت العالمة خلفه قد تسلقت هي أيضاً غطاء محرك السيارة، وانزلقت بتورتها بشكل مؤلم إلى الأرض. ثم نادته مجدداً.

– «أسرعي! أسرعي!» صاح (كريس).

ركضاً عابرين الشارع، ووصلما إلى ممر المشاة، الذي كان محاطاً

بسياج من الأسلامك الحديدية، تكدرست خلفه حاويات سكنية لعمال البناء.

أسرعوا معاً بينما كانت نظرات (كريس) تتفحص الشارع محاولاً البحث عن خطر محتمل قادم من بين سيل السيارات. من أين أتى كل هؤلاء الملاحدين؟ أي غلطة تلك التي قام بارتكابها؟

جعلته صيحات (رامونا سولنر) ينظر جانباً. لم تعد إلى جانبه... تردد صدى صوتها مجدداً، فنظر إلى الخلف. لقد ت عشرت وو قعت على الأرض على بعد نحو خمس عشرة خطوة منه. وإلى جانبها توقف أول المطاردين. كان شعر الرجل غامقاً وأشعثاً، ووجهه يشبه النسر، وقد تدللت أكياس دمعية سميكة تحت عينيه. رفع الملاحق سلاحه بيده اليمنى. ثم التفت يده اليسرى حول شعر العالمة الطويل.

الفصل الخامس والعشرون

مدينة (برلين)

مساء الجمعة

استمر الرجل بجر شعرها بحيث أرجع رأسها إلى الوراء فتقوس
الجزء العلوي من جسدها إلى الخلف.

- «ألق سلاحك وتعال إلى هنا!».

عشر خطوات تلك التي كانت تفصل بينهم.

- «لا تحاول أن تلعب معي تلك اللعبة. فهي بالتأكيد واحدة منكم!»
قال (كريس) ولم يتحرك من مكانه.

- «تقد إلى هنا والا أرديتها قتيلة! هيا! ارمي سلاحك!».

لا تلق سلاحك أبداً، ارفع يديك إلى الأعلى، ولكن لا تتخلى عن
سلاحك! فكر (كريس).

بحركة بطيئة للغاية، وضع (كريس) قدمه اليمنى إلى الأمام وأرجع
اليسرى إلى الخلف. سحب القاتل شعر العاملة بقوة أكثر، فجثمت على
ركبتيها وتشبّثت يداها بذراع جلادها.

- «ألق سلاحك!».

هز (كريس) رأسه رافضاً، ومرة أخرى تقدم خطوة بطيئة إلى الأمام.

تعالت الصيحات المذعورة من جهة الشارع المكتظ بالسيارات. إنهم يلعبون مسرحية القتل خاصتهم على مسرح مكشوف.

بشكل بسيط أدار الرجل رأسه جانباً، ونظر بطرف عينه باتجاه موقع الحادث، حيث كان بقية الملاحدين عالقين بين أرطال السيارات.

كانت مجرد ثوانٍ تلك التي مضت، إلا أن ذاكرة (كريس) قامت بحفظها، لأنها بلا نهاية.

مجدداً تقدم خطوة إلى الأمام، ثم توقف وانتظر. توقف الزمن. كان هناك دائماً ما يصرف انتباذه. ستحين الفرصة. وإلى ذلك الوقت لابد أن يحتمل، وأن يحالقه الحظ.

جلجل أزيز طلقة من بين أرطال السيارات، فنظر القاتل بطريقة عشوائية إلى الخلف. بحركة عفوية سقطت يد (كريس) اليمنى، التي تحمل مسدس الكورث، إلى الأسفل. بحركة انسانية توجهت فوهة السلاح نحو الهدف. وفي اللحظة نفسها ضغط ياصبعة على الزناد فارتجمت فوهة السلاح إلى الأعلى بفعل الحركة المرتدة للطلقة. اخترقت الرصاصة الجهة اليسرى لرأس القاتل تماماً فوق الأذن. فتحول السلاح بعيداً عن عنق العالمة باتجاه (كريس). ارتطمت الطلقة بالإسفلت فتباشرت الشظايا، ثم هوى القاتل أرضاً بينما كانت يداه ما تزالان متشبثتين بشعر العالمة. انهارت العالمة وسقطت على الطريق المعبد إلى جانب جلادها. داس (كريس) بقدمه اليسرى على معصم القاتل ثم قام بانتزاع السلاح من يده، ورمى بها جانباً. ثم حل الأصابع المتعلقة بشعر (رامونا سولنر)، وسحبها من معصمها لمساعدتها على الوقوف.

كانت خفيفة كالريشة كأن لا وزن لها. تبعته لاهثة، وبخطوات متعرجة.

- «هيا تعالى! استمرى! تابعي!».

- «لم أعد أستطيع الاستمرار». ثم سقطت على الأرض. توقف (كريس) وعاد لإنهاضها. صاحت وبدأت بشتمه. سارع معها إلى زاوية الشارع التالية، ثم انعطف إلى اليسار. حجبت الأسوار المعدنية العالية المخرج المفترض أن يكون للنفق الشمالي الجنوبي الواقع في الحي الحكومي. أفسحوا الطريق، فكر (كريس). ابتعدوا عن الطريق الرئيس!

وفجأة ظهر مخرج إلى جهة اليسار، يحده سور يحيط بسكن للعمال وأحد المنازل. عدا (كريس) على الطريق المعبد بالحجارة المريعة. أفسحوا الطريق فحسب!

كان المخرج يمتد مسافة مئتي متر وينتهي عند أحد المنازل.

- «مكتب تخطيط...». قرأ (كريس). ركضا على طريق ضيق يمر أمام المنزل، وتوقفا فجأة أمام أرض رملية واسعة، برز منها جدار إسمنتي ذو ارتفاع متوسط.

لا يوجد أي ساتر! وكذلك لا يمكنهما العودة من حيث أتيا.

تدحرجت سيارة داكنة اللون على الدرب الذي كان يمتد خلفهما.

- «ما هذا؟» صاح (كريس).

- «لا أعرف... ربما...»

خمن ما يحدث. لا يمكن أن يكون مخطئاً.

كانت قدماء تفوصان في الرمال الناعمة حتى الكاحلين.

كانوا على بعد نحو ثلاثة مترًا منه ومن العالمة، وما زالوا يقتربون منها أكثر. طنت رصاصتان بجانب رأسه كأنهما زوج من الدبابير.

وأخيراً استطاعا الوصول إلى الجدار الإسمنتي، فحدق (كريس) في الحفرة الضخمة. تحته كانت ثمانية سكك حديدية قادمة من الشمال تمتد إلى داخل محطة (برلين) للقطارات.

اندفعوا نزولاً على السلالم الإسمنتية الضيقة التي تقود إلى السكك

ال الحديدية، ثم أسرعا نحو اليسار. أمامهما امتدت تلك السكك الحديدية إلى داخل نفق نصف دائري يشبه فم سمكة القرش.

- «لا أستطيع المتابعة!» قالت (رامونا سولنر) بينما توقفت على السكة الحديدية تحدق لاهثة في تلك الفتحة العظيمة. فالركض على الرمال أنهك قواها بالكامل.

- «هيا! تحركي! هيا!».

على بعد بضعة سنتمرات تطايير الشرر، عندما أصابت رصاصة حديد السكة إلى جوارها ثم ارتدت مصدرة أزيزاً مزعجاً. ومجدداً سدد القناص المتموضع على الجدار الإسمنتي في الأعلى، طلقته التالية. اندفعوا داخل النفق وقفزا من على القصبان إلى منصة انتظار القطارات.

بعد بضعة أمتار تغيرت الصورة. فبدلاً من الأرض المصوفة بالرخام الذي تم إحضاره من المحاجر الصينية، و جداً نفسيهما يركضان على أرض إسمنتية عارية. كانت نصف الجدران فقط هي المغطاة بالبلاط. وإلى جانبهما ارتفعت سقالات البناء بألواحها الخشبية الضيقة إلى ما يقرب من السقف.

وعلى الرغم من خلو المكان من البشر، إلا أن ضوضاء البناء القادمة من بعيد كانت تجلجل في الأرجاء. في هذا الكهف العملاق كانت أعمال البناء مستمرة على مدار الساعة. فتسعة سنوات هي المدة المحددة لإنهاء هذا النصب النموذجي للعمارة الحديثة.

بدا ضجيج معدات البناء آتياً من كل صوب. ترددت أصوات ضربات المطارق في كل الأرجاء، وتعالى أزيز المناشير الكهربائية، بينما وصلت كلمات التذمر والشتائم الصادرة من المناطق النصف معتمة إلى مسامعهما. ثم ما لبث أن اختلط صخب أعمال البناء بالأغاني. حُيل لـ

(كريس) أنه في كنيسة؛ فقد وفر ذلك المبني الحالي إمكانية كبيرة لتردد صدى الأصوات.

صعدا إلى الطابق التالي مستخدمين سلماً إسمنتياً آخر. نظر (كريس) إلى أسفل السلم.

في الطابق السفلي المعتم استطاع بالكاد سماع تحركات الملاحق الأول. فجأة صرخت (رامونا سولنر)، وهوت منها رة على الأرض. ألقى (كريس) نفسه إلى جانبها على الأرض الإسمنتية، بحيث أصبح رأسه عند قدميها. فرأى الكدمة الدامية على ساقها. كانت الطلاقة قد مزقت الجلد واللحم. لم يسمع صوت الرصاص! كاتم للصوت، فكر (كريس).

- «لقد تمت إصابتي!» لهشت، بينما كانت الدموع تملأ عينيها.

- «إنها مجرد إصابة سطحية! ليس بالأمر السيئ جداً. فلنتابع!»، إلا أنها بقيت على الأرض الإسمنتية ذات اللون الرمادي الفاتح دون أي حركة.

- «لا يمكننا البقاء هنا». حدق (كريس) إلى أسفل السلم. صعد الملاحق على الدرجة الأولى للسلم محاولاً الخروج من العتمة التي كان يحتمي بها، بتردد.

- «نعم، أيها الوغد». ددم (كريس) ورفع يده مستعداً لإطلاق النار. قفز الرجل إلى الوراء واحتفى خلف سهم إسمنتي ضخم. «نحن هنا بلا أي ساتر».

سمعا صوت الزجاج المسحوق تحت خطوات جزمة ثقيلة. خلفهما كان حشد من عمال البناء ينزلون السلالم ضاحكين، صمتوا لوهلة، ثم تحاوروا فيما بينهم بطريقة مرتيبة.

دس (كريس) سلاحه في حزام بنطاله بعجلة. تحلق عمال البناء

على شكل دائرة وكانوا يتحدثون بإشارات عنيفة. كانت رائحة الإسمنت والبارود تفوح. إسبان؟ برتغاليون؟ سارع (كريس) للدخول بين ثلاثة الرجال ساحباً العالمة إلى الأعلى.

- «لقد تعثرت»، قال (كريس) مشيراً إلى الكدمة الدامية على ساقها.
- «أنا أجمع الأخبار للجرائد! أنا مراسل!» قال (كريس) مبتسمأً بارتباك وبلغة إنجليزية أثناء مروره بين الرجال، الذين كانوا يتحدثون بشيء من عدم اليقين. أحس بأيّدٍ على كتفيه، أرادت إيقافه.

- «أنا أبحث عن قصة جيدة!» قال باللغة الإنجليزية مجدداً ثم اندفع إلى الأمام جاراً العالمة معه خارج تلك الدائرة البشرية. دمدم أحد عمال البناء بكلمات غير مفهومة ثم هبط السلم إلى الأسفل. انقض تجمع الرجال وأسرع (كريس) بصحبة العالمة إلى صعود السراللم. فجأة تصاعدت الصيحات مجدداً من الطابق السفلي، حيث وجد عمال البناء ذلك الملاحق. وصلا إلى الطابق التالي حيث كانت القاعة جرداء وخاوية من أي ساتر. كانت سقالات البناء ترتفع عالياً من منطقة القضبان الحديدية في الأسفل إلى حدود السقف المتدل فوق رأسيهما، وكانت تلك السقالات ملفوفة بأغطية بلاستيكية زاهية اللون.

- «هيا فلنستمر بالصعود!» ركض (كريس) عابراً المستوى الفاصل بين الطابقين واتجه نحو السلم التالي. بينما تراجعت (رامونا سولنر) متربحة إلى الخلف.

أثناء ذلك نظر (كريس) من فوق كتفه إلى الوراء. كان اثنان من الملاحقين قد صعدا السلم بسرعة وأصبحا خلفهما على المستوى الفاصل بين الطابقين. كان أحدهما يربط جبينه بربطة قماشية تمنع شعره الأشقر الطويل من النزول على وجهه، بينما كانت تسريرحة شعر الآخر، الأشبه بشعيرات الفرشاة، تزيد من إبراز وجهه البيضوي الشكل.

كانت (رامونا سولنر) ترکض بشكل منحنٍ، كأنها كوكب يغادر مداره.
نظر (كريس) إليها متعجبًا. لماذا... اللعنة!

بقعة صغيرة كأنها الشامة زينت قميصها الفاتح اللون تماماً بين لوحٍ كتفيها. بدأت تلك البقعة بالاتساع والنمو بشكل سريع. ثم فجأة بقعة أخرى تموضت إلى اليمين أسفل الأولى. فقدت السيطرة على جسدها، وحلقت ذراعيها متبعدين عن بعضهما البعض.
بشعور مليء بالعجز غرس أظافر يده اليسرى في حزام الحقيبة المعلقة على كتفه.

هوت متعرّضة إلى الأمام، داست في فراغ مسار القضبان الحديدية، ثم ارتطمت بسقالات البناء المغلفة بالأغطية البلاستيكية.
لم تقم أصابعها حتى بمحاولة التمسك بالفطاء البلاستيكي.
سقطت داخل الفطاء الذي عاد قبضها خارجاً، كأنه لعبة ترميbolin عموديه، فهوت إلى الأعماق.



– «لقد أصبحنا قربيين جداً. سنتمكّن منه قريباً». اخترق الصوت الرصين لـ (كولن غلاسر) جهاز اللاسلكي.
تنفس جستن باري الصُّدَعاء. لا يمكن أن تنتهي العملية بالفشل هذه المرة أيضاً. فهو يجلس حتى الآن على كومة من الجثث، ذلك إن أراد إدخال ما حدث على الطريق السريع في الحسبان.
لا يهم. ما يهم الآن هي التحف الأثرية فحسب. لقد قام باري

يإحضار الفريق، الذي قام بالسطو على سيارة (فورستر) التي كانت متوجهة إلى متحف اللوفر، معه إلى (برلين). وذلك لاعتقاده أن تلك التحف لابد أن تصل إلى (برلين). وكان محقاً في ذلك. فاتصال (ريتسي) بـ (رامونا سولنر) أعاده إلى اللعبة مجدداً. حيث قام (برانداو) بإيصال المعلومات على الفور، بينما كان (مارفن) ينتظر سماع أخبار النجاح.

إلا أنهم كادوا أن يخفقوا مجدداً، حين أضاعوا ذلك الوعد عند مرآب السيارات ثم عادوا ليجدوه بعد عملية طويلة من البحث. فقد توقفت شريحة المتابعة مدة زمنية طويلة عن إرسال أي إشارة. بالرغم من أنها كانت على درجة عالية من التقنية الحديثة. لابد أن (برانداو) قد ارتكب خطأً ما عندما قام بدسها لذلك الوعد أثناء وجودهم في المطعم. فقد كان القس متوراً جداً.

وقف (باري) بسيارته أمام مدخل المبنى الذي كتب عليه «مكتب تخطيط». وكان بهذا بعيداً بشكل مناسب عن تلك الفوضى التي عمّت الشارع. وبالرغم من وصول سيارات الشرطة إلى موقع الحادث، إلا أن رجاله كانوا قد اختفوا في الوقت المناسب. ففز (باري) خارجاً من سيارته «سندخل الآن إلى هناك وسنثال منه».



رأها (كريس) تسقط في الهوة.
كان الملاحقون على بعد عشرين خطوة خلفه. أسرع القاتل ذو العصبة السوداء إلى مكان سقوط البروفسور، بينما وقف الآخر في القاعة

برجلين متباينتين وساعدين ممدودين، وقد تشبكت كلتا يديه حول مسدسه استعداداً للطلاقة الأخيرة.

أثناء سيره كان (كريس) قد سحب سلاحه من حزام البنطال، وألقى نفسه على الأرض بشكل مائل. ارتطم بالأرض، تدحرج حول نفسه ثم ضغط على زناد مسدس الكورث. تردد صدى الطلاقة في أرجاء القاعة.

انقلب الرجل ذو الرأس البيضوي إلى الخلف، بينما استمر بالضغط على زناد سلاحه. وبالرغم من تلاحق الأعيرة النارية إلا أنه لم يسمع لها أي صوت. فقد ابتلع كاتم الصوت ضجيج الطلقات.

سمع الأشقر صوت طلاقة (كريس) فحول نظره من الفجوة. رأى زميله يهوي فركض باتجاهه.

أسرع (كريس) بالصعود على السلالم. في الطابق التالي، على بعد عشرين خطوة منه، كان هناك أحد العمال الذي يدفع أمامه عربة ويمر بها عبر متاهة.

كانت مواد البناء مكونة في كل مكان على الأرض. ألواح خشبية، تجهيزات التغليف، صفائح الراتنج، وأكواخ الحجارة والأنقاض، تكدس كل شيء فوق بعضه البعض وبارتفاعات متباينة، فمنها ما كان بطول رجل وأخر بارتفاع يصل إلى الركبة. كانت عجلات العربة تصدر صريراً عند كل منعطف.

كان العامل يضع في أذنيه سدادات مانعة للضوضاء، ثم توقف على الجانب الآخر من أكواخ الأنقاض عند شباك مريعة الشكل، وضع في وسطها حاوية معدنية. كان المكان المقابل للحاوية ممثلاً بالدلاء، أكياس الجص، وبقايا خشبية وأحجار. وإلى جانبها اصطفت مجموعة من العبوات البلاستيكية الزرقاء.

أخرج العامل مفتاحاً من جيبه، وفتح القفل المعلق على باب الشباك

المعدنية. ثم أزاح شبكتان عن بعضهما ودفع العربية إلى داخل المربع ووضع بها أربع عبوات بلاستيكية. تجول (كريس) بين تلك الأكواام من مواد البناء باتجاه الرجل، كان هدفه الوصول إلى السلالم المؤدية إلى الطابق التالي، الواقعة إلى يسار الشباك المريعة.

كان هناك ممر عريض على يمين القفص الشبكي يقود إلى قاعة أخرى واسعة وخاوية. في منتصف الممر كان هناك حاجز مكون من طبقات من أكياس الإسمنت بعرض مترين، وبارتفاع يصل إلى الورك، وعندئه تنتهي منطقة الركام.

جر العامل العربية خارج القفص المعدني، أغلق الشباك مجدداً ثم قام بتأمين المكان بوضع القفل الخارجي.

فجأة وقف رجلان في الممر. كان أحدهما أعسر وله آثار ندبة شوهدت وجهه تحت عينه اليسرى. بينما ارتدى الآخر قبعة لاعب البيسبول، وقد أدار مظلتها إلى الوراء فبرزت من خلف رقبته.

أطلق الرجل ذو القبعة ضحكة عالية ومتذمرة. علا العبوس وجه الأعسر فظهرت آلاف التجاعيد، التي بدت كأنها ثلثات أمام ضحيته. وتبدلت أسلحتهما المزودة بكتوان الصوت، كأنها العصي حتى وصلت إلى ركباهما.

ألقى (كريس) نفسه خلف كومة من الحجارة. سمع صوت خطوات قادمة من الخلف. تقدم الرجل الأشقر ذو العصبة الذي أطلق الرصاص على (رامونا سولنر).

لقد وقعت في الفخ! فكر (كريس). تطايرت شظايا الحجار على وجهه. انطلق الرصاص من الجهتين فمر من أمامه، ومن فوقه ليستقر في كومة الحجارة. تابع (كريس) الزحف ثم نهض، وركض باتجاه العمال. جحظت عينا الرجل، الذي كان يدفع العربية فارتطم بكومة الحجارة.

انقلبت العربية وتدحرجت العبوات التي كانت بداخلها على الأرض
الإسمانية. بينما هرب العامل بإتجاه الدرج.

بينما كان (كريس) يتقلق بين أكواام الركام، كانت حقيبة الظهر التي
يحملها تزلق من على كتفه بفعل الحركة السريعة. ثم وصل إلى كومة
الحجارة الأخيرة التي انقلبت العربية بجانبها.

بدا أمامه الطريق المكشوف المؤدي إلى الدرج، الذي اختفى العامل
لتوجه من على نهايته العلوية.

عوت الرصاصات فوق رأسه.

لا يوجد ساتر! إنها النهاية!



بدا كأن حمامات الأدرينالين لا تنتهي، بينما كانت أفكار (كريس)
تدور بسرعة، كأنها قطار الرعب. تخيل نفسه يزحف بين أكواام الركام
ويطلق النار من مسدسه عند خروجه من خلف السواتر.
بدل مخزن الرصاص.

- «ها استسلم يا (ريتسي)! إننا لا نريد قتلك، نحن نحتاج لحقيبة
الظهر خاصتك فحسب! هل نعقد صفقة؟ مادا رأيك بهذا؟»
كان الصوت الآتي من الجهة اليسرى تقربياً، واضحاً ومتوتراً. خمن
(كريس) أن يكون صادراً من الرجل الذي يرتدي قبعة البيسبول. الذي
ترددت ضحكته المنفرة في أرجاء المكان. كانت لهجته واضحة وخالية من
الأخطاء تقربياً، إلا أن الاستراحات التي كانت تفصل بين كلماته فضحت
أصوله الأجنبية، كأنه كان يبحث عن التعبير المناسب التالي.

زحف حول العربية على الجانب الآخر من كومة الركام، رفع رأسه ونظر باتجاه حزمة الألواح الخشبية، التي كان الأشقر يختفي وراءها.

- «لا يمكنك الخروج من هنا! أنت تعلم جيداً أنه لا يوجد ما يؤمن ظهرك!» تردد الصوت الواضح والساخر في أرجاء المكان.
خرج الأشقر من خلف الساتر.

- «إنها مجرد خدعة» تتمم (كريس)، ثم قفز عالياً بينما قام بسحب زناد مسدس الكورث خاصته مرتين.

أسرع الأشقر بالاختباء خلف الساتر مجدداً.
تمدد (كريس) على بطنه وبدأ بالزحف بعيداً عن تلة الحجارة باتجاه كومة الركام. انطلق الرصاص فارتطم بالمكان الذي كان جاثماً به توه.
زحف على كوعيه فبدا كأنه سحلية (غالاباغوس) تسير على أرجلها القصيرة.

أسرع بـاللقاء نفسه جانباً ثم تنفس الصعداء. لقد كانت الكومة التي اختبأ خلفها، عالية وتنمحنـه الحماية المطلوبة. لكنهم إن تمكنا من العثور عليه هنا فسينتهي الأمر. فلا يمكن لصفائح الراتنج أن تحميه من طلقات الرصاص.

- «إنها فرصتك الأخيرة يا (ريتسي)، هيا أخرج!».
بدأ الصوت متزدداً، بل غير واثق. وأقرب من ذي قبل!.
«إنهم لا يعلمون مكان وجودك»، فكر (كريس). إلا أنهم يقتربون.
تدرج شيء ما على الأرض. ثم سمع لعنة.

تابع (كريس) الزحف. فما زال أمامه جبلين من الركام، بعدها يأتي ذلك الممر الضيق بعرض متراً تقربياً، ثم ساحة من الخشب يبدو أنها بُنيت بشكل مؤقت، بينما بانت خلفها هوة القضبان الحديدية المحاطة بالسقالات.

سمع نقرأ على شيء معدني. ثلاثة مرات. ثم لثلاث مرات أخرى سمع صوتاً جافاً لسحب سريع لمسارات حديدية. مخازن سلاح جديدة، فكر (كريس). سيطرونون الحد الأقصى من النيران. إنهمقادمون!

إتكأ على يديه ورفع نفسه إلى الأعلى في وضع القرفصاء، ثم أطل من فوق كومة الحجارة. على بعد عشر خطوات وقف الأشقر بشكل منحنٍ، بينما كان يعطي إشارات بيده اليسرى. خفصن (كريس) رأسه بسرعة إلى الأسفل.

لابد من وضع نهاية لكل هذا. قام بقصمیر حزام الحقيبة، بحيث تلتصق الحقيبة بالظهر تماماً. دسّ مسدسه في حزام بطاله، قفز، وعدا مسرعاً، بينما كان رأسه يدور في جميع الاتجاهات. انقض القتلة الثلاثة على كومة الحجارة، التي كانت تخفي عربة الدفع المقلوبة خلفها، دون أن يلحظوا أنه قام بتغيير موضعه.

أطلقوا النار!

عرف ذلك عندما رأى ارتجاج أسلحتهم بآيديهم بفعل القوة المرتدة للطلقات.

قفز (كريس).

لقد كان من شأن طريق (رامونا سولنر) إلى الموت أن ينقد حياته.



عبر (كريس) الساحة الخشبية المؤقتة، ووثب باتجاه الأغطية البلاستيكية الملاضفة حول سقالات البناء. انتفع الغطاء لاستيعاب وزن جسمه، فطققت القضبان وارتجمت

تحت وطأة الثقل. ارتطمت قصبة رجله اليمنى بـأحدى الألواح الخشبية، وكاد الألم أن يفقده وعيه.

في تلك اللحظة اندلعت النيران. فقد أصابت الطلقة الأخيرة للأعسر أحدى عبوات الوقود الزرقاء.

وصل تمدد الغطاء إلى الحد الأقصى، وأصبح جسد (كريس) لأجزاء من الثانية، كأنه لاعب القفز الحر الذي وصل إلى أقصى تمدد، ثم قذفه الغطاء بقوة إلى الخارج فهو إلى الأسفل.

من الخلف اكتسحت المكان موجة من الضغط دافعة أمامها شظايا من الحجارة والخشب.

اجتاح الانفجار القتلة فعصف بهم، كأنهم حبات من الرمل المتناثر. تطاير الرصاص فوق (كريس) كعاصفة من حبات البرد فتحطم مواد البناء داخل الغلاف البلاستيكي، ومزقته إلى آلاف القطع. عندما اقتربت موجة الضغط، كانت يده اليسرى ما تزال على حافة السطح الإسمنتي.

انفرس سرب من الأسمهم الصغيرة في ظهر كفه كما اخترقت ذراعه اليسرى.

سقط إلى الأعماق مرتطماً بالقضبان والحواف الحديدية. تسببت تلك الصدمات بحدوث ضغط على أضلاعه كما أن إحدى الضربات التي أصابت كبده كادت تؤدي إلى دخوله في غيبوبة.

تخردت يده اليسرى، ويسرعة سعى بيده اليمنى إلى التثبيت بأي مكان. ارتطم رأسه بالحافة المعدنية المثبتة على أحد الألواح الخشبية. في الأعلى عصفت موجة الضغط الناجمة عن الانفجار وأدت إلى اهتزاز السطح الإسمنتي.

صدمة قوية أوقفت سقوطه وكادت تمزق عضلاته. في الأعلى كانت عاصفة من نثرات الحجارة والخشب تمر على السقف الإسمنتى المعلق. أصبح الضغط المفاجئ على بطنه لا يحتمل.

كان معلقاً بارتفاع متوسط، بينما تدلى رأسه إلى الأسفل باتجاه القصبان الحديدية. فقد التف حزامه من الخلف حول جزء من أجزاء سقالات البناء. فضغط حزامه على أحد أوردة بطنه مما تسبب له بألم حاد كاد أن يفقده صوابه.

ومع أقل حركة يقوم بها، كان الألم اللاذع، الذي سرعان ما يتحول إلى الحارق، يجعله يصرخ.

بصورة مشوشة رأى (كريس) في الأسفل منصة صعود الركاب. لم يتمكن من تقدير الارتفاع. في حال سقوطه، فإن ذلك سيؤدي إلى تهشم العلامة الأخيرة في جسده. أصدر أنيناً عميقاً عندما دفع بجسده إلى الخلف وتارجع في الهواء ليمسك بيده اليمنى أحد الأعمدة ويقرب نفسه من سقالات البناء. حرك قدميه بقوه في الهواء، حتى وجدت قدمه اليمنى موطنًا على إحدى الحواف. شعر أن الضغط على بطنه قد بدأ بالاختفاء، فتلمس ظهره بيده اليسرى حتى تمكن من حل حزامه من على الخطايف الحديدية الذي كان عالقاً به. إلا أنه سقط مجدداً وارتطم على أحد الألواح، الذي كان يبرز من السقالات.

اشتم رائحة الإسمنت، ولم يتحرك.

كان هناك صوت داخلي يهمس له دائمًا، أن عليه أن يتقدم. لكنه لم يقنعه، فكل حركة يقوم بها سترتبط بألم شديد.

- «علي أولاً أن أرتاح لاستجماع قواي» -أغمض أجنفانه- «سأخلد للراحة مدة دقيقتين فحسب»، ثم سأعاود المحاولة.».

في لوحة ضبابية رأى الجسد الهاوي والوجه المهشم للبروفسورة، ثم

بدا الوجه المشؤوم لـ (برانداو) ذو النظارات الدائيرية. ظهر وجه آخر. كان جاداً ومنزعجاً نوعاً ما.

انضمت أصوات إلى الصورة، كانت تعطي تعليمات عنيفة، بالرغم من أن كل شيء كان يبدو سلبياً.

شعر بأنه يطوف. ولدة ثوانٍ لم يعد يتحمل الألم. صرخ، وتصبب العرق من كل مسامة في جسمه لأنه نافورة مياه صغيرة.

من وراء حجاب رأى (برانداو) عند حقيبة الظهر خاصته. حيث قام (برانداو) بفتح القفل المثبت على علبة البلاستيك الصلبة، ثم تحسس بأصابعه الأقمشة القطنية، حتى وجد شريحة المتابعة الصغيرة.

إنه لم يلحظ ذلك. ولكنه أيضاً لم يتوقع ذلك منه.

- «حقيبة الظهر، مفتاح غرفة الفندق، الوغد ... يسلبك كل شيء».

أدرك (كريس). لم يكن حلماً.

لقد حدث ذلك بالفعل.

الفصل السادس والعشرون

الفاتيكان صباح السبت

دخل المونسنيور (تيساني) إلى غرفة العمل بتردد. بدا البابا الجالس خلف طاولة المكتب الضخمة على كرسيه ذو الظهر العالي، هشاً تقريباً. بقي (تيساني) واقفاً وقد وجه نظره إلى النقوش التي زينت ورق الجدران الفاتح الموجود خلف البابا.

انتظر حتى دعاه البابا للاقتراب من طاولة مكتبه. جلس (تيساني) على أريكة أمام المكتب وحدق في الأنبوب الزجاجي الذي كان يضم نشرات من عظام القديس (بطرس). ربما أمنده الوجود الرمزي للحواري الأول بالقوة التي كانت روحه المتوتة تصبو إليها.

- «مونسنيور، تبدو متعيناً».

- «إن المهمة التي ألقى بها قداستكم على كاهلي تسبب الضغط العصبي مع مرور الوقت». أحنى (تيساني) رأسه قليلاً كإشارة إجلال أمام الأب المقدس.

- «لقد أخبرني سكريتيري أنك كنت شديد الإلحاح. ألا يوجد وقت لذلك؟». أخفض البابا عينيه وقرأ النص، الذي كان موجوداً أمامه على طاولة المكتب.

- «علي أن أبلغكم بالمستجدات دون تأخير...، لقد اتصل (هنري مارفن) صباح هذا اليوم».

رفع البابا رأسه وبدأ مستغرقاً في التفكير.

- «مازال (مارفن) يبحث عن إجابة، بالمعنى الإيجابي. فقد اقترب موعد انتخابه كرئيس لبريتوريوني الكتاب المقدس. (مارفن) يدعى أن لديه الدليل على تلك الهرطقة...»

قطع (تيساني) حديثه. تشابكت يدا البابا المرتعشة، كأنه يقوم بأداء الصلاة لمدة وجية، ولكنها ملحوظة. اغزورقت عيناه بالدموع. لوهلة خطرت على بال (تيساني) فكرة مجنونة. هل وصل (مارفن) للهدف؟ لماذا؟ وبأي وسيلة؟

- «إنه مستعد لتسليم تلك الأدلة لقداستكم، حتى تتم حماية الكتاب المقدس. وقال أنه متأكد من أن...»

- «... وما هو المقابل؟» نظر البابا إلى (تيساني) بقلق.

- «ما يهمه، هو المساواة القانونية مع (الأبوس داي). إنه ينتظر أن تقوموا قداستكم بالاعتراف غير الرسمي على الأقل...»

- «إنه ببساطة لا يريد أن يدرك، أن الدين والعلم قد توصلوا إلى توافق على تقسيم العالم إلى المادي والإيماني. وهذا ما يترك كليهما يعيش. إنه يؤذى بذلك التوافق الذي تم التوصل إليه بشق الأنفس. حتى أن بعض الأساقفة أصبحوا يؤيدون حملته تلك. لو أنه فقط...» توقف البابا عن الكلام. نهض من مكانه وبدأ بالسير المتواتر في أرجاء المكتب. «أين هو؟».

منذ متى يضرب أحد الباباوات بقبضته داخل كفه المفتوح؟ فكر (تيساني) مطرقاً بنظره إلى الأرض.

- «إنه في (فونتينبلو)، فهو كما تعلمون، المقر الرئيس في (أوروبا)...»

- «... من حيث يريد إطلاق حملة كبيرة لترويج أفكاره، وذلك على

حساب الكنيسة الأم المقدسة. وعلى ماذا تحدث؟ وما هي الأدلة التي بحوزته؟

– «اللواح طينية سومرية. نصوص من الهرطقة، التي يمكن تقسيرها بشكل خاطئ» تفاجئ (تيساني) بأن البابا لم يسارع بإبداء رفض واضح.

– «ليس أكثر؟»

– «ماذا تعني قداستك؟»

– «ألم يذكر المزيد من الأدلة أو الموجودات؟»

– «إنكم تريكوني. لا، لقد تحدث عن اللواح الطينية السومرية التي تحوي النصوص التي سبق أن ترك لنا صورة عنها. أتذكرون...»
بقي (بندكت) واقفاً. لوح بيده ثم تابع المشي. فكر في الأيام الأخيرة التي ملأتها الشكوك. لقد راهن على الحصان الخاسر. رفض عرض (مارفن)، لأن صعلوكاً آخر أراد المال مقابل تلك التحف. لكن ذلك الصعلوك لم يقم بتوريدها. وأصبح السبب الآن واضحًا.

هل كان ذلك اختباراً من رب؟ هل (مارفن) بلاء من الله؟
أتب البابا نفسه. فليس له الحق بالتشكيك في وسائل رب، حتى وإن لم يفهمها.

– «مونسيينيور (تيساني)، لدى واجبات... وإن كنت لا أوفق، إلا أنه عليك السفر إلى (مارفن)، ورؤية تلك الأدلة التي بحوزته».

– «هل سيحصل على ما يريد؟» لم يكن (تيساني) يوماً أبعد عن فهم تقلب آراء قداسة البابا كما اليوم.

– «عليك السفر بسرعة، ودون إثارة الانتباه».

– «يمكنني استخدام طائرة ركاب صغيرة خاصة برجل أعمال، لطالما قدم لنا المساعدة».

– «انتبه...» ضم البابا يديه إلى بعضهما وسار بطريقة قلقة، ثم

استدار نحو (تيساني) ونظر إليه يامعان «انتبه إلى العظام، مونسينيور! عليك الانتباه إن كان هناك عظام ضمن تلك التحف!» انتظر البابا، حتى ذهب المونسينيور. ثم نظر إلى ساعته. على الحكم أن يحكموا دوماً دونأخذ يوم للراحة. أمسك بسماعة الهاتف. لقد احتاج ما يقارب نصف الساعة للوصول إلى الشخص الذي يريد التحدث معه.

ـ «آه، عزيزي الرئيس - نعم، إنني أتذكر جيداً، أمنياتكم المباركة عندما توليت هذا المنصب ... سبب اتصالي، نعم ... أعلم أن الوقت غير مناسب ... والظروف غير ملائمة. أود القيام بزيارة قصيرة إلى دير (سان بونوا سور لوار). نعم، تماماً. لديكم معرفة جيدة.

سرداب الكاتدرائية - أنت تفهم ما أعني. تماماً، عظام القديس (بندكت). كلا إنها ليست زيارة رسمية. إنها خاصة جداً، تماماً.

بعد المكالمة، توجه البابا إلى المذبح الصغير بجوار الجدار الحجري. كان الصندوق المزين بقشور الذهب ما زال في المكان الذي تركه به تحت الصليب المصنوع من الخشب البسيط.

فتحها وتحسس الصليب برؤوس أصابعه. لقد كان صليبياً صغيراً من الخشب البسيط والقديم جداً، ويعتقد أنه قد تم صنعه في دير (مونت كاسينو) في حياة القديس (بندكت).

أخرج الصليب ووضعه على المذبح. ثم رفع الطبقة الوسطى للصندوق وسحب الدرج المبطن بالمخمل إلى الخارج. كانت الألواح الطينية ذات الأحرف المطبوعة، إضافة إلى عدة أوراق مصفرة اللون، ما تزال هناك.

سأقوم بمنع ذلك. فأنا الراعي.

الفصل السابع والعشرون

مدينة (دريسان) السبت

رن جرس الباب، فنظرت (ياسمين برسون) مباشرة إلى الساعة. إنها الساعات الأولى من بعد الظهر. تحول قلقها إلى شعور بالراحة. فقد حاولت لمرتين الاتصال بـ (كريس)، إلا أن جواله كان مغلقاً.

قامت بالتأكد من أناقة هندامها، لقد استغرقت وقتاً أكبر من العادة في تزيين نفسها، وقامت بتسريح شعرها بعناية، فشعرت بشيء قليل من السعادة التي كانت بحاجتها بعد الأيام الماضية المليئة بالدموع.

وحيث أن الدكتور (دوفور) أراد إجراء فحوصات إضافية لـ (ماتياس)، قررت العودة إلى (دريسان). ستقوم يوم الأحد بالتقدم بإنجاز العمل، فربما تستطيع يوم الثلاثاء تقديم طلب إجازة لتمكن من السفر إلى أختها (ماتياس) مدة يومين، لتكون إلى جانبهما عند صدور القرار النهائي.

فبعد عودتها حاولت أخذ قسط من الراحة والابتعاد قليلاً عن تلك الهموم، وأرادت الآن الاستمتاع ببعض ساعات. كانت سعيدة لأنها سترى (كريس) مجدداً.

توجهت نحو الباب، وضفت على الزر الكهربائي لفتح البوابة الرئيسية.

كان قلبه ينبعض بسرعة. ستعمل ابتسامته المشرقة وعيشه اللامعتان على منحها القوة. أرادت معرفة المزيد عن سفينة (الإندرفر)، وربما عن طقوس ممارسة الحب عند سكان (تاهيتي). وقد تتطور علاقتها بـ (كريس) عندما يساعدها في تخطي هذه الظروف الصعبة. إلا أنها لم تنشأ التفكير بالمزيد في هذه اللحظة.

فتحت الباب، وسمعت صوت خطوات متتابعة، كانت تتردد قليلاً عند كل طابق. بنظرات متvasive تماماً، حدقت بذلك الرجل الغريب الذي وصل لتوه إلى طابقها. كان متوسط الطول، ذو شعر داكن، وفيه مثل عمرها تقريباً ورمقها بنظرات متفحصة ووجه جاد.

- «(ياسمين برسون)؟ أسمى (سباروف)» قال الرجل باللغة الإنجليزية «أنا من أفراد الأمن الخاص بشركة (تيسابي)». صمتت وقد ملأتها الدهشة.

- «إنك تعملين في مجموعة (تيسابي) هنا في (دريسن)، ورئيسك في العمل هو (واين سندر)؟»

- «نعم...» وقد بدأت بامتصاص الصدمة. «هل حدث شيء له (واين سندر)؟» قالت باللغة الإنجليزية بشكل تلقائي. فقد كان عليها كطالبية في معهد (ماكس بلانك) ومنذ اليوم الأول أن تتحدث باللغة الإنجليزية. تردد الرجل قليلاً، وقطب وجهه وتنحنح، «لدينا مشكلة في المختبر. وبوصفك مساعدته أرجو منك مراقبتي».

- «ماذا يجري؟»

- «أعتذر. فلا يمكنني إخبارك. فليس لدى علم. لقد تم إرسالي لاصطحابك وحسب. سيارة الأجرة تنتظرنا في الأسفل».

- «ومن الذي أرسلك؟»

- «رئيس الأمن، السيد (سولفان). لقد أتى من الولايات المتحدة

خصوصاً لهذا الأمر». ثم أخرج بطاقة من جيبه. وما لبست أن تعرفت على البطاقة الخاصة بالعاملين في مجموعة (تيسابي)، حيث أنها كانت ذات تصميم موحد في جميع أنحاء العالم. وقد كانت الصورة البارزة على البطاقة تؤكد أنها للرجل الذي يقف أمامها الآن. (أمن بوسطن) كتب أسفل تلك الصورة.

- «إذاً لابد أن (واين) قد وقع في ورطة كبيرة».

- «لا يمكنني إضافة شيء بهذا الشأن».

فكرت قليلاً. لا يبدو أن الرجل يحاول خداعها.

- «أنا بانتظار ضيوف».

- «آه، أعتذر. إلا أن الأمر ملحوظاً».

ترددت. ثم قالت: «دقيقة»، أغلقت الباب، وذهبت إلى غرفة الجلوس. أخذت جوالها واتصلت بـ(كريس). رد المجيب الآلي مجدداً. كان من المفترض أن يصل منذ وقت طويل! لماذا يبقي جواله مفلاً؟ أمسكت حقيبة اليد خاصتها، التي كانت ما تزال تحتوي على لوازم السفر.

كان (سباروف) صامتاً طوال الطريق وأخيراً قام بدفع أجرة السيارة بالدولار.

استنجدت (ياسمين) من ذلك أن (سباروف) حضر إلى (دريسدن) دون أي ترتيبات مسبقة.

- «انتظري هنا من فضلك، سأعود حالاً». قال لها عند دخولهما إلى منطقة المختبرات.

تابع (سباروف) طريقه واختفى في مكتب (واين)، بعدها بقليل، ظهر (واين) في الممر. إلى جانبه كان رجل حليق الرأس، تقدم نحوها برشاقة غريبة بالرغم من جسده الضخم.

بدا (واين) متعباً و مأخذوا، ولكنه كان بخير. نظر إليها قطّب وجهه بتكشيرة نادمة.

- «أهذه هي؟» سأّل الرجل السمين قبل أن يتوقف أمام (ياسمين).
- «نعم. (ياسمين برسون). إنها مساعدي. وليس لها علاقة بالموضوع».



أثناء تقدمه باتجاه المرأة، كان (سولفان) يستعرض في ذاكرته كل ما حدث من تطورات. فتذكرة الليلة الماضية في (براغ)، عندما أجهز على الشباب الثلاثة التابعين للفريق الآخر بإطلاق رصاص من المطاط الصلب عليهم. تعمد (سندر) المصودم اتباعهم، وحين وصل إلى المكان المحدد، قاموا بزجه في سيارة السكودا، التي كانت بانتظارهم.

لقد قام صديقه القديم (لبيكوفيتس) بتأجيره للصين وسيارة السكودا، وكذلك المنزل الذي قاموا في النهاية باحتجاز (سندر) داخله. لقد كان في مزرعة مهملة، تقع في إحدى الضواحي المهجورة على بعد 15 كيلو متر شمال شرق مدينة (براغ). كان لبيكوفيتس متمراً في فن الحياة، عديم الضمير ومحدث النعمة. وبعد انتهاء الحرب الباردة، قام بالاتجار بكل ما يمكن للمرء أن يتخيّله. وقبل ذلك كان يتاجر بالأخبار. في الاتجاهين. والحقيقة أنه بقي وفياً لمهنته القديمة، ولكنه قام بتوسيع طيف أعماله. كل ما كان يهم (لبيكوفيتس)، هو الثمن الدسم. لكنه اشترط شرطاً وحيداً «إن كان عليك أن تخفي جثة ما، فأرجوا أن لا يكون ذلك في المنزل». كان تفكير (لبيكوفيتس) لا يزال من الطراز القديم.

شرد (سولفان) بأفكاره، فهو يتفق مع صديقه القديم. لا بد من وضع علامة يفهمها الجميع. ولابد من أن تكون مؤثرة. إلا أن (هانك تورنت) لم يقم بتحديد شكل تلك العلامة بعد.

كانت الأدلة واضحة. لقد قام (ند بيكر) المستشار العلمي لـ (زوي بورسل)، بالنظر إلى المستندات، وتأكيد وقوع الخيانة. في الواقع كان بإمكانهم عقد جلسة المحاكمة وقراءة الحكم، بل وتنفيذه. حتى تلك الحشرة (زوي بورسل)، أرادت رؤية الدماء. لقد كانت هي شخصياً تتصرف كجلادي برج (لندن).

إلا أن كل شيء تبدل.

لقد قام (سندر) بعرض صفقة عليهم. في البداية رممه الجميع بنظرات مذعورة، ثم اتضح لهم أن الوغد كان يعني ما يقول. صرخت (بورسل) مخذلة من محاولة خداع، حين لاحظت أن (ند بيكر) بدأ بالإنصات وطرح الأسئلة. في حين بدأ (سندر) بتحلiven إحدى المعزوفات حول تجربة، وعن اكتشاف ما.

تشاور (بيكر) مع (زوي بورسل)، التي أصبحت فجأة متربدة. ثم قام (بيكر) بايقاظ بعض العلماء حول العالم من نومهم وبعدها، انسحب مع (بورسل) للجلوس في إحدى زوايا غرفة الجلوس العفنة. وبهذا فسدت خطة (سولفان) لسحب الدم من عروق ذلك الوغد.

ومرة واحدة أصرت (زوي بورسل) أن تختبر معلومات (سندر) في التو واللحظة. وذات الليلة عادا، وفي الصباح استقللا طائرة الشركة من طراز جولف ستريم G550 متوجهين من (براغ) إلى (دريسدن)...

- «متى سنبدأ يا (سولفان)؟» سألت (بورسل) أثناء عبورها الممر بخطوات قصيرة وسريعة. تذمر مدير الأمن بشكل تلقائي.

- «من هذه؟» همست (ياسمين) لـ (واين).

- «إنها أعلى رأس في الإدارة المالية لـ (تيسابي). هل كنت تعلمين، أن سيدة هي التي تقوم كل شهر بإصدار التعليمات لتحويل مرتباتنا؟»

- «ماذا فعلت يا (واين)؟»

- «حالاً...» تتم (سندر) «الموضوع يدور حول عينة العظام الخاصة بـ (كريس)، وتحليل الحمض النووي الذي طلبه.»

- «إذاً، هيـا الآـن!» حدقـت (زوي بورـسل) بـ (يـاسـمـين) بنـظرـات بـارـدة «ـهل هـذـه هـيـ المسـاعـدة؟»

- «ـنعمـ». قالـ (ـسـولـفـانـ) «ـوـأـوـدـ استـجـواـبـهاـ عـلـىـ الفـورــ.ـ»

- «ـلـيـسـ الآـنـ.ـ فـعـلـيـهاـ أـنـ تـسـاعـدـ ذـلـكـ الـخـنـزـيرـ.ـ هـيـاـ.ـ»

- «ـأـنـاـ بـحـاجـةـ إـلـيـكـ الآـنـ.ـ هـمـسـ (ـسـنـدـرـ) لـ (ـيـاسـمـينـ).ـ

- «ـبـمـاـذـ؟ـ»

- «ـلـيـسـ بـالـأـمـرـ السـيـئـ.ـ إـنـهـ تـحـالـلـ لـعـيـنـاتـ فـحـسـبـ.ـ»

لم يـفـكـرـ أحدـ بـالـإـجـابـةـ عـلـىـ جـبـلـ الأـسـئـلـةـ التـيـ كـانـتـ تـشـغـلـ (ـيـاسـمـينـ).ـ

دخلـتـ غـرـفـةـ المـخـتـبـرـ معـ الـآـخـرـينـ وـسـمـعـتـ هـتـافـاتـ التـعـجـبـ أـمـامـهـاـ.ـ نـادـيـ (ـواـينـ) اـسـمـهـاـ فـتـقـدـمـتـ دـافـعـةـ نـفـسـهـاـ بـيـنـ الـجـمـعـ.

عـنـدـمـاـ رـأـتـ الـعـيـنـاتـ،ـ تـوـقـفـتـ مـذـهـولـةـ فـيـ مـكـانـهـاـ.ـ فـهـيـ لـمـ تـرـشـيـئـاـ كـهـدـاـ مـنـ قـبـلـ.

- «ـأـمـرـ لـاـ يـصـدـقـ».ـ هـرـيـتـ الـكـلـمـاتـ مـنـ بـيـنـ شـفـتـيـهاـ.

ارـتعـشـ (ـسـنـدـرـ) مـنـ شـدـةـ الإـثـارـةـ.ـ فـقـدـ تـكـاثـرـ الـخـلـاـيـاـ بـشـكـلـ أـكـبـرـ مـاـ

كـانـتـ عـلـيـهـ لـيـلـةـ الـخـمـيسـ.

لـقـدـ نـمـتـ بـعـضـ الـخـلـاـيـاـ المـزـرـوـعـةـ فـيـ أـطـبـاقـ بـتـرـيـ إـلـىـ الـخـارـجـ وـمـلـأـتـ

أـرـضـيـةـ الـحـاضـنـةـ.ـ وـفـيـ بـعـضـ الـمـنـاطـقـ زـحـفـتـ الـخـلـاـيـاـ مـلـتـصـقـةـ بـزـجاجـ

الـحـاضـنـةـ بـاتـجـاهـ الـأـعـلـىـ.ـ بـدـتـ الـعـيـنـاتـ كـانـهـاـ قـدـ تـابـعـتـ نـمـوـهـاـ خـارـجـ الـأـطـبـاقـ

دونـ حاجـتهاـ إـلـىـ الـمـحـالـلـ الـمـغـذـيـةـ.

- «إنه أمر مستحيل حقاً»، تتم (ند بيكر).
 - «كم مرحلة من الانقسام باعتقادك؟»
 - «مئات،آلاف!» تتم (سندر)، الذي كان هو نفسه يصدق متعجباً بالأطباق.
 - «هل يمكن لأحدكم أن يوضح لي الأمر؟» طلبت (زوي بورسل).
 - «إن قدرة جميع الخلايا على الانقسام محدودة جداً».
 - ضحك (سندر) بارتباك، «وهذه القاعدة تطبق على جميع الكائنات الحية حتى مع توفر الظروف المثالية. يبدو كأن العدد قد حدد مسبقاً. فكل خلية تملك ساعة لانقسام الخلايا، تحدد بشكل مسبق عدد مرات الانقسام الممكنة. ولا يمكن خداعها. على سبيل المثال، إن الخلايا الليفية، أو خلايا النسيج الضام، تتقسم عادة من أربعين إلى ستين مرة في مزرعة الخلية. وبعدها تتوقف وبلا عودة. فالحد الأعلى لانقسام الخلايا لدى الفئران يصل إلى ثمانية وعشرين انقساماً».
 - «وهل هذا هو إنجازك المثير؟» سالت (زوي بورسل) بعصبية.
 - «هذا إنجاز مثير...» قال (سندر) بصوت منخفض.
 - «...ولكنه ليس ذاك الذي أردت أن تطلعنا عليه، أليس كذلك؟» سأل (ند بيكر) بحالح.
- كانت (ياسمين) ما تزال تنظر إلى المزارع بذهول. فقوية الانقسام تتناسب عكسياً مع تقدم العمر. فكلما كان المصدر أكبر سنًا، كلما قل عدد الانقسامات المتوقعة لخلاياه. فالخلايا البشرية العائدة لمتبرعين مسنين جداً تتقسم في المزارع إلى خمسة وعشرين انقساماً كحد أقصى.
- هذه الخلايا تعود لعظام، يفترض - وحسب ادعاء (كريس) - أن عمرها آلاف السنين.
- «يا لها من قوة حياة». فكرت (ياسمين).

- «جيد . سلسلة من الخلايا، التي تنقسم بلا نهاية. إنه أمر مثير، هل هذا إنجاز رائع حقاً؟» نظرت (زوي بورسل) باستفزاز في عيون الحاضرين. «لولم تخني الذاكرة... إنك تقول دائماً يا (ند)، أن هناك خلايا يمكنها الانقسام إلى ما لا نهاية.».
- «الخلايا السرطانية» أجاب (ند بيكر). «في الخلايا السرطانية يصبح انقسام الخلايا بلا حدود . وفي المزارع تنقسم الخلايا بلا نهاية...» . «إذاً.».
- «في الأعضاء البشرية، يتم ذلك طالما كانت تلك الأعضاء حية. وعند موت الإنسان، تموت الخلايا السرطانية أيضاً وتتوقف عملية الانقسام إلى الأبد.».
- «هل هذه خلايا سرطانية ربما؟» نظرت (زوي بورسل) إلى (سندر).
- «هل تحاول خداعنا؟ هل اعتقدت حقاً أننا لن نكتشف ذلك؟»
- «إنها ليست خلايا سرطانية». هز (سندر) رأسه نافياً بشدة. كان صوته مخنوقاً، وبخفي نبرة غاضبة.
- «من أين جاءت؟»
- «من عظام قديمة.»
- «إن لم أحصل فوراً على المزيد من الأجوبة، فسوف يتم الأمر هنا بشكل مختلف!» أطلقت المديرة المالية اللعنات، «(سولفان)، دعهم يحضرون مقصلة الأصابع!».
- «(ياسمين)، ستساعدبني».
- «ماذا سنفعل؟»
- «تحليل. سأريكم أمراً ما . في البداية يجب قطع عملية انقسام الخلايا.».

اختار (سندر) إحدى مزارع الخلايا، بينما ارتدت (ياسمين) معطفاً وقفازات. أضافت (الكولشيسين)، السُّم الذي سيوقف انقسام الخلايا مدة تتراوح بين الساعتين والثلاث ساعات تقريباً، وبذلك يمكنهم فحص الكروموسومات ومن ثم الانتقال من مستوى إلى مستوى أعمق.

- «هل سيستفرق هذا وقتاً طويلاً؟» بدا نفاذ الصبر واضحاً على وجه (زوي بورسل).

- «إنها عملية معقدة». قال (سندر) محاولاً إظهار نبرة محايدة، بينما كانت (ياسمين) تضع المزارع في جهاز الطرد المركزي.

- «اشرح لي ما تقوم به، فليس لدينا شيء أفضل لنقوم به».

- «التعقيد يبدأ من نوع الخلية، ونوع الحمض النووي. ففي الأبحاث يُفضل العمل بخلايا البكتيريا، وذلك لعدة أسباب. منها صغر الحجم، والتكاثر، وقصر زمن الجيل، وكذلك بسبب التنظيم البسيط للخلية. كل ذلك يُسهل من عملية معالجتها. أما في حقيقيات النوى، كخلايا الإنسان والحيوان والنبات، فيكون بناء النواة والميتوكوندريا الوراثي، وبلازم الخلية، وكذلك الريبوسوم، معقد بشكل كبير».

نظرت (زوي بورسل) إلى (بيكر)، الذي أومأ موافقاً.

- «فيمكنك تخيل الحمض النووي للإنسان كخيط لا يتجاوز طوله المترين، ويحمل كل المعلومات المهمة لبناء الإنسان. وذلك الخيط من الحمض النووي وما يحمله من معلومات، ينقسم بدوره على أعداد مختلفة من الكروموسومات. بحيث يمكن التعرف على كل كائن حي من خلال عدد كروموسوماته».

حدق (ند بيكر) برأيته. فحتى هذا اليوم كانت دائمًا ترفض الدخول في أي تفاصيل علمية. وضع يده على ساعد (سندر) وتتابع بنفسه عملية الشرح.

- «هذه البنية العالية التنظيم، تجعل من عملية وجود خيط الحمض النووي في هذه الخلية الصغيرة، أمراً ممكناً». ضحك (سندر) معتبراً عن دهشته، «الجينات ليست سوى وحدات من المعلومات تتموضع على خيط الحمض النووي، كما الكلمات في الجمل. وتوجد هذه المعلومات على شكل أزواج. ولكل من الجينات موضعه الخاص على خيط الحمض النووي، وكذلك بنية الفريدة ووظيفته. إنه كالشيفرة».

- «فهمت، أكمل». حدقت (زمي يورسل) بالرجلين بنظرات ازدراء.

- «يتالف الجين بدوره من مقاطع مشفرة، يطلق عليها الأكسون. بينما تسمى المقاطع التي لا تحتوي على معلومات بالأنترون. والمثير، هو أن معظم الأزواج تقع لدى الإنسان على الأجزاء غير المشفرة.».

رقم (ند بيكر) (زوي بورسل) بنظرات مرتابة. هل استوعبت كل تلك المعلومات حقاً؟

- «فصل الجينات الموجودة على المقاطع الخيطية المختلفة، بواسطة مسافات فارغة منتظمة وسلسل تمهيدية متواالية من الحمض النووي، التي تقوم بإرسال التعليمات للجينات. هذا ما يمكننا قوله حول البنية المعقّدة». عقب (سندر) بعصبية.

- «فهمت هذا أيضاً» قالت (زوي بورسل) بعد مدة «هل سيستفرق هذا الأم المزد من المقتد؟»

قامت (ياسمين) بفصل الخلايا التي ترسبت في قاع أنبوب الاختبار بفعل عملية الطرد المركزي، عن محلول المغذي، ثم وضعته في محلول عالي التركيز من كلوريد البوتاسيوم، الذي من المفترض أن تُنبع به الخلايا المزروعة مدة عشرين دقيقة تقريباً.

- «لقد انتهت المرحلة الأطول وذلك بإجراء عملية فصل الخلايا»
قالت (ياسمين) بنبرة باردة وبشيء من التعالي المتعمد.
فمع مرور الوقت زادت تلك المرأة من شعورها بالاشمئاز. لقد كانت لغة جسدها توحى بالتعجرف، والعجلة والسلط. «لا يستطيع المرء تحليل الكروموسومات إلا بفصل الخلايا».
- «ولكنني أريد معرفة ذلك بشكل مفصل حالاً». ثم رمقت (زوبي) بورسل (ياسمين) بنظرات انتقامية.

- «إنها تقصد، أن عملية الانقسام قد تمت بالفعل». تدخل (ند بيك)، حين لاحظ الأجراء الآخذة بالتوتر بين المرأةين.

- «في البداية تنمو الخلايا، ثم تحدث عملية تضاعف الحمض النووي، وفقط حين تنمو وتستقر تحدث عملية الانقسام الفتيلي. وبهذا ت分成 الخلية، ومن خلال التضاعف السابق للمعلومات في الخلية تنتج خلية ثانية، جديدة ومطابقة».

- «فهمت». تمنت (زوبي بورسل) بينما كانت نظراتها القاتمة ما تزال موجهة نحو (ياسمين) «وماذا يحدث في الانقسام الفتيلي؟»

- «في الانقسام الفتيلي تقوم خيوط المغزل في تنفيذ انقسام الخلية. وهي تتكون من آلاف الخيوط البروتينية وتتضمن بدقة متناهية نقل المعلومات من الخلية الأم إلى كروموسومات الخلية الجديدة التي تم إنتاجها. وحين يتم ذلك تنتظم الكروموسومات فيما يسمى بالصفحة

الاستوائية، ويصبح بالإمكان تمييزها تحت المجهر الضوئي بناءً على أحجامها وأشكالها. إن الأمر بهذا القدر من التعقيد» تتم (سندر).

قامت (ياسمين) بعملية فصل جديدة، حتى تمكنت من الحصول على المرحلة التالية من الرواسب الخلوية. قامت بخلط تلك الرواسب في مزيج من الميثانول وحمض الخليك الجليدي بنسبة ثلاثة إلى واحد، ثم وضعتها مجدداً في جهاز الطرد المركزي؛ ل تقوم أخيراً بسحب عينة من مزيج الرواسب الخلوية بواسطة ماصة مخبرية، وتقطيدها على شريحة الفحص المجهي.

- «سألولي الأمر». قال (سندر)، حين أرادت (ياسمين) القيام بالخطوة التالية. قام (سندر) بتسخين العينة مدة قصيرة، ثم قام بتلوينها بصبغة الفلورستن بعد وضعها في أنبوب زجاجي خاص.

- «عملية التعرف على الكروموسومات من خلال تعدد الألوان تستند إلى حقيقة، أن بعض الأنواع من البروتينات تعمل كمجسات تعبر الحمض النووي وتقوم بتمييز الحمض النووي بشكل واضح بفعل صبغة الفلورستن ذات الألوان المضيئة» قال (ند بيكر) لرئيسه موضحاً الخطوات التي كان يقوم بها (سندر) بتركيز شديد.

- «وبهذا تتم الاستفادة والتعرف على الفروقات الفردية لسلسل الحمض النووي في الكروموسومات المختلفة».

حبس (ند بيكر) أنفاسه عندما رأى (سندر) يدفع بشرحة الفحص المجهي تحت عدسة الميكروскоп.

في البداية قام (سندر) بفحص العينات تحت المجهر بحجم تكبير يصل إلى 100 مرة. ثم قام باستبعاد العينات التي لاحظ من خلال عملية تكبيرها تلك، أنها غير صالحة لمتابعة تحليلها.

وقد تعلم من خلال سنوات خبرته أنه بحاجة لفحص عشر خلايا

على الأقل ليتمكن من الحصول على نتائج مضمونة. ولكن في بعض الحالات والاختبارات المعقّدة لبعض الأجزاء الخاصة على الكروموسومات، كان عليه أن يقوم باستهلاك ما يزيد عن المئة عينة قبل أن يصل إلى هدفه من الفحوصات.

كان (سندر) يقوم بفحص العينات باستخدام ميكروسكوب فلوري، الذي كان يلتقط الصور من خلال كاميرا موصولة بالمجهر ثم يقوم بعرضها على شاشة.

- «وكيف يمكن تمييزها؟» سالت (زوبي بورسل) بينما كانت تحدق في الظهر المنحني لـ (سندر).

- «من خلال الفحص المجهي، يمكن التعرف على الكروموسومات البشرية في مرحلة الانقسام استناداً إلى عدة علامات محددة. ففي هذه المرحلة يكون لكل كروموسوم بناؤه الخاص.

- «انظري» أشار (بيكر) إلى شاشة العرض «أولاً نلاحظ اختلافاً في أحجام الكروموسومات. على سبيل المثال فإن الكروموسوم 7 صغير بشكل ملحوظ».

- «كنت أعلم ذلك منذ البداية» ابتسمت (زوبي بورسل) بطريقة خبيثة «الرجال. كروموسوم أصفر، دماغ أصفر، ذكاء أقل...»

أشار (ند بيكر) إلى جزء من شاشة العرض، «انظري. لكل كروموسوم أذرع طويلة وأخرى قصيرة. ويتم ترابط هذه الأذرع عند نقطة تسمى بالسنترومير، الذي يحيط بالكروموسومات في مناطق معينة كما يحيط المشد بخصر المرأة. والسنترومير هي النقطة التي تبدأ منها الخيوط المغزلية بعملية انقسام الكروموسومات أثناء الانقسام الخلوي. ولأن السنترومير يحيط بكل كروموسوم في منطقة مختلفة فإن ذلك يعتبر علامة فارقة أخرى».

في تلك الأثناء كان (سندر) يفحص العينات المختارة من خلال

تكبيرها إلى 1250 ضعف. وقد ظهرت الكروموسومات تحت عدسة المجهر على هيئة بنية عصوية الشكل.

ضاعف حجم التكبير إلى 3000.

- «جميل. جميل جداً» تتمم (بيكر)، عندما تمكن أيضاً من تمييز نطاقات الكروموسومات المتباعدة بين الفاتح والداكن على شاشة العرض وذلك بفعل تلوينها بالصبغة.

كانت الكروموسومات تبدو تحت المجهر على شكل حفنة غير منتظمة. لم يكن (بيكر) يحفظ شكل نطاقات كل كروموسوم في ذاكرته، إلا أنه تمكن، -و فقط على أساس صغر حجمها- من التعرف على زوج الكروموسوم 22 ذو الطرف المنتفخ عند الذراع الأقصر، والكروموسومات 1 و 2 من خلال أحجامها.

- «لقد تم تجاوز العقبة الأولى. إنه إنسان. حتماً إنسان!» قال (سندر) بثقة «ليست مئة وثلاثة عشر كروموسوم. ليس ديناصور سمندل الماء ذي العظام العملاقة.».

- «هيا أسرع! فتحن لا نرحب بالانتظار هنا إلى الأبد!». عرف (بيكر) ذلك سلفاً، حتى قبل أن يراها. لقد كان هناك شيء غير طبيعي في تلك العينات من نواة الخلية المتفجرة المثبتة على شريحة الاختبار. تفحص الصورة.

وعندما اكتشف الانحراف، وقع على كرسيه مرتماً إلى الخلف «هل هي تماماً كما في تلك الليلة...؟» سأله.

- « تماماً» تتمم (سندر). «ألا يجدر بنا أن نقوم بتحليل النمط النووي بواسطة الحاسوب؟ حتى نتأكد؟»

ودون أن ينبعس (سندر) بینت شفة، جلس أمام جهاز الحاسوب وبدأ بطباعة عدة أوامر على لوحة المفاتيح. وعلى شاشة عرض أخرى ظهرت

نتائج تحليل الحاسوب. «هذه هي نتائج تحاليل الحاسوب ذاتها التي حصلنا عليها ليلة الخميس. إنها متطابقة».

- «إنها» تتم (ند بيكر) «الزيغ الصبغي» تتم (ند بيكر) «ثلاث الكروموسومات».

- «وما معنى هذا؟» سالت (زوبي بورسل) بعصبية.

- «إنه انحراف للكروموسومات». فسر لها، وقد بدا عليه التفكير «إلا أن هذا بحد ذاته ليس بالأمر المستغرب حقاً. فالطفرات الرقمية الجينية تحدث عند واحد من بين مئة وستين من حديثي الولادة. ويشكل الزيغ الصبغي الجزء الرئيس منها».

- «غالباً ما يصيب الزيغ الصبغي الكروموسومات 21، 18 و 13. و يتسبب بالمرض» انتظر (سندر) قليلاً قبل أن يتتابع «واحد من كل سنتين وخمسين مولوداً يعاني من متلازمة داون، الذي يتسبب به تلث الكروموسوم رقم 21. والنتيجة تكون التأخر في تطور الحركة وقصور في الذكاء، وكثيراً ما يتسبب في وجود خلل خلقي في عضلة القلب وقابلية الإصابة بالأمراض. والأكثر تأثراً هم أجنة الأمهات فوق الخامسة والأربعين على وجه الخصوص».

- «الأسوء، هو متلازمة إدوارد، التي يسببها تلث الكروموسومين 18 و 13» - قالت (ياسمين) - «حيث يموت نصف المصابين خلال الأشهر الثلاثة الأولى بعد الولادة، والتردد هو على الأرجح واحد إلى خمسة آلاف».

- «إلا أن ما نراه هنا، هو تلث صبغي من نوع آخر». عدل (سندر) من جلسته حيث كان جسده قد تصلب «أيضاً معروفة وقد تم فحصه مسبقاً إلا أنه غير مألف».

- «لا تجعلوا الأمر مشوقاً»، نظرت (زوبي بورسل) إلى (سندر) و(بيكر) بغضب.

- «سبعة وأربعون كروموسوم» قال (سندر).
- «يوجد كروموسوم إضافي» ثم أردف (بيكر) «إنه تلث واضح».
- «إنه كروموسوم جنسي إضافي».
- «(بيكر)، بحق الجحيم!» صرخت (زوي بورسل) «وماذا يعني هذا؟»
- «أن الانحراف قد حدث في الكروموسوم الجنسي».
- «متلازمة تضاعف الكروموسوم Y» تمنتت (ياسمين) التي رأت بوضوح الانحراف على شاشة العرض.
- «تلث XYY» قال (سندر).
- ساد الصمت لثوانٍ.
- «كروموسوم ذكري إضافي... أين المشكلة؟» ضربت (زوي بورسل) بكفها على الطاولة «إن كان حجم كروموسومكم الذكري صغير بدرجة ملفتة، فمن الممكن أن يكون بينكم أيها الرجال من يحمل اثنين من هذا الشيء! إذاً ماذا؟»
- «ولكن حجم هذا الكروموسوم الإضافي كبير، سميكة وغلظ. لا بد أنه ممتلئ بالجينات...»

الفصل الثامن والعشرون

(فونتينبلو) بالقرب من (باريس)

عصر السبت

فتح غطاء صندوق السيارة، خفّض (كريس) من فتحتي عينيه.
فبالرغم من أن السماء كانت ملبدة بالغيوم، إلا أن الضوء آلم عينيه بعد ذلك الوقت الطويل الذي أمضاه في الظلام.
- «يا إلهي! يجب أن تفتش مجددًا».

كان الرجل الذي يطل عليه من الأعلى يبتسم بخبث. انتبه (كريس) للثأليل الثلاث التي توزعت بشكل مثث على خديه وذقنه مشوهة وجهه.
كان الرجل الآخر بشعر أحمر صدئ وبشرة فاتحة. أمسك به الرجل ذو الثأليل من كاحليه المكبلين، بينما قبض ذو الشعر الأحمر على كتفيه.
حملاه خارج صندوق السيارة، وتركاه يسقط على الأرض.
فأرطم خده على الرمال والأعشاب. أدار رأسه، فوقع نظره على أشجار ذات جذوع ضخمة وسقف كثيف من الأوراق.

جعله الألم الكامن في ضلوعه يتنفس بشكل سطحي. كانت شطايا من الخشب والحجارة ما تزال تبرز على ظهر يديه وساعديه. بينما انتزعت باقي الشطايا، أو أنها دُفنت تحت طبقات الجلد. بعض الجروح التهبت وشكلت فقاعات من الصديد.

انتزع ذو الشعر الأحمر الشريط اللاصق من على فمه وعدل من جلسته. تأوه (كريس) ثم انقلب مجددأً. احتاج بعض الوقت ليتمكن من التأقلم مع وضع الجلوس.

حلوا وثاق قدميه ورفعاه لينهض واقفاً. ثم ما لبث (كريس) أن سقط مجددأً إلى الأرض. وكلما حاولوا إيقافه على قدميه عاد ليهوي مجددأً. ففي كل مرة كان وخز الألم الحاد يجعل قدميه ترتجف فيصرخ بشدة. ثم شعر بدرجدة في ساقيه، بدأ الدم بالدوران، وأخيراً تمكّن من الوقوف. قام ذو الشعر الأحمر بسنده عندما خطا خطواته الأولى. بينما قام ذو الوجه المشوه بالثأليل بتكييل يديه إلى الخلف بواسطة حبل، ثم قام بجره منه، كأنه يسحب أحد الكلاب الشاردة.

- «هيا أسرع!».

سار (كريس) متمنحاً بألم من السيارة إلى تحت الأشجار وبالعكس. ثم قادوه للمشي في حلقة دائرة مدة عشر دقائق.

- «أين نحن؟» سأله (كريس) أخيراً.

- «كما لو أن لذلك أهمية...»

- «بالنسبة لي، نعم» همس (كريس)، ولم يتمكن من صياغة المقاطع بوضوح. شعر بطعم الدم المتدايق من شفاهه التي تشقت مجددأً.

- «إن كان كذلك... فنحن في مكان ما في (فرنسا)».

توقف (كريس)، ثم تابع النظر حوله.

كانت الشمس في جهة الغرب، إلا أن الوقت ما زال مبكراً لحلول الظلام. إلى الأمام وعلى بعد نحو مئة متر، لاح له (كريس) تحت ظلال الأشجار ما يشبه القلعة الصغيرة.

السيارات الداكنة الأربعية من نوع الليموزين، اصطفت أمام برج مائي من الطوب الأصفر، كما كانت تبني منذ قرنين. انتشرت قنوات المياه عبر

الأرض، حيث تجمعت فوقها أوراق الأشجار المتساقطة. ليس بعيداً من البرج المائي برزت كنيسة صفيرة التفت سقالات البناء حولها بالكامل باستثناء برج الأجراس.

اقترب ثلاثة رجال من جهة المبنى الرئيس الأشبه بالقلعة. بدا الوجه الدميم لـ (برانداو) عابساً ومنفراً. أخطأ (كريس) باتهامه البروفسورة. لقد كان القس، الذي أصدق له شريحة التصنّت في حقيبة الظهر الخاصة به. لماذا توقع أن القس يمكن أن يكون أقل خبثاً من سائر البشر؟ إلى جانب (برانداو) سار شخص ذو بشرة وجه متجلدة، الذي قاد عملية السطو. وخلال وقت استراحة أخير (كريس) بكل ترحيب، كيف أنهم استخدموا مفتاحه للدخول بعد منتصف الليل إلى غرفته في النزل الصغير، وقاموا بجمع ما وجدوه من تحف أثرية متبقية.

كان الرجل الثالث قصيراً، ممتئ الجسم، ويرتدي عباءة فاتحة أو بيضاء تقريباً، خاصة بجودة الكنسية، ذات ياقة أشبه بدرع العنق. كان قماشها مطرزاً بحبات اللؤلؤ وخيوط الذهب، وقد زينت في الأعلى بعلامتي المسيح على كل جانب، وبصلبيين في الأسفل. فوق الصدر عقدت العباءة بواسطة مشبك صمم بطريقة فنية متقدنة.

في البداية ظن (كريس) أنه أمام أسقف، إلا أنه سرعان ما انتبه إلى أن الرجل يرتدي بنطلاً عادياً، وكنزة صوفية تحت تلك العباءة.

- «هذه فاكهتنا» تتمم (جستن باري).

- «هكذا إذأ». نظر (هنري مارفن) إلى (كريس) باحتقار، «جيد. يبدو حالياً في وضع مزءِ. انتبهوا له جيداً. هل تؤمن بالله والكتاب المقدس؟»

- «لابد أنك ذلك الناشر، الذي يقوم بدور الراعي السخي لمتاحف العالم الشهيرة، عندما يتعلق الأمر بتحف أثرية من مناطق معينة في الشرق الأدنى».

- «ومن ذا الذي أخبرك بذلك؟»
 - «في (برلين)، كان هناك بروفوسورة كشفت لي بعض الأمور عنك».
 ضحك (هنري مارفن) بصوت عالٍ.
 - «حسناً. إذاً لديك الآن ما تفكّر به».
 - لقد تجاوزت منذ ساعات تلك النقطة، أن أشفل تفكيري بأي شيء. لقد كنت سعيداً بخروجي من ذلك التابوت».
 - «نكتة المحكوم بالإعدام، أليس كذلك؟ لنرَ كيف سيكون حالك في نعش حقيقي. ولكنني سأقبل هداياك أولاً. ثم ننظر بشأنك. ربما سيخبرك مكان إقامتك الجديد بالمزيد. هناك تراكم الجرذان ليلاً».
 استدار (مارفن)، ومضى بصحبة (برانداو). بينما قام (باري) وذو الشعر الأحمر بسحب (كريس) باتجاه البرج المائي، وقادوه على درج حجري حلزوني الشكل نزولاً إلى مكان تشعبت منه الممرات. دفعوه مجدداً ثم توافوا أمام منطقة تشعبات أخرى.
 فتح (باري) الباب الحديدي الثقيل الذي كان يسد الممر الأيسر، ثم دخل الممر الضيق والمنخفض خلفه، الذي كان يقود إلى منطقة صخرية تحت الأرض.
 أضاءت الكشافات الطريق بأضواء ساطعة، إلى جهة اليسار رأى (كريس) الشباك المعدنية المثبتة في الصخور والتي كانت تفصل بين الممر والقبو الذي يقع خلفها. كانت الزنازين فارغة ومجردة تماماً.
 تابع (باري) سيره حتى وصل إلى نهاية الممر، وتوقف أمام قضبان الزناقة الأخيرة.
 قام ذو الشعر الأحمر بدفع (كريس) إلى داخل الزناقة، التي غرق نصفها الخلفي في ظلام شبه دامس. ثم أغلق الباب خلفه مصدراً صريراً مزعجاً.

- «مرحباً» قال (كريس) وحدق باتجاه الزاوية، حيث تمدد جسد على الأرض دون حركة.
استغرق الأمر بعض الوقت، قبل أن يبدأ ذلك الجسد بالاستدارة صوبه.

- «مرحباً يا (كريس)» قال (أنتونيو بونتي).



دريسن عصر السبت

- «الكروموسوم Y يحدد نوع الجنس عند البشر. هذا معروف. ولدينا هنا اثنين منه». نظرت (زوي بورسل) إلى (سندر) بحنق، «حسناً. ولكنك قلت أن مثل هذه الحالات معروفة. فما هو المهم في هذا الاكتشاف إذا، والذي لا يعتبر كذلك في الحقيقة؟»

- «في الحالات الطبيعية يكون الكروموسوم Y صغير الحجم. وفي حالة التلث الصبغي XYY يوجد كروموسومان Y صغيران. إلا أن هذا كروموسوم Y الإضافي في هنا -كما ذكرنا آنفاً-، كبير، سميك وغلظ». نهض (واين سندر) من على كرسيه وبدأ يمدد جسده.

- «ما رأيك يا (ند)؟ هل يريد خداعنا؟» نظرت (زوي بورسل) إلى مستشارها العلمي، الذي أصيب بالارتباك.

- «ما عساي أن أقول... عدد الجينات في الكروموسوم Y الطبيعي -آمل أن أتذكر بشكل صحيح - ثمانية وسبعون، وتحمل سبعة وعشرين شيفرة لبناء البروتينات، وبالتالي هذا ما يشكل ثلث حجمه الأصلي».

- «هل يتغير؟ يصبح أصغر؟» ضحكت (زوي بورسل). «(ند)، وكيف يبدو الأمر بالنسبة للكروموسوم الجنسي الأنثوي؟ هل ينمو؟»
- «الكروموسوم X بجيناته الخمس والتسعين والألف بقي منذ نشأته قبل نحو ثلاثة مئة إلى مئة مليون سنة، دون أن يطرأ عليه أي تغيير.»
- «هل تريد أن تقول أن الكروموسومات الجنسية تنمو بشكل متبادر؟» ابتسمت (زوي بورسل) «ومنذ متى يحدث هذا الأمر؟ منذ مئة ألف عام؟ وإن كان الأمر كذلك، فهذا يعني أنه لابد أن تكون هناك نقطة انطلاق مشتركة قد وجدت يوماً ما.»
- «متى و جداً، ومتى بدأ الاختلاف بينهما بالظهور، ما زال مجرد تكهنات». تدخل (سندر) في الحوار «لماذا تطور هذان الكروموسومان دون غيرهما من الأزواج الصبغية واختصا بأمر تحديد نوع الجنس، حتى اليوم لا يمكن لأحد الإجابة عن هذه الأسئلة بشكل دقيق. على أي حال لقد حدث ذلك في الزمن السحيق عند نشأة الحيوانات الثديية.»
- «وكيف بدا الأمر قبل ذلك؟» نظرت (زوي بورسل) إلى الحاضرين حولها «كيف كان يحدد نوع الجنس قبل ذلك؟»
- «من يعرف، ربما كان نوع الجنس الذكري يحدد عند الحيوانات الثديية عن طريق الحرارة. كما هو الحال حتى اليوم مع سلاحف منقار الصقر أو تماسيح الميسيسيبي» كانت (ياسمين) قد وقفت أيضاً، وكتفت يديها فوق بعضهما أمام المديرة المالية، «أو عن طريق الإشارات الاجتماعية، كما هو الحال عند سمك اللبروس أزرق الرأس، حيث تقوم كبيرة الإناث بالتحول خلال أسبوع إلى نسخة ذكورية لترأس قطيع الإناث عند موت الذكر أو انتهاء كوجبة طعام.»
- «على أي حال يوجد الكثير من الأمثلة في عالم الحيوان، التي تقوم بتحديد نوع أجناسها دون الحاجة إلى الصبغيات» تتمم (سندر) ببرضاً وقد

استغرب مزاجه الجيد «إن كان المرء من الذكور، فيجب أن يكون طيراً أو من الزواحف أو فراشة. فهناك تحمل الإناث الكروموسومين XY وتقوم بتحديد نوع الجنس».

- «ماذا تعني بهذا؟» نظرت المديرة المالية إلى (سندر) بغضب.

- «النساء يتلاعن بنا نحن الرجال» همس (سندر) بنبرة حانقة «فنحن نقوم بالمهمة الصعبة لتحديد نوع الجنس ونعاقب لهذا، كما سمعتني قبل قليل، إن الكروموسوم Y الخاص بنا يبدو في حالة تدعو إلى الشفقة. فهو في طريقه إلى الضمور، بعد أن حدثت طفرة صغيرة أدت إلى توليه القيام بدور تحديد نوع الجنس».

- «توشك دموعي أن تتساقطاً».

- «في الماضي كان الصبغيان X وY يتبادلان عند تكوين الخلية الجنسية أو نشأة حياة جديدة، وذلك لوجود أجزاء كثيرة متشابهة في الحمض النووي خاصتهما. ولكن من خلال الدور الجديد للكروموسوم Y في تحديد نوع الجنس، حدث تباين في الحمض النووي. ومع ازدياد التطور كانت تختفي التشابهات والتطابقات بين مقاطع الحمض النووي».

وهذا بدوره أدى إلى أن المقاطع الغير متوافقة من الكروموسوم Y لم تعد قادرة على الاستمرار طويلاً في ائتلاف مع الكروموسومات X للمشاركة في إنشاء حياة جديدة. وبهذا فمع مرور الوقت سيتم تعطيل جين بعد آخر في الكروموسوم Y».

- «إنه سيناريو جيد بحد ذاته» علقت (زوي بورسل) بخبث.

- «اليوم خمسة بالمائة فقط من الحمض النووي للكروموسومات الجنسية يتتطابق ويتألف لتكوين حياة جديدة. على العكس من كروموسومي X الخاصين بالمرأة، فإنهما يستطيعان التبادل بشكل تام. بينما استبعد

الكروموسوم 7 إلى حد كبير. أصبح الرجل في طريقه إلى الانقراض» أنهى (سندر) شرحة بضحكه مريرة.

- «ولكن باستطاعة الكروموسوم 7 إعادة ترميم نفسه» تتم (ند بيكر).

- «صحيح أن بعض أجزاء الكروموسوم 7 قادرة على ذلك. ولكن للأسف فهذا ينسحب فقط على المعلومات الموجودة بالفعل، والتي يمكن استعادتها. ولن يتم إتاحة الحصول على أي معلومات جديدة. وهنا تكمن المشكلة وخصوصاً مع وجود ظروف بيئية متغيرة».

- «جميل. نحن النساء لدينا كروموسومين متساوين ومتماسين، بينما يمتلك الرجال واحداً، وفي طريقه إلى التقزم. لابد أن الطبيعة تعرف ما تقوم به» قهقهت (زوبي بورسل) بطريقة شريرة.

- «ولكن واحد فقط من الكروموسومين X الأنثويين هو الفعال» تدخلت (ياسمين) في الحديث «أما الأول فكان معطلاً منذ البداية. عاجز تماماً»

- «جيد كذلك». نظرت (زوبي بورسل) إلى مستشارها بانزعاج.

- «(ند)، ما هي الخطوة التالية؟»

- «الحقيقة لن يمكننا هنا التقدم أكثر» قال (بيكر) ونظر مفكراً إلى الموجودين حوله «حتى نتمكن من إجراء فحص دقيق لهذا الكروموسوم، لا بد لنا من الإسراع، واستخدام موارد أكثر. هذا هنا مجرد مختبر صغير. في (بوسطن) لدينا إمكانيات أكبر بكثير...»

أومأت (زوبي بورسل). فلقد أكد لها (بيكر) ما كانت تفترضه منذ البداية. فكرت في الكلمات التي قالها لها رئيس مجلس الإدارة في (فيلاكابامبا). ربما وجدت الجوهرة، التي ستساعدها على التخلص من (فولسوم). يجب أن تعرف أكثر، دون أن يشعر (فولسوم) بشيء. إلا أن

(بوسطن) لن تكون مناسبة لذلك. ففي مقر الشركة سيعلم بكل شيء مباشرة. بشكل عام كانت راضية بينها وبين نفسها، لأنها قامت مسبقاً بتحضير الإمكانية البديلة.

- «كلا. سنتوجه إلى (صوفيا أنتي بولس). علينا الانطلاق فوراً. لقد قام (سولفان) بترتيب كل شيء».

أدارت (ياسمين) ظهرها وتوجهت نحو الباب.

- «إلى أين أنت ذاهبة؟» صاحت المديرة المالية خلفها.

- «إلى أين؟ إلى شقتي طبعاً».

ضحك (زوي بورسل) باستخفاف «يبدو أنك لم تدركى بعد ما الذي يجري هنا. أليس كذلك؟»

- «كلا. ومن أين لي هذا. أنا لا أعرف ما الذي تریدونه مني».

- «إذاً أنا سأعلمك» بكلمات لاذعة أخبرتها (زوي بورسل) عن خيانة (سندر) «... ونحن نعتقد أنك متورطة معه في هذا الأمر».

حدقت (ياسمين) بـ(سندر) «(واين)، قل أن ذلك غير صحيح».

- «بلى. إنه صحيح» نظر إلى (ياسمين) بندم، ثم استدار إلى (بورسل) «ليس لها علاقة بالموضوع».

- «من سيصدق ذلك» استدارت (زوي بورسل) وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة باردة «(سولفان)، سنأخذ الجميع معنا».

- «هل يمكنني إطعام الحيوانات على الأقل؟» سألت (ياسمين) بشكل مفاجئ.

- «أي حيوانات؟» حدقـت (زوي بورسل) إلى (سندر) بنظرات متسائلة.

- «إنها حيوانات التجارب خاصتنا...»

- «هراء. ألا يستطيع شخص آخر القيام بذلك؟»
- «لقد أبديت استعدادي لإطعام الحيوانات أشاء عطلة نهاية الأسبوع هذه. ولن يكون أحد هنا حتى يوم الإثنين».
- «الأمر يسير هنا هكذا، لتوفير التكاليف» قال (سندر) «يوزع العاملون على عطل نهاية الأسبوع، فيتناولون على رعاية الحيوانات وإطعامها، ومراقبة التجارب الجارية».
- «فليجوعوا لمرة واحدة إذاً» تمنت (زوي بورسل).
- «هذا غير ممكن» هزت (ياسمين) رأسها مستتركة. «هناك بعض الحيوانات التي لا بد من متابعتها بشكل يومي. فهي تخضع لسلسلة اختبارات نشطة ولا بد من رصد ردود أفعالها بشكل منتظم. وإن أردت فهذه الحيوانات هي ضمان للأرباح المستقبلية لـ (تيسابي)».
- «أوما (ند بيك) برأسه مؤيداً لما قالته (ياسمين) للمديرة المالية.
- «حسناً. إذاً فلتنهي ذلك. ولكن بسرعة».
- رافق (سباروف) (ياسمين) إلى الجناح الذي يضم حيوانات الأبحاث، التي كان معظمها من فئران التجارب. دخلا الغرفة الأولى الممتدة بالأقسام، وبدأت (ياسمين) تقديم الطعام حسب البرنامج المحدد لذلك، الذي كان معلقاً على الحائط المجاور للباب.
- حين فتحت باب القفص الرابع لتقديم الحبوب وتجديد القش، كانت ستة من فئران الحقل تتنشق الهواء حولها بنشاط.
- ثلاثة من الفئران كانت شابة وقوية، بينما الثلاثة الأخرى كانت هرمة وقد دنا أجلها. متوسط العمر المتوقع لفئران الحقل يصل إلى ثلاثة سنوات، وكانت (ياسمين) تعلم أن الفئران الثلاثة قد وصلوا إلى ذلك العمر.

جثمت الفئران الثلاثة الهرمة في الجزء الخلفي من القفص. فلم تعد

لديها القدرة على المنافسة، وعليهم أن يرضاها بما تبقى الفئران الفتية من طعام. هذا إن تركوا شيئاً منه.

على ما تذكر، لقد كان القفص رقم 4 يحتوي على الفئران التي أجريت عليها (واين سندر) تجاريه الناجحة الخاصة بالجيل الجديد من مرهם الجروح والحرائق.

تهاوت الفئران على الطعام. وكانت الفئران الشابة تستمر بدفع الفئران الهرمة إلى الخلف. ستقوم لاحقاً بالاقتراح على (واين) أن يفصلهم عن بعضهم.

قامت بملء المغارب بالمياه ثم عادت برفقة (سباروف) إلى جناح المختبرات.

- «الآن يمكننا الانطلاق» قالت (زوبي بورسل) ونظرت إلى من حولها.
-- «بقي شيء آخر» اتجهت (ياسمين) إلى (سندر) «(واين)، لماذا وضعت الحيوانات الفتية في القفص نفسه مع الهرمة؟ لم يعد بمقدور المسنين منهم حماية أنفسهم من الشباب».

- «وما عسى هذا أن يكون مجدداً؟» تذمرت (زوبي بورسل).
استدارت (ياسمين) صوب (بورسل) «لا شأن لك بهذا بتاتاً. لا تتحمي نفسك بهذا الموضوع!».

- «عن أي حيوانات شابة تتحدثين؟» سأله (واين سندر).
- «لا يزال هناك ثلاثة من الهرميين من سلسلة التجارب الخاصة بمرهم الجروح، على قيد الحياة...»
- «أنا لا أفهم...»

أدانت عينيها بعصبية، فقد كان ذلك طلب خاص من (واين) أن لا يمارس أي ضغط على تلك الحيوانات الستة المتبقية. لقد كان يعتني بتلك الحيوانات بشكل شخصي طوال مدة سلسلة الأبحاث، بل وقام بمخالفته كل

التعليمات بإعطائهم أسماء، حيث كان ذلك ممنوعاً، لتجنب بناء جسور عاطفية تجاه حيوانات التجارب.

- (واين)، هناك ستة فئران في القفص. ثلاثة منها هرمة، وثلاثة شابة وقوية.

خلال ثوانٍ معدودة أصبح وجه (سندر) محمراً بشدة. وانتفخ وريد عنقه كأنه خرطوم إطفاء الحرائق، ومحظت عيناه كأنهما ستخرجان من محاجرهما.

- «القفص رقم أربعة؟» سأله بصوت أشبه بالنعيق.

- «نعم».

ركض (سندر) خارج المختبر. اتجه نحو الجناح الخاص بحيوانات التجارب، ففتح كل الأبواب بقوة واجتازها جميعاً بعجلة إلى أن وصل إلى القفص رقم أربعة. التفت أصابعه حول القضبان. ستة فئران. ثلاثة هرمة وثلاثة شابة.

تکوم الكبار في الجزء الخلفي من القفص بينما كانت الفتية لا تزال تلتئم الطعام.

انتابه شعور غريب وشعر بالدم يهرب من رأسه ثم بدأ قلبه يخفق بسرعة. أحس بوخزات مؤلمة في منطقة الصدر، وبدا فجأة كأن حجراً ضخماً قد استقر في أمعائه.

وقف كل من (سباروف) و(سولفان) و(ياسمين) إلى جانبه فجأة، وبعد ثوانٍ حضر (ند بيكر) أيضاً.

- «ماذا حدث؟» سألهت (ياسمين) «إن الأمر كما أخبرتك به سالفاً، فلماذا يبدو عليك كل هذا الاضطراب؟

بدأ بالضحك. تبسم ثم قهقه ضاحكاً، ضرب بكفيه على قضبان

القفص. وتصاعد ضحكه حتى وصل إلى نوبة متشنجة، بدأ يهتز، تجمعت الدموع في عينيه ثم انهمرت على خديه.

استدار فجأة وتوجه نحو (ياسمين) وقام باحتضانها. كان جسده يرتعش. وضع رأسه على كتفها وتساقطت دموعه على عنقها.

- «أين أنتم؟ هل عاد ذلك المجنون أخيراً إلى صوابه؟» صاحت (زوي بورسل) أثناء دخولها إلى القاعة.

أخيراً ابتعد (سندر) عن كتف (ياسمين). وقد ظهر في عينيه بريق الانتصار، قبل أن يبصق باستعلاء أمام قدمي المديرة المالية.

- «من الآن فصاعداً، أنتظرك المزيد من الاحترام والتقدير» كانت عيناه تشع كأنهما حمم منبقة.

- «(واين)...» وضعت (ياسمين) يدها برفق على ساعده. استدار (واين) مجدداً نحو القفص.

- «يوم الخميس كان ما يزال في هذا القفص ستة فئران هرمة. وقامت بإدخال الحمض النووي بواسطة خليط صناعي جاهز من الليبوبورتين لثلاثة منها».

صمت الجميع، حتى الفئران بدت كأنها تجمدت في أماكنها، فلم يسمع صوت خشخشة أو حركة كالتى تصدر من أقفال الصدف عادة.

«هل تعني...؟»

- «نعم! هذا تماماً ما عنiate» صاح (سندر).

- «عن ماذا تتحدثان؟» كان صوت (زوي بورسل) المرتفع ينم عن توترها. لقد أدركت أكثر عندما فهمت ما قاله (سندر).

- «غالباً ما كانت تستعمل الفيروسات كنافلات للجينات. إلا أنه قام باستخراج الحمض النووي ومزجه بمادة نقل محضرة مسبقاً. هذه عملية بديلة. فهناك خليط جاهز للبيوبورتين خاص بتجارب نقل العدوى. وقد

قام بحقن ثلاثة من الفئران بذلك الخليط» بدت (ياسمين) كأن قد دخلت في حالة تنويم مغناطيسي، «والنتيجة ثلاثة فئران شابة وقوية...»

- «هل تعنين الحمض النووي المستخلص من العينات، التي تم سابقاً...»

- «من الكروموسوم 22 الإضافي، نعم»، نظرت (ياسمين) إلى (سندر) برببة «هذا ما عنديه، أليس كذلك؟»

أو ما (كريس) وابتسم بزهو. لقد أصبح النجم منذ اللحظة.

- «أنا لا أكاد أصدق» قالت (ياسمين).

- «ولم لا؟» ضحك (سندر) وصفق بيديه من شدة الفرحة. «نحن نعلم، أن ذلك الكروموسوم الذكري الصغير والمتقزم يمتلك القدرة على إعادة ترميم نفسه. وهذا الكروموسوم الذكري المتضخم لابد أنه ممتلئ بالجينات... أليس ما نراه هنا، دليل على ذلك؟ انظري إلى الفئران... إن هذا الكروموسوم الذكري يعمل على التجديد بشكل تام».

الكتاب الرابع

النَّهْرَةُ

«وهذا ابتدأوهم بالعمل والآن
لا يمتنع عليهم
كل ما ينوون أن يعلموه»

سفر التكوين

الفصل التاسع والعشرون

(فونتينيلو)

ظهيرة يوم الأحد

- «على الأقل أتى في موعده» تتم (هنري مارفن) أثاء تقدم سيارة السيتروين التي كان قد أرسلها إلى المطار. رُسمت على وجهه ابتسامة المنتصر بينما كان يضغط بقوة على يد المونسينيور(تيساني).
شعر المونسينيور بالألم، إلا أنه لم يقطب وجهه، بل أخذ يتأمل رداء (مارفن) بابتسامة متعالية.

- «رداء جوفة الكنسية المصنوع من أجود أقمشة الكانتاتا، المشغول بالمطرزات الثمينة. ليس سيئاً يا عزيزي (مارفن). أتعلم أنه كان يتم ارتداؤه مع غطاء للرأس؛ للحماية من الأمطار، وأنه يعكس ثراء مرتديه؟» أشار (تيساني) إلى اليافة المحبوطة بالرقبة كأنها الدرع.

- «أنا أعرف تاريخ هذا الزي بشكل جيد جداً، عزيزي (تيساني)» -
تلعب (مارفن) باللمحات- «تم تطويره من قلنسوة الراهب في العصر الكارولنجي...»

- «إذاً أنت تعرف أيضاً، أن قساوسة اليوم يرتدونه في الاحتفالات الطقسية التي تجري في الهواء الطلق. لا يكفيك القيادة العالمية للجمعية؟ أتريد أن تصبح قساً أيضاً؟» رمقه (تيساني) بنظرة ماكرة.

- «قمة رأس البابا الجديد تفتقد إلى الناج، الذي يعتبر رمز القوة العالمية. ولهذا إن (بندكت) أول بابا في العصر الحديث يتنازل عن ذلك. هل تريدين أن تكون أكثر من البابا؟»

كتم (مارفن) غضبه الذي بدأ بالتصاعد مستعيناً بفكرة، أن (تيساني) يحاول اختبار قدرته على ضبط أعصابه. ستكون إشارة جيدة، إن قامت (روما) بالتفاعل مع اتصاله بشكل سريع. خلافاً لكل الرياء السابق فإنهم كانوا بالتأكيد مهتمين بما كان قد عثر عليه.

- «لديك من يدعوك، عزيزي (مارفن). أما أنا فلوحدي» أو ما (تيساني) إلى (إريك مايكيل لافاليه) و(برانداو)، اللذين كانوا يقظان متظربين خلف (مارفن).

قبل (مارفن) بذلك السبيل وأشار إلى الخلف.

- «المونسينيور (لافاليه) يعتبر يدي اليمنى ويشرف على حملتنا الدعائية المقبلة. إضافة إلى أنه خبير في اللغات القديمة. أما اللطيف (توماس برانداو)، فهو رجل الكنيسة مثلك. وهو أيضاً يستطيع قراءة اللغات القديمة. كما أنه يدعم شؤون البريتوريانيين في (برلين)».

- «هكذا إذا».

أمال المونسينيور رأسه على رقبته وأخذ يتأمل المبنى الرئيس. لقد تم بناء ذلك القصر المنفصل ذو الواجهة التي تعكس بتصميمها عصر النهضة، في نهاية القرن التاسع عشر. يزيد طوله عن سبعين متراً وعرضه عن العشرين متراً ومقسم إلى خمسة أجزاء. كانت الأبنية على جانبي القصر مكونة من طابق واحد، ثم تتبعها أجزاء مبنية على طابقين قريبة من منطقة الوسط، التي ترتفع في الوسط لتصبح ذات طوابق ثلاثة.

ولقد زادت النوافذ الضيقة والعالية من الشكل التصاعدي للبناء، بينما ارتفعت مداخل المدافئ على أسطح بعض الأبنية، عالياً باتجاه السماء.

- «إن أعمال الترميم التي قمتم بها رائعة حقاً» تتم قس الإدارة
البابوية الرومانية.

- «يتاسب مع البريتوريانيين» قال (مارفن) برضأ وأرشه إلى
الطريق.

- «أنت تعلم كيف يفكر منافسك حول هذا». تتم المونسينيور.

- «ليس لدى منافسون أخواهم» ضحك (مارفن) بثقة.
فالبريتوريانيين متعددون في الرأي، أن الأمور في (روما) يجب أن تسير
بشكل مختلف...».

كان (مارفن) قد قرر منذ أكثر من عقد من الزمن أن يبني مركزاً
للبريتوريانيين في (فونتينبلو)، حين عُرض عليه هذا العقار الهائل، على بعد
نحو خمسين كيلومتراً جنوب شرق (باريس).

هذه المدينة التاريخية، التي أعلن (نابليون) من قصرها تنازله عن
العرش، تقع على بعد مناسب عن (باريس) بخطوط مواصلاتها العالمية.
وبالرغم من ذلك كان الموقع الذي يقطنه ما يقارب العشرين ألف نسمة
يوفر الهدوء، ويعيد بشكل ملائم عن ضجيج العاصمة.

- «منافسك يدعون أنك بهذه الطريقة تقوم بتبذيد أموال
الجمعية!».

- «هراء. لقد كانت فرصة جيدة للشراء. ولكن في النهاية يقومون
بقلب الحقائق» لقد أتاح (مارفن) بهذا الشراء الفرصة لكونت مفلس، أن
يعيش أمسية فاخرة بعد أن فقد كل ما تبقى من ثروته بسبب المضاربة في
البورصة.

كان العقار يقع بالقرب من (فونتينبلو) مختبئاً عند طرف منطقة
للاستجمام تبلغ مساحتها 25000 هكتاراً، تعتبر بفخامتها المتسعة ذات أشجار
البلوط، والصنوبر، والزان، مقصدأ محباً للباريسين. كما تعتبر التشكيلات

الفريدة للأحجار الرملية حافزاً مشجعاً لقدمه هواه التسلق، ويعتبر من الصعب فقدان شخص في هذا الجزء من مساحة الغابات.

دخلوا المبنى الأوسط من القصر، الذي كان يضم منطقة الاستقبال، بينما كان هناك ممران على اليمين واليسار يقودان إلى الغرف.

- «ماذا حدث بشأن الاعتراف بالأخوية؟ هل استطعنا التقدم خطوة إلى الأمام؟».

كانا يتناولان طعامهما في إحدى الغرف الأمامية بينما كان (تيساني) بانتظار ذلك السؤال.

- «بلا شك، سيكون هناك دعم أكبر لجمعية بريتوريانين الكتاب المقدس، إن أصبح لديهم في القمة، أحد القساوسة المرسومين كما الحال مع (الأبوس داي). لابد أنك ستسامحني على صراحتي».

- «لحسن الحظ لا تقوم الإدارة البابوية في (روما) بتقرير كل شيء». رد (برانداو).

- «الأبرشيات الألمانية معروفة بموافقتها الناقدة والحاسمة في بعض الأحيان».

أجاب (تيساني) بابتسامة خفيفة: «ولكن على ما ذكر إن قدرة الإدارة البابوية الرومانية على الإقناع كانت دائماً لا تظهر».

احتكم فكا (مارفن) ببعضهما مصدرين صوتاً، كأنهما رحى طاحونة عملاقة. كان (تيساني) مقدم الالتماس ويتصرف كأنه صاحب الأرضي. إن لم يقدم الإجابات الصحيحة، فيمكنه المغادرة فوراً.

- «هناك بعض الوشاية في الفاتيكان، الذين يحاولون إقناع قداسة البابا أن منح البريتوريانين صفة أخوية أو مطرانية خاصة سيعطي إشارات خطأة. فظهورهم المفاجئ سوف يزعزع الحل التوافقي والهدوء السائد بين الكنيسة والعلم».

- «إن سألتني، فإنه هدوء مميت» أخذ (مارفن) رشفة من النبيذ الأحمر ثم طقطق بلسانه مستحسنأً طعمه.
- «سنزلنل العالم».
- قطب (تيساني) وجهه. «ماذا ينوي هذا المجنون أن يفعل؟»
- «سيأخذ الأمر وقتاً أكبر مما قدرنا. فالبابا مشغول جداً بأمور أخرى، ومن غير المتوقع أن تصدر الموافقة قبل انتخابك...»
- «ولماذا أنت هنا إذأ؟» صاح (مارفن) فاقداً أعصابه «هل تحاول خداعي مجدداً كما حدث في (مونت كاسينو)؟» ضرب بقبضته على الطاولة، حتى انقلب كأس النبيذ خامته. فانسكب النبيذ كأنه بركة من الدماء انتشرت على مفرش الطاولة المصنوع من الحرير الدمشقي.
- رفع (تيساني) يديه بإيماءة استرضائية.
- «ولكن إن كان استحقاق الأخوية فعلاً على هذا القدر من الأهمية...؛ لهذا أنا هنا للتحقق...»



- اكتظت الكتب على الرفوف التي كانت تغطي جدران الغرفة المزخرفة بشكل مكلف وقد حُفر عليها مشاهد من الكتاب المقدس.
- اصطفت الكتب إلى جانب بعضها البعض، إلا أنها كلها كانت نسخاً متعددة لكتاب واحد.
- الكتاب المقدس.
- «يقوم البريتوريانيين بجمع النسخ المختلفة للكتاب المقدس من أنحاء العالم. أنا شخصياً أقوم بمتابعة عملية الفهرسة مع أحد المؤرشفين المختصين».

أو ما (مارفن) لـ (لافاليه) و(برانداو) «إنك ما تزال لا تعرف هذا،
الليس كذلك؟»

وقفوا أمام منطقة فاصلة عند منتصف أحد جدران رفوف الكتب.
كانت مكتبة زجاجية بارتفاع مترين تقريباً، تملأ ذلك الفراغ. برزت المكتبة
مسافة نصف متر إلى الأمام باتجاه الغرفة، بحيث يمكن رؤية محتوياتها من
ثلاث جهات. بدا من الحساسات الصغيرة التي يمكن رؤيتها من خلال
الزجاج، أن المكتبة كانت مؤمنة إلكترونياً.

أرضيات زجاجيتان، كانتا تفصلان القسم العلوي من المكتبة.
على تلك الأرضيات وقفت حاملات صغيرة تشبه حاملات النوتة
المusicية. كانت هناك اثنان منها على الجانبين وحاملة واحدة في الجهة
الأمامية على كل من الأرضيتين.

وضعت عشر أوراق مخطوطة على الحاملات كتبت عليها رموز
تعابيرية بخط اليد، بدت أقرب إلى الرسوم منها إلى الأحرف. وكانت الكتابة
ذات لون باهت.

- «كما تعلم، إن النسخة المدونة بخط اليد المعروفة باسم المجلد (19A الكوديكس) والمعروضة في المكتبة العامة في (سانت بطرسبرغ)، تعتبر
عموماً أقدم مخطوطات الكتاب المقدس» قال (مارفن).

- «المخطوطة البترولييتانية، أقدم نص أصلي كامل باللغة العبرية»
تمتم (لافاليه).

- «كتبت من قبل الماسوريين، الذين تمكنا من قراءة ما تم تدوينه
بالحروف العبرية الساكنة، في أقدم نصوص الكتاب المقدس». بدا الحماس
العلمي في نبرة صوت (لافاليه).

- «في إحدى النقاط العلمية لا بد لي من معارضتك، يا (لافاليه).
الحقيقة أن مجلد حلب الذي يشمل العهد القديم يعود لعدة عقود قبل

ذلك، وبذلك يكون أقدم نسخة للكتاب المقدس الأصلي». وقف (مارفن) بذراعين مفتوحين أمام المكتبة، بينما كانت لغة جسده الممتئ توحي بشعوره اللامتناهي بالفخر.

- «لكن للأسف لم يكن كاملاً» ابتسם (تيساني)، «وهذا ما ركزت عليه إجابة (لافاليه). أليس كذلك؟»

- «لقد وجد كاملاً، واحتوى على النص العربي الأصلي للكتاب المقدس، إلا أنه كان من حيث التوسيع أقل بشكل ملحوظ من نص التوراة اليونانية ليهود الشتات» تبسم (مارفن) بثقة.

- «لا يهم. فبالنسبة لنا نحن المسيحيين الكاثوليك تعتبر النسخة اللاتينية للكتاب المقدس هي الحاسمة».

- «لا تزعج بهذه السرعة يا مونسينيور (تيساني)» ضحك (مارفن) باستمتاع «نحن هنا لا نشكك بالعقيدة. أنا أتحدث عن أمر ثقافي تاريخي فريد».

ضحك (لافاليه) بسخرية، «الحقيقة على أي حال، هي أنه لا يوجد كتاب مقدس واحد. ولم تكن ترجمة (هيرونيموس) التي تمت في القرن الرابع، سوى محاولة لإزالة الفروقات بين نسخة التوراة العربية والنسخة اليونانية». رفع المونسينيور يديه، «إلى أي من النسخ التوراتية تعود هذه المخطوطات؟».

- «إنها عشر صفحات من مئة واثنتين وتسعين صفحة مفقودة من مجلد حلب» ارتعج صوت (مارفن) لشدة اعتزازه.

أزاح المونسينيور (تيساني) بحركة متکبرة (لافاليه) من مكانه وحدق بصمت في المخطوطات.

- «من أين أتيت بها؟» نطق (تيساني) الكلمات بطريقة متقطعة وممدودة لشدة توتره.

- «هذا سري» ضحك (مارفن) بفخر. «في عام 1947 حرق كنيس حلب، بعد أن قررت الأمم المتحدة تقسيم فلسطين وإنشاء دولة (إسرائيل). وقد لحقت أضرار كبيرة بالمجلد. وتم تقطيعه إلى أجزاء، وقام أعضاء المجمع يأخذاء أجزائه. وقاموا بتهريبها في عام 1959 عبر (تركيا) إلى (القدس). فقط مئتان وخمس وتسعون صحيفة من أصل أربع مئة وسبعة وثمانين، هي التي وصلت إلى هدفها».

- «وهذه هنا ...»

- «حسناً، عشر من الصحف التي فقدت موجودة هنا» - كان صوت (مارفن) يخفي نبرة تهديد مظلمة - «أردت فقط أن أثبت لك بذلك، أن البريتوريانيين يأخذون مهمتهم على محمل الجد. والآن علينا التعامل مع مستنقعات الكفر».

ضغط (مارفن) على أحد أزرار جهاز التحكم عن بعد، فانزلق باب فاصل بهدوء تام تقربياً. في الحجرة الخلفية، كانت هناك طاولة ومجموعة من الأرائك الجلدية.

أخيراً توقف الأزيز الخفيف الناتج عن المحركات الإلكترونية. وكأن أيدٍ خفية قامت بانزال المخاريط الضوئية من السقف إلى الأسفل لسلط حزمة ضوئية على سطح الطاولة التي وضع عليها إثني عشر لوحًا طينياً، وثلاثة عظام، ومسمار أساس من الطين.

تقدّم (مارفن) من الطاولة ومد يده، تردد ثم عاد وأرجعها ببطء إلى الخلف. «للأسف علينا الاهتمام بهذه الأشياء حالياً أكثر من بقایا توراة حلب» بدا صوته ثخيناً واجتاحت جسده قشعريرة. ثم أعاد السيطرة على نفسه. تتحى جانباً وجلس بوجه عابس على إحدى الأرائك. أمسك (لافقاليه) بالمخطوطات المدونة يدوياً، التي كانت على الطاولة إلى جانب الألواح.

- «هذه أيضاً كنوز لا تقدر بثمن».

- «كيف يمكنك أن تضع نصوصاً وثية نُقشت على ألواح طينية على المستوى نفسه مع الكلمة الرب خاصة؟ (لافاليه) توقف!» قاطعه (مارفن) بشكل حاد. بدأ الشك يتسلل إليه. أين كانت روح البريتوريانيين؟ مازال على (لافاليه) أن يخضع لاختبار الاستحقاق... ولابد أن يتم ذلك بسرعة. بالرغم من الكلمات المُحذرة، ابتسم (لافاليه) برضاءً تام. جمع الصحائف بين يديه وقام بلفها. «المونسينيور (برانداو) وأنا قمنا في مرة سابقة بدراسة هذه النصوص ومقارنتها بالترجمة المجتزأة التي أحضرها المونسينيور (برانداو) معه من (برلين)».

- «وماذا كتب في تلك الألواح؟» قال (تيساني) بينما كان يتلمس بهدوء أحد الألواح بأصابع يده اليمنى.

أثناء ذلك سقطت عيناه على العظام.

- «انتبه إلى العظام» تذكر آخر كلمات أوصاه بها قداسة البابا.

- «دعنا نبدأ بنصوص نبوخذ نصر الثاني. وحسب علمي هي أول النصوص التي عُنِيت بوصف معركة نبوخذ نصر مع (الكيش)، إضافة إلى أنها فسرت أسباب تلك الحرب».

بدا (لافاليه) كأنه يتضخم. أصبح جسده مشدوداً وانتقلت ارتعاشات فرحة إلى نبرات صوته. ثم بدأ يقرأ:

((أنا هو نبوخذ نصر ملك بابل، الأمير المجل، المقرب من الإله مردوخ، محبوب الإله نبيو المفكر الساعي إلى الحكم، الذي يخطو على خطاهم الإلهية، ولا يزال يجل عظمتهم، راعي المدينة، الذي لا يكل، والمهموم بالحفظ على إيزاجيلا وإيزيدا، الولد البكر ملك بابل نبو بولاصر.

منذ أن ولاني كبار الآلهة مردوخ ليصبح جلالتي ملكاً على قومي

وائتمني بالسيادة على كل الأمم. ومنذ أن وضع نبيو، حامي كل السموات والأراضي، زمام الشعوب في يدي ومنحني صولجان الصالحين لأدير أمورها وأدعمها بكل ما أوتيت من قوة. أصبحت أجلهم وأهتم بألوهيتهم.

أقدر مكانتهما المقدسة. وأمتلئ بالرهبة والوجل أمام الإله والآلهة عند ذكر اسميهما. فبعظيم عونهما تمكنت من الوصول إلى الأرضي البعيدة، والجبال المتطرفة من البحار العليا إلى البحار السفلية، عبرت الdroوب الوعرة والسبل المسدودة، التي كان من الصعب تخطيها ولم تكن الأقدام ثابتة عليها، طرقات مليئة بالتحديات والمعطش.

تغلبت على الثنائيين وقامت بأسر الأعداء. حفظت النظام في البلاد ومنحت الشعب عيشاً رغيداً. وأبعدت كل من هو سيئ وشرير من الشعب. وجلبت إلى مدينتي بابل كل غالٍ ونفيس من الأحجار الكريمة والذهب، أكواخ متألقة، منتجات الجبال وكنوز البحار، وكميات ضخمة من الهدايا والعطایا)).

تنهد (لافاليه) متعباً، ثم صمت قليلاً قبل أن يشرع بالتوضيح «لم تحتوا الألواح الأولى، التي تعود إلى ملك (بابل) على أكثر من تصوير وتبير وجود ملّكه. لا شيء جديد، فهذا أمر مأثور من ألواح أخرى وملوك آخرين، ولكن بالطبع تعتبر أيضاً من الكنوز» ابتسم ووقف إلى جوار الطاولة، كأنه مركز المجموعة الشمسية.

أومأ (مارفن). فهو لم ير (لافاليه) في مثل هذه الحالة من قبل. حيث بدا كأنه ممثل مسرحية يتارجح في أداء دوره بين الحركة والهدوء، ويمزج في محاضرته بين النبرات العالية والنبرات المنخفضة، عاكساً بذلك لوناً من الحيوية، كأنه هو المقصود بكل ذلك التقديس.

- «اسمعوا ما صرخ به نبوخذ نصر الثاني لأجل الإله مردود، كبير الآلهة والراعي الأعلى.

- ((قال مردوخ: ملك وراعي بابل. بعد الطوفان الكبير نقل الآلهة المملكة إلى كيش، لمعاقبة الرعاة السيئين ولتوحيد الرعية على طاعة الآلهة وتشييد مملكة عظيمة.
والأَن خضعت البَلَاد لِلذَّلِّ، وَضَعَفَتِ الْمَلَكَة، خَانَهَا الرَّعَاة السَّيِّئُون. وَتَمَّ نَسْيَانُ إِرَادَةِ الْآلهَةِ.

وقال الإله مردوخ: أيها الملك وأيتها الرعية، قدسوا إلهكم، وحدوا الأرضي، أجعلوا بابل قوية واحترموا وحافظوا على إرث المملكة. فإن بابل هي الفأس وأداة الحرب، لدحر شعوب وممالك لا تطيع أمر الآلهة. قدس راعي كيش، الذي أعطي الملك من قبل، كأول من وحد الرعية لخدمة الإله واتباعه.

اسمعوا كيف كان نبوخذ نصر يمجد إلهه: اتجهت نحو الشرق ودحرت الكيش، قمت بتوحيد المالك والرعية، ظهرت المعبد وأحضرت عظام الراعي إلى بابل. بنيت معبداً لتمجيد نينورتا. قدست مردوخ وأحضرت له الألواح السبعة وعظام الراعي، كدليل على ولائي له. عادت القوة إلى بابل من جديد، وكذلك عادت سلطة الملكية، بحيث تتجلى قدرة مردوخ للشعوب، ليقدسوك ويمجدوك ككبير للآلهة. وكانت أنا خادماً مطيناً وراعياً صالحأ.

أيها العظيم مردوخ، ابن الآلهة والإله الأكبر، تقدس اسمك، يا من أعطيتني القوة والعلمة)).

أنهى (لافاليه) كلامه بصوت مرتفع ويدين مرفوعتين بشكل مثير للعواطف، ولم ينزلهما حتى تأكّد من التأثير الذي أحدثه على مستمعيه.
- «هل تعرف عالم الآلهة الخاص ببلاد ما بين النهرين؟» سأّل بابتسامة مائلة.

- «حدثنا عنها إن كان الأمر سيفيدنا» تعمّم (تيساني)، الذي أخفى

ارتياحه خلف عينيه المحجوبتين. فحتى الآن لم يُذكر أي شيء يمس نصوص الكتاب المقدس.

- «مردوخ هو في الحقيقة مجرد إله لمدينة (بابل). ثم يرتفع فيما بعد ليصبح المسيطر على جميع الآلهة. وكلما زادت عظمة إله مدينة ما، كلما زادت قوة ملك تلك المدينة. وبصعود (بابل) بدأ أيضاً صعود مردوخ أو العكس. يمكنكم فهم ذلك كييفما شئتم».

- «جيد، تابع...» ارتجفت اليدي اليمنى لـ (تيساني) لشدة نفاذ صبره.

- «إلا أنه لا يمكن للمرء الوصول إلى الهيمنة الكلية الرمزية إلا بالسيطرة على (كيش)، حيث من المفترض أنه بدأ الحكم الملكي» لم يكن بالإمكان إيقاف (لافاليه). فقد تفجر، كأنه نافورة تحت ضغط هائل. «لقد كان (نينورتا) إله المدينة في (كيش)، إضافة إلى كونه إله الصيد وال الحرب، وإله الزراعة والتكاثر. وهو يماثل (زبابا)، كما يطلق على إله (كيش) أحياناً. ويمكنكم اعتباره منافساً لمردوخ. والحقيقة أنه عندما قام نبوخذ نصر الثاني بإعادة إعمار (بابل)، بنى معبداً لـ (نينورتا)، إلا أنه كان وبشكل ملحوظ، أصغر حجماً من المعبد الذي شيده مردوخ إله مدينته. وكان لهذا أسبابه التي دونت في الألواح الستة القديمة» ابتسם ببرضاً.

- «وماذا عن الألواح الستة الأقدم؟» نظر (تيساني) إلى (لافاليه) بفضول.

- «حسناً، الألواح الستة الأقدم لا تعود إلى نبوخذ نصر. إنها تعود إلى عصور قديمة لا يوجد لها سجلات حتى يومنا هذا. إنه أمر مذهل! فالألواح الستة الأقدم التي تم العثور عليها حتى الآن، تعود إلى زمن أقدم من ذاك بكثير. هل تسمعون؟».

- «هذا ما قاله (نينورتا)، ابن إثيل، رسول الآلهة وإله (كيش): ((أيها الإنسان، يا مخلوق الآلهة، أبلغ أصحاب النفوذ: اسمعوا ما يقوله

نينورتا، الرب، باسم جميع الأرباب: قبل الطوفان العظيم سخرتم من الآلهة. كنتم سائين. فلقد خلقتم لخدمة الآلهة، ثم اعرضتم عن ذلك. فأنزل الأرباب حكمهم. الطوفان العظيم كان سيد مركم. إلا أن إنكي تصرف بمفهومه الخاص وأبلغ زيوسودرا فتم إنقاذه.

أردتم أن تحسنوا من أنفسكم. هكذا قال الرعاة للرعية، ولكن بدلاً من أن تهتموا بالرعية وأن تقدسوا الآلهة، فكرتم بعد الطوفان بأنفسكم فحسب. وعليكم الآن التكفير عن ذنوبكم!

فلقد بقيتم سائين، بدلاً من أن تكونوا شاكرين. شربتم حليب الأغنام وصنعتم من صوفها لباسكم ونحرتم أفضل الماشية. ولكنكم لم تهتموا بتحسين مراعيكم. فلم تساعدوا الحيوان الضعيف ولم تعالجو المريض. لم تعتنوا بالماشية الجريحة أو المبعثر منها، ولم تبحثوا عن التائبين. ولأن لخراطي رعاة سائين، أضلوا الطريق ووقعوا فريسة الحيوانات الضارة. وضاعت إرادة الآلهة في عالم النسيان.

لهذا اسمعوا ما سيقوله لكم نينورتا باسم الآلهة: لن أبقى طويلاً أنظر إلى أفعالكم. فسوف أحاسبكم. لا يمكنكم أن تبقو رعاة. سأعزلكم، ولن تستمروا باستغلال شعبي والاستخفاف ببارادة الآلهة. سأوكل أمر رعيتي لراعٍ جديد. وسيقودها عبر المراعي ويعتني بها ويحترم إرادة الآلهة.

بحثت في كل مكان عن من يستطيع حمل هذه المسؤولية. ولقد وجدته. أنا نينورتا سأصبح الحكم والراعي الذي سيتبع إرادتي سأنصبه ملكاً عليكم. أنا الرب الذي سيُسبب ذلك.

ولقد اختارني أنا الراعي من الصحراء الغريبة، ابن الإنسان ومولود عشتار، لإتمام ما لم يتمكن حكامكم من إنجازه.

قال لي الرب: خذ عصاً واكتب عليها: حاكم (كيش) وشعبه. ثم

خذ عصاً ثانية واكتب عليها: حاكم ماري وشعبه. ثم خذ عصاً ثالثة واكتب عليها: حاكم الأكاديين وشعبه. ثم خذ عصاً رابعة واكتب عليها: حاكم إسين وشعبه. ثم أمسك بالعصي الأربع مجتمعة بحيث تبدوا كأنها عصاً واحدة.

يا ملك كيش، وحد الرعية لتشيد مملكة عظيمة وتذكر: عدم تقدير الهم وتجديف به، تقديم الأضاحي لآلهة زائفة، القتل، السرقة، الخيانة الزوجية، الحلف الكذب، كل تلك خطايا يجب على الشعب نبذها. أيها الراعي، وجه الحكام والرعية لتقدير الهم وتجديفه)).

- «هنا انقطع النص» تتم (لافاليه) باء عباء.

هز (تيساني) رأسه. كان وجهه متوجراً «على ألواح سومرية»، النموذج البدائي للوصايا العشر على أحد أقدم ألواح السومرية. تكشف السرقة الأدبية في الكتاب المقدس! سعل (لافاليه) لأنه قام بتحميل حباليه الصوتية أكثر من طاقتها.

- «الكتاب المقدس الذي وجد في حلب»، مخطوطات الفاتيكان والنسخة اللاتينية للإنجيل، كل تلك هي نفائس بالنسبة للمسيحية واليهودية. ولكن هذه هنا تعتبر كنزاً بالنسبة للبشرية كافة. أي المتأسف ذلك الذي سيرث هذه ألواح؟

قفز الناشر واقفاً، «مونسينيور (تيساني)، هل فهمت الآن ما أعنيه؟» وقف مبعوث البابا بعينين مغلقتين إلى جانب الطاولة متلمساً برؤوس أصابعه إحدى العظام.

- «النص ليس كاملاً» قال (تيساني) فجأة.

- «ماذا تعني؟» نظر (مارفن) حوله بغضب.

- «الألواح الستة التي تعود لنبوخذ نصر وستة أقدم تعود لملك

(كيش) ذاك، مجموعها إثنا عشر لوحًا». صمت (تيساني) ثم تابع تتمنته بعينين مغمضتين «(... أحضر له الألواح السبعة وعظام الراعي كدليل على ولائه له)). هذا ما تضمنه أحد السطور الأخيرة التي تلوتها لتوك علينا. إنها لا تزال تتردد في أذني. أحد الألواح القديمة ما يزال مفقوداً أين هو، وما الذي يحتوي عليه؟»

- «انتظر لحظة» في عجلة بحث (لافاليه) بعينيه بين سطور النص المترجم على أوراقه.

فتح (تيساني) عينيه وحدق بالعظام.

- «ومن هو صاحب هذه العظام؟»

الفصل الثالثون

(فونتينبلو)

مساء الأحد

«سيقتلوننا، إن بقينا على هذه الحالة طويلاً فسوف نموت جوعاً» قال (بونتي) بنبرة صوت مملة ورتيبة بينما كان يلعب بقطعة من الإسمنت الجاف بين أصابعه.

جلس على الأرض الحجرية للزنزانة متکأً بظهره إلى الجدار. كان وجهه نحيلًا وغائراً. فقد كان عليه أن يجوع منذ اعتقاله قبل أكثر من أسبوع، حيث لم يكن يقدم له سوى كميات مدروسة من الماء. تحرك (كريس) بقفزات على طول جدار الزنزانة مستنداً بيده إلى الحائط. كانت الآلام تجتاحه على شكل موجات. أطبق أسنانه على بعضها البعض، يئن ويشتكي محاولاً باستمرار جعل جسده أقل حساسية للألم. ومع كل موجة من الألم كانت تتصاعد الذكريات في رأسه. كأنها مقاطع غير متابعة من فيلم سينمائي. دارت ذكريات الأيام الماضية في خلده. في البداية (ياسمين) ثم (فورستر) وفجأة تلك الهيئة الضخمة للمدعاو (شارف) الذي قابله في (ميونخ).

لقد بدأ كل شيء نتيجة تصرفاته الغير محسوبة في تلك الليلة. لو أنه صمت آنذاك لتمكن من الحصول على الأجر الإضافي وربما استطاع أيضاً

كسب بعض الزبائن الجدد. إلا أنه بهذا لم يبق أمامه خيار آخر، فابتاع الطعام المسموم الذي قدمه له (فورستر) على أنه شريحة من اللحم الطري. رأى أمامه مجدداً جمع الحضور بملابس السهرة والمائدة الفنية الممتدة على طول الجدار، أخذ الجوع منه كل مأخذ. فحتى هو لم يقدموا له سوى حصة من الماء.

يمكنه هنا أن يجرب كيف أن الصوم يطهر البدن والروح، هكذا قالوا له.

- «لماذا لا يقومون باستجوابنا؟» سأله (كريس) ليشغل نفسه عن الألم.

- «ربما سيأتي هذا لاحقاً» قال (بونتي)، الذي كان يرافق (كريس) بملل «لا تستعجل».

كان (كريس) يعتمد تمديد عضلاته بشكل مستمر، ويشد جسده ضاغطاً على أسنانه كلما اجتاحته آلام الوخز في قفصه الصدري. فإن أراد الفرار فلا بد من أن يكون بمقدوره الاعتماد على جسده.

- «عليك أنت أيضاً أن تفعل شيئاً» أجاب (كريس). بدا له (بونتي) غير مبالٍ تماماً. ربما سيصبح هو أيضاً على هذه الحالة بعد مرور أسبوع على وجوده في هذا المنفى.

- «إن كان ما قلته صحيحاً، فلماذا لا ينجزون الآن ما ينبوون إنجازه على أي حال؟ لماذا لم يقوموا بقتلك فوراً؟»

- «إنهم يستمتعون بساديتهم. متطرفون. ربما يحلوا لهم رؤيتنا نتعذب على هذا النحو». تهد (بونتي) باشمئزاز «فحتى الآن لم يتيقنوا بعد إن كانوا ما زالوا بحاجتي. والآن حصلوا عليك أنت أيضاً. أصبح لديهم كل شيء».

- «ليس لدى الرغبة أن أبقى نادباً في هذا الجُحر» فكر (كريس) بـ

(ياسمين). اشتم رائحة عطرها، حلم بحركاتها المتهادية في المطبخ عندما لامست جسده. كم مر على هذا؟ خيل إليه للحظات أنه يشعر بلمسات أناملها الناعمة تمر بلطف على يده. اقشعر بدنه.

سمع صوت ضحكتها المشرقة في كل مكان. وكم تخيل في الأيام القليلة الماضية روعة الإجازة الأولى التي سيقضيها معها.

على متن سفينته (الإنديفور). تذوق طعم شفتيها الرطبتين ولوهله أصبح معها على شاطئ بحر الجنوب، ممددين على الرمال. انزلق بشفتيه على جسدها الناعم وتلمس لسانه كل سنتيمتر منه. يا له من حلم رائع.

- «هل تسمع هذا؟ أشرأب عنق (بونتي) وبدأ ينصل.

تلاشا وجه (ياسمين). سمع (كريس) صوت مقطقة خافتة وتمتمة شبه منخفضة، خطوات وضجيج ناتج عن جر شيء ما على الأرض.

- «إن كان اعتقادك صحيحاً، فعلينا أن نباشر بالمحاولة...» بحث (كريس) عن عيني (بونتي).

- «موافق. كيف؟»

- «كيفما اتفق...» تمدد (كريس) إلى جوار (بونتي) على الأرض. «وحسب مساعدة عظامي»، فكر (كريس) في نفسه وحاول التركيز. بعدها بقليل وقف (مارفن) و(باري) والرجل ذو وجه التأليل أمام القضبان. فتح (باري) باب الزنزانة.

- «يا لها من رائحة كريهة!» استدار (مارفن) جانباً وبصق. يبدوا أنهم واثقون من أنفسهم تماماً. فلم يكن أحد منهم يحمل سلاحاً ظاهراً. إنها الفرصة!

جرّ ذو وجه التأليل مكبساً إلى داخل الزنزانة وأمسك بيده خرطوماً له طرف معدني. خلف الآلة اختفى خرطوم وسلك كهربائي في عتمة المر. - «أيقظهما!» وقف (مارفن) بقدمين متبعدين أمام باب الزنزانة.

ز مجر المحرك.

أصابت حزمة المياه المبعثة بقوة صدر (كريس). ضفت تلك القبضة الثلجية على رئتيه فكادت تفرغهما من الهواء. لهث وقفز صارخاً إلى الأعلى.

تلاشى الضغط فجأة واحتفى جسد (بونتي) تحت شلال المياه.

امتزجت صيحاته مع صوت الضحكات الصادرة من جهة الباب. ثم عادت المياه الباردة لتجلد جسد (كريس) من جديد. هذه المرة أصابت القبضة الثلجية الجزء العلوي من فخذ (كريس)، الذي انحنى إلى الخلف بفعل الضغط الشديد، فسقط (كريس) على الأرض.

لهث، بينما كان يحاول الوقوف مجدداً على قدميه، بينما هوى (بونتي) إلى جانبه على الأرض. وقف (كريس) مرتجفاً في الحجرة. كان الخاتم الثلجي ما يزال محاطاً بصدره، بينما تكوت المياه تحت قدميه كأنها بحيرات صغيرة.

- «توقف!» بدد الصوت الهادر لـ (مارفن) ذلك الستار العازل الذي كان يلف رأس (كريس).

- «تقدما إلى الأمام!».

كان (كريس) يرتجف وقد امتلأ حذاؤه بالمياه.

- «هيا! تابعا! هيا، توقفا!». راقب (مارفن) حركاتهما «يا لكما من تعساء. والآن إلى قوانين اللعبة! أنا أطرح الأسئلة وأنتما تجيبان، وإن لم تفعلوا...».

أصاب شلال المياه صدر (كريس) مجدداً. كانت الصدمة أشبه بضررية مطرقة، سقط مجدداً على الأرض. وبحاله من الذهول عاود الوقف.

- «أخبرنا عن تلك العظام يا (تسرنـت هـايـن)؟ وأين اللوح المفقود؟»

ماذا كان (مارفن) ي يريد منه؟ فلا (فورستر) ولا حتى (رامونا سولنر) أخبراه بشيء عن هذا. وحتى العظام، هو نفسه أراد معرفة المزيد عنها.

- «أنا لا أعرف أي شيء عن اللوح المفقود أو حتى أي شيء عن العظام».

رفع (هنري مارفن) يده.

بحركة يد بسيطة عدل الرجل ذو وجه الثاليل الطرف المعدني المثبت على الخرطوم. أصاب الشعاع المائي (كريس)، هذه المرة عند عظمة الترقوة. كان من غير الممكن احتمال قوة الشعاع المائي المعدل من مسافة قصيرة. هو (كريس) إلى الأرض بحالة أقرب إلى الإغماء؛ نتيجة وخز الألم الشديد.

- «توقفوا عن هذا الهراء!». صاح (كريس). لقد جعلته شعلة الكره يستعيد وعيه من جديد.

- «أنا لا أعرف شيئاً. لا أعرف أي شيء!» ورغم آلامه قفز واقفاً وتحرك باتجاه (مارفن).

رفع الرجل ذو وجه الثاليل يده إلى الأعلى قليلاً. وبصورة غريزية أخفض (كريس) جسده ورأسه إلى الأسفل.

مرّ شعاع المياه القوي، كأنه طلقة فوق جلد رأسه. جعل (كريس) نفسه يسقط حين توجه الشعاع المائي إلى الأسفل.

كانت الضربة على مؤخرة رأسه هي آخر ما شعر به.

بدأ وعيه يعود إليه بينما كان مايزال ممددًا على الأرض. لمدة ثوانٍ لم يتمكن من التعرف على مكان وجوده، ثم سمع صوت (بونتي).

- «إنه لا يعرف شيئاً. ربما أستطيع أنا أن أخبركم، الشيء الذي تودون معرفته. ولكن هذا لن يكون مجاناً. فأنا مستعد لعقد صفقة صغيرة معكم. هل أنتم مستعدون أيضاً؟»

– «أنا دائمًا مستعد لعقد الصفقات» ضحك الناشر بازدراء «وخصوصاً عندما أكون أنا من يمتلك الأوراق الرابحة في يده. ماذا لديك لعرضه علينا؟»

– «كان (فورستر) كثوماً جداً. إلا أنني أعرف بعض الأمور». – «أخبرنا».

– «لقد اتفقنا على إبرام صفقة. ولهذا الغرض يستحسن توفير جو ملائم للمفاوضات». ابتسם (بونتي) بوقاحة. تنهى (مارفن) باحتقار.

كان (كريس) ما يزال ملقىً على الأرض. عندما غادر (بونتي) الزنزانة مبتسمًا وبخطوات مكبلة، بينما كان يقول: «في الواقع يوجد ثلاثة عشر لوحًا بالفعل».



تلاشى كل شيء إلى لون رمادي بلا حدود واضحة. اشتم (كريس) رائحة الرطوبة، بينما كانت برك المياه تتلاأ تحت الضوء النافذ من الممر. كان ملقىً على الأرض بمحاذاة الجدار، وقد انتزعت جميع ملابسه باستثناء سرواله الداخلي، في حين أن ملابسه كانت على بعد بضع خطوات منه. لقد قام بخلعها وعصرها للتخلص من المياه الباردة. كان جسمه يرتجف من البرد، وخیل إليه للحظات أن الصوت الذي يسمعه محض خيال. ثم رأى (كريس) ثلاثة أجسام بشرية تقف عند باب الزنزانة.

– «ادخل إلى هنا!».

دفعوا بـ(بونتي) داخل الزنزانة بقوة، فتعثر الرجل الإيطالي وهوى إلى الأرض، حيث سقط وجهه تماماً في إحدى برك المياه المجتمعة.

- «اللعنة! ما هذا؟»، صاح (بونتي).

دخل الرجل ذو وجه التاليل إلى الزنزانة وانتظر حتى قام (بونتي) على ركبتيه. ثم ركله بضررية قوية على جانبه، فسقط (بونتي) مجدداً على الأرض وبقي ممداً حتى غادر الرجل الزنزانة.

زحف بألم باتجاه الجدار ثم ساد الصمت مدة.

- «هل أتممت صفقتك؟»

لم يجب (بونتي)، بينما كان ينتزع بأصابعه قطعاً صفيرة من الإسمنت من الجدار.

- «لو أن الثياب الجافة هي كل ما حصلت عليه من صفقتك، فيبدوا أن المقابل قليل جداً، بالرغم من أنني أحسدك على تلك الثياب».

كان (بونتي) يرتدي بزة رياضية، وقد تبللت يافة قميصها حين سقط على المياه المجتمعة.

- «إنه وغد. وغد متعصب!».

والآن صمت (كريس).

- «إلا أننا قمنا بعملية تجارية» ابتسם (بونتي) ابتسامة المنتصر.

- «إذًا، لماذا أعادوك إلى هنا مرة أخرى؟»

- «لم يثق بي - يريد التحقق من صحة بعض الأمور التي أطلعته عليها - هذا ما كنت سأقوم به أنا أيضاً لو كنت مكانه. بل وأنت كذلك!».

- «ماذا أخبرته؟» كانت عضلات (كريس) ترتجف بطريقة تلقائية بينما كانت أسنانه ترتطم ببعضها البعض.

- «كل شيء، فليس لدى أي استعداد للتعرض للتعذيب. فلم أكن أتقاضى ذلك الأجر الضخم الذي يستحق كل هذه التضخيم».

- «وماذا الآن؟ بعد أن عرف كل ما لديك من معلومات؟»
- «الانتظار».

عاد الاشان للصمت مجدداً. مرت دقائق طويلة.

- «لم تخبره بكل شيء...»
تذمر (بونتي) بغضب.

- «لقد قلت سابقاً، أن هناك ثلاثة عشرة لوحأً فعلاً».
صمت (بونتي)، ثم بدأ فجأة بالتمتمة بصوت رخيم.

- «أردت أن أبيع الألواح. والظامام. ببساطة كل شيء. أردت أن أكون ثروة، أن أستقر وأن أنتقم لكل الإهانات والذل الذي عانيته مع (فورستر) على مر كل تلك السنوات الماضية. لقد كان خنزيراً... أم أنه تعتقد أنه كان قديساً؟ وكما قام باستغلالك، فإنه قام باستغلالي أنا أيضاً لسنوات طوال؛ للوصول إلى أهدافه الدنيئة. هكذا كان!».

تذكر (كريس) تلك النظارات المليئة بالكراهية التي كانت تشع من عيني (بونتي) عندما كانا لا يزالان في (التوسكانا).

- «لكن بظهورك أفسدت كل شيء».
- «أنا؟»

- «نعم، أنت» قال (بونتي) وزفر بقوه «هل تذكر حادثة السرقة؟»
- «نعم» كان (كريس) قد شك بـ (بونتي) بهذا الخصوص، ثم أسقط ذلك الشك فيما بعد، حين أخبره (فورستر) عندما كانا على طريق السفر السريع، أنه محل ثقة كبيرة بالنسبة له.

- «ذلك كان أنا. لم يكن هناك لص من الخارج. أردت فتح الخزنة وأخذ كل ما كان بها ثم الاختفاء تماماً. لقد كان المشتري ينتظر. ولكن ذلك الحقير (فورستر) قام بتغيير الشفرة قبل ساعات قليلة من ذلك. لقد كلفني الأمر أساييع للوصول إليه. ثم يقوم هو بتغيير الشفرة!».

شعر (كريس) بالحق مجددًا في حلقه.

– «إنك حتماً لا ترید القول أنك أنت من قام بمحاولة خنقني»
– «كان علي التخلص منك. فلم يخبرني أي شيء بخصوصك. كان علي أن أنهي خطتي. وتماماً في تلك اللحظة التي دخلت بها إلى غرفة المراقبة، كنت قد حكمت على نفسك بالموت».

– «لقد قمت بـ...»

– «طعنتك لي بالسکين؟ لقد كانت خارجية لحسن الحظ. رباط طبی وينطّال جديداً... وانتهى الأمر».

لقد كان شعوراً غريباً. فلم تؤثر اعترافات (بونتي) في (كريس). والآن بعد أن أقرّ بها (بونتي) بنفسه، بدا له (كريس)، كأنه كان يعرف ذلك طوال الوقت.

– «وأين كان رجل الأمن خاصتك؟ هل كان هو أيضاً مجرد خدعة؟»
زفر (بونتي) باحتقار.

– «مات. لقد قمت بقتله في الخارج، ثم أخفيت جثته في حوض خشبي كان موجوداً في الجهة الأمامية للمنزل. لم يكن قد مضى على وجودي في غرفة المراقبة وقتاً طويلاً حين نزلت أنت إلى هناك». ضرب (بونتي) بقبضته على الجدار.

– «أردت تكرار المحاولة في (جينيف)، إلا أن (فورستر) قام باستبعادي مجددًا. ففي الليلة التالية للحادثة، لم تغفل عيناه عن تلك المقتنيات. أردت أن أتمم خطتي في طريقنا إلى متحف (اللوفر) إلا أنه قام بترتيب الأمور بشكل معاكس، حين قام بتوكيليفك بتلك المهمة بطريقة سرية».

– «لم تكن تعلم بأي شيء من ذلك؟»

– «لا شيء. لا شيء عن الشبيه، لا شيء عنك، لا شيء عن (برلين)».

فقط في طريقنا إلى الفندق قام بالبوج لي بكل هذا. لقد كُبِّل يداي، فلم أعد عندها أستطيع التصرف. لقد تمكّن من تكبيل الجميع».

تذكرة (كريس) ذلك المشهد في مراب الفندق، حيث بدا على (بونتي) الحنق والاضطراب بوضوح، بينما كان يراقب انطلاقهم بالسيارة.

– «لماذا لم تحاول ذلك في مراب السيارات؟»

– «ربما لم تلحظ ذلك، لكن (فورستر) كان طوال الوقت يضعني تحت تهديد سلاح مجهزاً (فورستر) ماهر جداً في الرماية وتسديد الأهداف».

– «لماذا يا (بونتي)؟ لماذا؟»

– «المال، وليس سواه. المال الكثير» توقف (بونتي) قليلاً قبل أن يتتابع كلامه. «لقد سمحت أنت أيضاً لـ (فورستر) بشرائك».

– «أنا. نعم، مقابل مهمة توصيل، هذا هو عملي».

– «العالم بأسره قابل للشراء. وكلّ له سعره».

– «ألم يكن لك علاقة بحوادث السطو وهؤلاء الرجال هنا» تتمم (كريس).

– «كنت أريد أن أقوم بخطتي الخاصة... ولو أنها تجحت في (التوسكانا)، لما وقع حادث السطو ذاك ولا كنت لأجلس الآن هنا أشتاط غيظاً».

صمتاً.

– «ماذا تعرف عن اللوح الثالث عشر؟ ولن أردت أن تبيعه» ضحك (بونتي) في نفسه.

– «لقد تحدث (فورستر) في لحظة ضعف عن ذلك. الكثير من النبيذ. لقد اخترق أحد الألواح منذ نهاية العشرينات. إنه اللوح الثالث عشر. حاول جده سابقاً أن يبيع تلك الألواح. وأخذ معه اثنين منها كدليل إثبات. الأول والأخير. وقد ارتكب خطأً بهذا فقد بسببه اللوح الأخير

حصراً. الذي كان يوضح أهمية تلك العظام. هذا ما قاله (فورستر). وهذا اللوح موجود في الفاتيكان».

- «في الفاتيكان؟» فكر (كريس) بالتفصير الذي قدمته (رامونا سولنر). يبدو أنه صحيح. «وكيف لك أن تكون متأكداً إلى هذا الحد؟»

- «لأن (فورستر) أوحى لي بفكرة ما من خلال كلامه، قمت من خلال وسيط، بعرض الألواح والعظم على الفاتيكان ليشتريها مني. بدا لي للوهلة الأولى أنهم غير مهتمين، ولكنهم سرعان ما أصبحوا مستعجلين جداً لإتمام الصفقة.»

تنهد (بونتي) بغضب «ذهب كل شيء أدرج الرياح».

- «وأين يكمن السر يا (بونتي)؟»

- «إسأل البابا» أجاب (بونتي) بعد وهلة.

- «البابا؟»

- «نعم يا (تسرن特 هاين). لقد كان هناك قس من (روما) أثناء حديثي معهم منذ قليل...»

- «قس من (روما)؟»

- «لقد كان يسأل عن العظام بـالحاج. فهذا القس يا (تسرن特 هاين)، هو المشتري.»



فجأة حضر مجدداً إلى الزنزانة كل من (باري)، الرجل ذو الثاليل في وجهه، والآخر ذو الشعر الأحمر.

- « تعال إلى هنا » أشار (باري) بسلاحه باتجاه (بونتي). ثم عاد فوجّه فوهة سلاحه باتجاه (كريس) «أما أنت فعليك البقاء هنا».

كان (كريس) يستند إلى الجدار الخارجي، ولم يكن يرتدي سوى سرواله الداخلي، ويحاول مصارعة تلك القشعريرة الباردة التي كانت تهز كل عضلات جسده. كانت ملابسه المبللة ماتزال ملقة على الأرض.

- «داعاً يا (تسرفت هاين). يُؤسفني أن أذهب وأدعك هنا. لكن هكذا تسير الأمور في الحياة. لقد نجحت صفقتي».

ابتسم (بونتي) وتوجه نحو (باري)، الذي أومأ له برأسه أن يخرج من باب الزنزانة. مرّ الرجل الإيطالي من أمام (باري).

رافق (كريس) الرجال. حيث كان (باري) لا يزال يوجه سلاحه باتجاهه. ولكنه عندما استدار مركزاً تفكيره على باب الزنزانة... شد (كريس) عضلات جسده. رفع ساقه اليمنى قليلاً إلى الأعلى واضعاً كعب قدمه اليمنى على الجدار. كانت خمس، أو ست خطوات تلك التي تفصله عن (باري). حركتان و يستطيع الانقضاض على الرجل والإمساك بيده القابضة على السلاح...

وحيث أن (بونتي) كان قد وصل إلى باب الزنزانة، فسيحول دون دخول الرجلين اللذين كانا يقفنان خارجاً.

التفت، فكر (كريس) وانتظر حركة (باري).

- «ما هذا؟»

صيحة (بونتي) المُتَفَاجِئَة بددت تركيز (كريس).

عاد (بونتي) للصياح مجدداً، ثم أدرك (كريس) ما يحدث.

- «الآن دورك!» ابتسم (باري) بسخرية «تعال! هيا! اقترب!».

- «ماذا يدور هنا؟» صاح (بونتي). فقد تمت إعادته إلى الزنزانة. كان (باري) مستمراً بتوجيهه (كريس) بفوهة سلاحه محافظاً أنتاء ذلك على المسافة المناسبة بينهما.

أمسكت يد قاسية بشعر (كريس) وجرت رأسه إلى الخلف. بينما

ضفغت أخرى على ذقنه دافعة إياه إلى الأعلى. ثم شدت يد ثالثة ذراعيه خلف ظهره. شعر ببرودة حديد الأصفاد. ثم خف الضغط لوهلة عن رأسه.
- «اللعنة، ما هذا؟» صاح (بونتي) بتذمر مجددًا، ثم صمت حين سمع صوتين آخرين.

عبر (هنري مارفن) وإريك مايكلا لافاليه) الممر ودخلًا إلى الزنزانة.

- «أنا لا أفهم...» حدق (لافاليه) بـ(مارفن) بارتباك.
- «حالاً يا لافاليه، حالاً.»

وجه (باري) كل من (كريس) و(بونتي) إلى منتصف الزنزانة ثم دفعهما إلى الأسفل حتى أصبحا بشكل قريب جداً من الأرض.
- «الرؤوس على الصدر!»

تقدم (مارفن) إلى الداخل ودفع برأس السجينين إلى أسفل حتى لامس ذقن كل منهما صدره.
- «ما هذا الهراء؟» صاح (بونتي).

أراد (كريس) القفز ولكن الوقت كان قد تأخر. فقد وجه الرجل ذو الشعر الأحمر سلاحه نحو رأسه.

مد (مارفن) يده باتجاه (لافاليه) حاملاً مسدس الكورث، الذي عثروا عليه لدى (كريس).

زاد ارتباك (لافاليه) «أنا لم أمسك بحياتي شيئاً كهذا».«
- «أعلم» ابتسם (مارفن).

- «اليوم ستكون المرة الأولى. ولن تكون الأخيرة. فاليوم ستثبت أنك تريدين حقاً الانتماء إلى علماء البريتوريانيين. (لافاليه)، إنك ستكون أحد أعضاء الحلقة المباركة التي تحرص فعلًا على حماية الكتاب المقدس. بكل الوسائل وبكل قوتك وبكل نفوذك» قال (مارفن) بصوت واثق، متملق ومقنع. بينما لمعت عيناه كالألamas.

هز (لافاليه) رأسه بصمت. حدق بنظرات خاوية خلف (مارفن) إلى الرجلين الراكعين. «أنا ... ما أزال... لا أفهم...» قال متلعثماً. إلا أنه كان يدرك تماماً ما عنده (مارفن).

- «هل تعتقد يا (لافاليه) أن حملتنا ضد أعداء الدين، ضد العلماء وكافة الملحدين ستبقى دون ضحايا؟» ضحك (مارفن) «سيكون هذا سيئاً. سنهتم بإيقاع عدد كبير من الضحايا في صفوف الأعداء. سوف ندمر مسيرتهم المهنية ونعرى أفعالهم. فمن يخون الكتاب المقدس يستحق أن يُحارب بكل الطرق. والأكثر سوءاً منهم سوف يحاسبهم الله، ربنا وربهم. فلتبدأ بهذين الاثنين أولاً».

- «تريد ... أن ... تقتل ...»

- « تماماً». ضحك (مارفن) «أعداء العقيدة». صمت (لافاليه).

جثم (كريس) على ركبتيه وأدار رأسه نحو اليسار قليلاً. بينما كان (بونتي) إلى جانبه يصدق بشكل متواصل. في حين كانت شفاته ترتجفان. ولم يستطع (كريس) تحديد إذا ما كان ذلك الارتجاف بسبب الخوف أم الغضب. هو شخصياً كان يشعر بضفط لا يطاق في رأسه. لقد شُلّ تفكيره.

شعر باليأس يتسلل إلى إرادته ولم يكن بإمكانه حتى الدفاع عن نفسه. - «لا يمكنكم القيام بذلك!» صاح (لافاليه) «حتى لو أنهم كانوا من العلماء أو أياً كان... لا يمكنكم قتلهم! فإن الله محبة وليس قتلاً».

- «هنا يموت خونة العقيدة، خونة الكتاب المقدس. وسوف يرى العالم بأسره أن السيف هو الوسيلة الأنجع لنشر العقيدة».

ارتعش الجزء العلوي من جسد (لافاليه) وكأنه يعاني من الحمى.

- «وما علاقة كل هذا بي؟» سأله بصوت منخفض وقد أطبق أسنانه على بعضها البعض.

- « جاء دورك لتقدم دليلاً على ولائك أيها المونسینیور (لافالیه) « همس (مارفن) وقد التصقت شفتيه بالأذن اليمنى لـ (لافالیه) « أثبت الآن أنك تنتمي، أنك ترغب بالانتماء لنا. أثبت لي مقدار قناعتك بأهدافنا. أقتل باسم الرب! ».

- « أنا لا أستطيع فعل ذلك! هز (لافالیه) رأسه رافضاً بقوة. بينما كان يردد كلمة « لا! ».

- « تذكر مبشرى الكنيسة الأم المقدسة في القرون الوسطى ». - « كلا. لا أستطيع! » قال (لافالیه) مرتعداً. - « عليك أن تفعل! صرخ (مارفن) في وجه (لافالیه) الذي كان يبعد عن وجهه عدة سنتيمترات (لافالیه)، عليك أن تقدم هذا الإثبات كدليل على خشيتك من الله ».

- « أنا لا أستطيع، أن أقتل إنساناً! سقطت على ركبتيه وغطى وجهه بكفيه وبدأ بالبكاء « هل يمكنك ذلك؟ » نظر إلى أعلى بخيبة أمل. - « أنا! » ضحك (مارفن) (لافالیه) إنك ما تزال تجهل الكثير عنـي. هل تعلم كيف وجدت طريقي إلى الرب؟ كنت في (فيتام) ك مجرد الأنفاق. رحفت في ممرات ضيقة تحت الأرض، حيث تمركزت قوات من الفيتكونغ، وقتلت. إما الآخر أو أنا. وآنذاك، نعم يا (لافالیه)، آنذاك وجدت طريقي إلى الرب. وفي كل مرة كنت أزحف فيها في أحد تلك الأنفاق، كنت أعد الرب أنني سأقدسه وأقاتل من أجله إن أبقاني حياً لأرى نهار اليوم التالي. وقد استجاب الرب لدعائي! وأنا بدوري سأحفظ عهدي! ».

أمسك (مارفن) بالفرنسي الباهي من تحت ذراعيه ورفعه إلى الأعلى ثم وضع السلاح في يده.

- « أرني مدى إيمانك بأهداف البريتوريانيين، أقتل الاثنين! ». - « لا أستطيع! ».

جرّ (مارفن) السلاح من يد (لافاليه) وتقدم ليقف خلف (بونتي) و(كريس).

- انظر إلى هنا! أيهما أرسل إلى رحمة الله أولًا؟ هنا هنا، الذي سبب لنا الكثير من الإزعاج؟ الذي أجهز على رجالنا، مقاتلي الرب؟ ضفت (مارفن) فوهة السلاح على رقبة (كريس).

أحس (كريس) ببرودة المعدن، فبدأ يتصرف عرقاً. كانت ماسورة السلاح تضفت قرباً من نهاية العظمة الخلفية للرأس عند عضلات رقبته المتشنجية. بضررية واحدة فقد كل الدماء التي في رأسه وترافقست النقاط السوداء أمام عينيه، ثم اختفى الضفت بشكل مفاجئ.

تحرك (مارفن) ليصبح خلف (بونتي) ووضع سلاحه على رقبته.

- أم هذا هنا؟ الخائن، الذي خان الرجل الذي التزم بحمايته وحراسته؟ حتى هو قام بالقتل من أجل إثراء نفسه. حتى يمكن من السرقة. لقد فعل ذلك بنفسه. كلاهما يستحق القتل. ما هو المكتوب في سفر التكوين، الإصلاح التاسع، الآية ٦ ماذا كتب هناك يا (لافاليه)؟ لهث (لافاليه) متربداً.

- «ماذا كتب هناك؟» صرخ (مارفن).

- «سافك دم الإنسان بالإنسان يُسفك دمه. لأن الله على صورته عمل الإنسان».

استدار (مارفن) نحو (لافاليه) «هكذا يقول رب. انظر إلى هنا».

بكى (لافاليه) وانهمرت الدموع على خديه.

الفصل الواحد والثلاثون

(صوفيا أنتي بولس) بالقرب من مدينة (كان)

مساء الأحد

لم تحاول (ياسمين) خداع نفسها. فقد كانت سجينه. كان سجنها في الطابق الثاني من المستشفى مكوناً من غرفة مرضى واحدة، مُنْعَى عليها أن تغادرها.

أمام باب تلك الغرفة يقف حارس ضخم، كان يرميها بنظرات ارتياح كلما حاولت فتح الباب ولو على شكل شق صغير. كمان أن (سولفان) أخذ هاتفها الجوال منها، وقطع كافة وسائل الاتصال عن غرفتها.

فقد تم مساء يوم السبت، جلب الفريق بأكمله من (دريسدن) إلى (نيس) على متن طائرة الشركة الخاصة. وهناك استقبلهم مدير أمن مركز أبحاث (تيسابي) في (صوفيا أنتي بولس)، الذي بدا عليه التوتر. ثم سافروا على الطريق السريع رقم 8 باتجاه الغرب لعدة كيلومترات، ووصلوا بعد بضع دقائق إلى الموقع العلمي العالمي بالقرب من مدينة (كان)، الذي كان يقع في منطقة محاطة بالتلل غير بعيدة عن (فالبون).

منذ وصولهم، لم يتمكن (واين سندر) من رؤيتها. وقد حضر إليها كل من (سولفان) مع الدكتور (دوفور) و(ند بيكر) لمرتين. كانوا يريدون معرفة كل شيء عن زيارة (كريس) والظام.

الأسئلة المتخصصة طرحت من قبل (دوفور)، الطبيب، الذي كان يشرف على (ماتياس) أيضاً. تصرفاته أثارت حفيظتها، فلم يتفوّه ولو بكلمة واحدة أنه يعرفها، أو أنها التقيا هنا منذ أيام قليلة مضت. لم تتمكن من معرفة سبب تصرفه ذاك، وكلما أطالت التفكير في هذا الأمر كلما زاد فلقها حدة.

فتحت (ياسمين) النافذة، وتقدّمت إلى الشرفة الصغيرة. كان مبني المستشفى يحيط بمنتزه، اتّخذ شكلَ نصف دائري حول المساحات العشبية التي تخلّلتها دروب مفروشة بالحصى الناعمة، الأشجار وأحواض الورود التي توزّعت على شكل مجموعات امتدت حتى بداية المبني الرئيس، حيث يكتمل الشكل الدائري للحدائق.

بينما استسلمت الأضواء الخافتة الموزعة على دروب المشاة للعتمة المتسللة من قلب الليل. لم يكن هناك أي إنسان يُرى. أخذت جسدها على سور الشرفة.

كان كما في طفولتها عندما وقفت للمرة الأولى على منصة القفز في بركة السباحة، التي كانت بارتفاع خمسة أمتار. من الأعلى بدا فارق الارتفاع على الأقل ضعف ما هو عليه في الحقيقة. تملك (ياسمين) الذعر. لم يكن القفز وارداً. ولكن لا يجب عليها أن تفشل هنا.

عادت إلى غرفتها، وقامت بربط ملاءات السرير وأغطية الوسائد ببعضها البعض ثم ثبّتت نهاية حبلها المؤقت على الجهة الأمامية لحافة درابزين الشرفة.

صعدت (ياسمين) بحذر على الدرابزين محاولة حفظ توازنها بوضع مقدمة قدمها على الحافة الخارجية للشرفة. أمسكت بكلتا يديها حبلها القماشي، وقامت بلف رجليها حوله بقوّة ثم بدأت بالهبوط إلى الأسفل.

انزلقت (ياسمين) بأسرع مما توقعت إلى الأرض. وفي مكان ما تمزق القماش، وصوت التمزق دفع (ياسمين) للنظر إلى أسفل بتوتر. بعد ذلك بثوانٍ معدودة، لامست مقدمة قدميها حافة الشرفة الواقعة في الطابق الأسفلي من غرفتها. دفعت بنفسها إلى الخلف وتابعت الهبوط. ولأن حبلها المؤقت لم يكن بالطول الكافي، رمت بنفسها إلى الأرض المتiran المتبقيان.

هوت في حوض يحتوي على زهور صيفية صفراء وببيضاء، تدحرجت بسرعة والتصقت بجدار المبنى. كانت خطتها أن تتسدل إلى المبنى الرئيس الأمامي للوصول إلى جناح (آنا). هرعت باتجاه المبنى الرئيس. وقبل وصولها إلى المبنى الرئيس ببضعة أمتار، ومضض ضوء من أحد النوافذ.

كانت النافذة تعلوها بمترين، وكانت مفتوحة. تسلاط منها هممة أصوات. ضفت نفسها على جدار المبنى وتابعت تقدمها، بحيث كانت تضع قدماً أمام الأخرى، وتتبهأ أين تطأ أقدامها.

توقفت (ياسمين) تحت النافذة، حيث تعرفت على الصوت. أحد الأصوات كان معروفاً بالنسبة لها حتماً.

فجأة حجب الظل الضوء الصادر من النافذة.



كان ظهر (زوبي بورسل) يؤلماها: لطول جلوسها على كرسي (دوفور) الخشبي القاسي، والغير مريح، فوقفت الآن متکئة بظهرها على حافة النافذة، ووجهة نظرها إلى داخل الغرفة. رمقت (دوفور) بعبوس، وكان يرتدي بدلة بذلة بذلة أكبر حجماً من مقاسه. جلس إلى طاولة خشبية إلى جانب (ند بيكر) بينما كان يفرك كفيه ببعضهما بقوة.

- «أصبحت أجساد الفئران شابة وقوية بالرغم من أنها كانت على شفير الموت. كيف يمكن لذلك أن يحدث؟».
- «نحن لا نعلم» هز (دوفور) كتفيه بعجز.
- حدقت (زوي بورسل) بالعلميين ببرود.
- «لقد كنت أعتقد أن عملكم مبني على بيانات وحقائق دقيقة. والحقيقة الأولية هي: أنه تم حقن الفئران بجرعة كبيرة من الجينات الخاصة بذلك الكروموسوم الغير معروف (Y)، مما أدى وبالتالي إلى حدوث طفرة حولت تلك الفئران العجوزة إلى حيوانات قوية وشابة. هل هذا صحيح؟».
- أوما (ند بيكر) «إن كان ما أخبرونا به صحيح».
- أشاحت (زوي بورسل) بيدها بحركة عصبية.
- «لكن هذا الأمر يبقى مستحيلاً. فحتى يومنا هذا عرف العلم إمكانية تجدد خلايا الكبد والأمعاء وبعض الأنواع الأخرى في دورة الحياة، إلا أن هذا الأمر لا يحدث أبداً في العضلات والأنسجة الضامة. صحيح؟ وبالرغم من ذلك، استبدلت تلك الفئران أجسادها الهرمة، المتهاكة والمتهالكة بأخرى يافعة وقوية».
- أوما (ند بيكر) بتعدد مجدداً. ثم تتمت بكلمة: «نعم»، بعدها «حسب أقوال (سندر) فإن الأمر يبدو كذلك».
- «لماذا أنت حذر إلى هذا الحد يا (بيكر)؟ وأنت يا (دوفور)، لماذا أنت بهذه الحياديّة؟ هل تخشون الاكتشاف الذي ربما أنت شركاء به الآن؟ أين حماسكما العلمي واستعدادكما للتفكير بالأمور الخارقة للعادة؟».
- «يبدو أمراً لا يصدق لدرجة أنني لا أجد في نفسي الشجاعة للتفكير به، أو تأمل إمكانية حدوثه». هز (دوفور) رأسه الذي بدا مشفولاً بالتفكير.
- «هل تعني، لماذا يتوجب عليكم أنتما بالذات أن تعایشا اكتشاف

نبع الشباب؟ هذا هو ما يشغلكم لا ليست الحقيقة بحد ذاتها هي التي تؤرقكم. بل إنه عدم تصديق، أنكم أنتما بالذات من سيعيش ذلك. هل هذا صحيح؟».

هز (يعقوب دوفور) كتفيه: «نعم. الأمر هكذا تماماً».

ـ «لماذا؟ هل تعتقدون، أن (كوبيرنيكوس) لو فكر بهذه الطريقة، هل كان ليصل إلى اكتشافه الخارق؟ أو (كريك) (واطسون)، عندما شرحا نمذجهما الجديد للحمض النووي؟ أنا حقاً لست عالمة في الطبيعة، ولكنني لو كنت مكانكما لتقدمت بخطىٰ واسعة إلى الأمام، وللحقت بطرف الخيط الذي نمسكه بأيدينا، لأقول بعدها للعالم بكل فخر، من هو الذي قام بحل لغز الشيخوخة؟».

فكرت (زوي بورسل) بـ (أندرو فولسوم)، الذي أنفق الملايين في شراء براءات اختراع، لاكتشاف هذا الحلم البشري بالذات. ضحكت في نفسها. ثم استدارت مجدداً إلى (دوفور) «اشرح لي مجدداً ما الذي وجدته حتى الآن حول ذلك الكروموسوم».

ـ «لم ننته بعد من تحاليلنا. نبدأ بتعريف الجينات. فإن نجح ذلك، يتوجب علينا فهم العلاقة العملية بين تلك الجينات. ثم علينا أن نكتشف إذا ما كانت، ومتى، ولماذا تؤثر هذه الجينات بأجزاء أخرى من الحمض النووي وتحكم بها. نعم، حسب اعتقادي، ربما سيحتاج هذا الأمر لسنوات طويلة، حتى نتمكن من فهم تلك العلاقات».

ـ «لكنك حتماً لا تعتقد أنتي سأبقى طوال ذلك الوقت هنا لانتظار النتائج. أليس كذلك؟» قالت (زوي بورسل) بطريقة لاذعة.

ـ «كروموسوم غير معروف يتمكن حمضه النووي من تحويل فئران هرمة إلى أخرى شابة. ما يمكن استنتاجه من ذلك أمر واضح! وما هي نتائج فحوصات الفأر المقتول؟»

ابتلع (دوفور) لعابه، ثم استعد لطرح تبريره.
- «في نواة الخلية وفي الميتوكوندريا، يوجد كميات كبيرة من إنزيم الكاتاليز.

الميتوكوندريا : هي محطات توليد الطاقة في الخلية، حيث تقوم بتحويل الطاقة إلى الأدينوزين ثلاثي الفوسفات. إلا أنها بهذه العملية تطرح أيضاً مخلفات حادة وعنيفة للتأكسد مثل، بيروكسيد الهيدروجين. والنسبة المرتفعة للكاتاليز، تعني إبطال مفعول قوة جزيء الهيدروجين. وبهذا تتم محاربة المخلفات الناتجة عن عملية الأيض في الخلية، بمعنى آخر إبطاء الشيخوخة».

- «هل هذا جديد؟
- الحقيقة هي: أنه قد تم إجراء تجارب ناجحة على الفئران باستخدام إنزيم الكاتاليز. وبذلك تمت إطالة عمر تلك الحيوانات بنسبة عشرين في المئة. الجديد في هذه الحالة، هو أنه من الواضح أن الإنزيم تم تفعيله في هذا الإجراء بشكل طبيعي».

- «وماذا يعني هذا بالنسبة لك؟».
- «التوقعات الأولية تشير إلى أن الكروموسوم (Y يحتوي على جينات تحكم ببروتينات الميتوكوندريا. ومع كل تحليل سنتمكن من معرفة المزيد».

حدقت (زوي بورسل) بالرجلين بنظرات ثاقبة. «يا لكم من حمقى»، فكرت في نفسها. لا يهم! فقد كانت على أي حال عازمة على استغلال هذه الفرصة.

ولهذا كان عليها أن تدفع بهذين الطيفين الصغيرين إلى حيث لم يصل تخليهما بعد.

عادت - وهي تفكك- من النافذة إلى الطاولة، وجلست مجدداً على

ذلك الكرسي القاسي. وبدأت تُقلب بتركيز أوراق ملفات المرضى التي كانت مكومة أمامها على الطاولة.

- «لابد لنا أن نناقش تجاربكم التالية»، نظرت إلى (دوفور) ببرود «فموت المريض (مايك غلفور) يسبب لنا القلق».

- «إنه حادث» تتمم (دوفور) بتrepid.

- «نعم، نعم، لقد فهمت هذا. ولكنه خطر بالنسبة للشركة. الإعلام، المنافسين والحسد».

نظرت إلى (دوفور) بجدية «هل يمكننا ضمان عدم تكرار ذلك مرة أخرى؟ أعني، هل يوجد هنا المزيد من المرضى الذين ستجري عليهم مثل تلك التجارب فيؤولون إلى المصير نفسه؟»
- «كيف لك أن تفكري بذلك؟».

- «أنا هنا من يطرح الأسئلة!». أجبت (روي بورسل) بحدة، ونهضت واقفة. انحنت إلى الأمام واتكأت على الطاولة ثم أردفت: «ربما لا يمكنك تخيل ماهية الموقف الذي قمت أنت و(فولسوم) بوضع الشركة فيه. لو أن كلمة واحدة من هذا خرجت إلى العلن لهبطت أسهم شركتنا إلى أدنى مستوىً. وستكون قيمة الغبار المتتصاعدة من هذا الانهيار أشبه بثورة البركان. على أقل تقدير! هل تعلم ما سيحدث بعد ذلك؟ أولاً، سنقوم بتحويل مكانك هذا إلى رذاذًا ثم سنقوم بتقديم رزم الأوراق تلك كفداء لك. إذاً: هل علينا أن نقوم بإيقاف التجارب التالية والترى ثقليلًا؟».

وافقها (دوفور) في داخله. فالصحافة لن تهتم إذا كان ما حصل حادثًا أم لا. وحدها العناوين المنشورة ستؤدي إلى تدميره وحشر المؤسسة في الزاوية. ثم سيأتي دور المدعي العام...»

- «لدينا حالياً أربعة خطوط من التجارب في طور التنفيذ. ثلاثة

منها تحت السيطرة تماماً ولا يوجد أي مشكلة بخصوصها. أما الخط الرابع، الذي خضع له (مايك غلفور)، تم إيقافه. كنت قد وجدت مريضاً آخر يمكن إدخاله في التجربة، إلا أنني لم أبدأ بالفحص بعد.».

– «من هو ذلك المريض؟»

– «إنه طفل لم يبلغ العاشرة من عمره. اسمه (ماتياس كيلسون)». بحثت (زوبي بورسل) بين الملفات إلى أن وجدت ملفاً هزيلًا، احتوى على بعض تحاليل المختبر، وبعض نتائج فحوصات.

– «ومَ يعاني؟»

– «تلف في الكبد، تشم كبدي. وسيمود إن لم تتم مساعدته. وقد فشلت محاولات زراعة كبد له لأسباب عده، بينما ترى والدته في اختبارات التيلوميراز، أملها الأخير».».

– «إنه بعمر السبع سنوات فقط.»

– «إنه ابن شقيقة (ياسمين برسون)، تلك التي أنت...».

نظرت إليه (زوبي بورسل) بتعجب «ماذا تقول؟».

فكرت. إنها الفرصة التي طالما انتظرتها. فهي تملك كل الأوراق في يدها، لتقوم بالخلص من (فولسوم) واقناع (تورنن) أنها الأحق بمنصب الرئيس التنفيذي. بتصرف عازم ستتمكن من إنجاز نتائج أبحاث دامت لسنوات طويلة، وستتحي العالمين المتربدين جانباً.

فليديها الأدوات والمريض، الذي لا تتوفر له فرصة النجاة أصلاً. وقربته التي تعلم الكثير عن هذه الأمور، بحيث يتوجب عليها التعاون. أمسكت (زوبي بورسل) بهاقيها الجوال وأمرت (سولفان) بالحضور إليها.

– «هل بقية المرضى يعانون أيضاً من أمراض خطيرة، ستقضى عليهم؟».

– «كلا» قال (دوفور) وهز رأسه «إحدى خطوط التجارب يعني بدواء

لعلاج الأزمات التنفسية، بينما يعني خط آخر بعلاج الروماتزم، والخط الثالث يختبر أحد أنواع الأنسولين الاصطناعي».

دخل (سولفان) الغرفة بثلاثة ملفات ثبتها تحت سعاده، وقام بعدها على الطاولة «هذا كل شيء حول موت الشاب، (غلفور)»، وقف (زوي بورسل) وأخذت (سولفان) جانبًا. همست في أذنه بينما رفع (سولفان) حاجبيه. وفي النهاية أومأ لها وانصرف.

- «ما هذا؟» سأله (دوفور) بتعجب «ماذا تريدين من هذه الملفات؟ إنتي ما زلت بحاجة إليها».

- «ولماذا؟» ردت (زوي بورسل) بعناد «للعب بها مع الصحافة؟» ضحكت المديرة المالية باستهزاء «ما يزال هناك جانب على أن لا أنساه. حتى وإن كنت أنت من عمل مع أولائك المرضى، إلا أن (فولسوم) هو من يشرف على هذا المشروع. هل يمكنك تخيل ما سيحدث لو عُرف أن الرئيس التنفيذي لمؤسسة أصبح محل شبهة في قضية موت أحد المرضى الذين خضعوا لتلك التجربة؟»

- «لقد كان حادثاً،» وقف (دوفور) بحماسة وأصبحت كلماته أكثر حدة، «لقد تم توضيح كافة المعلومات والمخاطر للمريض قبل إجراء التجربة، وأدركها كلها، ووافق بدوره عليها، وقام بالتوقيع على ذلك. حتى أنه أخبرنا كيف علينا أن نتصرف بجثمانه في حال وقوع ما كنا نخشاه، بل ونتوقعه أيضاً. وبهذا لدينا الحق القانوني بالاستمرار في فحص جثته لمتابعة أبحاثاً...» قطع (دوفور) كلامه حين سمع أنفاسه اللاهثة وشعر بانهياره الداخلي.

عاد إليه ذلك الإحساس من ضيق الصدر والفراغ المجرد في عقله، الذي كان يلتهمه منذ وفاة ذلك الشاب واستهلك طاقة جسده وحوله إلى كتلة من الأعصاب المشدودة.

حدق (ند بيكر) إلى الأرض ثم نظر إلى (زوي بورسل)، التي كانت تبتسم لـ (دوفور) بوقاحة.

- «أنا طبيب وشهادة الوفاة صادرة عنِ... ولا أحد سوف...» رفع (دوفور) يديه مهدداً.

- «هذه هي النقطة بالضبط» بحثت (زوي بورسل) في الملف، حتى وجدت شهادة الوفاة وحملتها بيدها. وركزت عينيها على (دوفور) بنظرية تهكمية «إنها وثيقة هامة للغاية. وإن أراد أحد ما إيقاعك يا (دوفور)، فسيكون هذا هو المفتاح لذلك. والذي أملكه أنا الآن. ولهذا عليك التفكير ملياً بما اقترحته عليك».

كما أن (فولسوم) قد أصبح في قبضتي بهذه الورقة، هكذا فكرت. فالخزي الذي لحق بها في (فيلاكاباما) ما زال يطاردها ويلمح عليها بطلب الثأر. ولكن، عليها أولاً أن تلعب أوراقها الرابحة الأخرى، لتمكن من الإطاحة بالرئيس التنفيذي (فولسوم). فإن لم تنجح في ذلك فلن يبقى لها سوى الثأر، وتعتبر الوثائق التي بين يديها الآن نموذجية لتحقيق هدفها.

- «عن أي اقتراح تتحدثين؟» سأله (دوفور) الذي كانت أنفاسه تزداد ثقلأً مع مرور الوقت. فلم يكن عقله قادراً على إدراك ما ستكشفه له (زوي بورسل). إلا أن الكلمات كانت واضحة وغير قابلة للتأويل. وبعد دقائق أصبح وجهه شاحباً كلوح من الجير.



ارتجمت جسد (ياسمين) بأكمله بينما كانت تجر باب المبنى الرئيس. كانت نوبات الذعر لا تزال تعصف بها. خلعت حذاءها، وسارت بقدمين

تفطيمها الجوارب عبر البهو الأمامي الذي كان غارقاً بالضوء الأخضر الخافت، الصادر عن مصابيح الطوارئ الصغيرة المنتشرة في كل الأرجاء.

ظللت تبحث لمدة، ثم دخلت إلى مخرج الهروب وصعدت الأدراج الحجرية لطابقين إلى أعلى، خطت بعدها إلى ممر، ثم اتجهت يميناً حتى وصلت إلى باب القسم. سحببت الباب بهدوء ونظرت من الشق الصغير إلى نهاية الممر. وكما ذكرت، إن غرفة المرضة المناوية توجد على بعد أمتار قليلة من مدخل القسم. وعلى بعد عدة أمتار أخرى سقط ضوء على الممر. وبين الفينة والأخرى كانت أصوات خافتة تصدر من الغرفة.

تسليت (ياسمين) من خلال شق الباب، واحتياطات خلف حاوية ذات عجلات بارتفاع متراً، وقد امتلأت بالمناشف وأغطية الأسرة المستعملة.

ارتعدت فرائسها حين سمعت الصوت الناتج عن إيقاد الباب خلفها. انتظرت (ياسمين) لثوانٍ معدودة قبل أن تتوى الوقوف، حين رأت إحدى المرضيات خارجة من غرفة المناوية، ومتوجهة صوبها بعينين مثبتتين على باب الدخول. وفجأة توقفت ثم استدارت إلى الخلف واحتياط خلف أحد الأبواب.

انزلقت (ياسمين) من خلف الحاوية حاملة حذاءها بيدها، وبخطوات مسرعة مرت أمام الباب الذي كانت المرضية قد احتفت خلفه. تقصت خلف باب (ماتياس)، ترددت، ثم فتحت الباب أخيراً. كان النور الضعيف المنبعث من مصباح الطوارئ المعلق فوق سريره يجعلها بالكاد تتعرف إلى الخطوط العامة لتفاصيل جسده النحيل. تقدمت بخطوات هادئة نحو السرير.

كان (ماتياس) يتنفس بانتظام أثناء نومه بسلام على جنبه الأيمن، ساعدته الأيمن على ملاءة السرير. ومن حين لآخر كانت يده الصغيرة ذات الجلد الطفولي الباهت ترتعش.

- «أنا أحلم كل ليلة بقصص (ميترو نوي)» أسرّ لها (ماتياس) أثناء زيارتها الأخيرة له. «أستمع كل مساء للقصص الصوتية المسجلة، وعندما انام أحلم بقصص جديدة».

تذكّرت نظراته اللامعّة عندما كان يحدثها عن ذلك، فانبعت الدموع في عينيها. وضعت يدها على يده مدة وجيزة وأعطته عهداً بضمّت.

ثم سرعان ما انسحبت عائدة إلى الممر.

كانت (آنا) تنام في غرفة مجاورة، حتى تكون إلى جانب الصبي عندما يحتاج إليها. سارت (ياسمين) على رؤوس أصابعها متقدمة نحو السرير، حيث كانت (آنا) غارقة في النوم وقد لفت أغطية السرير حول جسدها بقوّة.

نقرت (ياسمين) على كتف شقيقتها، ثم هزّتها بقوّة.

فتحت (آنا) عينيها ثم هبت جالسة على السرير، وأطلقت صيحة مذعورة.

وضعت (ياسمين) يدها على قم شقيقتها.

- «هدي من روّعك. أنا هنا فعلاً. أخفضي صوتك!».

احتاجت (ياسمين) إلى عشر دقائق من الزمن لتشرح له (آنا) سبب عودتها المفاجئة إلى (أنتي بوليس). هزّت (آنا) رأسها باستمرار معبرة عن عدم فهمها لما يحدث.

- «هل يتوجب عليك أن تشحّني حياتك بالمزيد من المشكلات؟ ألم تعاني عائلتنا بما فيه الكفاية؟»

صمتت (ياسمين) وقد ضفت شفتيها على بعضهما. كان قلبها ينبض بسرعة كذلك الشعور الذي انتابها أثناء وجودها تحت تلك النافذة. لا يجدر بها إخبار (آنا) بما سمعته هناك، فهي لا تحتاج لحمل المزيد من الأعباء على كاهلها.

ولهذا شدت جسدها، ومسحت يدها بلطف على ذراع شقيقتها.

«لقد نسيت هاتفك الجوال وعلى أن أجري اتصالاً مهماً... كيف حال
ـ (ماتياس)؟»

ـ «لم يبدأ الطبيب بعد. فهو لا يزال يؤجل المباشرة بعملية العلاج».

ـ «هل قام بإطلاعك على السبب؟».

ـ «لم أفهم ما قاله. فقد كان كل شيء واضحاً. ولكنه الآن يردد دائمأ أنه ما يزال بانتظار الحصول على النتائج».

ـ «أي نتائج؟».

ـ «لا أعلم».

ـ «(ماتياس)؟».

ـ «إنه ينتظر بشجاعة» ابتلعت (آنا) لعابها «(ياسمين)... يبدو لي أن كل شيء هنا أصبح غريباً نوعاً ما. فذاك الطبيب (دوفور) غداً غارقاً في التفكير ومتربداً، بالرغم من أنه كان متلقاً جداً في البداية. إنه يتحدث عن فحوصات جديدة، وقد أبداً قلقه حول ما إذا كان هذا النوع من العلاج هو الملائم فعلاً لحاله (ماتياس). في حين أنه قال أن هذا النوع من العلاج هو يزال في طور التجربة... (ماتياس) يشعر بكل هذا. فقد أخبرني اليوم أنهم هنا لن يتمكنوا من مساعدته...، هل بإمكان طفل أن يشعر بمثل هذا؟».

كانت (ياسمين) على حافة الانهيار. بصعوبة كافحة ارتعاشة قدميها

ـ «هل ساءت حالته؟».

ـ «أومأت (آنا)».

ـ «سأتحدث غداً مع الطبيب (دوفور). وسيخبرني عن ما يحدث. في النهاية نحن نعمل في المؤسسة نفسها» أجبت (ياسمين) نفسها على النظر إلى شقيقتها.

ـ «ولكن على الآن إجراء اتصال مهم بخصوص الأمور الأخرى. أنت طبعاً تحملين هاتفك الجوال معك؟».

نظرت (آنا) إليها بدهشة.

– «أرجوك... إنه بخصوص أمر مختلف تماماً... وانه مهم للغاية! أمور متعلقة بالرجال» أردفت قائلة حين لمحت نظرات الشك في عيني شقيقتها. استدارت (آنا) إلى الخلف وأخرجت هاتفها الجوال من درج الطاولة المجاورة لسريرها.

أعملت (ياسمين) الجهاز وانتظرت حتى يتم إظهار خدمة شبكة الاتصالات الفرنسية. ثم طلبت رقم الهاتف الخاص بـ(كريس)، الذي قرأته من الورقة التي انتزعتها بشكل غريزي من دفتر الهاتف الخاص بها حين كانت في مدينة (دريسدن)، قبل أن يجردوها من حقيقتها الخاصة. كانت سعيدة باحتفاظها بعادتها القديمة، وهي كتابة أرقام الهواتف على دفتر خاص، وعدم الالكتفاء بتسجيلها على جهازها الخلوي فقط.

– «سيساعدنا! عليه أن يساعدنا!».

إلا أن أملها كان يتبدد مع كل رنة تسمعها لهااتفه.

– «اللعنة!» زفرت (ياسمين) وقد حاولت منع دموعها من أن تنهمر عندما سمعت المجيب الآلي على الطرف الآخر. حاولت مرة أخرى. ثم تركت له رسالة مسجلة.

راقبتها (آنا) بعينين مفتوحتين بتعجب. وبالرغم من أنها كانت تتحدث اللغة الألمانية بشكل جيد جداً، إلا أنها لم تتمكن من فهم أي من تلك الرسالة التي تركتها شقيقتها بغضب وتوتر على المجيب الآلي.

– «إن لم يقم بأي ردة فعل على ذلك...» نفثت (ياسمين) بنبرة متوعدة ثم قامت بإغلاق جهاز الهاتف المحمول.

– «فسينتهي كل شيء حتى قبل أن يكون قد بدأ».

في هذه الأثناء فتح الباب بعنف ودخل (سولفان) إلى الغرفة وقد رسمت على شفتيه ابتسامة باردة.

الفصل الثاني ٦ اللاثون

(باريس)
الإثنين

على جزيرة (الي دا لا سات) في قلب (باريس)، حيث تحكم العدالة منذ قرون، بعد أن تم هناك ضرب القلب السياسي لـ (باريس) منذ الحكم الروماني وحتى حرب المئة عام.

كان (إريك مايكل لافاليه) متوفراً حين عبر البوابة الحديدية المزخرفة لقصر العدل في شارع القصر. فقد غادر (فونتينبلو) مساء الأحد ومعه الطبعات الأخيرة لتصاميم الكتب التي وافق عليها (مارفن). لم يكتثر (مارفن) لكون المطبعة قد حسبت تكاليف ورسوم إضافية لانتظارها على مدار عطلة نهاية الأسبوع وحسابها لكل دقيقة. ابتسם مدير المطبعة برضاء حين تمكّن (لافاليه) من تسليمه الكتب في الليل. وحتى وإن قامت المطبعة بطلب آلاف الأضعاف من التكاليف الإضافية، لم يعد ذلك يعني لـ (لافاليه) أي شيء. وقف أمام المبنى الضخم للعدالة، وكان يرتجف بمجرد تفكيره في الساعات الأخيرة التي قضتها في (فونتينبلو). وقد بدا له في طريق العودة كم أنه بعيد عن كل ما كان يخطط له ويفعله (هنري مارفن). فقد قضى جُل ليلته يقظاً ومرتعداً لمجرد تفكيره في عودته القريبة. - «سأحتفظ به لك يا (لافاليه). عليك أن تثبت أنك ستكون

بريتورياني مخلص» نظرات (مارفن) الباردة لم تمكنه من الخلود إلى النوم مطلقاً.

أعطى (لافاليه) دفعة لنفسه ودخل إلى قصر العدل. قام بالبحث في القاعة ذات الأعمدة إلى أن وجد مكتب الاستعلامات حيث سأله عن قاضي التحقيق.

- «قانون مدنى أم جنائي؟».

- «جنائي» تتم (لافاليه) بتrepid. أرشه الحاجب إلى الطريق، فسار عبر ممرات طويلة ثم دخل أخيراً على مكتب قاضي التحقيق.

كان (موريس آلازارد) قصير القامة ونحيلأً ومجهداً للغاية، لأنه عمل في عطلة نهاية الأسبوع على ترتيب ملفات إحدى أكبر فضائح الفساد. لهذا بدت له زيارة ذلك الشخص، الذي أتى لفرض لا يعرفه، على نحو غير ملائم.

كان (آلازارد) يتقن عمله على نحو محترف ولم تكن الأسماء الكبيرة ترعبه. ولقد تسبب إدمانه على العمل في فشل حياته الزوجية. حيث أنه كان شديد البخل فيما يخص بذل المزيد من المال لتحسين مظهره الخارجي، فقد اعتاد منذ سنين على ارتداء القمصان غير المكوية.

ولهذا، قام قاضي التحقيق بالترحيب بـ (لافاليه) على نحو بارد وداعاً للجلوس إلى الطاولة المفمورة بأكوان من الملفات.

- «نحن غارقون في العمل. يبدو كأنه لم يبقَ سوى المجرمين في هذا العالم، لهذا يبدو الوضع على هذه الحال هنا» قال متثائباً.

تلعثم (لافاليه) في البداية ثم طلب التعامل مع القضية بمنتهى السرية. وعندما استمر في تردده حتى بعد أن ضمن له (آلازارد) ذلك، نهض (آلازارد) واقفاً خلف طاولة مكتبه.

- «إن لم يكن بإمكانك الوثوق بي فإني لن أستطيع مساعدتك. لذا أرجوك أن تغادر ولا تهدر وقتي».

بداً كان ذلك هو أسلوبه في دفع زواره للإدلاء بما لديهم. وفي غضون دقائق استطاع استخراج كل ما لدى (لافاليه) من معلومات حول القضية.

في البداية كسر وجهه، فقد بدا له الأمر كأنه يدور حول سرقة أنيقة، حتى وإن كان الأمر يدور حول سرقة عشر صحائف مما يعرف بين الأوساط المختصة بـ (كتاب حلب المقدس).

أنصت قاضي التحقيق بشكل جيد حين أدعى (لافاليه) أن تلك الأرض تخضع لحراسة مشددة من قبل جيش خاص مدرج بالسلاح الثقيل. وأن مرتبة من جميع أنحاء العالم يقومون باختطاف وقتل أناس هناك. وبعد ما يقارب نصف الساعة بدأ (موريس آلازارد) بطرح الأسئلة. كان (آلازارد) يشكك مبدئياً بكل نوع من أنواع السلطة سواء كانت على أساس حكومي أو عقائدي أو اقتصادي. لم يحتاج لأكثر من عشرة أسئلة؛ ليتمكن من تلخيص القذارة المذهلة والمؤثرة إعلامياً: مجموعة منظمة من المجرمين، الذين يتمتعون بشبكة تواصل عالمية، يختبئون تحت عباءة جمعية دينية مسيحية ويعيشون في بناء عظيم بالقرب من (باريس)، يخططون لهجمات إرهابية.

في حالة من الذعر، التقط سماعة الهاتف.



(بيفريس) بالقرب من (باريس)

(بيفريس) هي منطقة صغيرة ذات طابع ريفي، ويعدد سكان يصل إلى خمسة آلاف تقع في دائرة (إسوني) جنوب (باريس)، ووصلها خط

القطار المحلي (C)، وهي مقر (ال فهوود السود). هذه الوحدة الشرطية الخاصة التي تم تأسيسها عام 1985 من قبل وزارة الداخلية، اشتقت اسمها من صورة النمر الأسود الموجود فوق شعارها (RAID) وهي اختصار (تفاعل، دعم، تدخل ومنع).

وكوحدة خاصة تابعة للشرطة الوطنية، فهي مسؤولة عن كل فرنسا).

وبتأسيس هذه الوحدة الخاصة تم فصل وزارة الداخلية عن وزارة الدفاع، التي كانت عادة تتدخل في المهام ذات الخطورة العالية من خلال وحدة خاصة بها تسمى (مجموعة التدخل للحرس الوطني)، التي كانت تشبه إلى حد كبير وحدات الجيش من حيث التسلح والعتاد، وكذلك الأعضاء، فقد كانت تضم المظليين أيضاً.

لقد تم طلب تدخل وحدة RAID من قبل قاضي التحقيق في مقر كبير مفتشي المباحث (بول كامبراي).

قرأ (كامبراي) الرسالة ثم حدق في برنامج الخدمة. كان هناك ما يقارب المائة رجل تحت إمرته، كانوا يعملون في مجموعات صغيرة تضم بين ثمانية إلى عشرة أفراد في كل منها.

اثنتان من مجموعاته كانتا يؤديان مهمة في (مارسيل)، وهي عبارة عن مراقبة لأحد طرق مهرب المخدرات التي تم إبلاغهم عنها من قبل منافسيين. بينما كانت إحدى الفرق في (فريسن) لإنهاء تمرد في أحد السجون، حيث كان وجود رجاله فحسب، كفياً بإجبار اثنين من المجرمين المتهمين بجريمة القتل بغرض السرقة بتسلیم نفسيهما. في حين كان فريق آخر له ذا إمكانیات محدودة، حيث أن أخصائيو التصنت خاصته في (ستراسبورغ) كانوا مشغولين في مهمة إثبات تورط أحد أعضاء البرلمان الأوروبي في قضية فساد.

كان كل شيء يجري على ما يرام، فكر (بول كامبراي)، الذي كان ينتمي للسبعين الأوائل الذين انضموا إلى (الفهود)، حيث تم اختياره من بين ألف ومئتي متطلع، تقدموا للالتحاق في مرحلة التأسيس.

كان (كامبراي) قريباً من الخمسين، طويل وقوى، له وجه ملفت ذو أنف بصلٍ ضخم. في البداية كانت التعليقات تزعجه ولكن مع مرور الوقت أصبح يتقبل ذلك الأنف كعلامة فارقة.

أعاد قراءة الرسالة عدة مرات، ثم هز رأسه مستكراً. فقد كانت أمراً معتاداً، فهي الفلطة الاعتيادية للطرف الآخر. حيث يعتقد أن السلاح سيحميهم. في حين أن هذا هو بالضبط الأمر الذي لا يمكن لأي شرطي على وجه الأرض أن يتقبله. فالسلاح يعني في الوقت نفسه تشكيل خطر على حياة حامله أيضاً. ولهذا لا بد من القيام ببردة فعل قوية ومناسبة على مثل هذا التصرف. كان (الازارد) قاضي تحقيقات يمكن الاعتماد عليه، رجل لا يخشى اقتحام الأبواب المغلقة وخاصة عندما يتعلق الأمر بالجرائم القذرة. هذا ما جعل له اسماً لاماً في أوساط الشرطة، في الوقت الذي كان ذلك يثير حفيظة بعض أصحاب النفوذ السابقين.

هذا ما دفع رئيس التحقيق للاهتمام بهذا البلاغ وتسخير كافة إمكاناته للعمل على الملف، بل وقرر أن يكون هو شخصياً قائداً لهذه العملية.



(فونتينيلو)

كان (هنري مارفن) يضغط بالهاتف الجوال على أذنه ويتمشي في الحجرة ضاحكاً، في حين كانت تعابير وجهه تشير إلى مدى سعادته، ضحك

بتوتر، ثم ببرضاً، بينما كان يكور قبضة كفه اليسرى ويضرب بها في الهواء. تحولت نظراته اللامعة إلى (باري) و(برانداو)، ابتسما لهما دون أن يلاحظهما فعلاً.

كان (مارفن) يهاتف (روما).

وقد أبلغته (روما) أخباراً جيدة.

- «شكراً جزيلاً يا عزيزي المونسينيور (تيساني). أخبر قداسة البابا، أنه من عظيم الشرف بالنسبة لي وللجمعيه أن نقدم مثل هذه الخدمة للكنيسة الكاثوليكية المقدسة. وسوف أثبت لك أن البريتوريانيين سيكونون على مستوى هذا الشرف».

أغلق (مارفن) الهاتف ثم ضحك بصوت عالٍ.

- «لقد نجحت! حان الوقت! كان هذا المونسينيور الطيب (تيساني). لقد تحدث مساء الأمس، حال عودته، مع البابا. ومنذ قليل تم استدعاؤه مجدداً من قبل قداسة البابا. الرجل العجوز متهم جداً للحصول على تلك الآثار. أصبح رسم البريتوريانيين كأخوية خاصة أمراً مفروغاً منه». ضحك (مارفن) مجدداً.

لم ينبس (باري) ببنت شفه. فقد كان (مارفن) متقلب المزاج وكأنه بريمادونا، ومن المتوقع أن تقلب تلك البهجة في غضون ثوانٍ معدودة. ولكن لو أن كل شيء سار كما أراده (مارفن)، سيعمل هذا على تقوية موقفه. لقد تمكن من خلال أعماله القذرة من إحراز هذا النصر.

- «وأخيراً! وأخيراً! كنت أعلم ذلك!» صفق (برانداو) عدة مرات ببيديه.

جلس (مارفن) على أريكته وتفحص الألماني بنظرات تقدير.

- «لقد قمت بعمل رائع يا (برانداو). اليوم أصبح يامكاني الاعتراف بهذا، فعندما أتيت إلي قبل أكثر من ستة أشهر وقدمت لي ذلك العرض،

توقفت أنك مجنون. ولكنك كنت على حق. كان لا بد من أن تقوم (روما) بإزاحتهم عن الطريق!».

- «أنا سعيد بتمكنى من تقديم مثل هذه المشاركة الكبيرة للبريتوريانين». قال (برانداو) ذلك في محاولة منه لتحصيل المزيد من التقدير.

- ستكون مستقبلاً رئيساً لفرع البريتوريانين في ألمانيا»، قال (مارفن) بنبرة متعالية «سأتم الإجراءات الخاصة بذلك فور نجاحي في الانتخابات. سيعضر البابا شخصياً إلى (فرنسا)...».

- «قداسة البابا؟».

- «نعم يا (برانداو). إنه سيعضر إلى (فرنسا). لقد أخبرني (تيساني) منذ قليل، أن قداسة البابا سيقوم غداً بزيارة إلى سرداد كاتدرائية القديس (بينويت سور لوان)، حيث سيقوم بتقديم إجلاله لبقايا رفاة القديس (بندكت). زيارة قصيرة خاصة دون إثارة أي ضجة!».

تضم الكاتدرائية، التي عادت لتعج بحياة الرهبانية منذ عام 1944 فقط، بقايا رفاة القديس (بندكت)، التي تم إنقاذها من خلال نقلها في القرن السابع من (مونت كاسينو) إلى (فرنسا) لحمايتها من اللومبارдин.

ابتسم (برانداو). فقد كانت (فونتينبلو) تقع شمال (سانت بينويت) وبهذا تكون عملياً على خط السير نفسه. أمر مرتب ببراعة.

تبسم (مارفن) برضاء. وأخيراً تسير الأمور حسب رغبته. فبامتلاكه للقطع الأثرية أصبح قريباً جداً من تحقيق هدفه المتعلق بالفاتيكان.

وبوجود (تسرنت هاين) تحت الاسم المستعار (ريتسى) في قبضته، أصبح لديه كيش الأضحية الذي يمكنه تقديمها في حال حدوث أي أمر طارئ. ولكن وحتى الآن، حسب ما أخبره به (برانداو) و(باري)، لم تتمكن الشرطة الألمانية من إحداث أي تقدم فيما يتعلق بحادثة (برلين) أو بالعملية

التي تمت على الخط السريع. وفي غضون أيام ستنسى وسائل الإعلام تلك الحوادث. وطالما أن الشرطة الألمانية ما تزال تخبط بالظلم، فإنها لن تقوم بتحريك الأمر. وحتى في حال اتجهت الأمور نحو الأسوأ، إن (باري) سيقوم بتولي الأمر...

- «تبعدوا بائساً يا (باري)! ماذا لديك؟» رقم (مارفن) مدير الأمن خاصته - بنظرات لامعة -، الذي كان ما يزال يقف منتظراً أمام طاولة المكتب.

- «لقد أخفى (لافاليه).»

- «ماذا يعني هذا؟»

- «إنه لم يعد حتى الآن. لقد أراد أن يكون هنا في منتصف هذا النهار. إلا أنه لم يأت. حاولنا الاتصال به ولكن له لم يُجب.»

- «هل قمت بالاتصال بالمطبعة؟»

- «الأمور تسير هناك على قدم وساق. لقد قام (لافاليه) بتسليمهم كتيبات الطباعة ليلة الأمس، ومنذ ذلك الحين تدور الآلات. وسيتم إرسالها صباح الغد.»

فكرة (مارفن) بغياب (لافاليه) «لم يستطع فهم تصرفه في الأمس. إن كان ذكياً، فإنه سيقوم بتحضير نفسه لما سأطلب منه. والا ...»



أو ما كل من (جون سانتير) و(فيكتور فايفر) لرئيسهما للمرة الأخيرة.

- «حظاً موفقاً!» تتم (بول كامبراي)، عندما تسلق الرجلان السلم الحديدي إلى سطح العربية. كانت العربية تقف مباشرة بين الأشجار،

بمحاذاة السور المعدني الذي يصل ارتفاعه إلى مترين ونصف، ويحيط عند هذا الموقع بعمار البريتوريانين. بينما ريض رجل ثالث من الفهود السود على سطح العرية ممسكاً بيديه حقيبتا ظهر كبيرتان، ليحملها الرجلين الآخرين معهما إلى الداخل.

- «يا له من مكان معزول. لو أن رجالنا تسلقوا الأشجار، فسيُمكننا ذلك من رؤية بضعة أمتار في عمق الأرض وذلك باستخدام الأشعة تحت الحمراء آلات التصوير، ولكننا لن نتمكن أبداً من رؤية المبني الرئيس». تذكر (سانتير) تحليله في اجتماع المعسكر، الذي يحدد الآن نمط تصرفاتهم.

- «كيف يبدو الوضع عند بوابة الدخول؟» سأله (كامبراي) عبر لاقط الصوت.

- «الضيوف ما زالوا يتواجدون. لقد وصلت حالاً إحدى السيارات. يبدو أن المكان سيُفتح بالزواب». نظر رئيس المحققين إلى الأعلى حيث كان الرجلان على سطح

العرية، ثم رفع سبابة يده اليمنى كإشارة تأكيد.

لقد اعترف لهم (لافاليه)، أن العقار محاط بكلاب الحراسة الشرسة، إلا أنهم لم يروا أيّاً منهم حتى الآن. وقد عزوا ذلك لتوافد الضيوف في اليوم التالي. فأرادوا انتهاز هذه الفرصة.

كان (كامبراي) يثق بقدرة رجاله على التخلص من تلك الكلاب. فـ (سانتير) الذي انضم إلى الفهود السود منذ عشر سنوات، لم يكن شيء يقدر على إخراجه عن هدوئه، منذ أن شارك ياخماد تمدد السجناء في (مارسيل)، حيث لقي اثنين من الحراس مصرعهما، الذي رأى الموت في كل دقيقة مرت خلال عملية تبادل الأسرى. لقد كان عليه خلال يومين فقط أن يمر بعملية إعدام وهميتين.

كان وجهه ذو العظام البارزة يثير الرعب في قلوب معظم من يراه. بل وإن الكثرين يتهمونه بالعنف، بالرغم من أنه كان في حقيقة الأمر من أبشع المفاوضين النفسيين، يمتلك قدرة السيطرة على أصعب المواقف من خلال صبره وإحساسه العالي.

أما (فيكتور فايفر) فلم يمض على انتسابه إلى الفهود السود إلا ثلاثة أشهر فقط، ويعتبر من أصحاب المهارات الواudedة. كان أصغر من (سانتير) بعشرة أعوام، ويتمنى بديناميكية جسدية عالية، نادراً ما رأى لها (كامبراي) مثيلاً. فحتى الآن لم يتمكن أحد من أفراد الفهود السود من التغلب على (فايفر) بالمصارعات الفردية. كانت بشرته شديدة الغمقة، وله عينان سوداوان تشعان كالجمر عند غضبه.

قفز (فايفر) أولاً فوق السور، وتدحرج بخفة على الأرض المفروشة بأوراق الأشجار الجافة في الناحية الأخرى. وحالما قفز (سانتير)، أنزلت حقائب الظهر خلفهما. امتصت أرض الغابة صوت ارتطام الحقائب. رفع الرجلان الحقائب على كتفيهما وتقديما داخل الموقع. كان (سانتير) يحتفظ بخارطة المكان في ذاكرته، لهذا توجه مباشرة باتجاه الغرب. كانت عتمة الليل على وشك أن تبتلع حمرة الشفق، فأرادا الاقتراب من المبنى الرئيس قدر المستطاع، قبل بزوغ النور. بدأ (سانتير) المسير.

كان الموقع شاسعاً، ومراقباً بكاميرات المراقبة في مواضع معينة فقط. وكذلك لم يكن من الممكن زرع إنذارات إلكترونية في باطن الأرض، وذلك لكثره الحيوانات الصغيرة التي تمر في مثل هذه الغابة، فكانت ستنسبب بإطلاق الإنذارات الخاطئة بشكل متكرر.

لم يبق إذا سوى الكلاب، فكر (سانتير). لا شك أنها ستسرح في الليل. ولذلك الحين كان يتوجب عليه العثور على مخبأ. أسرعوا متخطلين الأغصان المتشابكة، وتسللوا بعيداً عن الأشجار

الصغيرة، ومرروا بين الأشواك وتحت أسقف من ورق الشجر باتجاه القصر. بعد قطعهما لمسافة تقارب الكيلومتر رأوا أمامهما مساحة خالية، برزت خلفها كنيسة محاطة بسقالات. رحفو بين الشجيرات واستعمل (سانتير) منظاره العسكري لاستكشاف المكان. ليس بعيداً عن موقع الكنيسة رأى برجاً مائياً. وحسب اعترافات (لافاليه)، إن المبنيين كانوا مرتبطين بممرات تحت الأرض.

- «ماذا نفعل؟» سأل (فيكتور فايفر)، بعد أن نظر هو أيضاً من خلال منظاره العسكري «إلى داخل الكنيسة؟».

- «ليس بالحل السعيد. وكذلك البرج المائي يشكل إمكانية. أو سقيفة».

- « علينا أن نسرع، فالظلام على وشك الهبوط».

أوما (سانتير) موافقاً. حولهما سمعاً أصوات الغابة المعتادة عند حلول الظلام من طقطقة وحفيظ.

- «سندذهب إلى الكنيسة».

زحفا خارجين من بين الأشجار عبر المنطقة المحيطة بالبقعة الخالية. تقلوا من جذع إلى آخر، مختبئين بين الأغصان والأوراق. كان أحدهما يتقدم إلى الأمام بينما كان الآخر يغطيه حاملاً سلاحه. لم يحتاجا إلى استخدام أدوات الاقتحام خاصتهما، فلم تكن بوابة الكنيسة مقفلة، وانساب الباب إلى الداخل بمجرد أن ضغط (سانتر) مزلاج الباب إلى الأسفل.

انزلقا إلى داخل الكنيسة، بحثاً عن الأدراج المؤدية إلى برج الكنيسة ثم صعدا السلالم الحجرية حتى وصلا إلى منطقة أسفل الأجراس. أخرج (سانتير) جهازه اللاسلكي من حقيبة الظهر خاصة وبعث برسالته إلى (كامبراي). في هذه الأثناء كان (فيكتور فايفر) يحمل

منظاره الليلي ويراقب المحيط الخارجي من خلال أحد شقوف الجدار الضيقة.

القطعت الأشعة المخضرة لمنظاره الليلي كتلة حرارية ممتهلة. كانت الكتلة الحرارية، التي توقفت فجأة، ذات أربعة أرجل. تحجر الجسد الضخم، وبدأ كأن الرأس الهائل المنحني إلى أسفل، يذوب في الأرض. ثم ارتفع الرأس عن الأرض، وبدأ ذلك الحيوان بعنق مشرئ يشم الهواء.

تلك الارتجافة في خاصرته جعلت العرق يتصلب على ظهره (فايفر). عضلات خالصة. إنه آلة قتال تزن سبعين كيلوغراماً، وبإمكان فكه الضخم أن يهرس أي نوع من العظام. كان الحيوان قد اشتم رائحة أثريهما، ولن يفقده أبداً. خفض رأسه إلى الأرض، وبدأ الكلب بتتبع خطاهما بمنتهى الدقة.

الفصل الثالث والثلاثون

(فونتينبلو)

صباح الثلاثاء

قدموا نحو الساعة الخامسة، وضغطوا وجه (كريس) إلى الأرض. كان ضغط تلك اليد الثقيلة على مؤخرة عنقه قد أيقظه. لامست شفاته الأرض الحجرية المشققة، وشعر بطعم الغبار على لسانه. كان ما يزال يرتدي ثيابه التي جفت تماماً بفعل حرارة الجسم. بينما كانت الأصفاد الحديدية الباردة تحيط بمعصميه، كسوارين من الجليد.

جرّته اليدان الثقيلتان من شعره لتجبره على الوقوف. اهتز (كريس) فأنته ضرية من الخلف. بخطوات متعرّضة سار خارجاً من باب الزنزانة. كانت البقعة الجافة والداكنة على الأرض تُذكّر بالمكان الذي تم فيه إعدام (بونتي). كان الرجل ذو الشعر الناري أمامه، بينما تبعه الرجل ذو وجه التاليل (باري). قادوه عبر الممر الرئيس إلى الخارج وهناك تبعوا ممراً صخرياً يؤدي إلى الأسفل. بعد ما يقارب المئة خطوة، توقفوا أمام بوابة حديدية. رأى (كريس) عدسة مصورة مثبتة بالسقف.

دخلوا إلى غرفة أمامية، اتسعت بعد بعض خطوات لتصبح قاعة في أعماق الأرض.

كان ارتفاع القاعة يقارب الأربعة أمتار تقربياً، بينما لم يكن بالإمكان رؤية نهايتها التي غرفت في الظلام. يبدأ السواد بعد خطوات من صف للشمعدانات التي تحمل عشرات الشموع المضاءة. وكانت الظلال القاتمة تترافق على الجدران الصخرية الجرداء للقاعة. على الجانب الأيمن لمح (كريس) ثفرات، بدت في الظلال كأنها مداخل كهوف. «إنها توابيت»، فكر في نفسه، عندما أعاد النظر إلى تلك الشقوق العريضة الفامضة، التي اكتشف بداخلها ثفرات رمادية قاتمة.

كانت شعلات الشموع في الجانب الآخر من القاعة تترافق كأن تياراً من الهواء قد اندفع من مكانٍ ما باتجاهها.

دلت نغمات الأورغ العالية كالرعد في أرجاء القاعة، وهبطت فجأة حزمة ضوئية ساطعة على مقدمة مستطيل على الأرض. نحن أسفل الكنيسة، فكر (كريس)، وحدق باضطراب في البقعة المنارة بفعل الأضواء القوية.

تقدما إلى الأمام بفعل دفعه على ظهره. حول البقعة المضيئة رُتبت كراسٍ بشكل منتظم، وعلى مسافات متساوية البعد. تكوت بينها مجموعات مرتبة من الحجارة بارتفاع يصل إلى مستوى الركبة. كان كل من الحجارة بحجم كرة المضرب.

كان المستطيل غائراً لبضعة سنتيمترات في الأرض، ويتميز بسطحه المستوى تماماً، وناصع البياض كالثلج، عن بقية الأرض الحجرية المحيطة به. قدر (كريس) مساحة ذلك المستطيل بطول خمسة سنتيمترات، وعرض عشرة سنتيمترات. في وسطه امتدت حشوة بشكل عرضي. من وجهاً نظره بدا وراء الحشوة، في الجزء الخلفي من ذلك السطح، كأن صليباً طويلاً وضيقاً قد حُفر عليها.

توقع (كريس) أنه أمام قبر ضخم، ثم فكر إن كانت تلك المواد عبارة

عن حجارة صخرية منحوتة أم أنها مصممة من مواد بلاستيكية. فجأة ظهر خيال من الظلام، ووقف بين أعمدة الشمعدانات. توقفت نغمات الأورغ.

تراقصت انعكاسات الأنوار على رداء الجوفة الكنسية الذي كان يرتديه (هنري مارفن). بينما كانت خيوط الذهب التي زينته تلمع تحت أضواء الشموع، وكانت بعض النقاط تُشع في الظلال، كأنها النجوم الساطعة في عتمة الليل.

تذكر (كريس) أثواب الملائكة التي كان قد رأها في طفولته على بعض الرسومات. إلا أن التطريز ذا اللون الأحمر الداكن على رداء (مارفن) بدد تلك اللوحة.

- «هل قمت بأداء الصلاة؟» سأله (هنري مارفن) بينما كان يحدق في سجينه. «(الماتوتينا)، صلاة الصباح الأولى. هل تلوت تلك الصلاة؟» كرر (مارفن) سؤاله عندما لم يقم (كريس) بأي ردة فعل. هر (كريس) رأسه نافياً.

- «سأمنحك خمس دقائق لأداء الصلاة، لتبدا يومك الصعب بالذلل والشعور بالرهبة أمام رب».

- «وهل هذا مهم؟» فلم يقم (كريس) منذ طفولته بأداء الصلاة. - «بالنسبة لي، نعم». قال (مارفن) بصوت عال كالرعد «لا بد من التمييز بين من يؤمن، ومن لا يؤمن. فغير المؤمنين لا يُنتظرون منهم أن يعاملوا بشفقة، فهم مطرودون من رحمة رب».

- «هل تعني أن غير المؤمنين يجب أن يعاملوا بطريقة أسوء من المؤمنين؟»

- «لقد فهمت المقصود بشكل صحيح. والأسوء هم من خانوا رب والعقيدة. يجب أن يعاقبوا بغضب رب الكامل».

– «أنا لن أصلني لإله غاضب!».

أومأ (مارفن) لـ (باري). وفجأة دوى صوت محرك. انقسم اللوح الموجود على الأرض إلى نصفين من منطقة الحشوة، واحتقى جزئي اللوحين عند مقدمة المستطيل تحت الأرض الصخرية.

شيئاً فشيئاً بدت حفرة في الأرض، كانت بعمق مترين ونصف، وبارتفاع وعرض وصل إلى حيث وضعت الكراسи تقريباً.

فكر (كريس) بشكل تلقائي بحمام السباحة المفروش بالرمال. كانت الرمال صفراء اللون، ناعمة ومستوية كأنها شاطئ غير مأهول على أحد شواطئ بحر الجنوب.

أشار (مارفن) بيده اليمنى. عاد المحرك يدوّي، فارتفع شبك معدني من الجانب الأيسر للجهة الأمامية للحفرة.



صوت زقزقة العصافير أيقظ (جون سانتير) من شبه غفوته. فتح عينيه ونظر إلى (فيكتور فايفر)، الذي كان جائماً أمام إحدى الفتحات الموجودة في سور الأجراس وينظر إلى الأسفل.

فرك (سانتير) عينيه، وأخذ يتذكر ما فعلوه في الساعات الماضية. في البداية قاموا بارسال رسالة، أنهم قد وجدوا المخبأ المناسب.

تمركزوا هناك بحالة انتظار وقاموا بمراقبة المنطقة المحيطة بالمبني الرئيس، مستخدمين أجهزة الرؤية الليلية. لاحظوا اثنين من الحراس الذين كانوا يحومون حول المنطقة في أوقات غير منتظمة، كما أنهم رأوا عدداً من الكلاب، التي كانت تخرج أحياناً من الغابة وتتسلل عبر المساحة الجرداء، تحت الأضواء، كأنهم نمور في طريقها للصيد.

تم إطفاء آخر مصباح في المبنى الرئيس قبل ساعة تقريباً. وبعد انتظار دام ما يقارب نصف الساعة، استعد رجلاً فرقة النمر الأسود لاستكشاف الكنيسة.

سارعاً بالهبوط إلى صحن الكنيسة، وباشرًا تفحص كل زاوية منه مستعينين بأجهزة الرؤية بالأشعة تحت الحمراء، التي كانا يرتدانها على وجهيهما، كأنها نظارات الغواصين. ثم تابعاً النزول على السلالم الحجري حتى وصلوا إلى قاعة كبيرة توجد تحت الأرض. ما لفت نظرهما، تلك المساحة المستطيلة المحفورة على الأرض، والمزينة بذلك الصليب، التي كانت مضيئة، وتحدها مجموعة من الكراسي المرتبة حولها.

كانت آلة التصوير الرقمية المثبتة على رأس (فيكتور) تقوم بإرسال الصور بشكل مباشر إلى مركز القيادة. عليهم أن يعرفوا أكثر عن ذلك المستطيل الضيء، هكذا كانت الأوامر الصادرة من مركز القيادة، إلا أنهم بعد عدة دقائق تركوا المحاولة. فلم يستطعوا العثور على أي قبضة لإزاحة اللوحة أو حتى فتحة لينظروا من خلالها، إضافة إلى أنهم كانوا معرضين للإزعاج في أي وقت.

وفي النهاية قاموا بثبت آلات مرقبة صغيرة في جميع أنحاء الكنيسة وكذلك في القاعة الموجودة تحت الأرض، وكانت تلك مجهزة بعدسات ذات زوايا كبيرة بحيث تستطيع تصوير المكان بالمجمل.

كان بإمكان آلات المراقبة تلك، التي يتحكم بها عن بعد، العمل مدة ست وثلاثين ساعة متواصلة بفضل تجهيزها بخلايا طاقة طويلة الأمد.

كذلك تمكنا من العثور على الباب الحديدي الذي يوجد خلفه الممر الذي لا بد أنه يربط القاعة بالمبنى الآخر.

إلا أن رئيس المباحث (كامبراي) أمرهم بعدم عبور ذلك الباب وذلك

لأن (لافاليه) قد أخبرهم أن ذلك الممر مراقب بآلات التصوير المعدة للمراقبة.

تسللا عائدين إلى برج الأجراس وقد أيقنا أنها لم يحصل على الكثير من المعلومات التي يحتاجها.

كانت إدلة (إريك مايكل لافاليه) هي السبب الرئيس خلف قيامهما بهذه العملية. فهما لم يتمكنا من خلال مراقبتهما الشخصية من معرفة قوة خصومهما من حيث العدد، والعتاد، والتسلیح. وكذلك لم يروا أي مسروقات هنا، أو أناس تم اختطافهم وسجنهما في هذا المكان.

لقد منعهما رئيس المباحث (كاميراي) من أي توسيع في بحثهما. حيث أنه رأى في مكانهما أعلى برج الأجراس موقعًا استراتيجيًّا في حال اتخاذه قرار مداهمة المكان. إن كان قاضي التحقيق سوف يصدر هذا القرار أم لا، إضافة إلى أن توقيت ذلك، كان ما يزال أمراً مفتوحاً. ولهذا انسحب كل من (سانتير) و(فايفر) إلى موقع المراقبة، وتناولوا أوقات النوم.

الآن زحف (جون سانتير) إلى (فايفر)، الذي كان جاثماً أمام فتحة السور يراقب المبني الرئيس، حيث تم للتو إضاءة أول المصايبع هناك.

- «هل هناك ما يثير الاهتمام؟» سأله (سانتير).

- «لا شيء حتى الآن».

تسلل الليل هارباً ويفي شعاع من الشفق الأحمر يصارع قوة انبلاج النهار.

فجأة همس (فيكتور فايفر) بشيء ما. التقاط (سانتير) منظاره العسكري وتمركز أمام فتحة أخرى من السور وبدأ ينظر إلى الأسفل.

كان الرجل الذي ظهر في الساحة الأمامية للقصر، ممتئل الجسد

وقوى البنية. كان يرتدي وشاحاً أبيض اللون تقريباً. وحسب وصف (لافاليه)، لا بد أن يكون هذا الرجل هو (هنري مارفن). تقدم رجالان ووقفاً إلى جوار (مارفن). بدياً كأنهما في حالة انتظار، ولكن ما الذي كانوا ينتظروننه؟ وفجأة خرجم الكلاب من كل جانب من الغابة.

تصبب العرق على ظهر (سانتير)، حين لاحظ كمية العضلات التي تحملها أجساد تلك الحيوانات، التي حسب تقديره لم يكن وزن كل منها يقل عن الأربعين كيلو غراماً. تدلت الألسن من الأفواه الفضف مفتوحة حين عدت تلك الكلاب بسرعة خيالية باتجاه الرجال الثلاثة. عد (سانتير) سبعة كلاب. لم تكن أصواتهم تسمع، في حين أن زفرة العصافير الصباحية كانت تملأ أرجاء المكان.

انتظر (سانتير) قفزات تلك الحيوانات، ورأى أرجلها الخلفية المتحفزة، وحَيَّل إليه أنها ستقوم برفع أجسادها بحركة سريعة ومفعمه بالحماس في الهواء. إلا أن الكلاب وقفت بشكل مفاجئ أمام الرجال وجثمت على أرجلها الخلفية.

مر (مارفن) أمام صف الكلاب وأشار إلى اثنين منهم، وقام أحد الرجال بربطهما فوراً بالسلسل. بينما سار الرجل الآخر مع بقية الكلاب باتجاه القصر.



رفع الكلب رأسه لالتقاط شيء من رائحة الأثر. ثم بدأ الحيوان بالتحرك، تقدم بشكل مباشر إلى وسط الحفرة ووقف هناك. حفرت أرجله الآثار الأولى على رمال الحفرة.

ارتجم (كريس).

كان ارتفاع ظهر الحيوان يصل إلى أكثر من ثلاثة أرباع المتر، بينما بدا شعره الرصاصي اللون، قصيراً وذو ملمس خشن وقاسٍ. كان الرأس كبيراً وضخماً، بينما بدت خطوط التجاعيد الشديدة على جلده. وتدلت أذناه الصغيرتان المثلثتان على وجنتيه. خمْن (كريس) وزن ذلك الحيوان بنحو سبعين كيلو غراماً.

- «إنه من ساللة الدرواس النابولية» قال (مارفن)، الذي كان يراقب ردود فعل (كريس) بكثير من السعادة. - «حتى أن (الكستندر) (سيزر) كان لديهما كلاباً ضخمة ومخيفة، كانت تهاجم صفوف أعدائهم وتملؤهم رعباً وفزعًا. وهذا أحد أحفاد تلك الحيوانات. وذاك كذلك».

رأى (كريس) الكلب الثاني، الذي تقدم ببطء ليستقر وسط الحفرة أيضاً. كان كل شيء في ذلك الحيوان ينم عن قوته وليونته. كان يبدو أن الكلب الثاني يفوق الأول وزناً، كان أطول وذو قفص صدرى عريض تطفى عليه العضلات القوية والبارزة. بدا الوجه الضخم مربعاً، بفعل الزاوية المنفرجة المبتلة من منطقة الحاجز الأنفي المحيطة بالشفاه. وكان شعره ذو لون رملي.

- «إنه من نوع المستيف». قال (مارفن) بفخر. وقف الحيوانان في مكانهما بصمت تام، يحدقان من دون حركة برؤوس مرفوعة إلى الأعلى.

- «ما عسى هذا أن يكون؟» صاح (كريس) بغضب. تبسم (مارفن) بنوبة المنتصر ثم تحرك عدة خطوات ووقف إلى جانب كومة الحجارة. حمل إحدى الحجارة وأخذ يهزها بيده ليُقدر وزنها. - «سيتم اليوم انتخابي كرئيس للبريتوريانيين. وسيبدأ البريتوريانيين غداً بخوض معركتهم المنظمة، والغير مسبوقة ضد أعداء الدين. بالمقابل لدينا حملتنا الدعائية المعلنة، التي تقوم من خلالها بنشر كلمة الرب عن

طريق الحوار وإظهار الحُجج. إلا أن هذا كلّه مجرد البداية. فالأكثر عزماً بيننا، سيقومون بمواجهة التجديف بحمل غضب رب المُحَق حول العالم». - «ماذا تعني بهذا؟» سأله (كريس).

- «هناك من يرى أن كلّ كلمة هي تجديف بحق رب ((ومن جدف على اسم رب فإنه يقتل. يَرْجِمُه كلّ الجماعة رجماً. الغريب كالوطني عندما يُجَدِّفُ على الاسم يُقتل)) سفر اللاويين، الإصحاح 24 الآية 16». حدق (كريس) بأكواام الحجارة على حافة الحفرة وقد أدرك الأمر.

- «أنت تريدين...»

أوّلأ (مارفن) بجدية «المختارون من البريتوريانيين سيقومون بمعاقبة المجدفين بما يستحقونه. كما ينص عليه الكتاب المقدس». - «إنك تهذّي حتماً».

- «((آمين، فإنني الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل)) إنجيل متى الإصحاح 5 الآية 18»

- «أنا أيضأً هل تريدين رجمي أنا؟ هل أنا هنا لهذا الغرض؟».

- «(تسربت هاين)، لقد قمت بالتجديف على اسم رب!». تلاقت نظراتهما، لكن (كريس) تحدى تلك النظرة القاسية من دون أن يخفض عينيه.

- «متى؟ وكيف؟».

- «كان (فورستر) مجدفاً على اسم رب. أراد خيانة كلمة رب وبذلك الرب نفسه. ولقد اشتركت معه، ساعدته، وعشت معه تحت سقف واحد - بصورة مجازية-». أوّلأ (مارفن) بجدية، كأنه ينصلح إلى كلماته من خلال صدى صوته.

- «إلا أنني أريد قبل ذلك معرفة أمر ما، ولهذا سيقرر الرب إن كان سيفي الرحمة».

- «هل ستقوم بنصب هذا السيرك الكبير هنا، مجرد رغبةك بالحصول على بعض الإجابات؟ ألقى (كريس) نظرة سريعة على الكلبين. «يامكاني الفهم بتلك الطريقة أيضاً».

- «لا يبدو لي أنك فهمت. إنك حتماً تعرف قصة (دانيل) في حفرة الأسود؟ لقد تم الافتراء على (دانيل) وقد نجا من الموت في حفرة الأسود، التي أمر الملك الفارسي (داريوس) بإلقائه داخلها. إلا أنه نجا بفضل ثقته بالله. بينما قامت الأسود بتمزيق أجساد الذين افتروا عليه، حين تم إلقاءهم في حفرة الأسود بعد تلك الليلة».

انحنى (مارفن) بشكل مفاجئ إلى الأمام، وأمسك بقوية ذراع (كريس) وضغط عليها.

- «سيظهر يا (تسربت هاين)، إن كنت ابناً للرب أم أنك من المفترين».

- «إنك شخص مريض!» ارتعدت أرجل (كريس). ضحك (مارفن) ضحكة شريرة، ثم أخرج هاتفًا جوalaً من جيبه، كان هاتف (كريس) الذي سلمه له (باري) آنفاً.

- «أريد الحصول على إجابات لأسئلتي». قال (مارفن) بصوت راعد، تردد في أرجاء القاعة، كأنهم في كهف جبلي. «هناك رسائل مسجلة على الهاتف. وأنا لا أريد سماع أي قصص كاذبة. ولا حتى للحظة واحدة. انزل إلى الأسفل!».

أشار (مارفن) إلى الحفرة، ووجه (باري) فوهة مسدسه إلى رأس (كريس).

- «مستحيل!» هز (كريس) رأسه بشدة «مستحيل!».

تلقى (كريس) ضربة مفاجئة على مؤخرة رأسه جعلته يسقط على ركبتيه. قام الرجل ذو الشعر الناري والآخر ذو وجه التاليل بامساكه وجره إلى حافة الحفرة. فجأة حلّت الأصفاد التي كانت تكبل يديه، ثم شعر بذلك الشعور الفريد في حالة السقوط. هوى إلى أرض الحفرة على وجهه وامتلاه فمه بالرمال.

تدحرج (كريس) مصدراً أنيئاً، ثم بصدق الرمال خارج فمه. كانت الكلاب تراقبه، إلا أنها لم تتحرك ولا حتى سنتيمتراً واحداً من أماكنها. وقف، وأدارت الكلاب رؤوسها مجدداً باتجاه حافة الحفرة.

- «إنك مدرب بشكل ممتاز يا (تسرن特 هاين)». نظر (مارفن) إلى الأسفل حيث كان (كريس).

- «في الحقيقة كان من المفترض أن يثبتت (لافاليه) ولاعه للبريتوريانين من خلالك. أتذكر هذا؟ إلا أن الجبان قد فرّ، واختفى في مكان ما. ولكنه هو أيضاً لن يستطيع الإفلات من مشيئة الرب. وسنكتشف الآن إن كنت ممن سيشملهم الرب برحمته...» ابتسם (مارفن) بقرف.

- «ما علي أن أفعل الآن، حتى...» أوما (كريس) باتجاه الكلاب.
- «آه! لقد أدركت إذا!» ضحك (مارفن) ببرضا «هل قمت بايقاظ أحدى نقاط الضعف لديك يا (تسرن特 هاين)! الخوف من الكلاب!».

- «ومن ذا الذي لا يخشى تلك الوحوش؟».
- «يوجد ما هو أسوء يا (تسرن特 هاين)، صدقني يوجد ما هو أسوء. الرجم على سبيل المثال» ضحك (مارفن) بصوت عالٍ.

- «أخبرني ما تريده (ياسمين)».
- «أنا لا أفهم ما تعني». تقلص وجه (كريس).
أعطى (مارفن) إشارة إلى (باري)، الذي قام بدوره بفتح الرسائل

الأخيرة الواردة إلى صندوق البريد الصوتي الخاص بهاتف (كريس) ورفع الصوت إلى أعلى درجة.

كان صوت (إينا) يبدو متوتراً ومنزعجاً. حيث أرادت أن ترتب معه برنامج رحلات العمل لهذا الأسبوع وكشفت نبرة صوتها عن مدى حنفتها؛ لأنه لم يكن يجيب على اتصالاتها المتكررة. وأنه تركها لتحمل مشكلات شركته الخاصة بمفردها.

- «إنها سكريتيري». تتمم (كريس) وشكر الأقدار على إهدائه تلك الجوهرة.

- «لقد عرفت ذلك». أجاب (مارفن) بصوت بارد «إلا أنه عليك أن توضح لي معنى الاتصال التالي».

ضغط (باري) على أحد المفاتيح.

- «(كريس)، أنا (ياسمين). لماذا لا تجيب على هاتفك؟ أنا الآن مجدداً في (صوفيا أنتي بولس)....، إنها تقع في (فرنسا) بالقرب من مدينة (كان). شقيقتي (آنا) موجودة هنا أيضاً. أنا لم أخبرك بذلك من قبل... إن ابنها مريض جداً. وأنا موجودة في المستشفى التابع له (تيسابي)....».

صمت.

- «لقد قام (واين) بعمل فظيع... وأحضرونا إلى هنا بسبب العينات الخاصة بك... أنا بحاجة لمساعدتك. فقد تكاثرت العينة التي أخذناها من العظام التي أحضرتها و....، ما عساي أن أقول؟ وإن كان كل ذلك صحيحاً، فستكون اكتشاف القرن. يبدو... اللعنة...، والآن إن أولئك الأوغاد يخططون له....، اتصل بي! لقد أخذوا مني هاتفي الخلوي. عليك الاتصال بشقيقتي (آنا)! ثم تلت رقم الهاتف «لماذا لا تجيب على هاتفك؟ أنا بحاجة للمساعدة! وإن لم تقم بالاتصال فلن أغفر لك ذلك أبداً».

الفصل الرابع ٦ الثلاثاء

(فونتينبلو)

صباح الثلاثاء

كسرعة البرق عاد (كريس) بذاكرته إلى تلك الليلة التي قضاها في شقتها، ورأى وجهها ذو العينين المعتربتين. ضحكت (ياسمين) باستهزاء، ثم بدت تلك الملامح المتألمة مجدداً، التي لم يتمكن (كريس) آنذاك من تفسير سببها. إلا أنه فهم ذلك الآن ...

رأها تجلس على مقعدها في المختبر، العنق النحيل منتصب والأكتاف مشدودة، رأها تضحك في المطعم. ثم حضره صوتها المتسلل مجدداً، نداء الاستفائية ...

- «ما علي أن أفعله حتى أتمكن من الخروج من هذا المكان؟» سمع نفسه يتساءل.

- «تسربت هاين)، اقترح عليّ عرضاً؟ ماذا لديك لتقدمه؟». سأله (مارفن) بخبث.

- «سألانال النهاية نفسها (بونتي). هل هذا هو تصورك عن الرب؟ الإله المحب للانتقام؟ إنك تحفظ الكتاب المقدس عن ظهر قلب، أما أنا فلا. ولكن على ما أذكر لقد كان هناك أيضاً ذلك التصوير للإله الطيب. (المحبة)، أليست هذه هي الكلمة التي تمثل قلب العقيدة وخصوصاً المسيحية؟».

- «(وإذا أمات أحد إنساناً فإنه يقتل... ودائماً يسري قانون: نفساً بنفس)» سفر اللاويين، الإصلاح 24 الآيات 17 و18.
- إن قانون الرب هو الذي يعلمنا ما علينا فعله، يا (تسربت هاين).
- لقد قتلت مسيحيأً، من البريتوريانيين. حراس الكتاب المقدس. كان عليك أن تقرأ الكتاب المقدس. إنك لا تأخذ كلام الرب على محمل الجد». هرّ (هنري مارفن) رأسه، كأنه يتحسر لمعرفته تلك الحقيقة من كل قلبه.
- «هل تريد أن تراني أزحف على أطرا في الأربعة على هذه الرمال، وأنوسل إليك أن تبقيني على قيد الحياة؟ هل أنت من تلك الشاكلة؟ أنت ورجالك تقومون بالقتل للحصول على تلك الألواح. لقد حصلت على الألواح منذ زمن، فما الذي تريده الآن؟».
- «من يثق بالله فإنه يتقبل مصيره بخضوع».
- «لقد بدا لي الأمر أكثر وضوحاً الآن: فإلهك ليس هو نفسه إلهي».
- «ماذا عن العظام؟ وعن أي عينة كانت تتحدث؟ وماذا عن تلك الـ (ياسمين) باكتشاف القرن؟ فسرّ لي معاني المكالمة!».
- «الأمر لا يحتاج إلى كثير من التفسير» قام (كريس) بقص حكايته بشكل مقتضب، وكيف أن (فورستر) قام بإيقاعه على الطريق السريع بأن يتم عملية النقل، وكيف أنه قرر بمفرده السفر إلى (دريسدن) لمعرفة المزيد عن تلك العظام.
- «وكيف تبادرت لك تلك الفكرة؟».
- «لقد لمح (فورستر) تلميحاً غريباً، أن تلك العظام تعود لشخص مهم أو شيء من هذا القبيل» فكر (كريس) قليلاً ثم أردف: «كان لدى فضول لمعرفة المزيد، وفكرت بأمر تحديدي عمر العظام. فقد تحدث (فورستر) كثيراً عن الألواح، ولكنه لم يذكر الكثير عن العظام. كانت فكرة طارئة».

- «وماذا بعد؟» سأله (مارفن) بترصد.

- «لا شيء آخر. إن بنية العظام لا تمكن من التحديد الواضح إن كانت تعود إلى كائن بشري بالفعل. ولهذا كان على صديقي أن يجري تحليلًا للحمض النووي. لكن العينة كانت ميتة. ولا أستطيع أن أفسر لك تلك المكالمة!».

- «(أسمعوا كيف كان نبوخذ نصر يمجد الله: اتجهت نحو الشرق ودحرت الكيش، قمت بتوحيد المالك والرعية، ظهرت المعبد وأحضرت عظام الراعي إلى بابل. بنيت معبدًا لتمجيد نينورتا. قدست مردوخ وأحضرت له الألواح السبعة وعظام الراعي كدليل على ولائي له)).».

صمت (مارفن) لوهلة وترك صدى صوته يتتردد في المكان. «هذا هو المكتوب في الألواح يا (تسربت هاين). هل تلك هي عظام الراعي؟»
- «عن أي راعٍ تتحدث؟ ليس لدي أدنى علم بما تحتويه تلك الألواح؟ عليك أن تفهم هذا!».

صاح (كريس) بغضب شديد ثم ركل الحائط بقدمه. ثم تذكر وجود الكلاب فنظر إليها، إلا أنها كانت جاثمة على أرجلها الخلفية دونما حراك وكأنها تماثيل حجرية.

- «إنك تعرف معنى الراعي يا (تسربت هاين)؟»
- «رعاة؟ يعتنون بالماشية؟ يحمون قطعانهم. ما كل هذا يا (مارفن)؟».

فجأة دوّت أنفاس الأورغ في أرجاء القاعة، فرفع (مارفن) يديه إلى الأعلى، فبدأ كأنه نصب تذكاري. ثم أخضضهما عندما توقفت الموسيقى.
- «اسمع نغمات الأورغ يا (تسربت هاين)، إنهم يقومون بوزنها استعداداً للصلوة. هذا هو الفرق بيننا. سيعتمد اليوم اختياري لأكون راعياً

للبريتوريانين» ضحك (مارفن) «هل أنت راعٍ؟ هل لديك إمكانية الرعاية؟ لا أعتقد هذا. أما أنا فعلى العكس تماماً. (تسرت هاين)، الراعي يمتلك السلطة، والسماح بالرأفة». أخبرني ماذا تعرف، وستصيبك تلك الرأفة!».

- «إنك تهذى!» صرخ (كريس). ثم دوى صوت المحرك مجدداً، وفتح الجدار الأمامي الأيسر للحفرة قدر نصف فتحة. تقدم خروف بتردد إلى داخل الحفرة، توقف، ثم أغلقت البوابة خلفه. بقي الكلبان جالسين في مكانيهما، حتى أنهما لم يحركا رأسيهما.

- «أرني يا (تسرت هاين)، إن كنت راعياً جيداً، فأتركك تذهب. ولكن فقط عندما ...»

أدرا (مارفن) ظهره. وعندما عاد للاستدارة باتجاه الحفرة، كان يحمل بيده عصاً قام بـإلقائها في الحفرة.



التقط (كريس) العصا بيده. كانت ملساء ومستقيمة. وعلى وجه الخصوص هناك قبل بدء الانحناء، كان الخشب جافاً تماماً، وقد تلون باللون الرمادي الداكن بفعل الضوء والأمطار. انتهى الانحناء في الجزء العلوي منها بخطاف، كان يمكنه الالتفاف بشكل جيد حول الأقدام الخلفية للحيوانات. بينما كانت العصا تنتهي من الأسفل برأس حديدي مدبب. أرکز (كريس) العصا على الرمال فوصل طولها إلى جبهته.

كان الخروف ينكمش ويحشر نفسه على طول الحائط الجانبي المقابل. فجأة قام أحد الكلبان بالقفز عدة مرات إلى الجانب بــمفتاح تماماً.

ارتطم الجسم الضخم ذو السبعين كيلوغراماً تقريباً، بالخروف.
اشرّاب العنق الغليظ للكلب وأخفى الجسم ذا اللون الرصاصي الداكن
الجسد المنتقض للخروف تحته. سمع صوت قرقشة، ثم استسلم جسد
الخروف تحت قبضة فم ذلك الوحش.

- «إنك لم تحمِ رعيتك. أنت راعٍ سيء».

وقف (مارفن) على حافة الحفرة، وقد علق صفارة الكلاب في فمه.
حدق بالحيوانات بعينين لامعتين وقد كسر عن أسنانه. أطلق صفارة
جديدة، فترك الكلب جسد الخروف على الفور.

- «تسربت هاين)، ماذا تعرف عن العظام؟ ولماذا يريد البابا
الحصول عليها؟ أي سرٍ ذاتك المرتبط بها؟».
- «عليك أن تسأل البابا».

حرك (مارفن) شفتيه.

انطلق الكلب الثاني من مكانه. بينما كانت عضلاته الضخمة ترتعش
تحت الفروذى اللون الرملى. ارتمى (كريس) جانباً وأمسك بعصا الراعلى
موجهاً رأسها الحديدى المدبب باتجاه الحيوان.

أخطأته الأنابيب البارزة للكلب ببضعة سنتيمترات. ولكن أيضاً ضربته
لم تكن دقيقة. فانزلقت العصا على العضلات القوية لأرجل الحيوان، كأنها
مدرعة مضادة للرصاص. سقط الكلب على الرمال، ثم استدار وتحضر
للقفزة التالية، إلا أنه توقف فجأة، وجثم على قدميه الخلفيتين.

- «المرة التالية ستكون أنت الهدف». تبسم (مارفن)، الذي أطلق
صفارة جديدة حالت دون إتمام الهجوم التالى للكلب.
- «لا أعلم شيئاً» صاح (كريس) ورمى العصا جانباً فوقعت على
الرمال.
- «كن راعياً لنفسك!».

زم (مارفن) شفتيه، ودس الصفارة بينهما، فتأهّب الكلب للهجوم بعد سماعه للصوت الذي يصعب على الأذن البشرية التقاطه.
قفز الكلب في الهواء.

بصمت، تحرّك (كريس) في اللحظة نفسها إلى الجانب والأمام، وركع اثناء ذلك إلى الأرض ساحيا العصا بيده التي امتدت إلى الأمام والأسفل. أشارت العصا باتجاه صدر الحيوان الضخم، الذي لم يعد قادرًا على تغيير وجهة قفزته.

أصابت النهاية المدببة القفص الصدري. ارتجت يد (كريس) تحت ضغط مقاومة الجسد الضخم. ترك العصا وارتدى جانبًا. انحنى العصا، ثم وجد الرأس المدبب طريقه في اللحم، ودفع الحماس بالعصا داخل صدر الكلب، حتى أنها تشققت تحت ضغط الجسد الهائل. بضم مفتوح حلق الكلب إلى جانب (كريس). أحس بالشعر الخشن على ذراعه ثم سقط على الرمال. ارتطم جسد الحيوان إلى جانبه ويقي مستلقياً. ثم مزقت المخالب قميصه وانفرست في كتفه. كان الكلب ذو الفرو الرصاصي الداكن فوقه، وفمه مفتوح بشكل كامل. تلألأت صفوف الأسنان كأنها العاج. في مكان ما في دماغه، كانت الصدمة قد قطعت تيار التنبية. تراءت له من بعيد تجاعيد الجلد، ثم انفرست الأنابيب البارزة من الفم المفتوح في حنجرته المشدودة.



- «هجوم! بسرعة! هجوم! تحت الكنيسة! سنبدأ الهجوم!».
سارع كل من (جون سانتير) و(فيكتور فايفر) بنزول أدراج برج

الأجراس، بينما كان رئيس المباحث (كامبراي) يراقب ما يدور من خلال آلات المراقبة الصغيرة التي تم تثبيتها.

وصل إلى مدخل الكنيسة. في نهاية صحن الكنيسة كانت أضواء الشموع تترافق، بينما امتلأ المكان بالأنيق العالية للأورغ. تابعا مسرعين النزول إلى الأسفل. قفزا منحنين إلى الدرجة الأخيرة من السلم الحجري ثم اتخذوا وضع القرفصاء.

بدت أمامهما قاعة تحت الأرض. وقف أربعة رجال حول الحفرة المضاءة. كان رجل ذو شعر ناري محمر يقف على الحافة الأمامية للحفرة، جاعلاً ظهره لهما. بينما كان يقف آخر على الحافة الجانبية، وبشكل مواجه له وقف رجلان أحدهما يرتدي رداءً فاتح اللون يخص الجوقة الكنسية.

تسلى (سانتير) بقفرات مكتومة باتجاه الرجل ذو الشعر الأحمر الواقف على الجهة الأمامية للحفرة. وقد طفت نغمات الأورغ العالية على كل الأصوات.

بقي (فيكتور فايفر) يحمي شريكه على بعد خطوتين خلفه حاملاً في يده وعلى ارتفاع وجهه مسدسه من طراز (جلوك)، المصنوع من الفولاذ المقوى بمادة البوليمر البلاستيكية، والمجهز بسبع عشرة طلقة.

أصابت ضربة (سانتير) الرجل على الجهة اليمنى من عنقه، فهو ذو الشعر الأحمر إلى الأرض فاقداً وعيه. حدق (سانتير) في الحفرة. لقد نجا الرجل بأعجوبة من الهجوم الأول ليقع ضحية الوحش الآخر.

نقل (سانتير) سلاحه إلى اليد اليمنى، ووجه منظار التصويب الضوئي إلى الفرو الرصاصي الداكن. صوب البقعة الضوئية الحمراء إلى هدفه تحت الكتف بالقرب من منطقة القلب. سحب الزناد مرتين فأصابت

الرصاصتان الكلب أثناء قفزه في الهواء، إلا أنهما لم تتمكنا من إيقاف انقضاضه. حلق الجسد الضخم في الهواء وهوى فوق الرجل الممدد على الأرض.

عندما لمع (سانتير)، انتزع الرجل الواقف على الجهة المقابلة من الحفرة مسدسه من جيب الكتف.

لوح (فيكتور فايفر) بسلامه وأطلق رصاصات في المدى. أخطأت الرصاصة الأولى هدفها بينما أصابت رصاصة (فايفر) التالية العنق. تعرّض الرجل إلى الخلف، ثم ترمع إلى الأمام وانقلب داخل الحفرة.

اشرأبت أعناق كل من (مارفن) و(باري) حين رأيا رجلهما يهوي في الحفرة. صرخ (مارفن) بحنق شديد، ثم استدار إلى الخلف، وركض فاراً بصحبة (باري).

ريت (فايفر) على كتف (سانتير)، الذي كان ما يزال ينظر في الحفرة ثم قال: «هل تتبعهما؟».

حدق (سانتير) في الجسم الهائل للكلب الذي كان ملقىً بلا حراك على أرض الحفرة.

وأخيراً تحركت ذراع تحت جسد الحيوان.
أوما (سانتير).



كان الفم المفتوح للكلب على صدر (كريس)، بينما تدلى لسانه المرتجف إلى الخارج. لمعت صفوف الأسنان الحادة بلون أبيض مُصفر. على بعض الأنياب كانت ما تزال نثرات من بقايا عنق الخروف معلقة، بينما

تجمعت جزر صغيرة من الدماء حول اللثة، وسالت كالجداول في حلق الحيوان. كان الشعر القصير الخشن يحك رقبة (كريس)، بينما شعر أن وزناً مرعباً يجثم على جسده.

كانت تجاعيد جلد وجه الحيوان لا تبعد سوى بضعة سنتيمترات عن عينيه. حدق بالأذن الصغيرة المثلثة. تلمست يده الفرو الرصاصي الداكن فشعر ببلل، فرك قليلاً ثم رفع يده. «أحمر...! دم...!».

أحس بالضغط المماجي على معدته، ارتفعت أحماض المعدة خلال المريء، استجمع كل قواه واستدار تحت الجسد الضخم للحيوان ليتلقاً على الرمال. بقي مستلقياً على جانبه، حتى سمع أزيز رصاص في الجانب الخلفي من القبو.

قام بجرّ ودفع جسد الحيوان عنه بعناء، إلى أن تمكن من تحرير نفسه. بللت دماء الكلب الرمال، وتسريت بين حباتها تاركة بقعاً ذات لون بني صدئ على السطح. نظر إلى الثقبين اللذين خلفتهما الطلقتان، وأدرك أنه قد تم إنقاذه. ثم تدحرج فوق الرمال ونهض فجأة وافقاً.

عليه الخروج من هنا!

على الجانب الآخر من الحفرة رأى الجسد المفتول للرجل ذو وجه الثاليل ممداً على الأرض، ليس بعيداً عن جثة الخروف. كانت الدماء لا تزال تسيل من عنق الحيوان إثر العضة.

اشتم (كريس) رائحة الموت.

قفز إلى جانب جدار الحفرة، ولامست أصابعه الحافة الخارجية.

ليس هكذا!

توجه (كريس) بعناء إلى جثة الرجل ذو وجه الثاليل وجرّها لاهثاً إلى حافة الحفرة وأسندتها إلى الجدار على هيئة الجلوس. ابتعد عنها لمسافة، وعدا باتجاهها، ثم قفز على الكتف الأيسر للجثة قاذفاً بنفسه إلى أعلى.

أمسكت كفاه بالحافة، ثم جرّ جسده إلى الأعلى بكل قوته، رافعاً اثناء ذلك رجله اليمنى إلى الأعلى. قفز لاهثاً فوق الحافة وتدحرج جانباً. نهض (كريس) واقفاً وأسرع إلى الجهة الأمامية من حافة الحفرة، نزع سلاح الرجل ذو الشعر الأحمر من قرابة مسدسه ثم سارع إلى المكان الذي كان يقف فيه (مارفن) و(باري)، حيث كان هاتفه الجوال ما يزال موضوعاً على الكرسي.



وصل (كريس) لاهثاً إلى الباب الذي يخفي وراءه الممر، حيث كانت الزنازين إلى جهة اليمين. كان لا يزال يسمع أزيز بعض الطلقات النارية. مجدداً سمع زخات الرصاص المنطلقة من الرشاشات الآلية، كانت الأصوات تحت الأرض مكتومة بشكل غريب. عدا على الأرض الصخرية ووصل بعد ما يقارب المئة متر إلى باب آخر. جرّه، وانزلق بين ممرات وأبواب، حتى وصل إلى حجرة كبيرة، في جانبيها الآخر سلم يقود إلى أعلى. كان يسمع من فوقه صوتاً يوزع الأوامر، ويرسل أنساناً إلى الخارج، ليستطلع الوضع عند مدخل السيارات.

وبحسب ما فهمه (كريس)، فإن البوابة الرئيسة كانت محمية بسيارة مدرعة، لا تملك حتى الرشاشات الآلية للمدافعين أي فرصة أمامها. اقترب صوت دوي الرصاص، ثم ابتعد بعد ذلك بقليل، بينما كان الصوت الرخيم يكرر نداءه إلى (مارفن) و(باري). ثم ساد الصمت فجأة. انتظر (كريس) نصف دقيقة ثم تسلل إلى الأعلى.

من الواضح أنه موجود الآن في المبنى الرئيس. تفرعت الممرات في اتجاهين من ردهة الاستقبال الفخمة المزينة بثريات الكريستال، والتماثيل، والأرضية الرخامية.

«أين توجد العظام؟ وكذلك الألواح؟»

«(مارفن) أيها الوغد!» كان (كريس) يغلي من الداخل. «إنها ملكي!».

أسرع باتجاه اليمين وبدأ فتح الأبواب. كانت الحجرات فاخرة، ومماثلة بآثار وثير يعود إلى قرون قديمة. توجه إلى الجانب الآخر على طول الممر. عاد لفتح الأبواب، وقام هنا أيضاً بالتجول داخل الغرفة.

كم من الوقت تبقى له؟ هل عليه أن يفتح الغرف الموجودة في الطابق العلوي أيضاً؟ وكم هي نسبة احتمال أن يجد العظام، والألواح ملقة في إحدى الغرف بهذه البساطة؟

كان الباب التالي مبطناً. أمسك (كريس) المسدس بقوة، ضغط مزلاج الباب إلى الأسفل بيده اليسرى ثم دفع الباب إلى الداخل. كان الظهر القوي مغطىً ببراء الجودة الكنسية. وقف (مارفن) لاهثاً أمام مكتبة زجاجية وقد نفذ صبره. جرّ صفحات المخطوطات بعجلة من الرفوف الصغيرة، ثم وضعها في ملف مبطن.

«لا يكاد شيء يؤثر عليك، أليس كذلك؟».

التقت (مارفن) ورمق (كريس) بنظرات حادة.

«انظر من هنا! إنه (تسرت هاين)! هل تعتقد أنني سأرتعد من الخوف؟ أم أنك ربما تظن أنني لم أحظ مثل هذا؟».

لم يكد (كريس) يسمع شيئاً مما قاله. فنظره كان مثبتاً على طاولة، وضعت إلى جانب حافة النافذة وقد رُتبت عليها الألواح والعظم بشكل

صفوف منتظمة على قاعدة داكنة وملساء، في حقيبة معدنية ذات لون فضي، حيث تم تجهيزها للنقل. إلى جوارها وضع مصباح جيب. كانت حقيبة ظهره ممددة على الأرض.

حدق (كريس) إلى (مارفن).

- «كلمة الرب» صاح (مارفن) وقد تابع جمع المخطوطات من المكتبة ووضعها داخل المجلد المنشو.

- «هل ترى هذا؟ أشار (مارفن) إلى الرفوف. «كلمة الرب» مدونة، ومحفوظة بكل إجلال. مخطوطات تعود لقرون مختلفة، ومجتمعات متباعدة. إنه كنز!».

- «لديك أعصاب قوية...»

لمعت عينا (مارفن) بنظرة المتعصب.

- «الله معنا! كما حدث في (فيتنام). هناك أظهر نفسه لي، أهداني حياتي، حين كنت أزحف في أعماق الأرض كالफَرَان». كان صوت (مارفن) بالكاد يسمع، وقد حمل في نبراته خشوعاً واضحاً، «هل تعتقد أنه سيقوم اليوم بحرمانني من اهتمامه، حيث أقوم بخدمته؟ كلا يا (تسربت هاين)! إنه يراقب أعمالي بسرور، يفهمني ويحميني!».

صمت (كريس). بدا أن (مارفن) كان مقتعاً بكل كلمة يقولها.

- «هل تعلم ماذا ينقصني بعد؟» أعاد (مارفن) إغلاق الطريق إلى مداخل أعماقه. وبدا صوته مرتاحاً وواضحاً كما العادة. «قطعة من الجنيزا - مجموعة الأوراق والوثائق التي لا يجوز إبادتها أو إهمالها وفقاً للديانة اليهودية، وخصوصاً إذا ضمت اسم الله - من الكنيس اليهودي في القاهرة. فالموجودات المحفوظة في تلك المخازن تعود حتى إلى القرن السادس... أو من الهكسابلا، النسخة اليونانية للكتاب المقدس ذو الأعمدة الستة بترجماته الست».

- «لن تجد في مكتبة السجن سوى الترجمة المتداولة».

- «لا تعطلي أيهما الأحمق. إما أن تأتي معي لخدم الرب، أو تتصرف».

تابع (مارفن) لملمة المخطوطات.

- «إنك تهذى!» مر (كريس) بنظره على رفوف الحائط. في الجانب الآخر من الغرفة رأى جزءاً من رف يبرز إلى الخارج بمقدار بضعة سنتيمترات. عدل (مارفن) من وقوفه فجأة وقد تجمدت معالم وجهه. توجه (كريس) نحو الحائط وجر الرف، الذي تأرجح بدوره وانزلق إلى داخل الغرفة كاشفاً عن سلم خلفه يقود إلى الأسفل. «إلى أين يؤدي هذا السلم؟ هل أتيت من هنا؟».

- «هذا هو الطريق إلى الحرية يا (تسرن特 هاين)».

فكر (كريس) قليلاً، ثم أسرع إلى الطاولة، رفع حقيبة ظهره من الأرض، ووضعها إلى جانب الحقيبة الفضية. فتح حقيبة الظهر بيده اليسرى، بينما كان ما يزال يصوب فوهة سلاحه صوب (مارفن)، وقام بوضع الألواح والمعظام في الحقيبة. أخذ مصباح الجيب ودسه في جيب بنطاله.

- «إلى أين يقود ذلك المرء إلى الجحيم؟».

صمت (مارفن)، ثم ابتسם.

- «... سينتهي بك الطريق إلى موقف سيارات صغير وسط الغابة. دعنا نهرب سوياً...».

- «ولماذا علي أن أساعدك؟».

- «حتى لو أنك لا تزال تجهل ذلك: فأنت أداة الرب! كما أنا أيضاً!»

بدا على (مارفن) منتهى الجدية.

- «هو يحدد الدروب التي نسلكها. لهذا» دس الناشر المخطوطة الأخيرة في مجلده، أغلقه واستدار نحو (كريس).

- «ألا تفهم ذلك؟ إنه يحدد الدروب التي نسلكها!».
- «ابعد عن طريقي، فأنا من يحمل السلاح وليس أنت».
- «هل تعتقد أن ذلك سيخيفني؟» لعنت عينا (مارفن) بغضب. «لقد قاتلت في (فيتنام) قوات الفيتكونغ في خنادقهم. الرب هو من حفظ حياتي في تلك الأنفاق الممتلئة بالكمائن تحت الأرض. هل تظن حقاً أن مسدساً سيخيفني؟ أنت ترجف!».
- تقدم (مارفن) نحو (كريس).
 - «أنا من سيختفي وأنت ستبقى هنا، ستکفر عن خطايالك!» رفع (كريس) السلاح.
- «إنك لا تعرف الرب. حتى وإن كنت مذنبأ: ((فمن إحسانات الرب أنه قال: لا أريد الموت للمذنبين...))» ضحك (مارفن) بصوت مرتفع «تسربت هاين»، هل تعلم من قال ذلك؟ لا؟ إنه القديس (بندكت) «ضحك (مارفن) مجدداً لا يمكننا الهروب من قدر الرب. فمصيرنا نحن الاثنين مرتبط بقوة...، لابد أنك أدركت ذلك...».
- رفع (كريس) يده إلى أعلى وهو بمؤخرة سلاحه على صدغ البريتورياني الذي كان مندفعاً نحوه.
- تأوه (مارفن): «حتى أنت يا (تسربت هاين) لن تتمكن من الفرار من قدر الرب» ثم انهار إلى الأرض «لم ينتهي الأمر بعد...».

الفصل الخامس ٦ اللاؤن

جزيرة القديس (هونورات) الثلاثاء

كانت الساعة الخامسة فجراً حين استيقظ (دوفور) وهو يشعر بقشعريرة تجتاح بدنـه، ثم تسلـل بـتمـلـلـ عبر منـزلـه الصـفـيرـ القـرـيـبـ منـ قـرـيـةـ (فالـبـونـ)، اـغـتـسـلـ وـارـتـدـيـ ثـيـابـهـ. قـادـ سـيـارـتـهـ إـلـىـ مـدـيـنـةـ (كانـ)، تـمـشـيـ وـحـيدـاـ على طـولـ الشـاطـئـ، وجـثـمـ عـلـىـ الرـمـالـ أـمـامـ الـأـمـوـاجـ المـتـهـادـيـةـ، وـانتـظـرـ حـتـىـ تـحـضـرـ العـبـارـةـ الـأـوـلـىـ فـيـ السـاعـةـ التـاسـعـةـ صـبـاحـاـ.

على جـزـيـرـةـ (سـانـتـ هـونـورـاتـ)، مـشـيـ بـخـطـوـاتـ مـتـرـدـدـةـ ثـمـ سـرـيـعـةـ عـابـرـاـ الطـرـيـقـ المـرـتـقـعـ قـلـيـلاـ بـيـنـ كـرـوـمـ الغـنـبـ مـتـجـهـاـ إـلـىـ دـيرـ (لـورـانـسـ). وـصـلـ إـلـىـ هـدـفـهـ وـدـخـلـ إـلـىـ غـرـفـةـ الـاسـتـقـبـالـ الصـفـيرـةـ. كـانـ آخـرـ ماـ رـأـهـ مـظـاهـرـ الـعـلـمـانـيـةـ، اـمـرـأـ مـسـنـةـ بـثـوبـ مـلـوـنـ ذـوـ أـرـضـيـةـ دـاـكـنـةـ.

مضـىـ أـكـثـرـ مـنـ نـصـفـ سـاعـةـ حـتـىـ دـخـلـ الـأـخـ (هـيـرـونـيـمـوسـ) إـلـىـ الغـرـفـةـ «المـذـبـونـ هـمـ مـنـ يـحـضـرـونـ بـاـكـرـاـ».

ـ «أـحـتـاجـ إـلـىـ نـصـيـحـةـ! عـنـدـمـاـ نـكـونـ وـحـدـنـاـ...»

ـ «هـلـ اـرـتـكـبـتـ خـطـيـئـةـ جـدـيـدةـ؟» رـأـيـ (هـيـرـونـيـمـوسـ) النـظـرـةـ المـتوـسـلةـ للـعـالـمـ. شـبـكـ (جـاكـ دـوفـورـ) يـدـيـهـ بـبعـضـهـمـاـ، وـرـفـعـهـمـاـ إـلـىـ الـأـعـلـىـ بـيـاشـارـةـ مـرـيـرـةـ، حـتـىـ أـوـمـاـ (هـيـرـونـيـمـوسـ) موـافـقـاـ عـلـىـ مـضـضـ.

خرجًا إلى ضوء الصباح. توجه (هيرونيموس) إلى الكنيسة، سار (دوفور) خلفه بخطىٰ يائسة ولم ينتبه إلى جمالية أزهار الجهنمية المتساقطة، التي نمت بشكل مثير على الساندات الخشبية وحواف الأسطح. داعبت النسمات البحرية الناعمة سعف النخلتين العملاقتين اللتين انتصبتا أمام بوابة الكنيسة. دخلا إلى الكنيسة، وكان الصمت المطبق في استقبالهما. كان بناء الكنيسة الرومانى المعاصر من الداخل قد حافظ على النمط المتقوش والزاهد للبندكتيين، وكان له أثر مرير في نفس (دوفور). كان اللون الرمادي الفاتح يطفى على الجدران والأسقف، التي خلت من أي نقوش، مما يهدى من ألم العين ويريح العقل من الأفكار المتضاربة.

وسط صحن الكنيسة امتد درابزين من الخشب الداكن بشكل مائل، بحيث يفصل بين عالمين. في هذا القسم صُفت المقاعد الخشبية للمذنبين الضالين، كما كان (دوفور)، بينما يبدأ خلف الدرابزين عالم القوانين الواضحة والرسالات، بما في ذلك الكراسي المخصصة لجوفة الكنيسة. ذلك العالم الذي يتوجه إليه (دوفور) حالياً. أمام مقاعد الجوفة الكنسية امتد ممر للسير ينتهي من جهة الشرق بمنطقة المذبح. تقدم (هيرونيموس) إلى الدرابزين، ثم ركع راسماً بيده علامة الصليب على وجهه. فعل (دوفور) ما فعله (هيرونيموس) ثم جلس إلى جانبه على أحد صفوف المقاعد الخشبية.

- «تحدث وتذكر أن إخواني في كروم العنبر ينتظرونني» تتمت (هيرونيموس) وحدق في الوجه الشاحب للعالم. «عليك أن تعرف أن هذا هنا ليس كرسي الاعتراف».

نظر (دوفور) إلى صليب المحراب الذي بدا طويلاً ونحيلًا. وقع النور المنبعث من مخروطين ضوئيين مثبتين على عمودين، مباشرة على الصليب.

وقد أبرز المسيح المصلوب وكأنه نجمة بين الجدران الرمادية الفاتحة. ثم بدأ بالحديث.

مع كل كلمة كان يتخلص من الضغط الجاثم على روحه. تحدث عن الاكتشاف المذهل للكروموسوم رقم 47، الذي يسبب حالات شفاء لا يمكن تفسيرها، وفي إحدى التجارب على الحيوانات أعادت الشباب إلى فئران مُسنة فحولتها إلى فئران شابة وفتية. وأفصح أن هذا الكروموسوم قد استخرج من عظام تم العثور عليها في إحدى عمليات التقطيب في (بابل). ولتحقيق اكتشاف القرن أصبح رؤساؤه في العمل مستعدون لضرب جميع الأسس والمبادئ عرض الحائط، والقيام بتجربة مفعوله على البشر بأسرع وقت. من دون التقيد بالفحوصات الأولية ومن دون النظر إلى تبعاته على الأشخاص التي ستجرى عليهم تلك التجارب.

مع كل كلمة كانت القوة تعود إلى (دوفور) وكان اللون الوردي يعود إلى وجهه.

إلى جانبه هو الكاهن راكعاً على الأرض وقد ضم كفيه للصلوة، وبدأ بالبكاء المتواصل.

- «(هيرونيموس)، ما الأمر؟» أمسك (دوفور) بالراهب. دفع الراهب اليد بعيداً عنه، ثم نهض واقفاً، توجه خلف الدرابزين وعاد هناك للركوع. رحف (هيرونيموس) على ركبتيه في المرثم صعد الأدراج المؤدية إلى المذبح، وبعدها انزلق أمام الصليب وهو يردد الكلمات نفسها صارخاً:

- «إلهي، جنبني هذا الاختبار!».



(فونتينبلو)

جلس (هنري مارفن) على الأرض الطرية لغابة وقد أسد ظهره إلى الجذع الأملس لشجرة الزان الأبيض. كانت قدماه تؤلمانه وكان رأسه بحاجة إلى الأكسجين ليستعيد قدرته على التفكير بشكل واضح.

فمنذ الصباح وهو يعدو مع (باري) عبر الغابة غير بعيد عن القصر. كادوا يواجهون دوريات الشرطة ثلاثة مرات، إلا أن الله كان إلى جانبهما. كان قد وجده مغمى عليه في غرفة الكتاب المقدس، بعد أن تمكن من اختراق منظومة الدفاع. لم يكونوا قادرين على مقاومة المهاجمين، ولهذا هربوا عبر النفق، بينما كان أزيز الرصاصات الأخيرة يدوي في الخارج.

تمنى (مارفن) لو أنه يصادف (كريس) في مكان ما. إلا أن الودعا كان ذكياً بما يكفي للعنور على المخرج.

كانت الدراجة النارية الموجودة في موقف السيارات الصغير قد اختفى. ولم يجدا سوى سرتين مضادتين للمطر، ولهذا كان عليهما متابعة طريقهما سيراً على الأقدام. ولتكون لديهما فرصة للفرار، عليهما أن يتصرفوا بطريقة مفاجئة لما هو متوقع منها. ولهذا، تسللا باتجاه مركز القيادة. ففي وقت ما، لا بد أن تنسحب تلك القوات، وعندها سيتمكنان من الفرار.

وقف (مارفن) بعناء. استمرا بالسير الحذر وبعد عدة دقائق أشار (باري) إلى الأمام. كان من غير الممكن عدم ملاحظة حشد سيارات الشرطة المتجمع في المنطقة الخالية وسط الغابة، المحاط بأشرطة بلاستيكية. في وسط الساحة كانت تقف ملكة النحل، وهي عبارة عن شاحنة صغيرة تستخدم مركز قيادة مؤقت، ثبت على سقفها أسلاك الهوائيات.

- «هل نقترب أكثر؟» تتمم (باري).
- «إلى أقرب نقطة ممكنة!».

أسرعوا على الأرض الرطبة للغابة متوجهين نحو الشاحنة الصغيرة، محتملين أثاء ذلك بجذوع الأشجار الغليظة، وأخيراً جثماً خلف أحد الجذوع المتهاكة.

ناول (باري) منظار تكبير لـ (مارفن)، الذي قام باستخدامه في مراقبة شاحنة مركز القيادة لعدة دقائق. كانوا يجمعون أشياءهم، سينسحبون قريباً من هنا.

تقدمت سيارة ليموزين متأرجحة على طريق الغابة الوعر، ووقفت إلى جانب شاحنة مركز القيادة. وجّه (مارفن) عدسة منظاره الكبير إلى أبواب السيارة، ورأى ثلاثة رجال ينزلون منها.

أمسك أنفاسه متراجعاً. شعر أن الدماء تندفع في عروقه، وأن قوة غير متوقعة قد اجتاحت جسده وبعثت حرارة في عضلاته.

لقد وصلت ورقي الرابحة، فكر بحماسة مرضية ثم أخذ نفساً عميقاً. فبضريمة واحدة أصبح واضحاً بالنسبة له ما عليه فعله.



(فونتينيلو)

أين القطع الأثرية؟ فكر مونسينيور (تيساني). كان ذلك هو السؤال المهم!

كان (تيساني) يجلس في الجزء الخلفي من الشاحنة الصغيرة، الذي كان يستخدم من قبل الشرطة كمركز للقيادة. وبدلأً من حصوله

على إجابة لسؤاله، كان عليه الاستماع إلى مشاجرات الفرنسيين مع بعضهم.

ـ «إذاً أنت تقول، أن (مارفن) وبعض رجاله - وعدهم غير معروف - قد أخفوا. بهذه البساطة». كان صوت (تروتيفنو) حاداً وقاطعاً حين يطرح الأسئلة.

(رينيه تروتيفنو) قائد فرقة تابعة لقوات التدخل للحرس الوطني، وهي منظومة حراس شبه عسكرية، تعتبر في (فرنسا) مسؤولة أيضاً عن حماية الأشخاص. كان (تروتيفنو) في منتصف الثلاثينيات، متوسط الطول، وكانت قصة شعره العسكرية القصيرة تضفي مزيداً من الجدية على ملامح وجهه، الذي يفتقد إلى روح الدعاية.

كان قد تم فرزه مع رفاقه في الجانب الفرنسي لحماية البابا، وقد أحضر (تيساني) إلى هنا.

لم يكن البابا بعيداً جداً عن هذا المكان، فهو في طريقه إلى كاتدرائية القديس (بينيويت سور لوار) لإحياء ذكرى القديس (بندكت)، الذي حفظ رفاته في ضريح معدني داخل تلك الكاتدرائية. كانت تلك هي الأسباب الرسمية للزيارة.

أما السبب الحقيقي، فهو مساومة (هنري مارفن)، الذي أراد تسليم البابا تلك اللقى الأثرية الخطرة.

إلا أنه لا يبدو أن ذلك اللقاء سيتحقق، وقد عرف (تيساني) الآن سبب انقطاع التواصل الهاتفي مع (مارفن).

ـ «أثناء الهجوم دخلنا بهذه المدرعة من خلال الباب الرئيس. إلا أنها ووجهاً بنصف جيش حاول منعنا من متابعة طريقنا. وفي داخل القصر، اضطربنا لإزعاج مجموعة من الضيوف المشهورين. كبار الشخصيات من شتى بقاع الأرض. أمر يدعوه للإعجاب. كان بينهم بعض القساوسة أيضاً،

ولكن لم نتمكن من العثور على (مارفن) «بدت العصبية على (بول كامبراي)، بينما كان أنفه الضخم يرتجف من شدة انفعاله.

ال فهو السود، فكر (تيساني) باحتقار. وحدق متهدأً بالشعار المرسوم على صدر (كامبراي). إحدى الفرق الخاصة للشرطة، بقائد يبدو أنه قد تجاوز حدوده. ما ينقصني الآن هو أن يطلبوا استجوابي.

زادت تلك الأفكار من توتر (تيساني). نظر بفارغ الصبر إلى مرافقه (الجيبيو كالفي)، الرجل الضخم الذي يبلغ طوله مئة وتسعين سنتيمتراً، وهو الحارس الشخصي للبابا. كان (كالفي) أحد أعضاء فرقه خاصة صغيرة تابعة لقوات الشرطة المعنية بحراسة الفاتيكان، التي تعمل على حماية البابا في رحلاته الخارجية.

- « علينا الذهاب!» همس (تيساني).

- «هوراً» رد (كالفي) بشكل مقتضب «أم أنك حصلت على المعلومات التي أردت معرفتها؟».

صمت (تيساني). (كالفي) على حق. فالوقوف أمام البابا بأيدي خالية مجدداً لن يساعد على دعم مسيرته العملية.

- «ما السبب الذي كان وراء الهجوم؟» سأله (تروتيفنو).

- «إنقاذ حياة، تحت الكنيسة يوجد سراديب للموتى. كان ذلك المدعو (مارفن) على وشك ... نعم... أن يعدم إنساناً. كان لدى رجلان داخل برج الكنيسة. وقاما بإنقاذ ذلك الشخص المسكين من مواجهة مصيره المأساوي. إلا أن شبكة من الأنفاق توجد تحت الأرض، لم يسبق لي رؤية مثل ذلك من قبل. ما يزال رجالٍ يجدون المزيد من الممرات...»

- «وتسلسليات الأحداث التي وقعت في سرير الموتى بلا صوت، بحيث يصعب على المرء أن يعرف الحوار الذي دار هناك؟»

- «للأسف، بلا صوت» نظر (كامبراي) إلى (تيساني) معذراً.

- «أريد التحدث مع (توماس برانداو)، ذلك القس من (برلين)» تتمم (تيساني).

- «(برانداو) متمسك بالصمت».

- «أنتم من الشرطة»، أجاب (تيساني) «أما أنا فآت من طرف قداسة البابا. دعوني أكلمه قسًا لقس».

- «هذا غير ممكن. لقد تم نقل كل السجناء، إما إلى السجن أو إلى المستشفى. إن كان لديك الوقت الكافي فيمكننا الذهاب إلى هناك» رفع رئيس المباحث (كامبراي) يديه آسفًا.

هز (تيساني) رأسه وأخفض صوته، حيث تحول إلى تتممة هامسة وناعمة «هل... هل يوجد ضحايا؟»

- «لقد كانت معركة حقيقة، لم يكن لدينا أدنى علم أن تلك الجمعية تمتلك جيشاً خاصاً».

- «والمدعوا (لافاليه)، ألا يستطيع إخبارنا بمكان اللقى الأثيرة، إن كان أحدهم قد أخذها معه؟ لكنه رآها».

- «هذا ما قاله». أمال (كامبراي) رأسه «هل تلك الأنواح والمعظام أي أهمية؟ أعني، إن كان مبعوث البابا مهتماً بها...»

- «إننا لم نكن يوماً هنا» قال (تروتيفنو) بحدة بالنيابة عن (تيساني). «إنك تعلم ما ينتظر منك القيام به؟» رمق (تروتيفنو) قائد الفهود السود بنظرة باردة.

- «ضريبة موجهة إلى عصابة من لصوص التحف وتجار السلاح، سرقات وجرائم قتل... هل لديك المزيد لتخبرنا به؟» لمعت عينا رئيس المباحث.

- «هذا يكفي» وقف (تروتيفنو). «الأمر يتعلق بقطع أثرية خاصة

بالكنيسة... هذا يعني أنه شأن داخلي لدولة أخرى. نحن نتصرف فقط...
بدعم صريح من الرئيس».

- «قطع أثريّة؟» تذكر (كامبراي) إدلةات (لافاليه)، «هل تعتبر الألواح
الطينية السومرية قطعاً أثرياً تابعة للكنيسة الكاثوليكية؟»



بعد وداع بارد، سارع (تيساني) إلى مغادرة موقع الشرطة.

- «ليس مثراً جداً» تتم (تيساني) عندما استقلّا سيارة اليموزين
مجدداً. قاد (تروتيفنو) السيارة ببطء في طريق الغابة عائداً إلى الشارع
المعبد.

- «لا يمكن أن تكون جاداً في تفكيرك بالحصول على نتائج أخرى». علق (تروتيفنو). «لا تزال أصوات العيارات النارية تعصف بأذهانهم. لابد
أن يعودوا إلى حالتهم الطبيعية أولاً».

أعمل المكابح، حيث أن السيارة بدأت تدرج أخيراً على الطريق
الإسفلتية.

- «كل ما أتمناه هو أن يبقى الأمر تحت الغطاء. لا يمكننا تجاهل...»
- «نحن نقوم بعمل ما نستطيع فعله». تتم (تروتيفنو) و(كامبراي)
سيلتزم بكل ما ضمنه لنا الرئيس».

- «وقاضي التحقيقات ذاك، الذي تحدثت عنه في طريقنا إلى هنا؟ لا يبدو أنه يمتلك تلك البراعة. فكان عليه قبل بدء العملية أن يطلب منهم
ضبط أنفسهم».

رفع (تروتيفنو) قدمه عن بدالة الوقود، فقد كان الشارع شديد الانعطاف، وقد أعاقت الأشجار الكثيفة إمكانية رؤية الطريق.

- لا تشغل بالك بهذا الأمر. صحيح أن قضاة التحقيق يتمتعون في بلادنا بصلاحيات واسعة، إلا أننا سنقوم بترتيب الأمر. فلهذا نحن...»، توقف عن الكلام، وأعمل المكابح، وحدق أمامه خلف المنعطف. على بعد بضعة أمتار منهم وقف رجل على قارعة الطريق. توقف (تروتيفنو).

- «ما هذا؟» سأله (كالفي) الجالس على مقعد مراافق السائق.

- «هل علي أن أدهسه؟».

دسّ (كالفي) يده اليمنى تحت سترته، والتقت أصابعه حول مكبس مسدسه.

أوقف (تروتيفنو) الليموزين أمام الرجل بشكل قريب جداً، بحيث لم ير (تيساني) من ذلك الشخص سوى الوركين فصعدوا. شد الرجل قبعة السترة الواقية من المطر إلى الأمام بحيث أخفت جبهته تماماً. بينما وضع كفه الأيمن أمام أنفه وفمه، وكان جسده يرتفع لأن نوبة من السعال الحاد قد انتابه.

فتح باب سيارة الليموزين خلف مقعد مراافق السائق بقوة. انزعج (تيساني). فلقد ضُفت فوهة مسدس على عظمة خده الأيمن بشكل مؤلم.

- افسح لي المكان. أنا بحاجة إلى سيارة أجرة».

وقف (باري) أمام السيارة متسمّاً بوقاحة.

ولكن (تيساني) كان يحدق -بالعينين اللامعتين بمكر- إلى (هنري مارفن).



جزيرة القديس (هونورات)

- «هل نذهب؟».

خرج الأخ (هيرونيموس) من الكنيسة مسرعاً، وكان (دوفور) بالكاد يستطيع اللحاق به. أمام بوابة الكنيسة صادفاً عائلة بصحبة طفلها الصغيرين، وانتظر (هيرونيموس) حتى دخلوا الكنيسة وأغلق الباب الضخم.

- «مرة أخرى: هذا الكروموسوم تمكّن من إعادة الشباب والحيوية إلى الفئران المسنة؟».

- «نعم».

- «وأنتم تعتقدون الآن أنكم توصلتم إلى الاكتشاف الذي يبحث عنه العلماء في شتى أنحاء الدنيا. ألا وهو: إيقاف التقدم في السن».

- هل تعلم ماذا تعني بهذا؟».

أوما (دوفور)، «أنا نفسي لا أريد تصديق ذلك، ولكن في حال نجاح هذه التجربة، سيبدو الأمر على هذا النحو...».

- «أنت نفسك غير متأكد».

- «وكيف لي أن أفعل؟».

- «وذلك العالم من (دريسن) يقول، أنه استخرج الكروموسوم من عظام، أحضرها له صديقه ليقوم بفحصها».

أوما (دوفور) مجدداً وقد قاوم النظرة الفاحصة للراهب.

- «هذه العظام هي جزء من كنز أثري يتكون من، ألواح طينية سومرية وكذلك العظام. ومن المفترض أن كليهما تم العثور عليهما أثناء عمليات تطهير في (بابل)».

أوما (دوفور) مرة أخرى.

شعر (هيرونيموس) مجدداً بوهن في ساقيه.

- «هل قال شيئاً عن شخص يدعى (هنري مارفن)؟ أو عن بريتوريانبي الكتاب المقدس؟»

- «كلا، لم يذكر مثل هذا الأمر. أنا لا أفهم...»

حدق (هيرونيموس) إلى مخرج الدير، حيث كان بستان صغير من أشجار النخيل الشاهقة يجذب الأنظار.

- «هل بحوزتك قطع نقدية أو بطاقة هاتف أو كلاهما؟»
نظر (دوفور) إلى (هيرونيموس) بتردد. إنه يذكر أنه كان قد رأى كشكلاً للهاتف، في طريقه إلى الدير قبل الانعطافة الأخيرة للطريق بمسافة قصيرة. ولكن ما الذي يخيف (هيرونيموس) لهذه الدرجة، و يجعله لا يخشى الاتصال من داخل الدير؟ لا أحد يعلم، أنه كان هنا!

- «لدي جهاز هاتف خلوي ثانٍ... فالمؤسسة تحظر استخدام هواتفها للاتصالات الشخصية... إذا...»
في البداية هرّ (هيرونيموس) رأسه رافضاً، إلا أنه أومأ موافقاً بعد ذلك.

- «أعطني إياه...»

أومأ (دوفور) باضطراب.

- «أنا لا أفهم كل هذا...»

- «لا يتوجب عليك ذلك، ولا يمكنك ذلك. (جاك) ثق بالله. والآن اذهب! علي أن أفكّر. فسبيل الرب تتطلب إعدادات دنيوية، وربما مساعدتك.».

الفصل السادس ٦ اللّاثُون

(صوفيا أنتي بولس) بالقرب من (كان) مساء اللّاثاء

إنه حقاً، ليس وهم، فكر (كريس).

عند المخرج رقم 44 ظهر اسم (صوفيا أنتي بولس) على إحدى شاخصات الطريق السريع. في مكان قريب جداً من مدينة (فالبون) الصغيرة الساحرة. القادم من الغرب يرى الإشارة الأولى إلى ذلك الموقع العلمي العالمي الرابض على التلال الخضراء بين مدینتي (كان) و(جراس). ركن (كريس) الدراجة النارية عند بوابة الخروج الخاصة بالسيارات، حيث تزدحم السيارات الخارجة من تلك المنطقة. تمس جيبي بحثاً عن النقود التي كان قد وجدتها في موقف السيارات الصغير. كانت الأحداث تبدو له كأنها تلاشت في زمن سحيق، مع أنه لم يمض على حدوثها سوى ساعات قليلة.

تذكر عملية فراره عبر النفق صباح هذا اليوم، بعد أن قام بضرب (مارفن) وأسقطه مغماً عليه...

بدا النفق بلا نهاية، كان مظلماً ويقود إلى الأسفل بداية ثم إلى أعلى، بينما كان في بعض مواضعه ضيقاً ومنخفض السقف، حيث توجب على (كريس) السير منحنياً، في حين كانت أكتافه تحتك بالجدران الصخرية.

دان جسده يستجيب للمؤثرات الخارجية بألم شديد يذكره بما قد تعرض له في الأيام الماضية. تفجرت أكياس الصديد على ساعديه بينما فاحت منه رائحة كريهة، وحلم أن يتمكن من الاستحمام لمدة طويلة، إلا أنه كان يتذوق طعم التراب في فمه.

تراقص ضوء مصابح الجيب على الجدران راسماً الآلاف من الأشباح ذات الحدود المتلاشية. في اللحظة الأخيرة استدار (كريس) جانباً، قبل أن يرتطم كتفه بالصخرة. انتهى الممر فجأة.

أحجار صخرية ضخمة وشقوق، لم يتمكن من رؤية أي مخرج. أجبر نفسه على الهدوء وسلط الضوء على الصخور. لا شيء. ضرب على الصخور، بحث عن فراغات. لا شيء.

في النهاية عاد أدراجه عبر الممر. بعد ثلاثين خطوة، مر بالقرب من حافة صخرية بدت كأنها عمود ارتكاز في الممر. كان على وشك الاستمرار في سيره حين لاحظ مستعيناً بالمخروط الضوئي كومة من الركام. بقايا من حطام الحجارة كانت مكونة خلف النتوء الصخري. فلو أتى أحدهم من الناحية الأمامية للحافة الصخرية لما تمكّن من رؤية الركام. ولتابع سيره ببساطة.

أزاح الركام بقدمه جانباً فلمعت تحت الضوء حلقة معدنية. انحني بسرعة وجرها، شعر بمقاومة، فسحبها بقوة أكبر. شيئاً فشيئاً انزلقت حلقات السلسلة الحديدية من تحت ركام الحجارة. ثم صدر صوت طرطقة مكتومة.

ليس بعيداً عنه، فتحة لوح حجري في الجدار الصخري. كانت بعرض مناسب لمرور شخص من خلالها. دفع نفسه في الفتحة وأنوار الظلام الذي أطبق على الناحية الأخرى منها بمصباحه. على يساره كان اللوح الحجري مع نهاية السلسلة الحديدية. تراقص الضوء على الطرف السفلي لسلم خشبي، موجود في الطرف الآخر من الحفرة، الذي كان يقود إلى

الأعلى من خلال شق ضيق. زحف (كريس) جاراً وراءه حقيبة الظهر، وجسمه أخيراً في الكهف المنخفض. صعد السلم الخشبي بعناء شديد. كان الشق الذي يقود إلى الأعلى ضيقاً جداً، بينما كان السلم يقف بشكل عمودي تقريباً. أخذ يصعد السلم درجة تلو الأخرى، في حين كان الجدار الصخري يكشط ظهره.

انتهى الشق بباب في السقف، أخذ (كريس) يدفعه برأسه إلى الأعلى. وحين أخرج رأسه من الفتحة رأى عجلات دراجة نارية.

كانت الجدران الخشبية لموقف السيارات الصغير متهدلة، بينما جُمعت أكوام الخردة إلى الجدران.

على إحدى طاولات العمل وجد بعض مفاتيح البراغي وعلى أحد الجدران خلفه عُلقت بزتين لراكيبي الدراجات النارية مع خوذتين واقيتين. كان مفتاح التشغيل معلق بالآلية. ارتدى (كريس) البزة الجلدية وتلمس الجيب فوجد فيه شيئاً قاسياً. سحب علبة معدنية صفيرة، وابتسم حين رأى ما بداخلها: بطاقة ائتمان غير موقعة، إضافة إلى عدة أوراق مالية من فئة المئة يورو وبعض القطع النقدية المعدنية. يبدو أن (مارفن) قد أعد نفسه بشكل جيد ...

بعد نصف ساعة كان قد وصل المنطقة التالية. وأخيراً انطلق على طريق السفر السريع إلى (إيكس إن بروفنس)، ثم سار موازياً للشريط الساحلي على طريق السفر السريع A8 باتجاه الشرق.

- بالقرب من مدينة (كان)، هذا ما قالته (ياسمين).

تلاشت ذكريات (كريس) حين سمع صوت بوق إحدى السيارات التي كانت خلفه. دفع رسوم الدخول ثم سار على الطريق التي تشعبت بعد بضعة أمتار. هناك اتخد الطريق الريفي ووصل بعد عدة مئات من الأمتار إلى مخرج كتب عليه لافتاً تشير إلى (صوفيا أنتي بولس).

توقف أمام إحدى لوحات المعلومات. بدت تلك الحديقة العلمية واسعة جداً وقد فُسمت حسب عناوين رئيسة. فكانت الشركات المختصة بالتقنية في مكان بعيد عن تلك المعنية بال المجال الطبيعي. وأخيراً وجد (تيسابي) وحفظ الطريق في ذاكرته بشكل جيد.

الكثير من الأراضي في تلك المنطقة الجبلية كانت غير مبنية. بينما كان الدرب يصعد تارة وينخفض تارة أخرى مما جعله في النهاية يضيع طريقه. توقف عند محطة الإطفاء في نهاية الحديقة، عاد أدرجاه إلى ذلك الطريق الجبلي، حتى وجد بطريق الصدفة وخلف إحدى التلال المدخل المخصص لشركة الأدوية.

على باب الدخول انتصب عمودان مُلسان بالرخام الداكن، حُفر عليهما اسم شركة (تيسابي). أما الطريق نفسه فكان يؤدي إلى الأعلى حيث كانت مجموعة أبنية تبرز على منحدر.

كان الطريق الحاد الانحدار خالياً واحتفى بعد أكثر من مئة متر في منعطف متوجه إلى اليمين خلف إحدى التلال. كانت الأرض الواقعة إلى يمين الطريق خالية من الأبنية، وقد قُطعت أشجارها فلم يعد هناك ما يحجب الرؤية.

تدحرج بدرجاته التاربة ببطء مارأ من أمام المدخل. حاجز شبكي من المعدن كان يفصل تلك الأرض الخالية عن الطريق. بينما كانت النباتات والورود تفطى الطريق المنحدر صعوداً إلى المبنى.

بدأ المبني ذو الأربع طوابق على قمة التلة، كأنه قلعة استراحة على عرشها العالي.

توقف (كريس) خلف المنعطف. ترجل عن الدراجة التاربة، خلع خوذته الواقية وتلمس متخصصاً حقيقة ظهره. ثم أسرع صعوداً بين أشجار

الصنوبر والبلوط إلى أعلى التلة. عند الهضبة انعطاف يميناً وتابع تسلله مستتراً بالأشجار.

امتد السياج على التلة خلف النباتات والأشجار، ويدت وراءه مساحة عشبية واسعة، قبل أن تبرز جهة المبني الخلفية الخالية من النواذ، وكأنها ملجاً.

وقف (كريس) عدة دقائق تحت الأشجار يحدق بتلك الكثلة الخرسانية. كان ضوء الشمس التي بدأت تميل إلى الغروب ينير الجزء العلوي من المبني، بينما احتفى الجزء السفلي منه في ظلال الأشجار. أخرج الهاتف الجوال من جيبه وأعاد الاستماع لرسالة (ياسمين) الصوتية. دفع صوتها اليائس بدمائه إلى رأسه مجدداً. أعاد طلب الرقم الذي كانت قد ذكرته له. خارج التفطية. هكذا كان الحال طوال ذلك اليوم.

- «اللعنة!» تذمر (كريس).

(صوفيا أنتي بولس)، مبني (تيسابي...) لقد كان في المكان الصحيح، إلا أنه يفتقد إلى الخطأ.



- «... لا تتفوهوا بعبارات غير مدرستة! (زوي)! (أندرو)! لا يمكننا إخفاء ذلك الأمر طويلاً. علينا أن نسرع، ببساطة يجب أن...» صمت الصوت ذو الل肯ة الأمريكية حين دخلت (ياسمين) برفقة (سولفان) إلى قاعة الاجتماعات الخالية من أي زخارف. كان هناك بوفيه إلى جانب أحد الجدران وفي الوسط وضعت طاولة مستديرة الشكل. كان الكل ما يزال واقفاً وقد استداروا نحوها.

وقع نظر (ياسمين) على (واين سندر) الذي كان يحمل كأساً من الشمبانيا بيده ويبتسم مستمتعاً. أو ما لها (ند بيكر) بتحية متعالية، بينما وقفت (زوي بورسل) بوجه متجمهم إلى جوار رجلين، كانت (ياسمين) تعرفهما من خلال مجلة الشركة. تعجبت من مظهر الرئيس التنفيذي (أندرو فولسوم)، حيث بدا في الحقيقة أقصر بكثير مما يبدو عليه في الصور.

بدا الغضب على الرئيس التنفيذي الذي كان وجهه متجمراً وزوايا فمه مشدودة إلى الأسفل، بينما زادت شفاهه الرفيعة وعيناه الذئبيتان من إظهار ملامحه القاسية.

بدا هندام الرجل الثاني، الذي كان في منتصف الثلاثينيات، وذو جسم نحيل، ويرتدى بنطالاً داكناً، وقميصاً قطنياً أصفر اللون من ماركة - بولو- تحت سترته، أكثر بساطة من هندام الرئيس التنفيذي ببدنته الرسمية الداكنة، وريطة عنقه الحمراء. تحت غرة شعره الموج بدت عينان بلون الخضار البحري. كان الكل يعامله بمنتهى الاحترام، وقد تجلى ذلك بوضوح من خلال تعاملهم معه بشكل رسمي للغاية.

كان (هانك تورنن) شخصياً، رئيس مجلس الإدارة وصاحب أكبر نسبة من الأسهم، حاضراً في المكان.

- «جميل أن أراك هنا» تبسم (تورنن)، الذي حمل كأساً من الماء في يده وتوجه نحو (ياسمين) لتحيتها.

كان صوته يرتجف بعمق، وقد نشرت ابتسامته المنتصرة والمحفظة حالة من الثقة المتناهية. كان هو الشخص الذي يتحدث لحظة دخولها القاعة.

كانت سمعة رئيس مجلس الإدارة، الذي كان يقوم بنفسه بالزحف في غابات (أمريكا الجنوبية) والعمل على الأبحاث العلمية، إحدى الحجج

المتداولة أمام العموم. كيف لمثل هذا الرجل بتلك السمعة أن يعمل مع

مخلوق كـ (زوبي بورسل)؟ فكرت (ياسمين). أم أنها ظلمت تلك السيدة؟

- «كما ترين إن خلافات الأيام الماضية قد تلاشت، أليس كذلك يا

(واين)؟» ابتسم (هانك تورنن) بسعادة.

نظرت (ياسمين) إلى (واين) ببرود، لقد حقق صدقته.

لاحظ (تورنن) النظرة المشككة له (ياسمين).

- «يمكنا التعامل مع بعضنا بتسامح وأن نضع العلم في صدارة

أولوياتنا. تعالى معي، أريد أن أريك أمراً رائعاً».

كانت هناك شاشة معلقة على الجدار المواجه لباب الدخول. أمسك

(ند بيكر) بجهاز التحكم عن بعد. ظهر مختبر على الشاشة وقد تركت

الصورة على قفصين، بداخل كل منها فأرين هترين ونشيطين يركضان هنا

وهناك.

- «أربعة فئران. وماذا بعد؟»

- «آنسة (برسون)... لماذا هذا النفور؟»، تبسم (تورنن) ولعنت عيناه

الخضراوين، كأنهما نجمتان «لقد قمت بعبور المحيطات للحضور بنفسي إلى

هنا، لأن أمراً رائعاً حقاً قد حدث بالفعل. وأنت أحد أعضاء الفريق»، وأشار

إلى الكراسي المحيطة بالطاولة ثم جلس على أحدها «فلمادا كل هذا التردد؟

ـ «ما كل ما يجري هنا؟ نحن أسرى و...»

- «ومن يقول ذلك؟» ضحك (تورنن) بتعجب «آه، فهمت الآن؟

المعذرة، فربما قام (سولفان) بأداء عمله بشكل عملي للغاية...»

منذ أن باعثها (سولفان) في غرفة (آنا) ليلة الأحد، وهي تخضع

لعزل تام. وقد أخذ هاتف (آنا) المحمول وتفحص جميع الاتصالات، ثم أراد

معرفة الأشخاص التي قامت بالاتصال بهم. إلا أن (ياسمين) لم تتفوه

بحرف حتى الآن.

- «نحن حريصون جداً. الكتمان هو أمر أساسي، عند الاكتشاف لا ينبغي لأحد أن ينتزعه منا حتى الأخ الأكبر لا يمكننا إعطاؤه أي معلومات. ولكن هذا لا يعني أنك أسيرة». أشار (تورنن) إلى الكرسي الموجود على يمينه وانتظر حتى تجلس (ياسمين).

ثم أدار وجهه نحو الشاشة: «انظري! أربعة فئران مسنة، تحولت خلال عدة أيام إلى قوارض شابة ونشطة.اثنين من مدينة (دريسدن)، الفأران الآخرين تم حقنهم هنا بالسلسلة الجينية للكروموسوم ٧».

- «كان هناك ثلاثة فئران في (دريسدن)» قالت (ياسمين) ببرود .
- «أحدhem قد مات فأنت تعلمين، أنها تجربة...» نظر في عيني (ياسمين) «إنه لغز كبير وفريد. نريد الإسراع في عملية التحاليل. ماذا تعرفين عن مصدر العظام، التي تمأخذ العينة منها، يا آنسة (برسون)؟»
- «ليس الكثير» نظرت إلى (واين سندر) الذي جلس مواجهًا لها .
- «عليك أن تسأل (واين)، فإن صديقه هو من أحضر تلك العظام إلى المختبر».

- «ألم يخبرك ذلك الصديق بأي شيء في تلك الليلة؟ في الليلة التي بقيتما فيها في المطعم بينما ذهب (واين) إلى منزله؟»
نظرت متساءلة إلى (سندر)، الذي اكتفى بهز كتفيه.

- «(ياسمين)، لقد تحققتنا من كل شيء. ألم يخبرك بالمزيد عن ذلك؟ لقد ادعى لاحقًا أمامي على الهاتف أن تلك العظام عُثر عليها في (بابل)».«وهل هذا أمر مهم؟» سألت (ياسمين).

- «نحن نريد أن نفهم فحسب. فكل إشارة يمكنها أن تساعد في تقدم تحليلاتنا، آنسة (برسون)».«في عيني (هانك تورنن) الخضراوين تراقصت نقاط بيضاء، بدت كأنها زيد البحر الأبيض فوق الأمواج: «أنت نفسك تعرفين صعوبة ذلك.

فتعريف الجينات هو العمل الأسهل. أما تفاعಲها، مفعولها، تأثيرها على الأنزيمات، الشبكة بأكملها... علينا أن لا نترك العالم ينتظر طويلاً حتى يتعرف إلى اكتشافنا!».

حدقت (ياسمين) بنظرات حديدية في وجوه الحضور. ثم قالت بصوت خشن كأنه مبرد حديدي: «ولهذا تريدون إجراء التجربة على (ماتياس)».



وقف (كريس) في بهو الدخول أمام عامل الاستقبال الفير مطلع، الذي كان يُجيئه من وراء لوح زجاجي بهز كتفيه بطريقة تتم عن عدم إلمامه بأي معلومة، ودون أن يفتح له باب الدخول.

من الواضح أنه لا يوجد هنا أي شخص يدعى (ياسمين برسون)، لا أحد من (دريسن)، لا (واين سندر) أو (آنا).

إضافة إلى أن الوقت كان متاخراً للوصول إلى أي شخص أو لإيصال أي شيء لأي كان. فوقت الزيارة المقررة في العيادة كان قد انتهى وبالطبع لا يوجد أحد يعمل في المختبرات لهذا الوقت.

أنزل (كريس) حقيبة الظهر من على كتفه وسحب مسدسه وجهزه بطريقة استعراضية ثم وجه فوهته باتجاه كوة الاستعلامات.

- «فتح الباب!».

فتح الشاب فمه ثم تتحى جانباً ليختفي بعد ذلك تحت مكتبه.

- «فتح الباب!». ضرب (كريس) بمؤخرة المسدس على الزجاج.

فتح الباب الموجود خلف عامل الاستقبال على شكل شق صغير، أطل

منه رأس ملدة وجيزة ثم اختفى. أغلق ذلك الباب بقوة وبعد دقائق وقف ثلاثة رجال مسلحين على الجانب الآخر من باب الدخول المغلق. كانت فوهات أسلحتهم موجهة تجاه (كريس)، الذي ابتسم بوقاحة رافعاً يديه إلى أعلى ثم عاد فأنزلهما. أحد الحرس تحدث بتوتر عبر جهاز اللاسلكي.



أمسك (هانك تورنتن) بيد يامي (ياسمين). تجمدت مكانها، لكنه أمسكها بقوة وبلا هوادة.

- «وبالرغم من أن الأمر لا يصدق: فهذه الفئران التي ترينها، كانت مسنة، وكان من المفترض أن تموت. ولكنها ما تزال على قيد الحياة. لقد قام الكروموسوم بإعادة الشباب إليها في (دريسن). وتكرر ذلك هنا أيضاً. هل تدركين معنى هذا؟»
أومأت. «أنا لا أفعل.»

حدق (تورنتن) بـ (ياسمين) بنظرات جادة.

- «أنا أرى فقط: أنها تعمل. مرض الكبد سيقتل (ماتياس). لا يوجد وسيلة لإنقاذه. ولقد حاولت شقيقتك بكل الوسائل. إلا ...»
- «ماذا تريدين؟» صاحت (ياسمين) بعصبية.

- «إنقاذ الولد!» حدق (تورنتن) بها «النتائج واضحة تماماً» كان فمه قريباً جداً من أذنها «أقعني شقيقتك بحقن تلك السلسلة الجينية، وسيعيش الولد! انظري كيف أن الشباب والنشاط قد دب في عروق تلك الفئران الطاعنة في السن.».

نظرت، إلى الفئران النشطة على الشاشة، وكأنها تحت تأثير المخدر.

- «تريدون تجرب هذه الكروموسومات على (ماتياس) دون أن تعرفوا ما الذي سيحدث؟»

- «كلا» هز (تورنن) رأسه نافياً بقوه «نحن نعرف النتيجة! أعني النظر. لديك بالطبع المعلومات الكافية في هذا المجال. إنك اليد اليمنى لـ (واين). ما ترينه أمامك الآن، عبارة عن تجربة أجريت على حيوانات. إنها تجربة ناجحة.».

- «إنك تعلم تماماً أن نجاح تجربة لا يعني شيئاً». قالت (ياسمين) باعتراض.

- «لا يعتبر الفأر من الحيوانات المشابهة للبشر! لماذا الاستعجال؟ لماذا لا تقومون بمتابعة التجارب؟» (ماتياس) لن يموت غداً. لماذا لا تبدؤون بعمل فحوصات أخرى على الجينات التي يحملها ذلك الكروموسوم؟ فليس لديك علم بالتفاعلات، لقد حصلتم على نتيجة، قد تكون تحت ظروف أخرى مختلفة تماماً. ما تتوون فعله هو تصرف غير مسؤول!» كانت (ياسمين) تلهث أثناء حديثها لشدة تأثيرها وقد كورت كفيها إلى قبضات.

- «نحن لسنا مبتدئين» قطب (تورنن) وجهه شاعراً بالإساءة «كم هي قليلة تلك الثقة التي تكتينها لقدرأتنا! إنك واحدة منا! ومخابرنا هي الأشهر في العالم. وأنت تعلمين ذلك! هل تعتقدين أننا سنمد لك يد المساعدة، لو أن الأمر سيؤدي إلى أذية (ماتياس)؟ أي شخص تعتقديني أكون؟» لمعت عيناه «إن كانت تلك التجربة قد نجحت في عالم الحيوان، فلا بد لنا أن نعتقد أن نتائجها ستكون إيجابية على الإنسان. إنها فرصة (ماتياس)! ألا تدركين ذلك؟»

- «ما الذي يمنحك الثقة والحق، أن تكون متأنكاً لهذه الدرجة؟ لقد

كنت أعتقد أننا نتحمل مسؤولية ما نقوم به. حتى الآن لم أشأ أن أصدق أن ما تقرره سيتم بالفعل...» ارتعش جسد (ياسمين) «هل حقاً نحن نعيش الآن في الزمان، الذي يحدث فيه ما تتوى فعله؟»

- «كم أنت إنسانة صالحة؟ إنحنى (تورنن) باتجاهها.

- «أنت تفهميننا بالنوايا السيئة. في حين أننا نعرض عليك المساعدة. نحن نؤمن برسالتنا ونأبحاثنا. ما الشيء الذي تخشين وقوعه؟ الفئران لم تمت! إنها على قيد الحياة! ب أجساد يافعة! إنه أمر رائع. لقد تمت إعادة بناء كافة الخلايا. وهنا ... أشار (تورنن) إلى الشاشة - في القفص الأيمن يوجد فئران محلية. متى تم حقنها بالضبطة؟ أدار (تورنن) رأسه إلى الموجودين في القاعة.

- «مساء الأحد» قال (سندر).

- «انظري. بعد مرور يومين تقريباً، لم يعد بإمكانك التعرف على تلك الحيوانات. تخيلي لو أن باستطاعتك قول ذلك بعد مرور يومين على حقن (ماتياس). إنك تعرفين حتماً سوء حالته ومدى معاناته!».

حدقت (ياسمين) بالشاشة بينما كانت تقضم جلد شفتها السفلية. وفجأة عاودتها صور من ذكريات البأس في الماضي، الأمل بإنقاذ (ماتياس)، ثم البأس من جديد. هل تحمل حجج (تورنن) بعض الحقائق، التي لم تتمكن من إدراكها؟

ثم سألت: «أين (آنا)؟»

- «عند ولدها. إنها تسهر عليه. إن حالته تسوء يوماً بعد يوم». شدد (تورنن) على كل مقطع لفظي.

- «وما رأيها بهذا الاقتراح؟»

- «الحقيقة، أنها تمتنع عن إعطاء موافقتها.»

- «هذا يعني أن لديها أسبابها». قالت (ياسمين)، بارتياح واضح، بعد الشكوك التي انتابتها داهمتها قليل.
- «إنها ولية أمره. هي التي تقرر ذلك».
- «ولكنها لا تبصر الفرصة التي يحملها الاكتشاف الجديد».
- «وكذلك الحال بالنسبة لي. أنا المساعدة العلمية لـ (واين)، ولست خبيئة. فتفكيري البشري السليم ينبئني أن الأمور تسير بسرعة كبيرة».
- «ولكنك على علم بهذه الأمور بشكل أكبر و تستطيعين تقدير الفرصة بشكل أفضل. أقنعي شقيقتك، من فضلك!» ترجالها (هانك تورنت) «تذكري: أن (ماتياس) سيموت دون علاج، وبهذه الوسيلة سيكون لديه فرصة... فما سبب هذا التردد؟ سأقوم بفعل كل شيء لإنقاذ حياة طفل! فهل ستفعل والدة (ماتياس) ذلك؟ قولي الحقيقة: إنها تخشى اتخاذ القرار وتحمل المسؤولية، إنها تتردد وتهرب، وذلك سيؤدي إلى الإضرار بالصبي. وأنت؟ لو أنه ابن أخي، فلن أتردد للحظة في إنقاذه!».
- «كلا! توقف!» رفعت (ياسمين) يديها عالياً مدة وجيبة، وأجابت بصوت حاولت بعناء التحكم في نبراته: «لماذا لا تجربون العلاج الأصلي، الذي قمتم منذ البداية بتحديده لحالة (ماتياس)؟»
- ـ تتحنح (فولسوم) ومسح بكفيه على وجهه: «لأن تلك الطريقة قد فشلت في علاج مرضى آخرين. فلم تحرز النتائج المتوقعة لها، وفي حالات كان تضرر الكبد فيها أقل بكثير».
- ـ أغمضت (ياسمين) عينيها محاولة حبس دموعها. كانت على وشك الخضوع لإلحاحهم. إلا أنهم لم يخبروها بكل الحقيقة.
- ـ تذكرت (ياسمين) ذلك الحوار الذي تتصدت إليه من تحت النافذة.
- ـ وترددت في ذاكرتها الكلمات التي قالتها (بورسل) بصوت بارد. وهنا؟ لا يوجد أي كلمة عن موت المرضى الذين خضعوا للتجربة.

هل يمكن للمرء الوثوق بهم؟ لا! عليهما أن تكسب الوقت.
عليها أن تجد طريقاً...

- «أين الدكتور (دوفور)؟ يبدو أنه شخص يتحمل المسؤولية».

- «إنه ليس على ما يرام» تمنت (زوي بورسل).

- «إنه تسجيل» قالت وقد حدق بالشاشة «كم عمرها، أيام أم ساعات؟ ماذا حل بالفتىان الآن؟ هل ما تزال حقاً على قيد الحياة؟» كانت شفاهها عبارة عن خطوط رفيعة.

- «يا لها من كائنات لا تكل من الصرير». تبسم (تورنن) بتفوق.
نظرت (ياسمين) إلى (سندر)، الذي أومأ بثقة المنتصر.

- «إن الأمر كما يقول يا (ياسمين)».

- «(واين)، أنت تعلم أن المرء يحتاج لإجراء العديد من التجارب قبل أن...».

- «(ياسمين)، إنها معجزة علمية. لقد أثبتت نجاحها حقاً. انظري إلى الفتىان. تبدو في حالة رائعة. كلما أسرعنا في إجرائها تحت ظروف حقيقة، كلما استطعنا مساعدتها عدد أكبر من الناس. سيصبح الصبي مشهوراً. معي! عليك فقط السماح بذلك!».

- «أصبحت فجأة متهمة للأمر. أليس كذلك؟»

- «أنا من قام بالاكتشاف! إنه اكتشاف!» كاد (واين سندر) يتفجر اقتناعاً.

- «هيا (ياسمين)، ساعدينا، لكي نسعد العالم بهذا الاكتشاف المذهل».

- «عليك التفكير بالصبي!» قال لها (تورنن) معاذباً، «إنه سينتهي بطريقة مأساوية! ببطء، ليس اليوم، ليس غداً، ولكن سيزداد الأمر كل يوم، على مدى أسابيع. وستراقب أمه ذلك باستسلام، بيأس، وسيصيّبها

الجنون. وأنت كذلك! لأنك ستشعرين بالذنب. ترتكبين خطيئة! بحق طفل؟ فقط لأنك تقصصك الجرأة، بأن تقدمي له هذه الفرصة المتاحة له هنا». دسّ يده في الجيب الداخلي لستره، وأخرج أنبوباً يحتوي على سائل صافٍ، بلون وردي.

- «إنها حقنة مهيئة للاستعمال. هذا هو السائل العجيب، المذاب بخليلط جاهز من الهون المحضر مخبرياً. يمكننا حقن الحمض النووي من خلالها. أعملني على إقتحاع (آنا)، وأنقذني (ماتياس)!».

الفصل السابع والثلاثون

(صوفيا أنتي بولس) بالقرب من (كان) مساء الثلاثاء

استمر المأزق لدقائق معدودة. ثم بدا في الداخل خلف بوابة الدخول المقلقة رجل سمين، بالرغم من بنيته الضخمة، كان يتحرك برشاقة. كان رأسه الحليق شاحب اللون، ووجهه نحيل بالمقارنة مع جسده الممتئ. أحد رجال الحراسة فتح الباب، وخرج (سولفان) إلى المدخل الأمامي. تفحصت عيناه (كريس).

- «ما هذا؟ لماذا تلوح هنا مهدداً بسلاحك؟ انكمش أنف (سولفان) بشكل واضح.

تجاهل (كريس) تلك الإيماءة: «لأنني أريد الدخول. فأنا أبحث عن شخص».

- «يبدو أنك تعرف كيف يمكن للمرء أن يلفت الانتباه. أسمي (سولفان). أنا مدير أمن (تيسابي)، ولا مكان هنا للحمقى الملتوحين بمسدساتهم. سأقوم الآن بإبلاغ الشرطة، إلا إذا كان لديك تفسير منطقي لما قمت به».

- «أريد أن أرى (ياسمين برسون)...

راقب (كريس) مدير الأمن، الذي لم ييبدُ عليه أي ردة فعل إزاء الاسم.

- «لماذا لا تضع سلاحك؟ إنك لن تستعمله على أي حال».«ذلك إن لم تكن مخطئاً...»

- «هذا يكفي. أنا مدير أمن مؤسسة عالمية ولدي ما هو أثمن من أي سلاح. خبرة بتقييم الأشخاص. فأنت لن تقوم بإطلاق النار بشكل عشوائي في المكان».

- «أريد الذهاب إلى (ياسمين برسون). لقد اتصلت بي من هنا. لقد أخبرتني أنها في خطر، وأنا صديق لها».

- «هكذا إذًا» حمل الصوت الكثير من السخرية «اسمه؟»

- «كريس تسرنوت هاين».

صمت (سولفان) لوهلة ثم أومأ.

- «تعال معي. أعتقد أنهم ينتظرونك بالفعل. ولكن عليك أن تضع سلاحك».

تابع (كريس) (سولفان) الذي صعد الأدراج بصمت وقاده عبر ممرات طويلة ثم فتح أحد الأبواب.

كان وجه (ياسمين) محمراً وجميلاً حقاً.

ازدادت ضربات قلبه وبدا شريانه ينبض تحت جلد رقبته. شلالات من السعادة الفامرقة اجتاحت جسده ففسلت كل التوتر

واليلأس.

- «(ياسمين)...» نعى غراب في أذنه. اللعنة لماذا لم تقم بالنظر إليه؟ كانت عيناً (ياسمين) معلقة بشفاه الرجل الجالس إلى جوارها وقد تسمّر كفاهما المكورين على الطاولة.

يبدو أنني وصلت في اللحظة المناسبة، فكر (كريس). فوجه (ياسمين) المحمر كان ينمّ عن مدى غضبها.

حول نظره عنها، وبدأ يتفحص وجوه الحاضرين في القاعة. حدق به

(واين سندر) باستغراب. إلا أن نظرات (كريس) تابعت تفحصها . الشخص الأهم كان كما يبدو هو الجالس إلى جوار (ياسمين).

- «لدينا ضيوف»، قال (سولفان) بصوت مرتفع، فاستدارت كل الوجوه نحوهما .

ازداد وجه (ياسمين) ظلماً . وأطلقت عيناه حزمات من الأسمهم برؤوس حارقة .

- «إليكم الرجل الذي يستطيع الإجابة على كل أسئلتكم. نحن مدینون لهذا الرجل بعينات العظام». ففرزت (ياسمين) واقفة، واندفعت نحو (كريس).

- «(ياسمين)، كم كان...» فتح (كريس) ذراعيه بسعادة .
وقفت بشفاه مرتجلة أمامه .
جعلت صفعتها الدموع تترقرق في عينيه .



انقض (جاك دوفور) عند سماعه رنين الهاتف، بالرغم من أنه كان بانتظار هذه المكالمة.

- «جيد أنك قمت بحفظ وعدك. بالتأكيد أنت في المختبر الآن؟» بدا صوت الأب (هيرونيموس) قوياً وحازماً .
- «نعم».

- «هل قمت بعمل ما اتفقنا عليه؟»
تردد (جاك دوفور). ففي تلك الأثناء تهافتت عليه الظنون كما تهافت الضباب على الجثث.

ـ لا ـ

ـ «عليك أن تثق بالله» ألح صوت (هيرونيموس). لم يدع مكاناً للشك. «أثبت ثقتك بالله! ألا ت يريد أن تخوض هذا الاختبار؟»
ـ «لا أستطيع. أنا ... أنا عالم» جفّ فم (دوفور) في ثوانٍ كأنه الصحراء.

ـ «إنك تستطيع. عليك أن تفعل. إنه يطلب منك ذلك».ـ «كيف يمكنك أن تكون واثقاً إلى هذا الحد؟».
ـ «أنا أعرف ذلك. كن واثقاً. ثق بالله. ثق بي».ـ «متى ستحضر إلى هنا؟»
ـ «قريباً. ولكن لا يجب عليك الانتظار. كان عليك إنتهاء الأمر منذ زمن. افعل ذلك!».

ـ «(هيرونيموس)، لا تدعني وحدي. فأنا لم أعد أعرف ما هو الصحيح. أنا ... أنا ... سأنتظر قدومك إلى هنا».

ـ «كلا. لا بدّ أن يحدث الأمر بسرعة. الآن».ـ صمت (دوفور).

نهض (جاك دوفور). كانت عظامه ثقيلة و悶له. فمنذ موت (مايك غلفورت) تلاشت قواه، كما يذوب الثلج تحت أشعة الشمس.
هز رأسه بقوة. (هيرونيموس) يطلب منه الكثير. ومهما فعل، فسيتحول إلى خائن.

بدأ (دوفور) يرتعد. كانت عضلات فخذيه ترتجف، وحدق غير مصدق بتهيج أعصابه، التي ظهرت حتى من فوق قماش البنطال.
ـ «إنها مشيئة الرب!». كان صوت الراهب القوي والصلب يحطم مقاومة (دوفور) شيئاً فشيئاً.

صمت (هيرونيموس) قليلاً، قبل أن يتبع كلامه بصوت ناعم ومتماضك «برحمة الله أصبحنا على ما نحن عليه. أنت، وكذلك أنا. (جاك دوفور)، تذكر دائماً ما أراده الله للبشر. لك ولـي. ((لأنني قد نزلت من السماء، ليس لأنني مسيحي، بل مشيئة الذي أرسلني)) هكذا تكلم الرب يسوع. وقد طلب القديس (بنديكت) في النظام الذي وضعه للرهبان، الأخذ بتلك الطاعة. أنت تؤمن بالرب، إذاً عليك اتباع مشيئته. لا يمكن لأحد الهروب من اختبار الرب. حتى أنا حاولت الهرب، ولكن في النهاية يسير الله الأمر بالشكل الذي يجعلني لا أتمكن من الفرار. أنت الآن أداة الله، وعملك هو إرادته. عليك أن تفهم يا (جاك دوفور)، أنه اختارك. أطع! هذا امتحان لك.».

أنزل (دوفور) سماعة الهاتف بإعفاء. فلم يكن يعلم ما هو الصحيح، ولكن (هيرونيموس). تمسك (دوفور) شاكراً، بثقة الراهب التي لا تهتز. (هيرونيموس) أرشده إلى الطريق.

أخذ (دوفور) حقيبة السفر، التي سرقها بعد الظهر من غرفة أحد المرضى، وتوجه بخطى يائسة إلى المختبر، أدار مفتاح الضوء عند الباب ونظر إلى أعلى، حتى أضاء آخر مصباح مصدرأً أزيزاً خفيفاً.



- «هكذا الأمر بالنسبة للنساء». ضحكت (زوي بورسل) «يجلسون ويحاولون أولاً استيعاب دليل الحب هذا». تابعت نظراتها المقيدة (ياسمين) وهي تعود إلى كرسيها بخطوات يائسة.

- «من الجميل التعرف على المجهول السري، الذي مكننا من تحقيق

هذا الاكتشاف العلمي المذهل. ما الذي أتي بك إلى هنا؟» حيا (تورنتن)
(كريس).

تمتم (كريس) بكلمات عن أعمال مهمة وغير قابلة للتأجيل، وعن
المكالمة القلقة لـ (ياسمين).

– «أنت تريد الآن تخلص الآنسة (برسون) من أسر الوحوش...»
ضحك (تورنتن) باستمتاع «انظر حولك. مجموعة من العلماء المتحملين
للمسؤولية. لابد أن الآنسة (برسون) بالفت قليلاً، وهذا ما كنا نخشاه. لقد
أخبرتني منذ قليل أنها تعتبر نفسها سجينه. وهذا الأمر غير صحيح على
الإطلاق».

– «هل تعني أنني والآنسة (برسون) نستطيع الخروج من هنا متى
شئنا؟»

ضحك (تورنتن) «لا أعتقد أنكما ستقومان بذلك حقاً» ثم قام بسرد
مختصر للأحداث التي وقعت في (براغ) و(دريسدن) ببعض الجمل المبنية
بشكل ممتاز. لم يبدِ (كريس) أي إشارة تنمّ عن موقفه من خيانة (واين)،
وكان يستمع باهتمام، حتى يمكن من فهم التفاصيل المتعلقة بالهندسة
الوراثية.

– «بالنسبة لي إن علم الهندسة الوراثية يشكل محيطاً واسعاً
ومجهولاً». قال (كريس) عندما أنهى (تورنتن) كلامه. «ولكني استطعت فهم
التالي: لقد تمكّن (واين) من إجراء انقسام للخلايا، وخلال اختباراته
الأخيرة استطاع اكتشاف الكروموسوم رقم 47، كروموسوم Y ذكري إضافي.
وهذا بحد ذاته يعتبر أمراً غير طبيعي، إلا أنه...»

– «تثلث صبغي. نعم، تثلث صبغي من نوع XY...»

– «... علمياً غير معروف» صمت (كريس)، تمالك نفسه «كما أني
فهمت أن التثلثات الصبغية مرتبطة دائماً بوجود أمراض خطيرة».

- «نعم، إلا أن للكروموسومات الجنسية خصوصيات، حيث يجب على المرأة أن يكون حذراً في إصدار التعريفات العامة». هرّ (تورنتن) رأسه «علومي تختص بعالم النبات. (أندرو)، إنه مجالك».

رفع (أندرو فولسوم) حاجبيه إلى أعلى، إلا أن (تورنتن) أومأ بنفاذ صبر. فبدأ (فولسوم) بالحديث.

- «الكروموسومات الإضافية تسبب عادة أضراراً فوية، كمتلازمة (براون) في حال التلث الصبغي في الكروموسوم رقم 21. إلا أن الكروموسومات الجنسية الفائضة تكون أقل ضرراً من التلثات الصبغية. فالنساء التي تحمل ثلاثة أو أربعة كروموسومات X، غالباً لا تشير الصور المرضية خاصتها لوجود أي أمراض خطيرة. ويبعدوها بسبب توقف نشاط كروموسومات X الإضافية، مع مضي الوقت. هذا يتاسب مع الحالات الطبيعية، فالمرأة تحمل عادة زوجاً من كروموسومات X، أحدهما من الأم والأخر من الأب. ويتوقف أحدهما عادة عن العمل في المراحل الأولية. مع مرور الوقت وإلى الأبد».

- «فهمت كل ما قلته حتى الآن». قال (كريس)، الذي رأى نظرة هل ما زلت تستطيع متابعي، في عيني (فولسوم).

- «إلا أن الرجال الذين يحملون تلثاً في الكروموسومات الجنسية، يتعرضون لشكلاً أكبر. فعند وجود زوج من كروموسوم X، أي تلث صبغي من نوع كروموسوم XYY، فإن هؤلاء الرجال غالباً ما يعانون من متلازمة (كلاينفلتر)، فإنهم يكونون عقيمين، ذوو أجسام ضخمة للغاية، وبأيدي وأرجل طويلة بشكل ملحوظ، تتشكل لديهم أثداء، وتكون أجسادهم قليلة الشعر...»

- «ولكن هذه الحالة تشكل تلث XYY، أليس كذلك؟» ابتسם (كريس) بلهؤم، لأن (فولسوم) نظر إليه وكأنه طالب في المرحلة الإبتدائية.

- «يمكنها أيضاً أن تسبب بأعراض، ولكنه ليس شرطاً. هؤلاء الرجال أضخم من المتوسط، وقد لوحظ وجود التهابات جلدية حادة، وبمساحات كبيرة في الوجه. الخصية الهاجرة وعيوب خلقي في القلب. غالباً ما يكون السائل المنوي لديهم ضعيفاً، وتعكس التحاليل ارتفاعاً حاداً في هرمون التسترون، وهذا ما يبرر السلوك الرجولي المفرط لهؤلاء الرجال». - «كل ما قلته لا يوحى باكتشاف علمي مذهل، بل بوجود أضرار هرث (كريس) رأسه.

- «الحقيقة أنه تم نصح الرجال الحاملين لكتروموسومات XYY، بعدم التكاثر» ضحك (تورنتن) بصوت عالٍ «بل وقد تم عمل بعض الأبحاث الاجتماعية التي قامت باعتبار مواصفات هؤلاء الرجال خاصة بال مجرمين. ولكن هذا في الماضي، أما اليوم فيمكننا القول أن التلث الصبغي XYY يعتبر مسبباً لأمراض خطيرة».

«إضافة إلى أن هذا التلث لا ينتقل وراثياً، ونسبة حدوث ذلك أقل من واحد بالمائة» قال (فولسوم) بصوت مبحوح وكأنه منشار العشب.

- «هل يوجد تفسير لذلك؟»

- «ينشأ التلث الصبغي لدى الأشخاص المصابين، نتيجة حدوث خطأ في بناء الخلايا الذكرية، بحيث لا ينفصل الكروماتيدان لكترومومسوم Y عن بعضهما في مراحل الانقسام الاختزالي. بتعبير آخر هو خطأ في الآلية، ومن النادر تفسير سبب حدوثه. ويقوم الكروموسوم Y بعملية إصلاح ذاتية» ضرب (فولسوم) بكفه على فخذه ويايماهه تنم عن أنه قد انتهى لتوه من توضيح الأمر لذلك الغبي.

- «إذاً فإن تضاعف الكروموسوم Y يعتبر حادثاً فريداً لا ينتقل وراثياً إلى ذكور الأجيال التالية» كرر (كريس).

- «لكن اكتشافي يقول شيئاً آخر» قال (واين سندر) الذي كان يهز

كرسيه بسعادة غامرة ومزهواً بما أحدثه من اكتشاف مدخل «الكروموسوم 7» الإضافي عملاق وممتنع بالجينات، بينما يكون الكروموسوم 7 المعروف صغيراً وذابلاً. لهث (واين سندر) وضرب بقبضته اليمنى باطن كفه الأيسر «لا يمكن أن يكون هذا الكروموسوم 7 ناشئاً عن الكروموسوم 7 المعروف. إنه مختلف تماماً. والا...»

«... لما كانت نتائج تجربتك على الفئران كانتي حصلت عليها» أكمل (كريس) كلام (واين) «لقد قمت بتحضير مواد الجينات وحققت بها الفئران، فهبا يقظرون بعد مدة قصيرة بأجساد شابة».

«أجل، (كريس)! أجل! الأمر لا يصدق، لكن هذا ما حدث بالفعل». قفز (سندر) واقفاً وتجلو في الغرفة بخطوات واسعة. «سيستفرق الأمر وقتاً طويلاً حتى نتمكن من فحصها ومعرفة كيفية طريقة عملها، ولكن ما يعني ذلك؟ الكثير من الأمور تجري من دون أن نجد توضيحاً لها».

«الحقيقة أنا ما أزال لا أصدق. هل بإمكانك رؤية الفئران؟»

«لن ترى سوى فئران شابة. لا شيء غير ذلك» ضحك (تورنن).
«رغم ذلك».

نظر (تورنن) إلى (سندر) و(بيكر).

«أحضروا الفئران. نحن نفعل كل شيء لنقنع المتشككين».



وضع (دوفور) الحقيقة جانباً عندما دخل إلى المختبر. كان القفصان اللذان يحتويان على الفئران موضوعين على طاولة إلى جانب باب الدخول مباشرة. قد تم عزلها عن باقي حيوانات التجارب،

لتجنب أي احتمال لعراضها لعدوى. كانت الحيوانات نشطة وتفوز على نشرة الخشب برشاقة. هزّ (دوفور) رأسه. فقد اجتاحته الشكوك مجدداً. كيف لـ (هيرونيموس) أن يطلب منه ذلك؟ ما الذي يعرفه ذلك الراهب، ليكون على هذه الدرجة من الثقة؟

- ((هناك طرق، تبدو للبشر أنها صحيحة، لكنها تهوي بهم في النهاية إلى أعماق الجحيم)) هكذا قرأ القديس (بندكت) من كتاب الأقوال المأثورة. هل تفهم هذا يا (جاك)؟ ساعد الصوت الهاذر للكاهن -الذي كان يتتردد في عقله-، (دوفور) في التغلب على شكوكه. ارتعش وتتابع متربداً، توجه إلى الحاضنة. كانت العينات الجديدة قد نمت بكثرة كأنها عفن على جدار رطب. توقف عدة دقائق يحدق من وراء الزجاج العازل في تلك الخطوط، التي تكاثرت بحرية وينتهي الحيوية. وقد زحفت تلك الكتلة البيضاء إلى أعلى الزجاج العازل.

إنها أujeوبة الحياة. السر الأعظم في العالم.

شعر (دوفور) بحرارة في وجهه وسمع صوت (هيرونيموس).

- الطاعة هي موقف أولئك، الذين يقدمون المسيح على أي شيء. ((عنهم قال رب: يستمعون أولاً ثم يطيعون)). أعلن (هيرونيموس) بلا تردد.

وبالرغم من ذلك... هل كان هذا هو الطريق الصحيح؟ هل هذا طريقه؟

إنه يخون العلم! علمه!

- تذكر (مايك غلفور)، إنك تحمل ذنبه. ألا يعتبر موته إنذاراً كافياً لك؟ هل يجب أن يموت طفل صغير، حتى تعرف وتطيع؟ كادت العبارات القوية لـ (هيرونيموس) تفتت دماغ (دوفور). أمسك رأسه بكلتا يديه وقد شعر كأنه سينفجر لشدة الارتباك.

لا تفكـر بذلك أكثر! لا تـشعر بذلك الشـك المـزق مـجـداً. لقد أوضـح
له (هـيـرونـيمـوس) الطـرـيق.

أدار مـفتـاح منـظـم الـحـاضـنـة إـلـى أنـ أـصـبـح فيـ وـضـع الإـيقـافـ. ثـمـ اـرـتـدـى
الـقـفـازـات الـواـقـيـةـ، وـوـضـعـ الـكـمـامـةـ عـلـىـ أـنـفـهـ وـفـمـهـ، وـفـتـحـ بـاـبـ الـحـاضـنـةـ. فيـ
الـدـاخـلـ شـعـرـ بـحـارـةـ الـحـيـاةـ 37 درـجـةـ مـئـوـيـةـ.

دـاعـبـ الـحـارـةـ شـعـيرـاتـ سـاعـدـيـهـ. ثـمـ أـخـذـ أـطـبـاقـ الـزـرـاعـةـ وـاحـدـاـ تـلـوـ
الـآـخـرـ وـرـمـاـهـاـ فيـ حـقـيـبـتـهـ.

ثـمـ قـامـ بـمـسـحـ الـزـجاجـ الـعـازـلـ بـخـرـقـةـ وـرـمـاـهـاـ أـيـضـاـ فيـ الـحـقـيـبـةـ.
كـلـ حـرـكـةـ كـانـتـ كـلـدـغـةـ الـأـفـعـىـ، سـرـيـعـةـ، مـنـدـفـعـةـ، مـرـتـعـشـةـ. انـهـرـتـ
الـدـمـوـعـ عـلـىـ خـدـيـهـ. شـهـقـ وـارـجـفـ وـكـانـهـ مـصـابـ بـالـحـمـىـ.
ثـمـ تـوـجـهـ إـلـىـ الـثـلـاجـةـ وـفـتـحـ الـفـطـاءـ.

لـقـدـ كـانـواـ قـدـ قـامـوـاـ بـاـسـتـخـارـاـجـ وـتـجـمـيـدـ مـاـ يـقـارـبـ الـعـشـرـيـنـ عـيـنـةـ.
كـانـتـ الـمـادـةـ الـجـيـنـيـةـ مـحـفـوـظـةـ فيـ أـنـابـيبـ مـخـبـرـيـةـ ذـاتـ لـوـنـ وـرـدـيـ فـاتـحـ وـلـامـعـ،
وـمـجـهـزـ لـلـاسـتـعـمـالـ عـلـىـ هـيـئةـ مـحـلـوـلـ دـهـنـيـ. أـحـدـهـاـ كـانـ (ـتـورـنـتـ)ـ قـدـ
احـفـظـ بـهـ وـاثـنـ آـخـرـانـ، قـامـوـاـ بـاـسـتـخـدـامـهـمـاـ فيـ تـحـوـيلـ الـقـرـآنـ الـمـسـنـةـ فيـ
غـضـونـ سـاعـاتـ قـلـيـلـةـ إـلـىـ حـيـوانـاتـ شـابـةـ وـنـشـيـطـةـ.

هـلـ هـذـاـ خـطـيـئـةـ؟ هـلـ هـذـاـ يـخـالـفـ مـشـيـئـةـ اللـهـ؟
نـفـضـ (ـدـوـفـورـ)ـ تـلـكـ الـأـفـكـارـ مـنـ رـأـسـهـ، وـرـمـىـ الـعـيـنـاتـ فيـ الـحـقـيـبـةـ. ثـمـ
تـأـكـدـ عـدـدـ مـرـاتـ مـنـ أـنـهـ قـدـ أـخـذـ كـلـ مـاـ يـحـتـاجـهـ. عـلـيـهـ أـنـ لـاـ يـدـعـ لـهـمـ أـيـ
شـيـءـ. لـاـ عـيـنـةـ وـلـاـ جـتـىـ شـرـيـطـاـ، هـذـاـ مـاـ طـلـبـهـ (ـهـيـرونـيمـوسـ).

ثـمـ جـلـسـ أـمـامـ جـهـازـ الـحـاسـوبـ وـنـقـرـ عـلـىـ لـوـحـةـ الـمـفـاتـيـخـ، باـحـثـاـ فيـ
قـاعـدـةـ الـبـيـانـاتـ الـمـتـعـلـقـةـ بـكـلـ الـفـحـوصـاتـ وـالـتـحـالـيـلـ. بـيـنـمـاـ تـخـفـيـ كـلـ
الـبـيـانـاتـ فيـ بـلـعـومـ الـحـاسـوبـ الـمـركـزـيـ فيـ (ـبـوـسـطـنـ)، ثـمـ هـذـهـ الـمـرـةـ وـبـنـاءـ عـلـىـ
تـعـلـيمـاتـ تـلـكـ الـمـشـعـوـذـةـ (ـبـوـرـسـلـ)، حـفـظـ الـبـيـانـاتـ عـلـىـ الـحـاسـوبـ الـمـحـلـيـ.

- «هل تزيد مسح كافة البيانات؟»
توقف السهم عند كلمة «نعم».



- «لقد فتح الباب على سر الإنسانية».
- «لا أزال غير مصدق» تتمم (كريس). بدا الأمر بالنسبة له عاطفياً
للغاعة. كيف للعلم البدائي أن يعرف من خلال سطح مياه المحيطات الكبيرة،
كيف يبدو حاله على عمق عشرات الآلاف من الأمتار؟
- «لهذا علينا معرفة كل شيء عن منشأ تلك العظام».
- ضحك (كريس) «كان علي نقلها، ليس أكثر. الرجل الذي يعرف عنها
كل شيء قد مات».
- «يبدو أنك لا تعرف مدى أهمية هذا الاكتشاف؟» قال (تورنن)
بصوت يخفي نبرة عدائية.
- «نستطيع منع الشيخوخة. إعادة الشباب للأجساد الهرمة. هل
تعلم ما يعني ذلك؟ إطالة عمر كل واحد منا...»
- «الخلود؟» تتمم (كريس).
- «ربما هذا أيضاً، أو ما (تورنن). ولكن حتى إن لم يحدث هذا،
فإنه على الأقل يعمل على إطالة مدة الحياة، فضلاً عن مكافحة الأمراض.
بضريبة واحدة س يتم استبدال ثلاث مئة نظرية حول الشيخوخة، بالحل. كل
تفصيل إضافي سيكون مهماً. وحتى الآن لم تكن مجدياً كما يجب».
- «ولكن لم أعد بذلك».
- «هل تحمل العظام معك في حقيقة ظهرك هكذا في كل مكان؟» كان
صوت (تورنن) مشحوناً بنبرة عصبية.

لم يجب (كريس).

أوما (تورنن)، وسرعان ما وقف كل من (سولفان) و(سباروف) إلى جانب الكرسي الذي يجلس عليه (كريس). رمق (سولفان) (كريس) بنظرة فوقية وأبقى يديه عالياً، بينما وضع (سباروف) يديه على كتفيه (كريس).

- «لا ترتكب أي حماقات!» حدق (هانك تورنن) بـ (كريس) بنظرات حديدية.

- «باستطاعتي أن أقرأ ما يدور في عقلك. ولكن، حتى إن لم يرق لك الأمر: هنا يحدث فقط ما أريده أنا. لن يتعدد الرجالان بانتزاع حقيبة الظهر منك بالقوة».

- «يوجد أشياء أخرى في الحقيقة غير العظام...»

- «أنا مقتطع بهذا» ابتسم (تورنن) بمكر. «ربما عظام أخرى؟ أنا متأكد من أن حقيقة الظهر خاصتك عبارة عن لقى ثمينة. إذاً». تردد (كريس) قليلاً، ثم هز كتفيه ودفع برجله الحقيقة جانباً.

- «رائع، إنك متعقل» ابتسم (تورنن) بتعالٍ.

- «أنا أعرف حدوبي» تحدى (كريس) النظرات الحديدية لـ (تورنن)، مسح رقبته ثم تابع قائلاً «ولكن كروموسوم Y حصراؤ من أين أتي؟ لماذا لا نحمله جمِيعاً في أجسادنا؟ لماذا، انقرضت؟»

- «من أين أتي؟ غير معروف تماماً. ولكنه الآن موجود! لماذا لا أحمله أنا أو أنت في أجسامنا، لهذا إذا يوجد حتى الآن تفسير بيولوجي مقبول لنقطة معينة. هل يهمك الأمر؟»

أوما (كريس).

- «توجد المعلومات في الحمض النووي. على كروموسوم Y خاص» ضحك (تورنن) باستهزاء «فإن قام الرجل بإنجاب ابنة بـ كروموسوم Y الإضافي، فإنها تحمل عادة كروموسوماً XX. وبهذا إن توريث الكروموسوم

ـ يختفي حتى من الجيل الأول. ولو فرضنا أن المولود كان ولدًا، فهو يرث غالباً الكروموسوم Y الثاني. فإن أنجب هذا الولد بدوره بنتاً، فإن السلسة تقطع هنا. وإن بقي بلا أولاد، فإن السلسلة تقطع أيضاً. فقط عند إنجابه ولداً، فربما يرث الكروموسوم Y الأول وربما الثاني أيضاً.

لنفترض الآن، أن مجموعة صغيرة من سلالة الرجال كانوا يحملون من البداية كروموسومين Y -لسبب أو لآخر- فإن بنية هذا النوع الخاص من الحمض النووي ستختفي من الحياة بسرعة كبيرة».

نظر (كريس) إلى رئيس مجلس الإدارة بربة.

- «تسربت هاين، هذا علم الوراثة! كما توجد أيضاً نظرية أخرى، ويمكن استخدامها هنا: تكون الخلايا من النواة والسيتوبلازم. وتحتوي الحمض النووي في نواة الخلية على كافة المعلومات الوراثية التي تعطي كلًا منا صفاته الفردية. السيتوبلازم تحتوي بدورها على الميتوكوندريا، التي تحتوي على حمض نووي خاص بها. هذه الميتوكوندريا هي مولدات الطاقة في الخلية. وهي تحافظ في كل ثانية على عمل الخلية. إنها الصانع! دون أداء الميتوكوندريا فإن المعلومات الموجودة في الحمض النووي لنواة الخلية، ستكون عبارة عن صيغة على ورقة داخل درج، موجودة ولكن دون فائدة. ولكن طبيعة مولدات الطاقة في الخلية، أنثوية حصرًا. فكل إنسان يحصل على مورثات الأم. هل تفهم؟ ولهذا، إن هذه المعلومات على كروموسوم Y في الحمض النووي لنواة الخلية، لن تستخدم. فالميتوكوندريا لديها حمضها النووي الخاص بها. يبدو الأمر كأن الصيغة وضعت في الدرج الخطأ، الذي يتم فتحه منذ دهر».

هز (كريس) رأسه بارتباك، نظر إلى وجوه الحاضرين: «حتى أنتم لا يمكن أن تعتقدوا هذا، أليس كذلك؟»

- «الاعتقاد لا يندرج تحت الخيارات العلمية. أنا لا أعتقد. أنا أسمح

لنفسه فقط بالتعبير عن وجهة نظره حول نموذج إيجابي، مرتبط أصلًا بحقائق علمية معروفة. فالكثير من الاكتشافات العظيمة انطلقت على أساس تخمينية».

- «أين الخطاف، الذي سيفتح الإمكانيات المهمة على الأقل، بأن الأمر هكذا؟ أين الحيوانات الثدية... البشر، الذين يمكنهم بأي طريقة أن يدعموا ما يقولونه من نظريات؟»

- «بشر؟ فقط الرجال يا (تسرينت هاين)، لا نساء» ضحك (تورنتن) باستمتاع.

- «ماذا تعني؟»

- «بالرغم من أنني عالم، إلا أنه علي في مثل هذا المقام الإشارة إلى الكتاب المقدس».

نظر (تورنتن) ساخراً إلى الوجوه المتفاجئة للمحيطين به. هزْ (آندره هولسوم) رأسه بإشارة إلى عدم فهمه، بينما فتحت (زوبي بورسل) عينيها غير مصدقة.

- «اهدي يا (زوبي)، فأنا لم أتحول». نهض (تورنتن) مكانه وسار بضع خطوات ثم استدار نحو الحضور.

- «ولكن في هذه الحالة، إن الكتاب المقدس هو شاهد مرحباً به. فقد كتب هناك: ((بلغ إبراهيم 175 عاماً، ومات آدم عن عمر يناهز 930 سنة، متوازلاً وصل 969 عام. ومات نوح في عمر 950 سنة))».

الكتاب الخامس

الصلب

«البابوية تعني الصليب، وهو
الأكبر على الإطلاق،

الكاردينال ريجنالد بول

الفصل الثاني والثلاثون

(سان بينوا سور لوار)

مساء الثلاثاء

صلب البابا (بندكت) بيده على وجهه، ثم استجمع أفكاره للمرة الأخيرة.

كان ممتنًا للقوانين الحازمة للجمعية البندكتية التابعة لـ (سان بينوا سور لوار)، التي أعادت بناء نفسها منذ عام 1944، بعد أن تم تدمير حياة الرهبنة أثناء الثورة الفرنسية في هذا المكان المأمول من قبل الحجاج. ولكن، كما العادة لم يسمح المؤمنون لأحد بإخافتهم، في الموضع الذي يُخدم به الرب، وفي المكان الذي وجدت به رفاة القديس (بندكت) راحتها الأخيرة.

كان البناء الحديث لدير الجمعية البندكتية يقع جنوب الكاتدرائية ويمثل منطقة محظورة على الغرباء. إلا أن رئيس الدير عرض على ضيف البابا الدخول باعتباره حالة خاصة، إلا أن البابا اختار خلية بالقرب من بوابة الدخول، بعيدة بما يكفي عن نواة الحياة الرهبانية التقية. أمضى البابا الوقت من بعد ظهر ذلك اليوم في السرداد متشككًا ومصلياً أمام الشبك المعدني للضريح، بينما كان يسأل نفسه إن كان عليه استقبال ذلك الضيف أساساً.

أدخل (كالفن) رأسه من شق الباب متسائلاً. وأمأ له البابا فتحى جانبأ، دخل (مارفن) إلى الخلية، جثم على ركبتيه وقبل خاتم البابا.

- «أنت والبريتوريانيين خاصتك، تضعون الكنيسة في مأزق كبير». هكذا بدأ قداسة البابا كلامه، بعد أن جلسا على كرسين بسيطين «بعد كل ما استمعت إليه هذا اليوم، أنت منهم بارتکاب أخطاء جسيمة».

انزق (مارفن) من على الكرسي ووقع على ركبتيه وأخض رأسه بتدلل. - «قداسة البابا، البريتوريانيين وأنا مواليون يايماننا للكنيسة لأبعد الحدود. لا أحد، لا أحد على الإطلاق يمكنه إثبات أنه من الممكن أن نخون عقيدتنا. يجب أن يكتسب البريتوريانيين المصداقية».

نسج (مارفن) قصة حول الفرور، الأنانية، العقائد الباطلة والخيانة «لو أن قداستكم يذكر، فأنا من قام بإدراك خطورة تلك الصحف الوثنية وهرعت إلى (روما)، عندما كنت لا تزالون في منصب رئيس مجمع العقيدة والإيمان. أعترف أنه كان من الخطأ التعبير عن رغبة البريتوريانيين بالحصول على صفة المطرانية الشخصية في هذا الوقت. لو أنها أدركتنا أن الظروف غير مواتية، لكان...»

زاد (مارفن) من خفض رأسه وتحدث بصوت منخفض: «ربما كان الأخ (هيرونيموس) قد فهم آنذاك بعض الأمور بشكل خاطئ...»
- «لا أصدق هذا» أجاب البابا.

- «ربما، ولكن لا شيء يمكنه أن يعوض الحديث بشكل مباشر، ولهذا فأنا ممتن الآن إلى الرب بأن ذلك قد حدث أخيراً».

صمت البابا (بندكت) وحدق بالشعر الأسود للرجل الراکع أمامه. فجأة رفع (مارفن) رأسه إلى أعلى.

- «قداسة البابا، البريتوريانيين بحاجة لمساعدتك، نحن نضع أنفسنا تحت حمايتك، حتى لا نتمزق، نحن المؤمنين تحت وطأة الهيمنة الدينوية،

نحن الذين نضع حماية الكتاب المقدس وكلمة الله نصب أعيننا. لا يمكن أن يدمر الكذب مصداقية الكتاب المقدس».

– «أنت تعرف الصدق والكذب؟»

– «لقد رأيت الألواح بأم عيني وأمسكتها برعب بين يدي. تفوح منها رائحة الشيطان. كل كلمة عبارة عن هرطقة، عار على كتابنا المقدس. إنه قرار صحيح أن تقوم قداستك بإخفاها إلى الأبد».

«من يقول ذلك؟»

لعت عينا (مارفن). وقف وجلس مجدداً على الكرسي. «لقد تحدثت إلى السارق والقاتل الإيطالي. لقد قرأت نصوص الألواح الإثنتي عشر. وأنا أعلم: أن اللوح الثالث عشر مفقود، وهو لدى قداستكم».

استمتع (مارفن) بالصمت الذي تلا عباراته، فقد كان يعلم أنه أصاب البابا في مقتل.

أبقى البابا (بندكت) أصابع يديه متشابكة على حجره، وانتظر.

– «أنا أعرف المزيد» ابتسم (مارفن) ببراءة. فالبابا لم يطرده خارجاً بعد «أراد اللص والقاتل الإيطالي أن يبيعكم تلك الألواح».

– «إنك تتمادى يا (هنري مارفن)».

أخفض (مارفن) رأسه بتذلل، إلا أن صوته كان واضحاً وحاداً: «قداستكم بارع في التخطيط الاستراتيجي والتكتيكي مع إبقاء النظر إلى ما يمكن فعله. رجائي بوضعي أنا والبريتوريانيين تحت حمايتكم يعتبر طلب بسيط أمام ما يمكنني تقديمه».

وقف البابا (بندكت) واستدار نحو الباب: «أعتقد أنه ليس بإمكانني مساعدتك. (مارفن) أنت تاجر. تاجر بلا بضاعة!».

– «قداسة البابا، لا تذهب الآن، مهمتكم...»

استدار البابا بتrepidation.

- «ما زلت أعرف يا (هنري مارفن) عن مهمتي؟» شعر البابا بالاستسلام أمام امتحان لم يشأ خوضه. لقد اختفت القطع الأثرية، ولا أحد يعلم أين هي. هل أُوشك مهتمه أن تفشل؟ هل هذا هو اختبار الرب الحقيقي له؟

تدذكر سلفه وكلماته الشاكية: ((إن المأساة الكبرى هي صمت الرب، الذي لم يعد يتجلّ، ويبدو كأنه اختفى في السماء لاستيائه من أفعال البشر)).

- «لم يضع شيئاً بعد...» انتزع صوت (مارفن) الناعم البابا من أفكاره العاصفة: «الألواح... العظام...»

- «أي عظام؟»

- «قداستكم، أنا لم أطلع على نص اللوح الثالث عشر. ولكن له علاقة بالعظام، كما هو حال مهمتكم. وأنا أعرف أن الأمر فوق قدرات البشر». حدق البابا بالناشر. ما الذي يعرفه (مارفن)؟

- «قداسة البابا: هذه العظام... لقد قام علماء باستخراج عينة منها».

خلال ثوانٍ، أصبح وجه البابا شاحباً تماماً، واستمتع (مارفن) بطبع ورقته الرابحة.

- «قريباً لن نستطيع كبح جماحهم».

رفع البابا رأسه بإرهاق.

- «أنا أطلب حمايتك لي وللبريتوريانين. والمكانة الدينية كأخوية. والوعد بأنني سأكون معكم...»

- «ما زلت على أن أفعل كل ذلك؟» قاطعه البابا.

- «لم يفت الأوان بعد، فأنا أعرف أين أجد عمل الشيطان ذاك. وأنتم لا تستطيعون».

الفصل التاسع والثلاثون

(صوفيا أنتي بوليس) بالقرب من مدينة (كان)

مساء الثلاثاء

- «خذ شيئاً من البوفيه. يبدو عليك الجوع» وقف (هانك تورنن) وملاً طبقه بالسلطة والأسماك.
- «كما أنك تحتاج إلى أخذ حمام» ابتسمت (زوي بورسل) بخبث «أين أمضيت الليالي الماضية؟»
استدار (كريس) إلى (ياسمين)، التي كانت ترمي بـ بنظرات تملؤها الأسئلة التي تنتظر إجاباتها.

لماذا أتيت متأخراً؟ لماذا تخليت عنِّي، لماذا لم تأت عندما كنت بحاجتك؟ لقد تواعدنا على اللقاء! لم تقم حتى باتصال هاتفي...
فضح (كريس) رأسه. كانت نظرات (ياسمين) تشير بوضوح أن إجاباته على أسئلتها ستقرر الكثير من الأمور. إلا أنه لم يكن يستطيع توضيح الأمر لها هنا. ليس هنا وليس الآن.

ثقي بي، توسلها بنظراته. أرجوك!.
تلألأت الدموع في عيني (ياسمين). وأصبحت نظراتها التي بدت منذ قليل حادة، أكثر رقة.

- «ربما لن تصدقوني، ولكن مهمات عملٍ الخاصة بالنقل تكون

أحياناً عنيدة قليلاً» قال (كريس) بصوت مرتفع باتجاه (زوي بورسل)، ثم انتظر حتى استدارت نحوه «لقد قمت في الأيام الماضية بمرافقته أحدهم في رحلة طويلة داخل الكهوف لنقل معدات».

«يا لك من كادح... وأين؟»

«في (فونتينبلو). هل تعرفين منطقة الغابات تلك التي تقع بالقرب من (باريس)؟ هناك تشكيلات رائعة من الحجر الرملي، إنها جنة حقيقية لهواة التسلق. ولكن في هذه الحالة كانت رحلة عبر الكهوف. وعندما خرجنا، استمعت إلى مسجل الاتصالات الواردة، وتوجهت من فوري إلى هنا».

«آه، الاتصال» أومأت (بورسل) بتأمل «لم تبع لنا الآنسة (برسون) بعد بما قد قالت لك في ذلك الاتصال. وأنت ما تزال تتجنب ذكر ذلك. إلا تريد إطلاعنا عليه؟»

«قالت أنها تحت الإقامة الجبرية، كما الحال مع شقيقتها أيضاً».

«وما حاجتنا لمثل ذلك؟»

«لأنكم تنوون تجريب مفعول الكروموسوم على (ماتياس)» صاحت (ياسمين) وقد ففخت واقفة من كرسيها. «أنا أعتبر ذلك عملاً غير مسؤول. فما زال الوقت مبكراً جداً...»

«مبكراً» ضحك (هانك تورنن) بصوت عال «ليس لدى (ماتياس) أي فرصة أخرى. أو بالأصح: في الواقع إن هذه فرصة لا توجد أصلاً! وأنت تقفين هنا وتناقشين أن الوقت ما يزال مبكراً! لو لم يكن (ماتياس) فسيكون شخص آخر من سيتعلق بهذه القشة الأخيرة، التي نمدّها له. ما رأيك؟»

نظر (تورنن) إلى (كريس) وتتابع أكل السلطة باسترخاء.

«من المؤكد أنكم بحاجة لموافقة المريض أولاً» قال (كريس) بعجز.

- «في حالة (ماتياس) فإننا بحاجة إلى موافقة الأم، لأنها هي المسئولة عنه». قال (تورنتن) وأومأ بحماس «لكنها متربدة للأسف».

- «يمكنتني فهم أسباب فلقها» تتمم (كريس). شعر بشد في بطنه، شعور غير مريح من التتميل والضيق. الارتباك سوف يلتهم أي شخص عندما يكون في حالة من التخبط بين الأمل والخوف، فالوقت يتسرّب وال الساعة الحاسمة تقترب بسرعة. لم يشاً أن يكون في مثل هذا الموقف وأن يقرر أمراً كهذا.

- «يجب أن تعلم أن (ماتياس) موجود هنا لأنّه ينتظر دوره في خوض تجربة للعلاج الجيني. بمحض إرادتهم! للأسف يوجد مصاعب. ولكن لدينا الآن ما هو أفضل!».

دفع (تورنتن) طبقه بعصبية فجأة.

- «سيكون صديقك قريباً هنا ومعه الدليل الحي. عندها تستطيع مساعدتي في إقناع السيدتين. لماذا تأخرتوا؟ أيها الشاب اذهب وانظر ما الأمر».

أومأ (تورنتن) إلى (سباروف)، الذي كان يقف طوال الوقت بذراعين متشاركيين عند الباب، والآن غادر القاعة.

في اللحظة نفسها رن هاتف (سولفان) فالتفت كل الوجوه إليه.

- «في الأسفل بالقرب من بوابة الدخول ألقت الدورية القبض على راهب كان بانتظار (جاك دوفور)».

- «(دوفور)! هل هو هنا؟ لقد قام بالاعتذار عن الحضور. أراد أن...» نظر (فولسوم) بنظرات مرتابة إلى (سولفان)، الذي رفع كفيه باستفراش.

- «راهب؟» تنهى (تورنتن) «وما علاقة أحد علمائي بذلك الراهب؟»

- «ما اسم الراهب؟» سأله (أندرو فولسوم) فجأة.
- «الأخ (هيرونيموس)». أجاب (سولفان)، بعد أن كرر السؤال على
المتصل.
وفي غضون ثوانٍ أصبح وجه (فولسوم) شاحبًا.



(سان بينوا سور لوار)

قام رينيه تروتفنون باستخدام الغرفة الأولى المجاورة لباب دير البندكتيين كمختبر مؤقت. لم يسمحوا له بالدخول أكثر. تعدد (تروتفنون) على المنصة وحدق في السقف المفسول. كان هو ورجاله يشكلون الطوق الأمني الخارجي لحماية البابا. لقد كان الحرس الخاص للبابا برفقته في الداخل، وبهذا فإن فريقه كان أشبه بورقة التين الفرنسية.

فرع الباب.

رفع (تروتفنون) يده اليمنى، وهكذا أعطى (كلود دوريك) الإشارة لفتح الباب. كان (دوريك) مساعدته، وقد أخبره بما حدث في الصباح عند غيابه في (فونتينبلو).

دخل (الفيديو كالفي) إلى الحجرة ذات الأثاث المبعثر.

- «هل بإمكاننا التحدث بمفردنا؟»

نهض (تروتفنون) جالساً وأومأ لـ (دوريك) الذي غادر الغرفة بصمت.

- «أنا بحاجة لمساعدتك» تعمم (كالفي) واتكل بكتفيه على الباب.

- «الأمر له علاقة بالرجل الذي لجأ إلينا من (فونتينبلو)».
- انكمش وجه (تروتغون). فقد تم استغفالهم وكأنهم مبتدئون سذج.
- فهو لا يعرف حتى الآن كيف يمكن له توضيح ما حدث في تقريره.
- «أنت الضيف. ما علي فعله؟»
- «نحن بحاجة إلى مروجية».
- عدل (تروتغون) من جلسته بتوتر.
- «يوجد حديقة علمية عالمية بالقرب من مدينة (كان). تدعى (صوفيا أنتي بولس). أتعرفها؟» سأله (كالفي).
- هز (تروتغون) رأسه نافياً.
- «يوجد هناك مركز أبحاث لشركة تسمى (تيسابي). علينا التوجه إلى هناك في أسرع وقت ممكن. وهناك يدور أمر يؤذى الكنيسة. ومن المستحسن أن يقوم الدرك بزيارة ذلك المركز وتفتيشه، إلى أن نحصل. إنه شأن داخلي للدولة».
- «أفهم» أجاب (تروتغون) «حتى وإن كان على أرض فرنسية».
- «قداسة البابا هو من طلب ذلك» تتمم (كالفي).
- هز (تروتغون) كتفيه «سأقوم بإعلام رئيسي. وما عساي أن أقول إن أراد معرفة المزيد؟»
- «عليه توجيه الأسئلة لرئيس الجمهورية، إن كان بالإمكان تلبية طلب الضيف» ابتسامة (كالفي) ابتسامة مائلة.
- «لن يطلب الإذن بذلك».
- « تماماً».



(صوفيا أنتي بولس)

ـ «ماذا تفعل هنا؟»

تجول (دوفور) في المكان.

وقف (ند بيكر) (واين سندر) أمام باب المختبر.

ـ «أنا أعمل!».

ـ «الآن؟ بمفردك!». تقدم (ند بيكر) خطوتان إلى الأمام «التعليمات تقول، أنه لا يحق لأحد الوجود بمفرده في هذا المختبر».

ـ «لقد طرأة على بالي فكرة...»

ـ «وما هي تلك الفكرة؟»

لاحظ (ند بيكر) الحقيبة على الطاولة، فتوجه إليها وفتحها. في أرضية الحقيبة كانت الأطباق التي تحتوي على مزارع الخلايا المحضرة من الحاضنة موضوعة بطريقة غير مرتبة مع أنابيب المختبر التي كانت في الثلاجة. بينما كانت العينات المجمدة قد ذابت. وكانت الأنابيب المخبرية مكسورة وقد اندلع منها السائل الوردي اللون منسابةً بين عقد العينات والزجاج المكسور.

همس (ند بيكر): «أيها الوغد! ماذا تفعل هنا؟» قال بصوت مبجوح لشدة الغضب.

ـ «ماذا حدث؟» صاح (واين سندر).

ـ «لقد دمر كل شيء! لقد قام برمي العينات المجمدة ومزارع الخلايا في الحقيبة. إنه يحطم كل شيء!».

اندفع (واين سندر) ببعض قفزات مارأً أمام (ند بيكر) باتجاه (دوفور). كان الحنق قد غير لون وجهه «أيها الوغد! إنك لا ترى أنني أستحق ذلك النجاح، أليس كذلك؟» لكم (سندر) أنف (دوفور) بقوة. صاح (دوفور)

من الألم وانقلب جانباً من على الكرسي. كانت أصابعه تضفط على الزر بشكل تلقائي.

- «اللغنة، إنه يقوم بمسح البيانات!» صاح (سندر). على الشاشة ظهرت كلمة «إلغاء» بخط كبير ولون أحمر فاقع.

سدد (سندر) ضربة جديدة فأصاب (دوفور) في جمجمته، بينما جعله الألم في قبضته يتراجع إلى الخلف. نهض (دوفور) وهجم على جسد (سندر) ضارياً إياه بكفه.

- «لن تتمكنوا من إيقافنا!» صاح (دوفور) ودفع بيديه صدر (سندر) بقوة غير متوقعة. تعثر (سندر) إلى الخلف.

جذف بيديه، فقد توازنه ثم هوى إلى الخلف. تعثر جانباً أثناء سقوطه. وارتسمت رقبة (سندر) بكل قوة على الحافة الحادة لطاولة المختبر. صوت الطقطقة القصيرة الصادر عن كسر الرقبة اجتاح جسد (دوفور).

- «هذا... لم أرد فعل هذا!» صاح بهستيريا وحدق في جسد (واين سندر)، الذي حلق في الهواء لأقل من جزء من الثانية وكأنه دمية متيسسة. ثم هوى بعدها مرتطماً ببلاط الأرض.

- «خائن!»

قفز (ند بيكر) باتجاه (دوفور) وأحكم قبضته على الجسد النحيل للفرنسي. سقطا على الأرض معاً ويدعا بالتدخل على البلاط. أصبح (دوفور) فجأة ممداً بالقرب من جسد (سندر) الفاقد للحياة، بينما أصبح خده الأيمن بالقرب من فم الرجل الميت.

ضفت (بيكر) يده بقوة على الجانب الأيسر من وجه (دوفور). أحس (دوفور) بشفاه (سندر) التي ما زالت دائمة على خده. وكأنها قبلة سريعة، فكر (دوفور) بفزع، حين شعر ببقايا اللعاب على جلده.

جعل يركل برجليه ويلطم بيديه بشكل قوي وعشوائي حتى أصاب أنف (ند بيكر)، الذي ارتحت قبضته. دفع (دوفور) بـ(بيكر جانباً)، الذي تدحرج إلى الخلف.

نهضا واقفين في الوقت نفسه.

ـ «ستدفع ثمن ذلك!».

ـ «لقد كان حادثاً» صاح (دوفور).

نظر (بيكر) حوله ثم تراجع إلى الخلف حتى وصل إلى طاولة العمل الموجودة في الناحية الأخرى من المختبر، وأحس بطرفها يلامس مؤخرة ظهره. سحب الأدراج واحداً تلو الآخر حتى وجد مشارط وسماكين في أحدها.

ـ «سأقوم بتشريحك!» صاح، رافعاً المشرط بقبضته المعلقة. توقف (بيكر)، رفع يديه إلى الأعلى وضرب بقبضته على رأسه. برز المشرط لاماً في قبضته «لا أستطيع تصديق ذلك! لا أقدر على فهم ذلك!».

ـ «لقد كان حادثاً» صاح (دوفور) مجدداً.

ـ «حادث؟»

ـ «لقد تعثر،رأيتم ذلك بأعينكم!»

أطلقت عينا (ند بيكر) شارة، ثم نظر إلى جثمان (واين سندر).

ـ «أنا لا أتحدث عن هذا أصلًا! أنا أعني العينات!» تنفس (بيكر)

بسرعة «إنك تقوم هنا بتدمير الاكتشاف الأعظم للبشرية!» على الطاولة التي كسر عليها عنق (سندر)، رأى (دوفور) مجموعة من أنابيب وقوارير الاختبار. بسرعة أمسك (دوفور) بالقارورة الأكبر. قفز (ند بيكر) بآيدٍ مرفوعة ضارباً المشرط إلى أسفل. رفع (دوفور) ذراعه المثني مدافعاً إلى أعلى.

شطب المشرط ذراعه ومزق ثيابه. شعر بألم حارق. فقد قطعت الشفرة الحادة الأعصاب الممتدة تحت جلده.

صرخ مسداً ضرية. ارتطمت الأرضية السميكة لقارورة المختبر بصدغ (بيكر)، بينما أصاب ذقنه بطن (دوفور).

ترك (دوفور) القارورة تسقط على الأرض وأمسك بساعد (بيكر) الأيمن. أثناء ذلك انحنى وهو على ركبتيه جاراً معه (بيكر) المترنح إلى أسفل، الذي كان يقاوم فقدان الوعي بعد تلقيه تلك الضربة القوية بالقارورة على صدغه.

جثماً وجهاً مشوهه أمام بعضهما البعض، أمسك (دوفور) بكلتا يديه معصم اليد اليمنى لـ (بيكر). تراقصت شفرة المشرط أمام عيني (دوفور). أنزل اليد ضاغطاً عليها بكل قوته، وتعجب لدى سهولة إنزالها.

كانت أنفاس (بيكر) تلهث دون انتظام. بدت عيناه زجاجيتان. زاد (دوفور) من الضغط على يد (بيكر) حتى لامس المشرط الأرض. ازداد الحجاب أمام عيني (بيكر) سماكاً. وفجأة استسلم تماماً. وابتلع الإغماء الذي أصاب دماغه أي إشارة عصبية. تلاشت قواه.

حدق (دوفور) بعيني (بيكر) المقلوبة وتتابع الضغط إلى أسفل بكل قوته. توقف! كلا. إما هو أو أنت! سيطر الخوف من الهزيمة على كافة عواطفه، وأعطت غريزة الحياة لـ (دوفور) الدفعه اللازمة من القوة. انحنت يد (بيكر) إلى الداخل ومنزق رأس المشرط ثيابه مخترقاً بطنه وممزقاً شريان الأورطة ثم تعلق بجدار البطن.

سقط (بيكر) على ركبتيه مغمىً عليه ثم انقلب جسده جانباً. وانتقل من الإغماء إلى الموت.



حدق (تورنتن) بالراهب بنظرات قاتمة. عادة لا يقترب كاهن حتى
مسافة خمسة أمتار من علمائى. فما بالك مني. ماذا تريد هنا؟^٦
ابتسم (هورينيموس) بتفكير.

ـ «لابد وأنك رجل مؤمن!»

ـ «أنا أؤمن بالعلم، وليس بالاستعراضات البهلوانية التي تقوم بها
أنت وأمثالك منذ ألفي عام، ماذا تريد هنا؟»

ـ «إنك لم تبلغ حتى الدرجة الأولى من التواضع. هل تعلم ما يقوله
القديس (بندكت) لك أيضاً؟ ((المرء يحرص دائماً على تقوى الله ويتوخى
أن لا ينسى الله أبداً)). نظر (هيرونيموس) إلى الأرض، ثم رفع رأسه
بحركة مفعمة بالحيوية «منذ أيام عرض علي أحدهم في هذا المكان شيئاً
لترميم أحد بيوت الله»

اقترب (هيرونيموس) من (فولسوم) وأمسك بذراعه.

ـ «هذا الرجل أراد شراء روحه، أراد تقديم رشوة لي والله. هو كذلك
لا يعرف التواضع. لا أمام الله ولا أمام الحياة. أراد التخلص من ذنبه».

ـ «هراء» أشاح (تورنتن) بيده «ماذا تريد من (جاك دوفور)^٧؟

ـ «لقد فرض على (جاك) اختبار صعب. لقد اختاره الرب ليحقق
إرادته ويضع حدأ التجارب المخزية».

ـ «إنك تتحدث بالألغاز» ضحك (تورنتن) «فقد قمنا بإيقاف جميع
الاختبارات بعد الحادث، إلى حين معرفة الأسباب. وبهذا لا يتوجب على
(دوفور) الطيب أن يجتاز أي (اختبار) صعب».

ـ «عن ماذا تتحدث؟» نظر (تورنتن) إلى (فولسوم).

انكمش وجه (فولسوم)، تردد، قبل أن يجيب بشفاه مزمومة «عن
سلسة تجارب التيلوميرات، التي توفي في ذلك (الفلفورت) أثناءها. وهذا هو

القس الذي كان قد استدعاه (دوفور)، ليستمع لاعتراف (غلفورت)، حدث ذلك دون علمي!» أردد قائلاً عندما تنهى (تورنن) بعصبية.
لمع عيناً الراهب.

صمتت (ياسمين)، ولم تجد أي حركة تجعلهم يشعرون أنها تعرف تلك التفاصيل، حين كانت تسترق السمع.

تابع (كريس) كل تلك النقاشات الحادة وفك لدقيقة، قبل أن يجد الكلمة الملائمة لتعابير وجه الراهب: انتصار.

- لا أعتقد أنه يتحدث عن ذلك» صاح (تورنن).

- «يمكن بعد ذلك أن يكون فقط....»

قطع (تورنن) كلامه حين رن جرس هاتف (سولفان) مجدداً. رد مدير الأمن على المكالمة. وبلغ البصر شعب لون وجهه.

- «بسريعة... إلى المختبر... كان هذا (سباروف)... (دوفور)... إنه يدمر كل شيء... العينة! حدثت مجزرة!»



هرع (كريس) مع الجمع. وبقي قريباً من (ياسمين)، التي أمسكت بيده وعادت تحدق إليه بنظرات مضطربة.

في المختبر كانت جثامين كل من (ند بيكر) و(واين سندر) ملقة على الأرض، التي انتشرت عليها قطع لامعة من الزجاج المكسر. وقف (سباروف) في الفرفة رافعاً سلاحه باتجاه (دوفور)، الذي كان يقف أمام الثلاجة مرتعداً بينما يمسك بيديه أطباقاً بلاستيكية.

وبسرعة أدرك (تورنن) ما قد حدث، وصاح بصوت عالٍ.

تساقطت شتائمه البذئية على رأسي (سباروف) و(دوفور) وكأنها عاصفة من البرد. ومع ثورة غضبه اندمج صوت (زوي بورسل) ذو النبرة السامة.

- «ما الذي يحمله الرجل في يده؟ ومن هو أصلاؤه؟» همس (كريس) بأذن (ياسمين)، التي كانت تقف مذهولة واضعة يدها أمام فمها. بينما وقف (هيرونيموس) إلى جانبها مبتسمًا.

- «هذا الدكتور (دوفور). لقد قاموا بقتل أحد الفئران ليجرروا أبحاثاً حول مفعول الكروموسوم. وتلك هي عينات من أنسجة الفأر».

أومأ (كريس) وحده في (دوفور) ثم في (هيرونيموس).

- «وما علاقة الرجلين ببعضيهما؟»

- «لا أعلم».

ضرب (تورنن) المستمر بالصرارخ قبضة يده على طاولة المختبر وداس بغضب على كل تلك الفوضى. ثم وقف رئيس مجلس الإدارة أمام (دوفور) ممسكاً بالشرط بيده. كان وجه (تورنن) مليئاً بالتجاعيد والبقع.

وقف العالم بتحدي وصلابة، مستسلاماً لقدرته. رقص الشرط تحت ذقنه.

- «كم أتمنى أن أقطع عنقك...» ارتعد صوت رئيس مجلس الإدارة بقタمة، وارتعد ساعده بقوه.

وعلى حين غرة تجول الشرط إلى أعلى، لامس جلد (دوفور) ثم انسحب بسرعة وكأنها لدغة أفعى. اتسعت عينا (تورنن)، ورأى (كريس) الساعد المنقض إلى أعلى.

«((كان مطيناً حتى الموت)), أمين» رعد صوت (هيرونيموس) في أرجاء المكان.

تصلب ظهر (تورنن)، ثم أنزل ساعده فجأة إلى أسفل. ترك (تورنن) المشرط يسقط.

- «والآن هذه هي النتيجة! كل ذلك الهراء! انقلب صوت (زوي بورسل) «هذا الوغد قام بدمير كل شيء! هل ستقبل هذا يا (هانك)? أنا لن أقبل».

تقدمت (زوي بورسل) نحو (دوفور) بعزم وركلته بين ساقيه بقوة. صاح (دوفور) متأملاً وترك الأطباق تسقط على الأرض. انحنى لشدة الألم، وحطم على ركبتيه، بينما أمسك الجزء الأسفل من بطنه بكلتا يديه. استدارت المديرة المالية بغضب نحو (تورنن) وجذبته من ذراعه، إلا أن رئيس مجلس الإدارة دفعها بعيداً عنه.

- «أغلقي فمك يا (زوي)!» نظر (تورنن) بрезانة إلى (سولفان) «حضر كل ما يلزم للسفر. الجميع!» نظر (سولفان) إلى (سباروف) قبل أن تتحول عيناه إلى (كريس). حول (سباروف) فوهة سلاحه من (دوفور) باتجاه (كريس). - «أغبياء! إنكم حمقى ضيقي الأفق! خذوا الشاب...». استدارت (زوي بورسل) بحقن إلى (تورنن). - «(هانك) أعطني المصل الذي بحوزتك! أعطني إياه! سأقوم بحقن الطفل بها بنفسي! والآن حالاً!».

الفصل الأربعون

(صوفيا أنتي بولس)

الثلاثاء نيلأ

عبر (كريس) بوابة الدخول خارجاً إلى مدخل السيارات، حيث وقفت سيارتي إسعاف. وكانت سيارتا ليموزين من ماركة (ستروين) تشكلان رأس الحرية للقافلة.

كان الشفق يتسلل، بينما بدأت ألوان النهار المضيئة تتدمج شيئاً فشيئاً مع لون الشمس المائلة إلى المغيب. كان المراقب يقع في الناحية الخلفية للمبني، وقد أنيرت أضواء الطريق.

كان الجو لطيفاً، وملائماً للجلوس على الشاطئ وتناول كأسين من النبيذ الأحمر. وبدلأ من ذلك، كان (سباروف) يضفط فوهة سلاحه على ظهر (كريس) ويدفعه للتقدم إلى الأمام.

وقف بعض رجال (سولفان) أمام سيارة المرسيديس التي تم إدارة محركاتها. جذبت أضواء السيارات الحشرات إليها، التي تراقصت باتجاه نهايتها الدافئة.

- «الكل مجتمعون! وأخيراً لوح (تورنن) بيده عندما وصل (تورنن) إلى مؤخرة الشاحنة الصغيرة الخلفية.

كان (تورنن) مستعجلأ الرحيل. فقد كان يشم رائحة الخطر.

حتى أنه لم يسأل (كريس) عن معنى نصوص الألواح الطينية. كل ذلك يجب أن ينتظر.

تفحص (كريس) الحارس الشخصي إلى جوار (تورنتن).

- «حراس وقيد؟ هل لذلك من داعٍ؟ يكفي أن تفعلوا ذلك معي فقط» أشار إلى (ياسمين)، التي كانت قد جلست مع الراهب في السيارة وقد كبل معصميها كما هو الحال معه. وقد تقدّر الجلدة.

- «مجرد إجراءات احترازية» ضحك (تورنتن) بتعجّر. «دخل! هيا تحرّك، نريد الرحيل من هنا» استدار (تورنتن) نحو (سولفان) «هل تم تجهيز طائرتنا الخاصة في (نيس)؟» أومأ (سولفان) «كل شيء جاهز».

- «نظفوا المكان، لا ينبغي أن يجد أحد تلك الجثث هنا. هل هذا واضح؟ وفور انتهاءكم عليكم أن تلتحقوا بي فأننا أحتاج إليكم هناك».

- «ولا تنسوا الملفات الخاصة بـ (غلفورت)» قالت (زوبي بورسل) «لا يجب أن يبقى شيء هنا ولا حتى ورقة واحدة»، تجاهلها (سولفان) ونظر إلى (تورنتن).

- «لقد تم ترتيب كل شيء هناك. في (كاليفورنيا) وكما هو الحال في (بوسطن). يمكنكم تقرير أي المخبرين ترغبون باستخدامه».

- «وتتأكدوا أن الجميع هنا سيقي فمه مغلقاً».

- «(هانك)، علينا التحرك الآن!» كانت (زوبي بورسل) تدوس بعصبية بين قدم وأخرى.

- «لا تصدّعي رأسي يا (زوبي)» نهر (تورنتن) مجيرته المالية بنبرة مسمومة «هل قام (أندرو) بتحميل كل شيء؟ هيا يا (تسرن هاين)، اصعد!».

- «لقد عاد (أندرو) لـ إحضار شيء ما من الداخل. وهو سيصعد في

السيارة الأمامية، ليحرس بنفسه الفئران والعينات والظامان» ابتسمت بخبث
«كما فعل (كونان) بالخاتم!»

- «مشعوذة».

- «هانك! إنه يتسبب لنفسه بذلك».

- «هو العالم وليس أنت».

- «لماذا أنت على هذا القدر من النفور؟ (أندرو) ليس البطل، بل أنا. أنا
من قبض على (سندر). (فولسوم) و(دوفور) فاشلين. وأنت تعلم ما أريد...»

- «نعم، (زوي). تريدين أن تصبغي الرئيس التنفيذي. توقفي عن
هذا».

دوى صوت عويل قصير في المكان.

- «اللعنة، ما هذا؟» توجه (تورنن) بنظره إلى أمام الشاحنة
الصغيرة.

سيارة للدرك صعدت على الطريق المرتفع باتجاههم، ثم توقفت إلى
جانب القافلة.

- «هل يجب أن يحدث هذا الآن؟ لقد توقعت ذلك!» زمرت (زوي)
بورسل.

للحظات لم يحدث شيء، بعدها فتحت أبواب السيارات ببطء، ببطء
شديد. خرج درك بزيهم الأزرق الداكن، أجسام ضخمة، هادئة وبثقة
المسيطرون بشكل كامل، بقوا واقفين إلى جانب سيارتهم، بينما انسابت
نظراتهم على القافلة.

- «تصرف يا (سولفان)» همس (تورنن) « علينا الذهاب من هنا بأي
طريقة».

في البداية بقي (سولفان) واقفاً مكانه، ثم أومأ للحارسين. اللذين،
توجهوا فوراً باتجاه الدرك.

- «هل هي صدفة أم أنه تم استحضارهم ولكن من قبل من؟»
- «آخرس يا (تسربت هاين)» عض (تورنتن) على شفته السفلية.

- «إن قمت بأي حركة حمقاء، فسينتهي أمرك».

رفع أحد رجال الشرطة يده بحركة وقائية. بقي (سولفان) والحراس واقفين.

بحذر بدأ الدركيان يتحركان خطوة تلو أخرى. كانوا كأسدين يتسللان نحو قطبي الغزلان. على مسافة عشرة أمتار توجها بشكل موازٍ للسيارات، وأضعان أيديهما على أسلحتهما المدسوسة داخل حزاميهما. حمل الشرطي الأمامي جهازه اللاسلكي وقربه من فمه.

على ارتفاع الشاحنة الصغيرة الثانية، لوها باتجاهها فجأة.

- « قضي الأمر» ضحك (كريس).

- «إنهم اثنان فقط» تمت (تورنتن) وصدق بتوتر في الشرطيين. تراجع (كريس) خطوة إلى الخلف، ووقف الآن إلى جانب (سباروف).

- «إنهم يفعلون شيئاً ما!» ثم تراجع مجدداً خطوة إلى الخلف. فجأة احترق صوت صيحة قوية الهدوء الذي كان مخيماً على المكان. كان ذلك الصوت المتصاعد يفوق كل درجات الصوت ولا ينتهي، بل يستمر. «هذه (آنا)» صاحت (ياسمين) من داخل الشاحنة الصغيرة ورفعت

رأسها بيته.

توقف الشرطيان مشهراً سلاحيهما وركزا انتباهم على الشاحنة الصغيرة الأمامية.

تحرك (سولفان) وتوجه بهدوء نحو الشرطيين. رفع يده فتبعه رجاله.

- «اقتلوهما!» همست (زوبي بورسل) إلى جانب (تورنتن). اهتزت الشاحنة الصغيرة فجأة. وقفت (ياسمين) ورمت بنفسها

خارج السيارة. ارتطمت بـ(سباروف) الذي اهتز متقائحاً ثم تعثر وسقط على الإسفليت.

وقفت (ياسمين) فوقه وتخبطت بقوة. حاول (سباروف) الإمساك بها إلا أنها تدحرجت جانباً.

انخفض (كريس) إلى الأسفل وضرب (سولفان) على صدره بيديه المكبلتين. خرجت أنفاس (سباروف) من فمه مطلقة صفارة. استدارت عيناه ثم هوى رأسه جانباً.

ـ «ماذا؟...» استدارت (زوي بورسل) «هانك!»
تابع رئيس مجلس الإدارة بغضب، كيف أحاط رجال (سولفان)
بالشرطين.

انتزع (كريس) السلاح من يد (سولفان) النصف مفتوحة.
وقفت (ياسمين) على قدميها وركضت.
نهض (كريس) ودفع (زوي بورسل) جانباً. ثم وجه فوهة السلاح إلى
الجزء الخلفي من رأس (تورنن). تصلب جسد (تورنن)، فور شعوره
بضفت الفوهة.

ـ «من الآن ستسيير الأمور حسب قواعدي» زاد (كريس) من الضفت
ـ «إلى الشاحنة الصغيرة الأمامية».

كان رجال (سولفان) قد أحكموا طوقهم حول الشرطين. تطايرت
الكلمات هنا وهناك. أعطى ذلك الجمود (كريس) المزيد من الوقت.
ـ «بسريعة! أسرع! أسرع!».

وصلوا إلى الجزء الخلفي من الشاحنة الصغيرة الأولى. في تلك
الأثناء وصلت (ياسمين) إلى الداخل، وعانت (آنا)، التي كانت لا تزال
مستمرة بالصرارخ. إلى الجانب الأيسر وضفت عريبة مرضى تمدد عليها

جسد نحيل تحت الغطاء. جلس (جاك دوفور) على المقعد المقابل بجمود يحدق أمامه في الفراغ.

تحت عربة المرضى وضعت حقيبة دبلوماسية متوسطة الحجم تضم بداخلها العظام، محلول، عينات الأنسجة والألواح الطينية. إلى جانبها يوجد قفص مخصص للسفر، بداخله كانت أربعة فئران تجثم بفزع.

ضرب (كريس) (تورنن) على مؤخرة رأسه.

هو رئيس مجلس الإدارة ببطء إلى الأرض، وركله (كريس) على ظهره، ليسقط (تورنن) إلى الأمام ووجهه على أرضية صندوق الشاحنة الصغيرة الخلفي.
- «جلسووا هنا!».

سحب (كريس) الجسد الساكن لـ (تورنن) إلى داخل صندوق السيارة ثم أغلق بابي الصندوق بيديه المكبلتين.
- «أيها الوغد!»

هاجمته (زوي بورسل) من الخلف وغرس أظافرها في وجهه. ضفت على الجلد ومزقته. شعر بحرقة في وجهه، كأن أحدهم صب الحمض على الجرح.

شعر (كريس) بأنفاسها الحارة على رقبته، ثم بجلد ناعم. غرس أنسانها في الجزء الخلفي من عنقه متعلقة به، كأنها مصاص الدماء. رفع بيديه المكبلتين فوق رأسه إلى الخلف. أصاب كعب السلاح مؤخرة رأس (زوي)، فخفت قوة العضة. انزلقت على ظهره نحو الإسفلت. فتح (كريس) بابي القمرة الخلفية للشاحنة الصغيرة، وسحب (زوي بورسل) إلى داخلها، ورماها بسهولة على (تورنن). كان المكان ضيقاً كأنه علبة سردين.

- «هنا! أعطى السلاح إلى (ياسمين) إن قاموا بأي حركة فعليك ببساطة أن تضربني مجدداً!» هزت رأسها.

انطلقت رصاصة، وتحرك (كريس). انقض رجال (سولفان) كالضباع على الشرطيين.

«تنح من هنا»

أغلق بابي القمرة وقفز إلى باب السائق. وقف سيدات الليموزين أمام الشاحنة الصغيرة التي كانت في وضع التشغيل. على التوازد الخلفية كان ملصق إعلاني كتب عليه «مطعم كاكتوس للبيتزا» وكانت الكتابة فوق رسم لشجرة صبار يوشع الخضراء والنحيلة.

تردد قليلاً ثم أطلق النار على العجلة اليسرى الخلفية لسيارة الستروين. قبل أن يتسلق ليصعد إلى كرسي السائق الخاص بالشاحنة، ألقى بسلاحه على مقعد مرافق السائق، وضع السيارة في حالة الانطلاق، أمسك بعجلة القيادة السفل، التي كان يحاول تلمسها مجدداً ليتأكد من قدرته على إدارتها بيديه المكبلتين. انحرفت الشاحنة وتدرجت مارة من جانب الليموزين. في المرأة الخلفية رأى (كريس) (سولفان) واقفاً بين حشد من الناس يجذف بساعديه غاضباً.



انحنى (كريس) حول (أنتي بولس). فارتطم الشاحنة بالرصيف، لأنه لم يتمكن من إدارتها في الوقت المناسب بسبب بيديه المكبلتين.

قاد السيارة إلى طريق صغير جانبي غير معبد، وتركها تندحر خلف أحد المنعطفات. ثم قفز خارجها وتوجه إلى القمرة الخلفية.

«حل العقد أسرع!» قال لـ (ياسمين) عندما فتح أبواب الصندوق الخلفي.

كان كل من (بورسل) و(تورنن) لا يزالان في حالة إغماء. بينما كان (ماتياس) ممدداً على حاملة المرضى إلى اليسار. كان جسده الضعيف مغطىً وقد ثبت بعدد من الأحزمة.

الشبه بين (آنا) وشقيقتها (ياسمين) كان واضحأً. إلا أن وجهها كان مترهلاً، متعباً ومجعدأً. تجاهله وأبقيت تركيزها على الصغير الذي لم تكتف عن متابعته.

- «ستأتيان معي. إلى الأمام». قال (كريس) لـ (دوفور)، وكان صوته يحمل نبرة آمرة. خرج العالِم من الصندوق بعناء.

وأخيراً ارتحت الحبال المكبلة لعصمي (كريس)، بعد أن تحرر قام بحل رباط عن معصمي (ياسمين) وقام بتكبيل يدي (زوي بورسل). قامت (ياسمين) في تلك الأثناء بحل وثاق (آنا) واستخدم (كريس) تلك الحبال بتقييد يدي (تورنن) إلى الخلف.

- «هل بإمكانني أن أدعك وحدك مع هذا الشخص هنا في الخلف؟»
- «لقد فعلت هذا لتوك».

أعطها السلاح.

- «في حال احتجت إليه».

- «لا أعرف كيف أستخدمه» هزت (ياسمين) رأسها «لا أريد هذا».
- «وماذا إن حاولوا إيذاءك».

- «لابد من وجود طريقة أخرى».

نظر (كريس) إلى (دوفور) «لديك فرصة. هل تساعدني؟»
أومأ (دوفور) بتردد.

حل (كريس) وثاق (دوفور) ودفعاً معاً الجسدتين الفاقدتين للوعي إلى المقعد الخلفي في قمرة القيادة. استخدم حبل (دوفور) لربط ثمانية عقد حول رقبتي كل من (بورسل) و(تورنن) وجعل (ياسمين) تمسك بنهاية الحبل.

- «ما عليك سوى شد الحبل، وسيخنقان، هذا سينهي أي محاولة للمقاومة».



أراد (كريس) التوجه إلى مقعد السائق إلا أن (ياسمين) سحبته إلى الخلف.

- «الطفل مريض» أشارت (ياسمين) إلى (ماتياس)، الذي كان مغمض العينين وممددًا على حاملة المرضى، بينما كانت (آنا) تمسح على رأسه بكل حنان «ألق نظرة عليه».

- «وما تعتقدين أنه بإمكانني أن أفعل؟»

- «التوجه إلى أقرب مركز للشرطة أو أقرب مستشفى».
صمت (كريس)

- «أرى أنك تفكّر بطريقة مختلفة تماماً. أليس كذلك؟»

- «(ياسمين)، الأمر هنا كبير. هلم أتمكن حتى الآن من إخبارك بما حدث في (فونتيلو)...

- «توجه إلى مركز الشرطة!»

- «(ياسمين)، هذا ...»

- «إنك فقط تفكّر بتلك الألواح الحقيرة!» صاحت فجأة. «وتحدق طوال الوقت في تلك الحقيبة التي تحمل العينات! أنت تهتم فقط بالمال. وتعتقد أنه ما زال بإمكانك تحقيق الربح المادي!»

- «(ياسمين)، الأمر لم يعد هكذا منذ زمن» تتمم (كريس).

- «ليس هكذا! أريد أن أقول لك شيئاً: عندما التقينا للمرة الأولى

لمع فكرة في رأسي. إنك الشخص الصحيح، هذا ما قالته كل ذرة في جسدي... هل تفهم؟ وكانت هذه الفكرة تحاول الدفاع عن نفسها طوال الأيام الماضية، في كل مرة كان عقلي يحاول فيها التدخل، الذي يقول بأنك وتلك العظام الغبية، من قمت بوضعنا في هذا المأزق!»

- «(ياسمين)، صدقي أو لا تصدقني. لدى مشاكل مالية،... نعم. أردت الحصول على المال،... نعم. إلا أنني شخص عنيد لا يتحمل أن يقوم أحدهم بالتعدي عليه. وكذلك عليك أو على (آنا) أو الصبي. أريد أن أعرف من وماذا يختبئ خلف ذلك. علي ببساطة أن أعرف! الشك الذي يجتاحني لا يدعني أرتاح!»

- «بالرغم من ذلك» هزت رأسها بقوة «الأولوية لـ (ماتياس). وإن أردت الاستمرار بلعب دور الجنون فسوف...»

- «لن يحدث شيء لـ (ماتياس)... فأنت الطبيب الذي يعتني بـ (ماتياس)» استدار (كريس) فجأة إلى (دوفور)، -الذي كان يقف متظراً إلى جواره- قائلاً: «ما هو وضعه؟»

- «إنه مصاب بمرض عضال. تلف كبدي» أجاب (دوفور) بطريقة آلية.

- «هل يجب أن يدخل فوراً إلى المستشفى؟»

- «هذا هو الأفضل بالتأكيد».

- «وإن لم يحدث هذا، فهل سيموت؟»

- «إنه لن يموت في الساعات أو الأيام القادمة. كلا. ليس كذلك». كانت عينا (ياسمين) تطلق شرراً حين نظرت إلى (كريس).

استدارت (آنا) نحو (ياسمين) وقالت جملة قصيرة فقط باللغة السويدية.

ترددت (ياسمين) ثم أومأت بألم. في الدقيقة التالية امتلأت عينها بالدموع. لم تعرف (آنا) ذلك. أمسكت (ياسمين) بذراع (دوفور).
- «شقيقتي لا تفهم لماذا لا يمكن لـ (ماتياس) الخضوع إلى سلسلة التجارب. أخبرها بالسبب!»
نظر (دوفور) إلى (آنا) بقلق، ثم توجهت نظراته المشفقة إلى (ماتياس)، قبل أن يجيب.
- «سلسلة التجارب التي كان من المفترض أن يخضع لها (ماتياس) لن تفиде. فقد أدت إلى وفات أحد المرضى ولا نزال نجهل السبب.».



غادروا موقع (أنتيبيوس) وتوجهوا إلى طريق السفر السريع نحو مدينة (كان).
جلست (آنا) و(ياسمين) في الصندوق الخلفي للشاحنة. غرفت (آنا) في صمت عميق منذ أن بدد (دوفور) أملها الأخير بشفاء (ماتياس) من خلال سلسلة التجارب.
- «ما علاقتك بالراهب؟ ذلك الـ (هيرونيموس)؟» سأل (كريس) العالم الذي كان يجلس إلى جواره على مقعد مراافق السائق ويرشده إلى الطريق.

صمت (دوفور) طويلاً «أعرفه منذ صفرى، فقد كان كاهن الاعتراف الخاص بي» قال أخيراً.
- «لقد قال أن الرب اختارك لتحقيق إرادته. إنه اختبار صعب. هل كان تدمير العينات هو الاختبار؟»

- صمت (دوفور) مجدداً، وأخيراً تهد العالم بتوتر.
- (هيرونيموس) هو من قال ذلك. نعم. كنت لديه، بعد أن فكرت تلك المرأة المتوحشة بتجربة مفعول الكروموسوم على الصبي».
- «هل أنت في حيرة من أمرك؟».
- «أنا عالم وطبيب ولست مغامراً. أنا أحترم الحياة».
- «أنت؟ لقد قمت بقتل رجلين!».
- «لقد كان حادثاً. كنت يائساً وحاولت الدفاع عن نفسي! لم أعد أعرف ما هو الصحيح! أراد (هيرونيموس) أن أقوم بإثلاف العينات! أنا أشك بكل شيء كان يبدو لي حتى الآن صحيحاً... لا أحد يستطيع أن يلومني!» صاح (دوفور) وضرب الزجاج الجانبي بقبضته. ثم هدا.
- «لقد عانيت من موت ذلك المريض جراء سلسلة التجارب، حيث أنه في هذا الاكتشاف المذهل بالذات أصبحت بالخوف؟ حول ماذا كان يدور؟» كان (كريس) يستمر في النظر من خلال المرأة الجانبيه للتأكد من أن أحداً لا يتبعهم.
- «إنها طريقة جديدة وحساسة لعلاج التلف الكبدي. وقد تمت مناقشتها منذ زمن. لم تكن تجارينا هي الأولى إلا أنها اتبعنا نهجاً جديداً».
- «هذا كل شيء؟» استفزعه (كريس) «إلا أن الأمور لم تجر في نصابها، أليس كذلك؟»
- تردد (دوفور) بالرد.
- ثم قال: «لقد قمنا بتجربتها على الفئران أولاً» وأردف «الإجراءات المعتادة. فالفئران هي الحيوانات المفضلة في المختبرات».
- «وما الخطأ الذي حدث؟»
- «لقد ماتت الفئران. بعد وقت طويل من إجراء التجربة. ولهذا اعتقדنا أن لا علاقة لهذا بالتجربة...».

- «وعندما مات ذلك الشاب...»

- «لقد تساءلت ليل نهار كيف حدث هذا. أنا لا أعرف السبب وراء موت (مايكل غلفورت) حتى اليوم و...»
- «ولا تريد أن تشعر بالذنب مجدداً، أفهم ذلك». مجدداً حدق (كريس) لوقت قصير في (دوفور)، الذي كان يجلس متوتراً ويقضم أظافره. «وما الدافع لذلك الراهن؟»

تذكر (دوفور) ردة الفعل الهمستيرية التي أصابت (هيرونيموس) عندما كانا في الكنيسة. لقد رأه مرتمياً على الأرض، كيف زحف نحو الصليب، بكى متسللاً إعفاءً من الاختبار.
وبعدها رمى الاختبار على كاهله.

- «بدا لي كأنه كان على علم بما تم إيجاده في عينات العظام».
- «وكيف ذلك؟»

- «لا أعلم. لقد وجه لي بعض الأسئلة، وكاد يُجنّ عن سماعه الإجابات. وقد سأله عن بعض الأسماء».

- «ماذا تعني؟»

فكرة (دوفور).

- «سألني إن كان رجل...»

- «(مارفن، هنري مارفن)» خرج الاسم من بين شفاه (كريس) بتلقائية.

ضغط (دوفور) بآصابعه على ساعد (كريس) الأيمن.

- « تماماً. هذا هو الاسم الذي سأله عنه (هيرونيموس)»!
ضحك (كريس) بسخرية.

- «الحلقة تغلق نفسها. (جاك دوفور)، أين يمكننا البقاء مدة ساعتين؟ أحتاج للتخطيط والتحضير».

- «أترغب حقاً بمتابعة المعركة؟ وحدك ومن دون مساعدة ضد تلك القوة المهيمنة؟»

- «علىّ أن أفعل. وربما يساعدك ذلك أنت أيضاً... أين؟»

- «أنا أسكن في (فالبون)، وهي منطقة مجاورة لمركز الأبحاث.»

- «قريب جداً. سيبحثون هناك أولاً.»

فكرة (دوفور).

- «منزل أهلي في مدینتي الأم خالٍ...»

- «وأين هو؟»

- «في (كولوبيريس). تبعد نحو ساعتين من هنا. وذلك حسب الطريق الذي يسلكها المرء. إنها منطقة صغيرة بالقرب من هضبة (الموريسيكين).»

- «هل يوجد مدن كبيرة بالقرب منها؟»

- «(طولون) لا تبعد كثيراً. (مارسيل) أبعد منها.»

- «كيف نصل إلى هناك؟»

- « علينا التوجه جنوباً. الأفضل أن نعود إلى الخلف ثم نصعد الطريق السريع حتى المخرج...»

- «كلاً هزّ (كريس) رأسه «الطريق السريع يختصر المسافات إلا أن النزول منه صعب. في كل مكان متاريس، وعند المخارج الكثير من الحواجز. هذا طريق ساحلي، جنة حقيقة. عدة تفرعات، طرق زراعية، مخارج بديلة، مخابئ... كيف عليّ أن أتوجه؟»

- «هنا!» صاح (دوفور) عندما مروا من جانب مركز المؤتمرات عند ميناء (كان). رافقهم الطريق الساحلي الرملي، ثم بدأت الأمواج تتكسر على الصخور الضخمة. على يمين الطريق الساحلي امتدت جبال (الإستريل) بشكل هائل.

- «أخبرني ما تنوی فعله؟» سأله (دوفور) فجأة بصوت حازم
«أساعدك».

ألقى (كريس) نظرة سريعة على (دوفور) «هل أستطيع أن أثق بك؟»
إنك تعيد لتوك تغيير الجبهات. في البداية عالم، ثم خادم للاستغلاليين
الجشعين وأخيراً اليد المنفذة لكاهن عقائدي. والآن؟»

أمسك (دوفور) أنفه ثم انزلقت يده على ذقنه، قبل أن يجيب.

- «العودة إلى العلم الحقيقي. إلى ما يعنیه العلم: البحث، المعرفة
ومساعدة البشرية. للأمر الذي دفعني منذ البداية للسير في هذا الطريق.
هل يكفيك هذا كدليل؟»

- «كيف يمكن أن يبدو؟»

- «الصبي. (ماتياس). سلسلة التجارب، التي كان من المفترض أن
يخضع لها، بدت كالأمل الأخير لإنقاذ حياته».
- «وهذا الأمل قد فقد الآن».

- «نعم. ولكن يوجد سلاسل تجارب أخرى، التي تعنى بالتلف
الكبدى. بنجاح. لقد قمت في الأيام الماضية بالبحث حول طريقة، أهتم بها
أنا أيضاً، إلا أنه لم يتم اختبارها في مؤسستنا». عندما نظر (كريس) إليه
مجدداً، بدا وجه (دوفور) جاداً وفي قمة التركيز.

- «في جنوب ألمانيا، يوجد شركة للتقنية البيولوجية، تابعت العمل
على فكرة لطبيب مكتشف. من خلالها يقومون بحقن الكبد بواسطة
القسطرة بخلايا سليمة وحية، وتتكاثر هناك وبهذا تعيد بناء نشاطات
حيوية. تؤخذ الخلايا الكبدية، التي لا تصلح للزراعة من أعضاء متبرعين.
والإيجابية الأساسية في مثل هذه الطريقة، هي أن عدداً أكبر من المرضى
يمكنهم الاستفادة من العضو المتبرع به».

- «علي أن أصدق هذا؟» سأله (كريس).

- «لا بدّ أنك أدركت أننا نراقب أيضاً ما توصل إليه باحثون آخرون، أليس كذلك؟ ولأن هذه الأمور تعني مبالغ مالية مذهلة، فإن الكل يحافظ على سرية مثل هذه التجارب إلى حين تأكده التام من نجاحها وتسجيل براءة اختراعه. على أي حال، يبدو أن هذه الطريقة قد أحدثت تقدماً حقيقياً. فقد تم إنقاذ حياة عدة مرضى أوشكوا على الموت، أحدهم امرأة كانت تعاني من حالة تسمم حادة ومميتة بسبب الفطر».

صمت (كريس) طويلاً.

- «هل تدرك ما الذي تقوله؟»

- «يوجد أمل. لأن العلم مستمر بالبحث والاكتشاف».

- «هل سيساعد هذا (ماتياس)؟»

- «لا أستطيع قول ذلك. فليس لدى معلومات تفصيلية».

- «أومأ (كريس) مستفراً بالتفكير».

- «إيقاظ الآمال الكاذبة هو بالتأكيد آخر ما يحتاجه الآن».

- «عندما ننتهي من كل ما نحن فيه الآن، فعليك...» توقف (دوفور) عن الكلام، صمت وتهجد، بعد برهة: «والآن، لا تبدو لك إشارتي دليلاً كافياً».

- «ماذا؟» زحف (كريس) خارج وادي الأفكار الذي دفعه إليه (دوفور) «آه، ما الذي أتمنى فعله؟ أريد أن أقابل شخصاً ما. وهذا يحتاج إلى ترتيب. كل ما حدث حتى الآن جزء صغير من لعبة كبيرة. أريد معرفة سبب كل هذه المسرحية!»

- «لن تجد من يستطيع إخبارك به».

- «أنت واهم».

- «ومن عساه أن يكون؟»

تذكرة (كريس) (فونتبلو)، (بونتي)، وأسئلة (مارفن).

- «البابا».

الفصل الواحد والأربعون

(صوفيا أنتي بولس) بالقرب من (كان) ليلة الثلاثاء إلى الأربعاء

بقلق ضرب (البابا) أطراف أصابعه على شفتيه. حسب ما قاله له (مارفن)، فإنه سيجد هنا في مركز أبحاث شركة الأدوية، ما يبحث عنه.

لكن المكان كان خالياً. بالرغم من استخدامهم للمرwoحية إلا أنهم وصلوا متأخرين. لقد أخبره (كالفي) عن وجود جثتين ونصحه بالانسحاب. منذ بضعة دقائق قامت الشرطة الفرنسية بإinzال راهب أمام بوابة المبنى. الأخ (هيرونيموس)! هل يمكن أن يكون هو؟

لقد تم منذ ساعات اختطاف وتكتيل الراهب، والقاوه في الطريق السريع المتجه إلى مدينة (نيس). أثناء قيام أحد السياح الإسبان باستراحة قصيرة هناك، اكتشف وجود الراهب، الذي كان يستمر بالحديث عن البابا في (روما)، وأوصله إلى أقرب مركز للشرطة.

وهناك تابع الراهب حديثه عن بعض الأمور التي تحدث في المستشفى التابعة لشركة (تيسابي) في (صوفيا أنتي بولس)، وطلب بالحاج التحدث إلى البابا.

احترامهم لمنصب القس كان السبب وراء تعميمهم لذلك البلاغ، الذي

وصل بطريقة أو بأخرى إلى الحرس الفرنسي الخاص. علم (كالفي) بالأمر فاتصل بالراهب هاتفياً وطلب إحضاره إلى هنا.

عندما فتح الباب، تحولت شكوك البابا إلى حقيقة دامغة. سقط الأخ (هيرونيموس) على ركبتيه.

- «قداسة البابا، لقد قمت بفعل كل ما أستطيعه. حاولت الاتصال بقداستكم، لكن (روما) لم تأخذ الأمر على محمل الجدية. أشكر الله أنك في النهاية أتيت إلى هنا. أنا ضعيف أمام هذا الاختبار». أمسك البابا الراهب من كتفيه وسجّبه إلى أعلى.

- «أجلس».

جلسوا إلى الطاولة، وانتبه (هيرونيموس) إلى أن البابا قد اختار الجلوس في المقدّس الذي كان (هانك تورنر) يجلس عليه.

- «أخبرني بكل شيء» قال البابا ودفن وجهه بين كفيه. تحدث (هيرونيموس) بتعلّم، بينما غرق في التفاصيل، وعند انتهاءه أخض رأسه ب أيامة المذنب.

- «ولا يوجد مجال للخطأ» هز (هيرونيموس) رأسه.

- «حاولت التخلص من هذا الاختبار».

- «الله هو من يدير الأقدار وليس نحن» أجاب البابا.

- «هل تذكر كلامي لك عندما طلبت إعفاءك من ارتباطاتك؟ كان ذلك عندما ظهر (مارفن) للمرة الأولى في الفاتيكان، وأخبرنا عن الألواح. حينها علم كلاماً أن وقت الاختبار قد اقترب. كيف لك أن تعتقد أنك بانسحابك إلى خلف أسوار الدير، تستطيع الهروب من مشيئة الله؟ لقد وجدوا الألواح في أرشيف الآثار. اختارك الله. عليك أن تقبل هذا الاختبار، كما فعلت أنا».

- «أنا لست مستعداً له. لقد قمت بتحميل شخص آخر عبء اتخاذ القرار!» أخض (هيرونيموس) رأسه.
- «إنك لست بحاجة لذلك، أخ (هيرونيموس). لقد حملني الله ذلك العباء. حان الوقت. أشعر بذلك». مسح البابا على وجهه ياعياء «أخبرني هل ذلك فعلاً صحيح...»
- أوما (هيرونيموس) مرتجفاً «لقد رأيت ذلك. قاموا بتجريته على فئران».
- «إذاً، فإن (مارفن) قال الحقيقة».
- نظر (هيرونيموس) بتعجب.
- «نعم، نعم، هو أيضاً هنا. لقد استخدمه الله ليرشدني للوصول إلى هذا المكان».
- «إلا أن الله قد تخلى عنا! لقد هرروا ومعهم كل الدلائل!»
- «ثقتك بالله ضعيفة!» همس البابا «لم ينته الأمر بعد» شعر فجأة بذلك الفراغ الغريب في رأسه «لو أنه يامكاننا اللحاق بهم...»
- حدق (هيرونيموس) في البابا بتشكك. ثم خطرت على باله فكرة.
- لم يعد البابا يسمع شيئاً، فقد كان وقع الرؤية عليه قوياً وعنيفاً.



بدأ كل شيء كما العادة، إلا أنه كان مختلفاً هذه المرة. رأى عصا الراعي أولاً، لكنها كانت عصا البابا، وكذلك من دون غطائها الذهبي اللامع، ومن دون الزخارف العاجية ومن دون النهاية الحلوذونية المعروفة لعصا الأسفف.

كانت عصا الراعي مستوية، مصنوعة من معدن ناعم الملمس ذو لمعة فضية.

وإن وضعها شخص ذو طول متوسط، فإن طولها سيصل إلى ارتفاع جبينه. وكانت نهايتها عبارة عن رأس معدنية مدببة. على الجزء الخامس من العصا عند نهايتها العليا، حُفر رمز الصليب بطريقة فتية يظهر عليه رسم المسيح المصلوب. ثم رأى الرجل الذي يحمل العصا.

كان الرجل يضع قلنسوة على رأسه من الحرير الموج ورداء الكاهن ذو الثلاثة والثلاثين زرًّا، وصليب على الصدر وحذاء جلدي باللون الأحمر، كذلك الذي كان يرتديه القيسار الروماني.

كان جلد وجهه بلون وردي وشعر رأسه ناصع البياض. تجاوز عمره السبعين، ذو وجه لطيف وجسد نحيل.

كان يضع في إصبع يده اليمنى، خاتم الصياد الذهبي، وعليه صورة (بيتر) مؤسس الكنيسة وتوقيع (بندكت). لقد رأى نفسه.

اتسعت الصورة، فرأى قطع الخراف كما العادة. لم تكن الخراف قريبة من بعضها، بل منتشرة تبحث عن الكلأ، على شكل مجموعات أو تقفز كلاً بمفرده بين تلال المنطقة الصخرية. التفت يده حول العصا تحت منحوت الصليب مباشرة، بينما كانت النهاية المعدنية المدببة مفروسة في الأرض.

وقف على نتوء صخري مرتفع يطل على المراعي، مما مكنه من رؤية واسعة للأرض. وبالرغم من ذلك، لم يتمكن من أن يرى كل أفراد القطيع بسبب الصخور الكبيرة المنتشرة، التي حجبت عنه الرؤية في بعض المواقع.

سمع ضربات الأجنحة، القوية والضخمة، وكانت حركاتها متأنية وعازمة. كما دائمًا.

لم يتحرك شبيهه. بل بقي واقفًا متسلماً في مكانه، وكأنه لم ير الطائر. ولكن لا يمكن أن يحدث ذلك! فهو يستطيع رؤيته أيضًا! في البداية كانت نقطة في السماء. ثم ما لبثت أن تعاظمت وبدا النسر عظيمًا وبمخالب بارزة من قدميه القويتين. بصورة مكثرة رأى المنقار، والعينين الجشعتين للصياد الذي جلب الموت معه.

وما لبثت أن انفرست المخالب البارزة من الساقين المتصلبتين في جمجمة أحد الخراف. تخبط الطير ساحبًا الخروف معه إلى الأرض، ولم يفلته. قاوم النسر الثقل الموجود بين مخالبها بضربات متأنية وقوية بجناحيه، ارتفع، ثم هو مجددًا على الأرض، حين انقض جسد الحيوان الذي كان يصارع الموت. بدأ النسر ينهش بمنقاره المعقوف اللحم الطري المحمول بين مخالبها.

صاح!

إلا أن شبيهه الواقف على النتوء الصخري، لم يتحرك. حلق النسر في السماء مرفرفًا بجناحيه بضربات ثقيلة، مبتعدًا عن الأرض. لم تعد الفريسة التي بين مخالبها تتحرك. في غضون ثوانٍ ارتفع النسر في السماء واحتفى. «اللوم يقع على الراعي!»

الفصل الثاني ٦ الأربعون

سلسلة جبال (المور) الهضابية في جنوب (فرنسا) ليلة الثلاثاء على الأربعاء

سار (كريس) على الطريق الساحلي عند سفح جبل (الإستيريل) حتى (سانت رافائيل)، ثم باتجاه (سانت أيفوف) و(سانت مكسيم)، قام (تورنتن) بمحاولة شفب، إلا أن (ياسمين) جرت الحبل ذو العقد الثمانية. ومنذ ذلك الحين ساد الهدوء في صندوق الشاحنة الخلفي.

عند ميناء (غريمود) اتخد (كريس) الطريق الداخلي. حلت كروم العنب مكان الأمواج المتلاطمة والتشكيلات الصخرية الفريدة. وبداءً من (غريمود) صعدوا عابرين طرقات هضبة (المورسكين). امتدت غابات من أشجار الصنوبر والفلين والزيتون على جانب الطريق الضيق والمنحدري.

- «استراحة» قال (كريس)، حين ظهرت فجأة على يمين الطريق فسحة حصوية. سُمح للرهائن بالمشي لبعض خطوات ثم قام بربطهم في حامي الصدمات الخلفي للشاحنة، بقية وقت الراحة. اهتمت (ياسمين) و(آنا) أثناء ذلك بـ (ماتياس).

- «كم من الوقت نحتاج بعد؟» سالت (ياسمين) بعصبية ومن دون أن تنظر إليه «الصبي بحاجة إلى الراحة».

- «لم يبق الكثير. سأأسأله...»

لحقت (ياسمين) بـ (كريس) إلى وسط الفسحة حيث كان (دوفور) يقف إلى جوار سياج قصير من المعدن. داخل السياج وجدت حجرة تذكارية التفت حولها باقات الورود. على حجر الغرانيت عُلقت صحيفة، ظهر عليها ثلاثة أسماء بشكل واضح.

- «حرائق الغابات» تتم (دوفور). توجه نحو أحد أشجار الفلين على بعد بضعة أمتار وأمسك باللحاء ثم أراهما بيديه المسودتين «سُخام. انظر جيداً إلى أشجار الصنوبر والسفوح. كلها جرداء. لو كنا في ضوء النهار لرأيت أن جذوع الأشجار متقدمة. نصب تذكارية معروفة. حرائق الغابات، كارثة جنوب (فرنسا). وغالباً ما يسببها البشر».

- «والحجر؟»

- «يذكر بثلاثة رجال مطاطئ، ضحوا بحياتهم في أيلول من عام 2003 لينقذوا حياة آخرين».

أعادهم الرنين المفاجئ للهاتف المحمول إلى الحاضر. نظرت (ياسمين) إلى (كريس)، الذي كان يهز رأسه. لقد قام (سولفان) بتفتيشه قبل بدء الرحلة.

- «هذا لي!» قال (دوفور) ودسّ يده باحثاً في جيب سترته. نظر إلى الشاشة ثم أجاب: «نعم، أخ (هيرونيموس)؟» لم يصدق (كريس) ما سمعه.

- «نعم لقد أصبحنا أحراراً - كلا، لسنا ملاحقين - نعم إنهم بحوزتنا ... كأسرى؟ نعم، إن كنت تريد ذلك ... ماذا؟ ... أين نحن؟» طلب (كريس) منه الهاتف المحمول بإشارات عنيفة بيديه وهز رأسه بقوة.

- «نعم؟» سأله (كريس) بعد أن أعطاه (دوفور) الهاتف النقال.

- «تسربت هاين». أنا هو، أخ (هيرونيموس). أين أنت؟»

- «ولماذا أنت مهتم بهذا؟»
- «لقد أخذت العينات والمعظام معك...»
- «نعم.»
- «والآن، لو أنك تذكر، لقد كانت تلك العينات هي سبب زيارتي لـ (جاك).»
- «كان من المفترض أن يتلفها، حسب تعليماتك.»
- «لأنه هكذا كتب.»
- «توقف. لقد سمعت في الأيام الماضية ما يكفي من الأمور، التي يُزعم أنها مكتوبة. هل أنت أيضاً أحد الحمقى الذين يعتمدون على الكتاب المقدس ويعذبون ويقتلون الناس؟»
- «ماذا تتوysi أن تفعل؟»
- «هذا الأمر لا يعنيك. ربما أتوجه إلى الشرطة الفرنسية.»
- «جيد. الشرطة هنا.»
- «أين؟ أين أنت؟»
- «أنا. أنا ما أزال في (صوفيا أنتي بولس).»
- «وماذا تريدي؟ هل انضممت إلى الجهة الأخرى؟ هل عيك أن تجد مكاننا لتبلغ (سولفان)؟»
- «(سولفان) ليس هنا. إنه يبحث عنكم!»
- «يامكانه البحث طويلاً.»
- «أريد العظام والعينات، (تسربت هاين). كل شيء!»
- «أنت أيضاً» ضحك (كريس) باستمتاع «ولكن يوجد المزيد من الذين يريدونها. لماذا أنت بالتحديد؟»
- «لقد اهتممت بهذا الأمر لستين طويلاً لصالح الكنيسة. كنت لمدة طويلاً في (روما). وهناك قمت باكتشاف.»

بدا كان وميضاً كهربائياً قد سرى في الشبكة الغير مرئية حتى الآن وأوضح بذلك الصلات.

- هل تعرف (هنري مارفن)⁶ سأل (كريس) في النهاية.

- «نعم» بدا صوت (هيرونيموس) متوتراً « فهو من عرض على الفاتيكان منذ عدة أشهر تلك اللقى الأثرية.».

- «هل هو صديق لك؟»

- «كلا!»

- «وهذا كله لأجل النص المبدئي للوصايا العشر الموجود على الألواح؟»

- «لو أن الأمر يتوقف هنا .. (تسربت هاين)، يبدو أنك عرفت السر الحقيقي.».

صمت (كريس) متحيراً. فهو لم يتوقع هذه الصراحة.

- هل تعني أن البابا مهمتم أيضاً بالكريوموسوم رقم 47 ذاك وامكانياته؟ شكرأً للمساعدة. هذا سيسهل علي القرار بأن أسأله حول ذلك.».

- «تريد التحدث إلى قداسة البابا؟»

- «هذا ما خطر في بالي. أحد قراراتي العفوية. بعضهم يقول أنها إحدى أكبر سلبياتي.».

- «(تسربت هاين). قداسة البابا يقف إلى جواري.».



- «ما يزالوا متوقفين. على بعد أقل من كيلومترتين». أومأ (سولفان) وسحب بجشع نفساً من سيجارته. فهي السيجارة الأولى بعد ساعتين.

(تورنتن)، (بورسل) وآخرين من كبار الإداريين في المؤسسة يحملون شرائح استقبال لاسلكية، يتم تشغيلها عبر الأقمار الصناعية وتقوم بتحديد مكانهم. وهي عبارة عن شريحة صغيرة مزروعة في بطاقات الائتمان الخاصة بهم.

لقد قام (سولفان) بإدراج هذه الطريقة، لأنه في بعض مناطق العالم تتم عمليات خطف منتظمة بالرغم من وجود الحراسات. ويعتبر رئيس مجلس إدارة إحدى الشركات العالمية، -الذي إضافة إلى ذلك يهوى البحث في (جنوب أمريكا)-، أحد الأهداف المنشية.

- «أحضروا صندوقكم! هيا!» صاح (سولفان)، بعد أن توجب عليه أن يرى بعجز فرار (تسرنط هاين).

كان الصندوق عبارة عن جهاز حاسوب محمول بخصائص مميزة، بحيث يمكن رؤية الموقع عليه. ثلاثة أقمار صناعية على الأقل كانت ترسل إشاراتها إلى الشرائح. من خلال قياس فارق المدى يمكن تحديد موقع الشخص المفقود.

- «لا نستطيع، فالحاسوب المحمول موجود على متن الطائرة في (نيس)» أجابه رجاله «لقد قال الرئيس أن هنا ليس بـ (جنوب أمريكا)!»
لقد قاموا بشد وثاق الشرطة، أخفوهם مع سياراتهم في (صوفيا أنتي بولس). بعدها أسرعوا إلى المطار. وفي الطريق، قاموا بربط الكاهن بشكل جيد وألقوه في أحد مواقف السيارات. وفي طريق العودة أتتهم إشارة تحديد الموقع الأولى بسرعة. (تسرنط هاين) كان يقود الشاحنة على الطريق الساحلي باتجاه الجنوب.

لحق به (سولفان) على الطريق السريع، واتخذ المخرج رقم 36 وأسرع باتجاه (سانت مكسيم).

الطريق إلى أسفل الوديان كان ملتوياً والرؤية غير واضحة. حين

وصلوا إلى الموقع، كان (تسرنت هاين) قد تقدم باتجاه الجنوب. إلا أنهم في (غريمود) استطاعوا الاقتراب منه.

- انقضوا عليهم! لا تأخير بعد الآن!» جلس (فولسوم) إلى جوار (سولفان) وصاح بصوت أشبه بجزازة العشب.

- «في الليل تكون أصوات المحركات والأضواء ولو عن بعد، مثيرة لانتباه».

- «سيتم الأمر».

- «خمس عشرة دقيقة، (سولفان). لقد توقفت مدة خمس عشرة دقيقة! كان ذلك الوقت كافياً للاقتراب وإنهاء المسألة. إنك ترتكب أخطاء كثيرة يا (سولفان)».



عاني محرك الشاحنة أثاء صعودها الطرق الملتوية في سفح الجبل، ثم ساروا على الجانب الآخر عبر الغابات نزولاً في الوادي، على يمينهم تعاظم الجبل في الليل، بينما كانت الأخداد على يسارهم تبدو كأنها حفر سوداء، وتواتت المنحنيات.

- «كم تبقى من مسافة للوصول إلى (كولوبريس)؟» سأله (كريس) فجأة.

- «عشرة كيلومترات، تقرباً».

نظر (دوفور) في المرأة الجانبية.

«ماذا هنالك؟»

- «ضوء... اعتقد أنني رأيت ضوءاً. لقد اخترق الآن!»

صمت (كريس). لقد اكتشف تلك البقعة الضوئية منذ ثوانٍ معدودة ولهذا قام بالسؤال عن المسافة المتبقية.

- «هل يوجد أحد، الذي...»

- «في الواقع لا أحد. باستثناء... (هيرونيموس) ...»

- «يوجد اثنان» قال (كريس). بعد دقائقتين «وهما يقتربان بسرعة». بدأ الغابات في سواد الليل إلى جانبهم، كأنها حشد من الشياطين الطائرة. اقتربت أضواء السيارات أكثر فأكثر، فجأة أصبحتا خلفهم مباشرة.

عندما ظهر طريق مستقيم وقصير بعد المنحنى، اتجهت السيارة الأولى على المسار الآخر وتجاوزتهم.

- «كيف يمكن أن يحدث هذا؟» صاح (كريس) عندما مررت الليموزين من جوارهم.

على النافذة الخلفية علقت ملصقة إعلانية عليها رسم شجرة، رسم شجرة صبار يوشع وقد كتب فوقها «مطعم الصبار للبيتزا».

- «ماذا تعني؟» سأله (دوفور) واستند على التابلو أسفل الزجاج الأمامي للشاحنة.

- «إنهم من (تيسابي)! السيارة... من الواضح! الزر...» سارت الليموزين أمام الشاحنة ثم أضاءت مصابيحها الخلفية الخاصة بالماكاب.

- «تمسكونا!» صاح (كريس).

ضغط على المكابح، فانحنىت الشاحنة إلى الأمام كأنها ركبة مصارع تلقت ضربة قوية. صاحت كل من (ياسمين) و(آنا)، ئم سمع صوت (تورنن) أيضاً، الذي كان يلعن بحقن.

رفع (كريس) قدمه عن دواسة الفرامل، ثم عاد وضغط عليها بكل

قوته «تشبثوا جيداً» صاح وحاول أن يتتجنب الاصطدام. لو أن السيارتين ارتطمتا ببعضهما لانتهت محاولة فرارهم.

جذب عجلة القيادة إلى اليسار. إلا أن الليموزن انسحب إلى المسار المعاكس وقطعت عليهم الطريق. رأى (كريس) الهاوية على شماله، التي نمت عليها في هذه البقعة القليل من النباتات والأعشاب. خالية تقريباً من الأشجار التي يمكنها منع انحدارهم إلى أسفل. بسرعة أدار عجلة القيادة يميناً إلى جانب الجبل، إلا أن الليموزين التي أمامه سبقته مجدداً. عوّت السيارة الأخرى خلف الشاحنة، كأنها ذئب.

انحنى الشارع فجأة مبتعداً عن الهاوية. وأصبح الجبل الآن إلى جهة اليسار، بينما انحدرت الأرض على يمينهم بشكل بسيط. حرك (كريس) عجلة القيادة، وسحب الشاحنة مجدداً إلى المسار المعاكس.

أسرعت السيارة التي كانت خلفهم وأصبحت إلى جانب الشاحنة.

- «سيطّلّون النار!» صاح (دوفور). فتحت النافذة الخلفية للليموزين، ورأى بوضوح يداً تحمل مسدساً.

اتجه الشارع في منعطف يميني. كانت الغابة هنا مكونة من أشجار الفلين الضخمة والجذوع العريضة. أعملت الليموزين إلى جانبهم الفرامل بينما قطعت الليموزين الأخرى عليهم الطريق.

- «هناك إلى الأمام!» صاح (دوفور).

إلى الأمام كان يتفرع طريق صغير صعوداً إلى التلة.

عند المدخل كان يبرز حاجز ذو خطوط حمراء وبيضاء عالياً في الهواء.

داس (كريس) بقوة على الفرامل وأدار المقدّم قليلاً.

اندفعت الليموزين إلى الشارع الرئيس.

- «انتبهوا!» صاح (كريس) وداس على بدالة البنزين فاندفعت الشاحنة في الطريق الفرعى وقفزت على التلة.
- صاح (دوفور) فجأة بفرح.
- «ماذا هناك؟» صرخ (كريس).
- «لقد ارتطما ببعضهما» كان رأس (دوفور) ما يزال متوجهاً إلى الخلف، بالرغم من أنه لم يعد يرى شيئاً منذ مدة.
- «هذا سيمنحنا بعض دقائق إضافية فقط، لا غير. إلى أين يؤدي بنا هذا الطريق؟» داس (كريس) على بدالة البنزين بقوة.
- «طريق مسدود!» صاح (دوفور) بفزع «إنه طريق مسدود!»
- «لماذا؟ يبدو، كأنه طريق عادي جداً»
- اندفعت الشاحنة في المنعطف الإسفلتي وبدأت تهتز، كأنها سفينة مثقلة بالبضائع ت عبر بحراً مائجاً.
- «سينتهي الشارع بعد عدة كيلومترات» تتمم (دوفور).
- «لماذا؟ ماذا هناك؟»
- «آثار دير (لافرن). بؤرة الهدوء والانعزال التام. أشبه بنهاية العالم».

قاد (كريس) الشاحنة عبر ذلك المكان. تراجعت الجبال إلى الخلف، إلى الجانب الأيمن من الطريق لمعت مياه الجدول تحت ضوء القمر. صعدوا على جسر، وما لبث الطريق أن تفرع إلى دروب ضيقة وملتوية متوجهة إلى أعلى.

- «كيف يمكننا الإستمرار من هناك؟»
- «يوجد طريق مشاة، يقود من الناحية الأخرى إلى أسفل».
- «هل يوجد قبل ذلك أي منعطف يؤدي بنا إلى الغابة؟»

- «لا شيء» تتمم (دوفور) بحزم، «لا شيء».

تحول الطريق المعبد إلى ممر من الحصى. اهتزت الشاحنة بشكل خطير، وتطايرت قطع الحصى الصغيرة مرتطمة بهيكل الشاحنة المعدني. أصبح الطريق على يسارهم منحدراً حاداً وأناهت فسحة صغيرة في الغابة النظر بحرية إلى الوديان المحيطة بهم.

كان المنظر رائعأً. من فوق كرسيه العالى رأى (كريس) الوديان والتلال الخضراء. ورغم الظلام كانت معالم الجبال واضحة، التي تالت خلف بعضها وكأنها أمواج البحر.

أمامهم وعلى التلة القريبة، امتد سور بطول ثلاثة متر تقريباً.

بدا البناء المرتفع خلف الأسوار الحامية، ويسبب الارتفاعات المتباينة بدا كأنه الجزء العلوي من سفينة. وكان برج السفينة يرتفع عالياً في السماء، بينما كانت الأبنية باتجاه الذيل منخفضة.

من جهة الجنوب تسلق برج السفينة الحجرية على ظهر الجبل كأنه موجة ساحبة.

انخفضت الأبنية في جهة الشمال وغاصت في الوادي.

- «إنه دير» تعجب (كريس).

- «عمر هذا الدير ألف عام».

نظروا الجانب الطويل في الجهة الغربية. ارتفع السور الواقي العديد من باطن الوادي إلى أعلى. وبالرغم من ذلك بدا الموقع من بعيد قصيراً وعرضاً وغريباً بعض الشيء. بدأ (كريس) يدرك ببطء ذلك التأثير. لقد عملت الأسوار الحامية أسفل الوادي على تأسيس هضبة؛ ليتم عليها تشييد ذلك البناء. ولأنهم كانوا ينظرون إلى المبنى من الارتفاع نفسه، وليس من أسفل الوادي، خفف ذلك من المظهر الضخم للمبنى بشكل نسبي.

- «تبدوا وكأنها آثار قلعة».

- «كانت الأديرة تبني سابقاً بشكل محصن».
- «لديك معلومات جيدة!».
- «لقد أتيت في صفرى كثيراً إلى هنا. هذا الدير المنعزل الذي أسسه القديس (برنو) يوفر الهدوء والوحدة، إنه مكان يصلح للمناجاة».
- أدى بهم الطريق الحصوي إلى منحنيات خلف سفح الجبل. في بعض الأماكن أصبح الطريق ضيقاً للغاية، بحيث لا يمكن لسيارتين المرور إلى جانب بعضهما البعض. بدا أمامهم منعطف آخر إلى اليسار ومرتفع، بربض خلفه السور الحجري للدير كجدار أسود قاتم.
- أوقف (كريس) الشاحنة.
- «ساعدني! هيا!» قفز من الحافلة وفتح أبواب الصندوق الخلفي، « علينا أن نسير، هيا، بسرعة!».
- حدقت به (ياسمين).
- «يبدو أنك فقدت عقلك!».
- «نحن ملاحرون. رجال من (تيسابي) حاولوا إيقافنا».
- «لا يهمني هذا! هل تعلم ذلك؟» قفزت خارج العربة.
- «أنا نيك هي التي أودت بنا إلى هنا!».
- « علينا التوجه إلى الدير، هيا، اخرجوا! جميعكم!».
- دفعت (آنا) بيده بعيداً ونزلت من الشاحنة بمفردها. صعد (كريس) إلى الشاحنة وأمسك بـ (تورنن) من معصميه المكبلين.
- عدل كل من تورنن و(زوي بورسل) من جلستهما بحذر، فقد كانوا ما يزالان مربوطيين ببعضهما من عنقيهما بالربطة الثمانية. بهدوء ومن دون مساعدة نزلتا من الشاحنة. أبعدتهما (كريس) بضع خطوات عن الحافلة، ثم أعطى (آنا) مسدساً.
- «إن أرادوا الهروب فعليك أن تطلقى النار. إنهم أوغاد!».

سارع إلى الشاحنة وتفحص المقاعد، حتى ستطاع فكها وخارجها من الشاحنة. حملها بمساعدة (دوفور) إلى جانب الطريق.

- «كل شيء على ما يرام، (ماتياتس) لن يحدث لك مكروره!». ابتسם (كريس) للطفل الصغير، الذي كان ينظر إليه بصمت. إنه في الحقيقة لم يسمع صوت (ماتياتس) حتى الآن. إلا أن الأمر كان منطقياً، فالطفل لم يكن يتحدث سوى اللغة السويدية ولم يتمكن من فهم خليط اللغات التي كان يتتحدث بها الآخرون من حوله.

عاد (كريس) بسرعة إلى الشاحنة وأخرج الحقيبة التي تحتوي على العينات وكذلك قفص الفئران.

- «خذلي هذه!». حاول النظر في عيني (ياسمين)، إلا أنها استدارت فجأة مبتعدة عنه وكأنه مصاب بالجذام. تابعها (كريس) بنظرات غاضبة ثم أخرج مصباح جيب من الحقيبة الجانبية في صندوق الشاحنة وناولها (دوفور) «اتصل بصديقك، وأخبره مكان وجودنا».

- «هل تعني (هيرونيموس)؟».

- «ومن سواد؟».

- «لماذا؟».

- «اللغنة! لقد تواعدنا على لقاء البابا في (كولوبريس)، إن كنت تذكر ذلك! وهم ينتقلون بواسطة مروحية. وعليهم الآن الحضور إلى هنا. هيا أفعل! إلى ذلك الحين، علينا أن نصد!»

أدار (هانك تورنتن) رأسه وأنصت إليهم. استطاع فهم بعض الكلمات فحسب.

- «(زوي)، ما الذي يتحدثون عنه هناك؟ بمن اتصلوا ومتى؟» سأله بصوت منخفض وتتابع التصنت بينما كانت (آنا) تقف إلى جوارهما، وتحاول تهدئته (ماتياتس) بكلمات لطيفة.

- «ماذا ينتظرون؟».

- «لا أعلم... ربما قاموا أشياء وجودنا في الاستراحة باتخاذ قرار ما... أنا...» صمتت (زوي بورسل). استدارت (آنا) نحوها ونظرت إليها بغضب.

ما زال (تورنن) لا يفهم الروابط. إلا أنه لم يعد أمامه الكثير من الوقت. تقدم بضع خطوات من (دوفور) الذي كان يتحدث بتوتر بهاته المحمول، ولكن (آنا) قامت بإيقافه حاملة المسدس بيدها.

صعد (كريس) في الشاحنة وقادها إلى الوراء حتى وصل إلى المنعطف الأخير. ظهر بروز صخري من الجبل أدى إلى تضييق الطريق. على الجانب الآخر من الجرف نمت ثلاثة أشجار، امتدت جذوعها الغليظة حتى وصلت إلى الشارع تقرباً.

قاد (كريس) الشاحنة إلى مكان قريب من الجرف، ضرب عجلة القيادة، حيث استدارت الشاحنة بشكل قوس باتجاه الصندوق الخلفي نحو الهاوية. توقف وأدار المقود، تقدم إلى الأمام، ثم تدحرج مجدداً إلى الخلف. في المرة الأخيرة داس بقوة على بدالة البنزين. ففرزت الشاحنة إلى الأمام وارتطمت مقدمتها بالجدار الصخري. تكسر الزجاج وتتعرّق حديد الفطاء الأمامي للمحرك.

وقفت الشاحنة بصورة عرضية وشكلت مع النتوء الصخري حاجزاً في منتصف الطريق. أخرج (كريس) رأسه من نافذة الشاحنة ونظر إلى الخلف. لم تكن العجلات تبعد عن حافة المنحدر إلا بضعة سنتيمترات.

عدل (كريس) من ناقل الحركة إلى الفيار الخلفي، داس على بدالة البنزين. رجعت الشاحنة إلى الخلف وسقطت العجلات الخلفية في المنحدر. ارتطم الرفراف بالأشجار. تدلّت الشاحنة واصطدم الجزء السفلي من الحديد بالطريق. دارت العجلات الخلفية في الهواء مصدرة صفيرأ.

قفز (كريس) خارجاً من الشاحنة وعدا عائداً.

- «هل قمت بالاتصال؟».

أومأ (دوهور).

- «وماذا حدث؟».

- «هم على الطريق إلى هنا».

- «حسناً، هيا إلى الديرة».

أمسكته (آنا كيلسون) من ساعده. ذكرته عيناهما بلونهما الأزرق
الفاتح وقزحيتهاما الزرقاء الفاقمة بعيوني (ياسمين).

- «عليك أن تعلم أمران، (كريس تسرنوت هاين)...»

- «ليس لدينا وقت!».

- «اسمع!». ارتجف صوتها وكان خشناً وقاسياً.

أشارت (آنا) إلى (ياسمين)، «(ياسمين) تحبك. لقد أخبرتني بذلك.
ولهذا ذرفت الكثير من الدموع عندما كنا في الشاحنة، لأنك كنت مصرأً
بعناد على تنفيذ ما يدور برأسك، بدلاً من أن تسلك الطريق السهل...»
شعر (كريس) بوخذ في صدره، ونبضت عروقه، كأنها طبول سكان
الغابات.

- «سيكون كل شيء على ما يرام».

- «... لكنني أكرهك». ارتفع جسدها فجأة وارتعدت عضلات وجهها.
«فعنادك الشديد وهذه العظام هم السبب بتهديد حياة ولدي الآن.
وتصيرفاتك المتهورة وصلت حد السماء!». لمعت عيناهما «لو أصاب ولدي أي
مكروه، فسأقتلك يا (كريس تسرنوت هاين)»

الفصل الثالث والأربعون

الدير المنعزل في (فيرن)

سلسلة جبال (المور) الهضابية في جنوب (فرنسا)

ليلة الثلاثاء إلى الأربعاء

صعدت (ياسمين) الدرجة الأخيرة، تبعها (تورنن) و(بورسل) وخلفهم كانت (آنا)، التي تحمل المسدس بيدها. وشكّل (كريس) و(دوفور) النهاية وهم يحملان أريكة (ماتياس).

إنها قلعة، قال (كريس) حين رأى السور الحجري الهالبي من التوافد، المترفع لعشرة أمتار. إنه حماية واقية ممتدّة شرقاً بمسافة عشرة أمتار تقريباً. وقفوا في الزاوية الفريبية، في منطقة تطفى عليها قلعة مستديرة ارتفعت لمسافة أعلى من السور.

أنزلوا الأريكة بحذر على الأرض، وأسرع (كريس) باتجاه بوابة الدير الموجودة في وسط السور الصخري. كانت البوابة مصنوعة من الخشب الصلب المغطى بالمعدن. بينما كان الإطار المواجه للسور الصخري مكوناً من صخور ملساء بلون رمادي مزرق. في الأعلى انتصب تمثال للسيدة العذراء وهي تنظر إلى الساحة الموجودة أمام بوابة الدير.

- «مغلق ومؤمن». تمن (كريس) عندما أقفل عائداً.

- «وكذلك الأمر بالنسبة لي». تنهد (دوفور) ببيأس. فقد حاول فتح الباب الصغير للقلعة.

مزقت أصوات المحركات الصمت، فنظر الجميع باتجاه الغابة. صوت صلليل معدني قطع توترهم. بعده مباشرة صوت ارتطام.

- «ربحنا دقائق إضافية. جيد أيضاً». نظر (كريس) حوله بارتياح، إلا أن أحداً لم يرد عليه «تابعوا بسرعة».

نزلوا من الساحة الأمامية للدير إلى الطريق المجاور لأسفل السور. كانت الأسوار الصخرية للمبني الملحقة الموجودة إلى يمينهم، بارتفاع أكثر من عشرين متراً في الوقت نفسه كانت توفر الحماية للجانب الغربي للدير. على بعد خمسين متراً باتجاه الغرب، اتخاذ السور شكل زاوية مستقيمة لبضعة أمتار باتجاه الشرق إلى مبني شاهق متوجه نحو الشمال، وهناك شكل السور الصخري الذي لم يعد يزيد ارتفاعه عن الثلاثة أمتار جدار شرفة تقود إليها دراج خشبية.

تجمعت أكواخ الركام على تلك الشرفة، بينما بدا درج خشبي آخر يقود إلى الشرفة التالية في الطابق الأعلى، التي برزت من المبني القائم للدير.

- «فإن صعد إلى هناك!» شعر (كريس) بأنه بصدد تسلق سلسلة جبال خطيرة.

فكراً بالأريكة الخاصة بالطفل، هز رأسه ثم رأى بابين صغيرين في الأسوار.

- «إلى أين يؤدي هذا الباب؟» سأله (كريس) (دوفور)، عندما وقف أمام الباب الصغير والمعتم.

ضغط (كريس) على مقبض الباب. موصداً.

- «لم آت إلى هنا منذ زمن طويل» نظر (دوفور) حوله في كل

الاتجاهات «إلا أنه من المفترض أن يؤدي بنا هذا الباب على معصبة الزيت. مطاحن حجرية للحصول على الزيت».

استدار (كريس)، على يساره كان الطريق يقود بعد عدة أمتار إلى المبنى المهمل وينتهي بالباب الآخر.

– «وهناك؟»

– «لم أعد أذكر». تتمم (دوفور) أولاً، ثم ابتسם قائلاً «بلى... إنها كنيسة صغيرة».

أسرع (كريس) إلى البوابة المنخفضة والضيقة، انفرجت أساريره عندما استطاع أن يضفط مقبض البوابة إلى الأسفل. أضاء مصباح الجيب خاصته ودخل في الممر المظلم ثم صعد السلالم الحجرية مسرعاً إلى الباب التالي. إلى يساره تفرع ممر آخر باتجاه الأعلى، إلا أنه انتهى بعد عدة درجات بحاجز معدني. وقف تمثال للسيدة العذراء على قاعدة بارزة إلى جوار الباب. كانت الأدراج خلفه تؤدي إلى أسفل، وبعد بعض خطوات وقف أمام باب آخر. دفعه (كريس) وترافقست خيوط الضوء المبعثة من مصباحه داخل مغارة.

لن يجدوا أفضل من هذا.



– «هيا... ادخلوا» سحب (كريس) كلاً من (زوي بورسل) و(تورنتن)، اللذين كانا إضافة لوجود الحبل ذو العقد الثمانية حول عنقيهما، كذلك كانت أيديهما مكبلة. كانت الكنسة بطول عشرة أمتار ويعرض خمسة أمتار تقربياً. كانت الجوانب محاطة بسور عمودي بارتفاع متر ونصف، بينما

كانت الجدران الصخرية مجوفة إلى الداخل، وتمتد إلى أعلى لتشكل سقفاً مقوساً بارتفاع يبلغ المترين ونصف المترين عند بؤرة التعر. كانت الأرض من الطوب، وعلى الجوانب ثبتت مصابيح أرضية خلف حاجز صغير. انعكست الإضاءة الغير مباشرة على الجدران لتكسوها بنور أبيض رقيق ومُكسر.

- «إنه بيت فخم للرب» همس (هانك تورنتن) حين دخل إلى الكنيسة «حسناً، لقد وصلنا أخيراً إلى المكان الصحيح. رغم محاولتكم التكتم إلا أنني أحسست منذ البداية أنكم أيضاً من المهووسين بال المسيح». نظر (كريس) حوله باحثاً. في هذا المكان رأى ثلاثة مقاعد من الخشب الملون إضافة إلى بعض الكراسي المكسوة بالقش. في أحد الأركان برز تمثال للسيدة العذراء يقف على قمة صخري. أمامه على الأرض رأى مزهرية فيها باقة من أزهار مرغريتا المفتوحة، بينما غرس شمعتان في حوض حجري صغير مملوء بالرمال.

- «تابعوا» قال (كريس) مشيراً بفوهته سلاحه إلى وسط الحجرة، حيث يقسم جدار صخري القاعدة إلى نصفين «افتحوا وأعبروا» كان للسور باب من الشباك المعدنية. إلى اليمين واليسار اختلفت الفتحات ذات الشباك المعدنية السور، كأنها نوافذ.

فتح (تورنتن) الباب، الذي انقلبت مفاصله بهدوء. تألمت (زوبي بورسل) بغضب حين اندفع (تورنتن) مسرعاً إلى الداخل، فجرح جلدتها الحبل ذو العقد الثمانية، المربوط حول عنقها.

في الناحية الثانية إلى الجدار الأيمن، كان هناك مقعدان من الخشب الفامق، عُلّق فوقه مبخرتان معدنيتان. إلى اليسار وجدت منضدة بدت كأنها مقعد مدرسي فردي، كان ظهره ملبيساً بالخشب. تجول (كريس) في الغرفة. إلى الأمام وعلى جهة اليسار رأى نافذة

مخترقة الجدار الخارجي. ضفت وجهه على لوح الزجاج، وحدق في الظلام. أمام النافذة امتدت ساحة ببنية صغيرة. لم يلحظ أي تحركات في الخارج، بل رأى الأسوار فحسب.

بارتياح عاد (كريس) ليستدير إلى داخل الغرفة. على الجهة المقابلة للنافذة، وفي الناحية الأخرى من المفارقة، كان هناك درج حجري يقود إلى أعلى وفي نهاية باب داكن ومنخفض. سارع (كريس) بالصعود على ذلك الدرج، ثم دخل في ممر يتجه إلى الأعلى، حيث كان المكان معتماً جداً. أنسن (كريس). لم يسمع شيئاً. صمت.

فتح الباب وقام بتنبيه أحد المقاعد تحت مقبض الباب.
- «الآن؟» ضحك (تورنن) بتهكم. فنطرات (كريس) الباحثة كانت تضحكه «لم تتمكن من العثور على خطاف في أي مكان. أليس كذلك؟» أيديهم مكبلة. فكر (كريس).

على الجدار الرئيس ناحية الشرق، عُلق صليب رفيع من الخشب البني الداكن، يحمل تصويراً للمسيح المصلوب. كان الصليب يمتد من قبة السقف إلى الأرض. أمامه وضعت طاولة صغيرة مربعة مصنوعة من الخشب الفاتح اللون، كمدبح.

حدق (كريس) بالوجه المتألم للتمثال وتردد.
إنه مجرد تمثال.

لا تستطيع...

إنه يسامح!
أزاح الطاولة جانباً.

- «تعالوا إلى هنا» أمسك (كريس) طرف الحبل ذو العقد الثمانية، الملتف حول عنق (زوي) و(تورنن) وريطه بالأرجل الملقة لتمثال المسيح المصلوب وأحكם عقد الحبال «حتى لا تخطر لكم أي أفكار غبية».

لعن (كريس) بعصبية.

وضعت (ياسمين) الحقيبة التي تحمل العينات على الطاولة بينما أنزلت قفص الفئران على الأرض تحتها. تخطى (كريس) (تورنن) و(زوي بورسل)، اللذين وقفوا مكبلين عند الصليب كأنهما عمودين داعمين.

- «بشكل ما غير مقبول، قمعي».

- «لابد لي من تكبيلهم بأي طريقة... سوف يغفر هذا...»
عدا (كريس) إلى الخارج، وحمل مع (دوفور) أريكة (ماتياس) إلى الداخل. ثم أخذ أحد المقاعد الخشبية وثبت بها الباب الخارجي.
عندما عاد (كريس) إلى الكنيسة، كانت السيدتان تجثمان إلى جانب (ماتياس). جلس (كريس) مع (دوفور). ساد الصمت. كانت تحركاتهما حذرة بشكل ملفت، وتقرباً مرتبكة.
اجتاحت (كريس) مسحة من الرهبة، لأن هذا المكان قد دنس بوجودهم.



كلما اقتربت الطريدة، أصبحت تحركات الصياد أكثر هدوءاً. كان (سولفان) كالقطة الباحثة عن فريسة. بلا صوت وبتركيز كبير.
في لمح البصر أصدرت الشريحة المثبتة في بطاقة الائتمان الخاصة بـ (تورنن)، إشاراتها إلى الأقمار الصناعية. حدق (سولفان) بشاشة الحاسوب المحمول، الذي كان يحمله أحد رجاله بين يديه. بقي خمسة عشر متراً لا أكثر. كانوا في المبنى أمامهم.
ضغط (سولفان) على قبضة الباب، التي لم تتحرك ولو ميليمتر واحد «لا بد أنهم هنا في الداخل. عليكم أن تجدوا طريقاً للدخول».

تراجع إلى الخلف، صعد السرالم الخشبية إلى الشرفة الموجودة في المستوى الأول، وأشعل سيجارة.

لقد نجح ذلك اللعين بجعلهم يرتطمون بالشاحنة. بقوا في حالة إغماء مدة دقائق، محجوزين داخل سياراتهم، قبل أن يزحفوا عبر قمرة السائق الخاصة بالشاحنة ليخرجوا من الجهة الأخرى.

حدق (سولفان) في الظلام وتنفس الهواء البارد بملئ رئتيه. هدأت الحرارة في رأسه. لم ينقصني سوى وجودك، فكر (سولفان)، عندما اقترب منه (فولسوم).

- «سوف يرجمك (هانك)، لأنك لم تتبه مجدداً كما حدث في المختبر وكذلك في الأسفل عند المنعطف. كان بإمكاننا القبض عليهم منذ زمن».

- «أعلم. إنه خطئي» انسحب (سولفان) بهدوء، حتى لا يضطر لاحتمال (فولسوم) وقتاً أطول. هذا الحقير لا يمكنه الوقوف إلى جانب أحد من رجاله أبداً.

بعد لحظات ظهر ظل على الشرفة في المستوى الثاني وهمس. أسرع (سولفان) إلى الأعلى.

- «لقد عثينا على شيء».

قاده رجُله عبر باحة صغيرة، رتبت عليها طبقات من بقايا خشبية وأحجار مرقمة. دخلا في بقايا ممر متقطع ثم اتجهوا يميناً. تبع (سولفان) عنصره عبر باب مخلوع إلى داخل مبني. عبروا ممرات مظلمة ووصلوا أخيراً إلى فسحة بينية صغيرة.

نمّت أعشاب ونباتات جافة على الأرض، تناثرت كتل حجرية داكنة، كأنه سطح القمر. اتكأ (سباروف) إلى جدار المبني المقابل، الذي يبعد بضع خطوات، وأشار بيده بقوة.

أسرع (سولفان) إليه والتصق مباشرة بالجدار إلى جانب النافذة. كانت الحجرة خلفهم غارقة بضوء خافت انبعث من الأسفل إلى الأعلى. رفع (سولفان) رأسه فرأى على الجدار الرئيس للغرفة، صليباً خشبياً حُفر عليه شكل المسيح المصلوب.



انهمر الزجاج على شكل أقواس عالية كأنه ماء مندفع من رشاش. على بعض القطع الزجاجية انكسرت الأضواء فتلألأت كأنها الماس. ارتطم حجران ذوا ألوان مموجة، -كل واحد بحجم الكف- باللوح الحجري للكنيسة ثم تابعا التدحرج. صعد (كريس) إلى أعلى. حجب الحائط الحجري وسط الكنيسة رؤيته. توجه إلى الباب ذي الشبك الحديدي ونظر من خلاله. قفز رجلان من النافذة المحطمة وتدحرجا على كتفيهما إلى الداخل. كانت تحركاتهما رشيقاً، كأنهما يقumen بهذا كل يوم. خلفه ساد الهدوء. لقد كتم التوتر أصوات الجميع. أخرج (كريس) مسدسه. وحدد الرجل الثاني هدفاً له، ثنى سبابته. شعر بمقاومة عند نقطة الضغط.

- «لا! (كريس)، لا!».

صيحة (ياسمين) جعلته يجفل. لقد نادته بعد أن تجاهله كل الوقت الماضي! تردد مدة ثانية، كان بإمكانها أن تفصل بين الانتصار والهزيمة. انطلق الرجلان إلى الأعلى شاهرين سلاحيهما في حركة استعراضية أشبه بالرقص المسرحي. توقفت البقعة الليزرية الحمراء المنبعثة من هداف أسلحتهما على صدر (كريس).

نظر (كريس) بتشوش إلى الأسفل. ارتعشت الخطوط الرفيعة قليلاً.
ارتفعت إحداها إلى الأعلى بعض الشيء، ثم عادت لتنزل مجدداً. بإرهاق
سقطت يده الحاملة للمسدس إلى أسفل.
دخل (سولفان) إلى الكنيسة من النافذة. انسحقت شظايا الزجاج
تحت جرمته أثناء توجهه إلى الصليب.



نظر (تورنن) إلى (سولفان) بغضب. لقد انتهى (فولسوم) لتوه من
إعطائه تقريراً شفويأً مروعاً عن تحطم السيارات.
- «لدينا مشكلة حقيقة في النقل» قال (سولفان) بهدوء «السياراتان
شبه مدمرتان. ربما يحملان بضعة كيلومترات بعد، ولكن...»
- «والشاحنة؟»
هز (سولفان) كفيه.
- «علقة بعجلتيها الخلفيتين على حافة الهاوية. لا نستطيع
استخراجها من هناك. علينا أن نصمد لساعتين فقط. عندما يأتي السياح
غداً، فسوف...»
- «أحمق!». دفع (تورنن) (سولفان) على صدره.
- «هانك» علينا أن نفعل ذلك الآن! قالت (زوي) «فعدمما...»
- «أعلم يا (زوي)، هذه المرة معك حق. فإن تمكنا من الحصول على
العينات، ستضيع إلى الأبد. ولكن لو كان الطفل يحتضنها، فعليهم أن يقتلوه
أولاً ليدمروا المادة الجينية للكروموسوم. لن يفعلوا هذا!».
تقدم (تورنن) نحو المذبح، فتح الحقيبة، وأخرج الأنابيب الحامل
للسائل وأدخل إبرة الحقنة فيه.

ثم تحرك باتجاه الناحية الأخرى للكنيسة، حيث كانت (آنا) و(ياسمين) تجثميان إلى جانب (ماتياس).

جلس (كريس) و(دوفور) بشكل مائل قبالتهم على الجدار الفاصل.

وقف أمامهما رجلاً (سولفان) شاهرين سلاحيهما.

- «ما هذا؟» قالت (ياسمين) حين رأت (تورنن) الذي تقدم نحوهم حاملاً بيده الحقيقة وقد تحجر وجهه.

- «ما عسى هذا أن يكون؟ أسائل صديقك! لو أنكم لم تفروا لكتنا الآن نجلس في الطائرة متوجهين إلى (بوسطن). ولكن هكذا...»

- «لم يشا أحد منا المجيء».

أشاح (تورنن) بيده.

- «أعلم أن (دوفور) قد تحدث هاتفيأً مع ذلك الـ (هيرونيموس) أو البابا. كما أعلم من (سولفان) أن (صوفيا أنتي بولس) تعج بالشرطة. هل تعتقدين أنني أنتظر حتى يقوم أولئك المناهقون الذين يشوشون أفكار الناس بقصصهم الخرافية، ياخفأء هذا السر في أقبية الفاتيكان».

- «عن ماذا تتحدث؟»

ضحك (تورنن).

- «توقف! - لقد تحدثت مع ذلك القس، ما كان اسمه؟ (هيرونيموس) - لقد قمت بالتحدث مع (هيرونيموس) في (صوفيا أنتي بولس). قبل تحركنا للسفر بقليل. أراد إقناعي بتسلیم كل شيء للبابا» هز (تورنن) رأسه «هذا يعني: أنني أقوم بدمير هذا الاكتشاف العلمي المذهل! راهب يطلب من عالم التخلی عن علمه!». أشار بيده فتقدم الرجال التابعين له (سولفان)، اللذان كانوا يقفان عند الجدار الفاصل، من (ياسمين) و(آنا).

قبضا على ساعدي السيدتين وسحباهما بعيداً عن الأريكة إلى الزاوية الخلفية. بدأت (آنا) بالصرخ والتبخبط، عضت بقوه ساعد الرجل.

حتى (ياسمين) قامت بالركل، إلا أنها لم تتمكن من التخلص من القبضة القاسية.

- «كلا!» صاح (كريس) ونهض واقفاً. رفع حارسه السلاح فبقي (كريس) واقفاً.

استدارت (زوبي بورسل) نحو (كريس)، «أغلق فمك!».

جثم (تورنن) إلى جوار الأريكة حاملاً الحقنة، ونظر إلى (ماتياس).

- «هذه الحقنة ستساعدك يا صغيري. إنها ستعيد لك عافيتك». تحدث (تورنن) بلغة سويدية طلقة.

- «أنت تكذب!». حدق (ماتياس) بـ (تورنن) بنظرات مباشرة وجريئة «قالت لي أمي، أنه لا أحد يعلم ما يمكن أن تفعله الحقنة».

- «لا علم لوالدتك بهذه الأمور».

- «وخلاتي كذلك قالت الشيء نفسه. وهي على علم بهذه الأمور». أوما (تورنن) وأمسك ذراع (ماتياس) اليمنى.

- «لكتها مخطئة».

- «لا أريد هذا!».

سحب (ماتياس) يده ثم انقلب على أريكته في نصف استداره على جنبه منادياً أمها. قبض (تورنن) على الذراع النحيلة للطفل وجذبه نحوه. صاح (ماتياس) بصوت أعلى وتبخر في مكانه محاولاً الإفلات. انحنى وقد تردد صوت استفاثته في أرجاء المغارة.

صاحت (آنا) وقاومت قبضة حارسها الذي أمسك بها بشدة، إلا أنها حاولت بقوة لا يمكن السيطرة عليها الإفلات منه. دفعها الرجل إلى الأرض ثم أرتمى فوقها.

أراد (كريس) القفز، ولكن تابع (سولفان) ووجه فوهة سلاحه نحو جبينه.

- «أمسك به! (فولسوم)، هيا!».

- «هانك، لا نستطيع أن نفعل هذا حقاً!».

نظر (تورنن) بغضب إلى أعلى، «(أندرو)، هل سمعتكم بشكل صحيح؟»

- «لقد قال أنه لا يريد هذا».

حدق (هانك تورنن) بعينيه الرئيس التنفيذي.

- «(أندرو)، أظن أن سمعكم أصبح ضعيفاً، أليس كذلك؟ قم بتثبيته!».

تلاقت نظرات الرجلين. بعد ثوانٍ، أغمض (فولسوم) عينيه، ونزل

جائماً إلى جوار رأس الصبي.

تبخطت (آنا)، حاولت أن تدفع الثقل الجاثم عليها إلى أعلى، تلوت
كأنها البهلوان. عضت، خدشت وبصقت على جلادها. خرجت من حنجرتها
أصوات يأس ثابت.

لم تتجه.

رفع (تورنن) الحقنة أمام عينيه، ضغط على المكبس فتجمعت قطرة
على رأس الإبرة.

- «كلا!» كور (كريس) قبضته بقنوط. فقد كانت فوهة السلاح
موجهة بين عينيه.

صرخ (ماتياس) باضطراب، ويدا يتلوى تحت أيدي (فولسوم)، الذي
قام بالضغط على كفيه الضعيفين. كانت (آنا) و(ياسمين) تستمران
بالصياح باسم (ماتياس).

قام (هانك تورنن) بتلمس ذراع الصبي، ثم وضع رأس الإبرة على
الجلد.

في هذه اللحظة فتح الباب ودخل أربعة أشخاص بأردية بيضاء
قطنية واسعة إلى الكنيسة. كانت رؤسهم تحتفي تحت قبعات مثلثة الشكل.

الفصل الرابع والأربعون

سلسلة جبال (المور) الهضابية في جنوب (فرنسا) ليلة الثلاثاء إلى الأربعاء

في البداية رأى العصا المقوسة. فتبدادر إلى ذهنه عصا الأسقف ولكن هذه كانت مختلفة، بسيطة وغير ملبة بقشور الذهب ومن دون زخارف عاجية. ولم تكن لها تلك الرأس الحلزونية المعروفة. كانت مستقيمة نوعاً ما، ولم تكن تشبه تلك العصي التي تُصنَع باستخدام أدوات معينة. بل انتشرت عليها عقد، كأنْ فروعاً كانت تريد أن تنمو منها ولكنها قُطعت.

كانت العصا ملساء بطريقة ملفتة، وخصوصاً في جزئها العلوي قبل بداية انحناء رأسها بقليل. كان ذلك الموضع أملساً جداً، كأنه قطعة من الماس المشذب... ماسة سوداء، في ذلك الموضع الذي أمسكته الأيدي لملايين المرات. صفتها قذارة الأيدي بلون داكن، لا يمكن أن تكون عصا الأسقف. فيداه لم تكن قذرة. إضافة إلى أن لونها كان رمادياً غامقاً، وبابسة، ومجربة من لحاظها، وتلونت بفعل الضوء والأمطار.

اتسع رأس العصا الدائري ليصبح على شكل جاروف أشبه بالمجداف. كان يستخدمه للحفر في الأرض باحثاً عن المياه ليسقى قطيعه عند نقص المياه السطحية.

ثم رأى الرجل. كان الرجل متوسط القامة. لقد تعرّف عليه، لقد رأه ما يقارب الأربع والعشرين مرة حتى الآن. أو ربما فاقت ذلك بكثير؟ كان يرتدي ثياباً بسيطة خالية من الألوان. منسوجة من صوف الحيوانات. مطرزة برسوم من الخيوط الذهبية التي لمعت تحت أشعة الشمس. حذاؤه من الخوص الجاف المجدول بشكل أنيق، وقد غطى رأسه بقطعة من القماش البسيط.

كان وجهه مستطيلًا وجسده قوياً، كأنه معتاد على الغناء والعمل الشاق. وكانت عضلات ساعداته تبرز عند أي حركة يقوم بها تحت لهيب الشمس الساطعة. بدا وجهه الجاف كأنه قطعة من الجلد التي تلونت بالسمرة. لم يتمكن من تقدير عمر ذلك الرجل.

اتسعت الصورة أمامه حتى ظهر قطع الأغنام. كالعادة. كانت تجتمع إلى جانب بعضها البعض وترعى بحثاً عن العشب الطري. اختار القطيع موضعًا جيداً. فقد كانت الأرض الرملية مليئة بالأعشاب.

وقف الرجل متكتئاً على عصاه وملقياً بالنصف العلوي من جسده على الجزء المستقيم من العصا ومسكاً بها بكلتا يديه، بينما كانت النهاية الدائرية للعصا ترتكز بشكل مائل على الأرض. كان يقف وسط القطيع. بقوة وعزيمة بدأ العدو هجومه. وكالمعتاد. ظهرت بقعة في كبد السماء، ما لبثت أن تعااظمت. كانت المخالف نافرة إلى الأمام. وبصورة مكثرة رأى المنقار، والعينين الجشعتين للصياد الذي أحضر الموت معه. رمى الراعي حجراً مستخدماً المجداف، ثم رمى بآخر ثم آخر. إلا أن النسر تفادي تلك الحجارة بحركات متارجحة، وانفرست مخالبه بعمق في لحم الخروف.

تخبط النسر ودفع بالخرف إلى الأرض. قاوم النسر ذلك الثقل

المثبت بين مخالبها بتحريرك جناحيه بضربيات قوية وهادئة، ارتفع ثم هوى
مجدداً إلى الأرض.

رمي الرجل المزيد من الحجارة، وسارعت الكلاب نحو النسر.
بصفير غاضب وضربيات أجنحة عنيفة، حلق النسر في السماء تاركاً
فريسته ملقاء على الأرض.

هرع الراعي إلى الحيوان المدمى وتلمس جراحه. تلطخت يداه
بالدماء بينما كانت الكلاب تشم بحماس بقع الدم المتجمعة على العشب.
أخفض الراعي رأسه.

أفهم حزنك، قال البابا. لقد كان الحيوان ما يزال صغيراً وكان
يإمكانه أن يجلب لك الكثير من السعادة.

تردد الراعي، وقف، تحرك بقلق ثم عاد إلى الحيوان الميت ومسح
عليه. سحب سكيناً من غمده. نحى الكلاب جانباً ثم جرح ساعده الأيسر
بالسكين.

تدفق الدم من الجرح. رفع الراعي ساعده أمام الفم المفتوح وعصره.
تساقطت قطرات الدم إلى حلق الحيوان.
- «كلا، لا يمكنك فعل هذا» صاح البابا «يحظر عليك هذا في جميع
الأزمان! اللوم يقع على الراعي!».



شعر البابا بيد تهز كتفه فاستفاق من حالة الفيبيوية. غمرت ابتسامة
خفيفة الوجه القلق لـ (هيرينيموس)، عندما رُفعت الفشاوة عن عيني البابا.
- «لقد شاهدت رؤية...»

- «أعلم». تعم (هيرونيموس) بصوت منخفض.
 - ذكرت أصوات المحرّكات البابا أن الأمر أوشك على الانتهاء. لكن ما ليث الشكوك أن هاجمته مجدداً.
- «أين نحن؟»
 - «أوشكنا على الوصول، قدّاسة البابا».
- «يجب أن تتجح...»
 - «نحن نقترب من الجنوب. يقول الطيارون، أن محافظتنا على الارتفاع ستتحمّينا، لن يلحظوا وجودنا إلا في وقت متأخر. سأقوم بالاتصال بـ(جاك دوفور). سنجح».
- سرحت أفكار البابا في الرؤية.
 - «لم يتمكن الراعي من مقاومة الإغراء. هل هذا قدرٍ أنا أيضاً؟»

الفصل الخامس والأربعون

الدير المنعزل في (فيرن)

سلسلة جبال (المور) الهضابية في جنوب (فرنسا)

صباح الأربعاء

وقف الأشخاص الثلاثة بلا حراك أمام الباب. بل مع البصر أصبح الجميع صامتاً. سحب (تورنن) يده عن ساعد الصبي.
- «سيسعدنا لو أن وجودكم في هذه الكنيسة بهدف العبادة. فهذا بالضبط هو دورها. مع أن الوقت غير مخصص للزوار» كان الصوت جلياً.
تقدّم (كريس) خطوة نحو الأمام ومدّ رأسه، ليرى بشكل أفضل. فعل (دوفور) الشيء نفسه. بينما تمايلت أجساد الجلادين اللذين كانوا أمامهما بتوتر، لقد كانوا يقفنان بظهورهما نحو الغرفة فلم يريا شيئاً مما حدث خلفهما.

غطت القبعات رؤوس الأشخاص مرتدية البياض. عندما استدار أحدهم جانباً، رأى (كريس) الملامح الناعمة لوجه سيدة.
- «لقد فوجئتم بوجودنا»، وقف (تورنن) وتقدّم مبتسمًا إلى الأمام
«إنه وقت غير ملائم حقاً. لم نكن نعلم...»
- «وقت الصلاة الصامتة».
نظر (كريس) إلى ساعته. إنها بعد الرابعة بقليل.

- «لقد ضلّلنا الطريق في الليل، ثم تعرضنا لحادث فالتجأنا إلى هنا» قال (تورنن) بصوت لطيف.
- «الصبي مصاب؟ هل أنت طبيب؟ تريد أن تعطيه حقنة مهدئة؟ هل بإمكاننا مساعدتك؟»
- تقدمت الراهبة خطوة إلى الأمام.
- «شكراً. فلدي الخبرة الالزامية». رفع (تورنن) يديه بشكل دفاعي «إنه منفع جداً. فقد كان الأمر فوق احتماله. ليس هناك ما يدعو للقلق. نستطيع تدبر أمرنا، لو أثنا فقط... ليس لديكم مانع؟»
- نظرت الراهبة إلى (فولسوم) الذي كان ما يزال يجثم خلف (ماتياس)، لكنه أبعد يديه عن كتفي الصبي.
- «أنا مسؤولة دير (لافرن)، ممثلة رئيسة الدير»، أدارت الراهبة رأسها مجدداً، فوق نظرها على (جاك دوفور).
- قدر (كريس) عمر المرأة بما يفوق الخمسين بقليل. بالرغم من أنه يمكن أن يكون قد أساء التقدير بشكل كبير. أعجب بتعاملها الهادئ مع الموقف. لابد أنها رأت الأسلحة.
- «بلغة العلمانيين، يصفنا البعض أننا جماعة من المتأملين، الذين يبحثون من خلال الهدوء والعزلة عن السبيل إلى ربهم».
- «عرايس المسيح»، ابتلع (تورنن) نصف الكلمة، لأنه لم يتمكن من إخفاء نبرة الاستخفاف التي حملها صوته. تمالك نفسه «وماذا تفعلون في هذا المكان الموحش؟»
- «قصص الفرام لا يبوج بها أحد، أليس كذلك؟» لمعت عيناهَا «نحن سنت عشرة أخت من الراهبات، نقوم بإعادة بناء المكان منذ عقدين وبمساعدة أيادي كثيرة. كان الرهبان الكرتوزيون يعيشون هنا قديماً. هنا كان المطبخ. الأخوات الأوائل حولوه إلى كنيسة صغيرة، ليوفروا لأنفسهن مكاناً

للعبادة. واليوم خصصت لاستقبال الزوار المصلين. ولهذا نريد تجهيز المكان».

تقدمت الراهبة خطوة إلى الأمام، أدارت وجهها، وخاطبت (كريس).
- «أنت موجود الآن في بيت الرب. أقسم بالله أنك ستحافظ على السلام، وبهذا يستطيع الرجال وضع أسلحتهم. فليس لها مكان في بيت الله مطلقاً».

أدارت وجهها إلى (تورنتن) مجدداً.
- «هل هو لص خطير؟ لماذا الأسلحة؟»
- «حسناً، إنه المسؤول عن الحادث. لقد سرق، وهو لا يتورع عن عمل أي شيء».

- «إنه يكذب!» - صاحت (آنا) - «هو المجرم!».
- «أمي، أمي!». صاح (ماتياس) بصوت ضعيف ومدّ جسده. ضغط (فولسوم) بيديه على الكتفين النحيلين. انهار (ماتياس) باكيأً تحت الضغط.

بدت الراهبة كأنها تتمو. فقد تمدد جسدها وتصلب بتقزز. لاحظ (كريس) أنها أشارت إلى الراهبات بيدها، فتقدمن إلى الأمام.

- «لا يمكنني الالتفاق بأناس يقفون شاهرين أسلحتهم أمام مذبح المسيح». نحت المسؤولة الكرسين أمامها جانباً وتقدمت نحو (تورنتن).
- «توقف، الأمر لا يعنيك!» تجمد وجه (تورنتن) كأنه قناع حديدي.
ولأن الراهبة تابعت تقدمها نحوه صاح: «(سولفان)!».

خرج مدير الأمن من خلف الباب ذو الشبك الحديدي من الجانب الآخر للكنيسة، حيث كان يقف منتظرأ طوال الوقت.

- «نعم!».
- «أوقفها!».

«كيف؟»
- «افعل ذلك ببساطة!».
- «لا أستطيع!». وقف (سولفان) عاجزاً.
وقفت الراهبة على مسافة قريبة جداً أمام (تورنن) وفتحت يدها باتجاهه.
هز (تورنن) رأسه.
- «إنك حقاً لا تعتقدين...»
- «هذا يكفي». قالت (زوبي بورسل) التي كانت إلى جانب (تورنن)، وضفت يدها على صدر الراهبة.
تلاقت عيناهما لثانية. اقشعر بدن (زوبي بورسل). فإنها لم ترَ من قبل نظرات قاسية وخالية من الشفقة كتلك. سحبت يدها ببرهبة وتراجعت إلى الوراء بنظرات متوجهة نحو الأرض.
- «هانك)، ربما...»
تقدمت الراهبات الثلاث الآخريات ومرروا بين (تورنن) و(زوبي بورسل) باتجاه الأريكة. هناك استداروا مشكلين سوراً.
- «لا تظنوا أننا نستسلم للخوف. نحن على يقين: أن الرب معنا ومشيئته هي التي ستكون».
اقتربت مسؤولة الدير أكثر من (تورنن) حتى كاد رأساهما أن يلتصقا ببعض.
رفع (تورنن) يده التي تحمل الحقنة إلى أعلى. عندما شعر بيد الراهبة تقبض بقوة على مucchمه، صاح بصوت عالٍ.
كان الحراس المحليين بـ (كريس) قد أداروارؤوسهم منذ زمن ونظروا إلى بعضهم بدهشة، عندما صرخ رئيس مجلس الإدارة.

ثم قفز أحدهم من الخلف وارتطم بالراهبة التي كانت ما تزال تقبض على معصم (تورنتن).

رفع (كريس) يده بقوه إلى أعلى وضرب بគو عليه الرقبة الغير محمية للحارس الآخر. انعكف جسده وتلوى. أنزل (كريس) يده إلى أسفل وانتزع السلاح من الحارس.

كان (تورنتن) ما يزال يقف بساعدٍ مرفوع إلى الأعلى، بينما كانت الحقنة ترتعش في يده. شعر بجسده الراهبة الطري وهو يرتطم به، حاول المحافظة على توازنه. سقط (تورنتن) منادياً (سولفان)، بينما كانت (زوبي بورسل) تقف إلى جانب (فولسوم) عند رأس الأريكة.

زادت الراهبة من تضييق قبضتها على معصم (تورنتن). هوى الاثنان إلى الأرض، بينما سقط الحارس فوقهما. قفز (سولفان) من الباب ذو الشبك الحديدي باتجاه الكومة البشرية وأمسك بيد (تورنتن) التي كانت ممتدة إلى الخارج وممسكة بالحقنة.

شكلت الراهبات الثلاثة جبهة ضد الرجال اللذين كانوا يحرسون (ياسمين) و(آنا)، وقاموا بدفعهم إلى الأمام. خلفهم هبت (آنا) واقفة، ودفعت نفسها بين الجميع مسرعة نحو الأريكة، سحبت (ماتياس) إلى الأعلى وحملته.

اندفع (كريس) باتجاه (سولفان) وضربه بمؤخرة السلاح على رأسه. ترَّجَّ مدير الأمن وسقط على الأرض إلى جانب (تورنتن).

استدارت (آنا) واستعدت للهرب مع (ماتياس). استيقظت (زوبي بورسل) من صدمتها وأمسكت بشعيرها. أرجعت (آنا) رأسها إلى الخلف، بينما كانت تحمل الجسد النحيل مقدمة إياه إلى الأمام لأنها تحمل صينية. انزلق جسد (ماتياس) على ذراعي (كريس)، وسقطت (آنا) على ظهرها جراء قبضة (بورسل) العنيفة، التي سحبتها من الخلف. استدار

(كريس) إلى الخلف بسرعة وهرع إلى الباب ذو الشبك الحديدي، في الجانب الآخر من الكنيسة.

نظر من فوق أكتافه إلى الخلف باحثاً عن (ياسمين).

سأخرجكم من هنا ...

بدأ الجسد الصغير بين يديه خفيفاً جداً، بينما امتلأ الوجه بالدموع. صعد (كريس) السلالم الصغيرة بسرعة. أزاح المهد الخشبي جانباً وانزلق إلى الممر.

خلفه سمع صوت (ياسمين) ينادي باسمه.



ركض (كريس) عبر الممر ثم وصل إلى رواق. وأخيراً انتبه إلى التغيير الذي حدث. المصايب مضاءة. فقد كان ذلك الممر معتماً تماماً. «الراهبات» فكر (كريس)، لابد أنهن سلكن هذا الطريق للوصول إلى الكنيسة.

- «سيكون كل شيء على ما يرام» تتمت عدة مرات محاولاً تهدئة (ماتياس)، بينما كان يفكر. لابد أن توجد أدراج أخرى في مكان ما، تقود إلى الأسفل حيث يوجد المدخل، الذي استخدمته الراهبات للدخول إلى الكنيسة. تذكر المخرج الموجود قبل باب الكنيسة بقليل. في مكان ما على يمينه. إلا أنه أراد الخروج من الكنيسة، ولهذا انطلق نحو اليسار.

بعد خمسة عشر متراً وجد نفسه خارج المبنى، ووقف في ساحة حجرية بمساحة قطعة صغيرة من الأرض، التي كانت مفتوحة من ناحية الشرق، ويطل عليها مستويان من الشرفات. أمام سور المبنى تجمعت أكواخ من الركام، الخشب، الحجارة وبقايا حديدية.

نظر (كريس) إلى سلاسل الجبال الممتدة شرقاً. كان ضوء النهار يتسلل إلى القمم المكسوة بالخضرة، بينما كانت الوديان ما تزال تفرق في الظلام.

باتجاهه تقدمت راهبتان بخطوات ثابتة من الشرفة الشرقية مرتديتان أردية قطنية.

قدر (كريس) عمر إحدى الراهبات بمنتصف الستينيات. كانت عينها تشع بالثقة والقوة. بينما بدت الأخرى أكثر شباباً بشكل واضح، ربما قريبة من الثلاثينيات.

- «ساعداني! خذوا الطفل إلى مكان آمن!» قال (كريس) باللغة الفرنسية.

رمقته الراهبة المسنة بنظرات متفحصة من قمة رأسه إلى أخمص قدميه، ثم نظرت طويلاً إلى (ماتياس).

- «يمكنك التحدث بالألمانية، أنا مسؤولة مجموعة من الراهبات وقد ولدت في (النمسا)».

أخبرها (كريس) باقتضاب ما حدث داخل الكنيسة في الأسفل، وعن أي مساعدة هو يبحث. أصدرت الراهبة الصفرى صوتاً متfragأنا. بينما لم يبدُ على الراهبة المسنة أي تعبير. فلم يبدُ عليها إن كانت تصدق (كريس).

- «هاك، خذوا الطفل إلى مكان آمن. أرجوكما!» رفع (كريس) (ماتياس) إلى أعلى وحملته الراهبة على ذراعيها.

- «البعض منا يسكن بيوتاً خشبية مطلة على المنحدر الموجود شرقي الدير. إنه سكننا المؤقت منذ عشرين عاماً» أشارت المسؤولة إلى الجهة التي قدمتا منها «سنأخذه إلى هناك. وماذا ستفعل؟»



دفع (تورنن) المسئولة جانباً وصاحب مؤنباً (سولفان).

كان وجه الأول على بعد ميليميترات من وجه الآخر، حين تلقي (سولفان) وابلاً من الإهانات، التأنيب والكلمات المذلة، بهدوء مقرز. فقط وجهه المحمر ويداه المرتجلتان كانت تتم عن مدى توترة.

جثمت كل من (ياسمين) و(آنا) في إحدى الزوايا متعانقتين وملتصقتين ببعضهما. كانت (آنا) تهمس مرددة اسم (ماتياس) دون كلام. - «سيعشي بي (كريس). إنه في مأمن!». همست (ياسمين) لها عدة مرات محاولة تهدئتها.

أنهى (تورنن) موجة غضبه، وترك المجال له (زوي بورسل) ل تستمر بكيل الشتائم له (سولفان) بأنه غير جدير وغير مؤهل.

ركل (تورنن) بقوة التمثال الطيني للسيدة العذراء الذي كان موضوعاً في الزاوية، فهو متكسراً على الأرض. انطلق إلى الصليب، قلب في طريقه الأحواض التي تحمل البخور على الأرض، ثم وقف بغضب أمام التمثال المصلوب.

- «أخبرني، هل لك دور في هذا؟»

حدق بتمثال المسيح المصلوب بنظرات جنونية، ثم ضحك باستهزاء عندما سمع الصيحات المستنكرة للراهبات.

هزَّ الصليب بقوة، بينما كان يلهث كالوحش حتى هداً غضبه.

رنَّ هاتف جوال، فخيَّم الصمت على الجميع.

- «هاتف من هذا؟» سأله (تورنن) بعينين محمرتين من شدة الغضب وتقدان شرّاً.

- «لي» قال (دوفور) أخيراً، ثم سحب الهاتف من جيب سترته «الأخ (هيرونيموس)» تتم (دوفور) عندما قرأ اسم الراهن على شاشة الهاتف.

- «قمت بالاتصال به من قبل، أثناء قدومك إلى هنا»

أوماً (دوفور).

ـ «وماذا بعد؟»

رأى (دوفور) رغبة الجريمة في عيني رئيس مجلس الإدارة «إنه قادم إلى هنا».

ـ «لكنه لن يأتي لوحده. من سيكون برفقته؟»

ـ «البابا سيرافقه».

صمت (تورنن).

ـ «هل يجيب؟ دنا (سولفان) من (دوفور).

حدق (تورنن) بتمثال السيدة العذراء المحطم على الأرض «كلا! علينا الاختفاء بسرعة. فإن وصلوا إلى هنا، لن يكون أمامنا الكثير من الفرص. يجب أن نجريب السيارات. هل أمامنا إمكانيات أخرى؟»

ـ «سأحاول تأمين مروجية». تمكن (سولفان) من السيطرة على نفسه ولكن كان داخله يفور كالبركان. لن يسامحهم على ذلك الإذلال «من خلال رجالنا في المطار. خيار المستشفى يبقى بعيداً، حيث أنها مليئة بالشرطة. ستنطلق بالسيارات إلى أبعد مكان ممكن، ثم ندعهم يأخذونا من هناك».

ـ «كم من الوقت سيسفر عن هذا؟»

ـ «ساعتان إلى ثلاثة ساعات».

ـ «إنه وقت طويلاً... ولكن لا يوجد بديل! افعل هذا. ثم نذهب».

ـ «كلنا لن نتمكن حتى من أخذ كل رجالنا من هنا».

أشاح (تورنن) بيده بإشارة استعلاء.

ـ «كلما أخذنا المزيد من الرهائن، سيكون وضعنا أفضل. ويمكننا التخلص منهم في أي وقت. هيا قم بالاتصال».

بعد مرور عدة دقائق، أوماً (سولفان) مؤكداً.

تقدم (تورنن) من الأريكة التي كانت (آنا) و(ياسمين) جاثمتين إلى جوارها .

- «سندھب من هنا . وأنتما معنا» .

حدق (تورنن) بـ (آنا) . فأم مضطربة، كأنها لبواه تقاتل لإنقاذ ولدها، كان آخر ما يحتاج إليه الآن . ولكن كرهينة ...



اقترب (كريس) من السور الحجري، ونظر إلى الساحة الكبيرة للدير، كانت تمتد من الغرب إلى الشرق على طول الدير، لمسافة ثلاثة مئة متراً وبعرض ثلاثين متراً . بمقابل كانت جبهة البناء، التي تشكل السور الخارجي الجنوبي للدير .

أسرع (كريس) باتجاه السور الخارجي الغربي . هنا كان كل شيء متداخلاً، ويوجد الكثير من المنافذ . الطريق من هناك، هكذا قالت المسؤولة .

كانت بوابة كبيرة تخترق سور المبني، يمكن لعربة خيول كاملة الدخول عبرها بكل سهولة . قاده الطريق الوعر إلى الأسفل وامتد على الجهة الأخرى كمنحدر إلى جانب الشرفة الأولى .

تسلل من خلال البوابة والتتصق بالجدار من الناحية الثانية . إنه يقف الآن بشكل جانبي أعلى المكان الذي كانوا قد وجدوا باب الكنيسة الصغيرة عنده .

مزق ضوء النهار عتمة الليل وقد بدأ النور الرمادي الفاتح يتسلل بين الشقوق بشكل واضح .

اتخذ وضع القرفصاء. لم يرصد أي حركة في المكان. لقد قاموا بنشر حراسة! أين هم؟ فجأة سمع صوتاً وضجيجاً. إنه قادم من الأسفل، من جهته اليسرى، حيث كان مدخل الكنيسة الصغيرة.

لقد كانت البوابة الصغيرة والمنخفضة تقع في زاوية ميّة لا يمكنه رؤيتها من حيث يقف. وقف (كريس) وتسلل بوضع منحنٍ عشرة أمتار إلى أسفل المنحدر. أنعشته النسمة الباردة الآتية من الغرب وبردت وجهه الساخن.

الآن أصبح بإمكانه رؤية الزاوية الميّة، التي تقع باتجاه مائل للأسفل، بشكل أوضح. ما تزال العتمة تغطي بوابة الكنيسة، حيث أنه لم يتمكن من تمييز الأشخاص اللذين وقفوا أمامها. تسللوا على الطريق المنحدر وتوجهوا بعيداً عنه نحو الجنوب إلى البوابة الرئيسية.

عد (كريس)... أربعة بأردية كنسية فاتحة اللون وقبعات الرهبان. الراهبات. (آنا)... رجال (سولفان). (ياسمين)... هناك، إنها تسير هناك! لو أنها نظرت الآن إلى الخلف، نحوه في الأعلى فسوف يقفز لدقيقة أو لثانية ليريها أنه ما يزال موجوداً.

في تلك الأثناء ابتعدت إحدى الراهبات عن المجموعة، وهرعت نحو الشمال.

وصلت صيحات مكتومة إلى مسامعه.

كان طول الراهبة على الطريق أسفل منه، يصل تقرباً إلى مستوىه. رفع أحد الرجال يده اليمنى.

- «كلا!» قفز (كريس)، وحمل سلاحه إلى الأعلى.

خرجت رصاصة من فوهة سلاحه. امتنج أزيز رصاصة مع أصوات الطلق الآخر.

الفصل السادس والأربعون

الدير المنعزل في (فيرن)

سلسلة جبال (المور) الهضابية في جنوب (فرنسا)

صباح الأربعاء

وقف (تورنن) في ظلال السور وحدق بالطريق، الذي كان يقود باتجاه اليسار إلى البوابة الرئيسية والطريق العام. كان الطريق منحدراً جداً وقد نمت به الأشجار والنباتات بشكل كثيف، حيث كانت تعيق النظر إلى الغرب، وبالتالي إلى سلاسل التلال والوديان المنتشرة.

بدأ الصباح ينتشر في الأفق ويلقي أنواره على الوديان.

- «كل شيء هادئ» تتمم (سولفان).

مد (تورنن) رأسه، ونظر إلى جهة اليمين، حيث كانت السلالم الخشبية تقود إلى الشرفة الواقعة في المستوى الأول، «فلنسرع، بقي عشر دقائق لنصل إلى السيارات» كان يحمل الحقيبة التي تحتوي على بقايا العينات، بينما حمل (فولسوم) فقص الفئران على ذراعه.

أشار (سولفان) لاثنين من رجاله فتوجهوا نحو المقدمة. مشى كل من (بورسل) و(فولسوم) أولاً ثم تبعهم (سولفان) ورئيس مجلس الإدارة. خلفهم سار كل من (ياسمين) و(دوفور) والراهبات، بينما كان خمسة من رجال (سولفان) المتبقين يحرسونهم.

فکر (تورنن) بالخطوة التالية. عندما يصلون إلى السيارات فعليه أن يقرر من منهم سيبقى هنا . هز رأسه بقوة، كأنه يحاول طرد تلك الأصوات الغريبة من عقله. هناك ما يقلقه.

فجأة سمع صيحات مندهشة.

شغفته عن الأصوات المكتومة.

المزيد من الصيحات. نظر (سولفان) بتوتر إلى السماء.

- «سولفان)، هل أنا محاط بالمعتوهين؟» ارتجفت شفاه (تورنن) لشدة غضبه.

إحدى الراهبات تمكنت من الفرار بعيداً عن المجموعة وتوجهت نحو الشمال. تردد حارسها ثم مد يده.

ارتفعت الأصوات الموسوسة في رأس (تورنن). لقد كانت إشارة خطراً

جلجلت الرصاصية.

انحنى ظهر الراهبة الفارة إلى الأمام بعد أن اخترقته الطلقة بقوة. طارت يداها في الهواء وصدرت منها صيحة قصيرة بصوت حاد مزق هدوء المكان. هوت الراهبة بذراعين مفتواحين إلى الأرض.

كان صوت أزيز الرصاص طويلاً بشكل ملفت، ترنج القناص بقدمين منحنتين إلى الجرف، وسقط بصمت بين الأشجار والنباتات.

أخيراً أدرك (تورنن) أنه قد تم إطلاق رصاصتين. توجهت نظراته نحو الأعلى حيث الشرفة ولمح الشخص الذي كان يقف عند السور الحجري.

تعالت الوساوس في رأسه.

- «هناك في الأعلى»، صاح.

- «ياسمين».

رفعت رأسها إلى الأعلى. وقف (كريس) منتسباً عند السور الحجري
ملوحاً لها بيديه.

- «إنه (تسربت هاين) أطلق عليه النار» أشار (تورنتن) إلى
(كريس).

- «(كريس)».

رفع رجلان من رجال (سولفان) سواعدهما إلى الأعلى مصوبيين
أسلحتهم نحو الهدف.

- «كلا» صرخت (ياسمين) باضطراب.

انطلقت العبارات النارية من فوهتي سلاحي الرجالين دون توقف.
بدد أزيز الرصاص الأصوات الهامسة في رأس (تورنتن).

- «تابعوا» صاح، حين رأى جسد (كريس) يسقط. ثم انطلقت
مسرعاً، «لاحقوهم! هيا! أسرعوا!». عاد صوت الضجيج الآن بقوة وقد
أصبح قريباً.

حلق جسم أشبه بالدبور الكبير عند قمة الجبل باتجاه الجنوب.
تصاعد ذلك الضجيج ليتحول إلى صوت صفير عالٍ. بدأت الطائرة
المروحية تهبط من ارتفاع الجبال باتجاه بناء الدير، حلقت مارة فوق السور
الخارجي الجنوبي، ثم اتجهت غرباً وظهرت فوق الوادي عند الناحية
الغربية للدير. هناك حلقت على شكل عقدة واتجهت نحو السور الغربي
للدير. أعملت كشافاتها، فانتشر ضوؤها الساطع كأنه انفجار نجمي.
تراقصت حزمات الضوء فوق الطريق الحصوي، استدارات، ثم عادت،
وكست كل شيء بأنوار متوجهة.

أشاح (تورنتن) بوجهه لتجنب الضوء الساطع.

وجه الطيار المر الوحية بمحاذة سور الدير، ثم حلق فوق الجرف. بدأ
يقترب من الطريق الحصوي، بحيث كانت قمرة الطيار متوجهة إلى الأعلى.

عند الباب الجانبي المفتوح، جثم رجالان، كانوا مربوطين بأحزمة أمان وقد حملوا بأيديهم أسلحة. خلفهما وقف قناصان آخران.

– «توقفوا! ابقوا في أماكنكم!».

دوى الصوت الصادر من المكريات كأنه عاصفة اجتاحت الوادي. وقد تسمرت كرات الضوء عند أهداف معينة.

فقد رجلا (سولفان) اللذان كانوا في المقدمة أعضابهما. جثما على ركبهما وبدأوا إطلاق النار باتجاه المروحية.

تتأثرت شظايا الحصى أمام (تورنن)، بينما ارتطمت إحدى الرصاصات إلى جانبه في الأرض، مصدرة صوت صفير. ثم تبعتها ثانية ثم ثالثة. امتزجت جملة المحركات بآذى الرصاص الصادر من الرشاشات ذات الطلقات السريعة.

مرت الطلقات إلى جانب (فولسوم) و(بورسل) دون أن تصيبهما. ثم اخترقت زخات الرصاص الرجلين في المقدمة. تمزق جسديهما، ودوى طلاقانهما الأخيرة في أذني (تورنن)، كأنها صرخة حادة عند بوابة الدخول إلى العالم الآخر.

حدق (تورنن) بتلك الفوضى الدموية، التي كانت قد حدثت في الجهة الأمامية. على صدر أحدهم امتد خط من الثقوب السوداء، التي تدفقت منها الدماء.

بقي (فولسوم) واقفاً بيسأس وقد رفع ذراعيه إلى الأعلى، بينما انحنت (زوبي بورسل) إلى إحدى الجثث وانتزعت سلاحه، وحملته في يدها.

– «إلى الخلف! إلى الخلف!».

التفت (تورنن) إلى الخلف ضاغطاً فوهة سلاحه على بطن (ياسمين) التي كانت تقف خلفه مباشرة.

– «لو قمت الآن بأي حركة فسينتهي أمرك هنا!».

زاد (تورنن) من ضفط فوهه السلاح، «هل تفهمين ما أقوله؟»
كاد وجهيهما أن يلتصقا ببعضهما. كانت عينا (تورنن) تلمع بجنون.
صراع بين الذعر والعزمية المطلقة.

- استديري نحو الطائرة المروحية وتقدمي بهدوء مبعدة يديك عن
بعضهما. حتى يروا أنك لا تحملين سلاحاً.

كان رجال (سولفان) منبطحين وموزعين على الطريق الحصوي،
مصابين أسلحتهم نحو المروحية ولكن دون أن يطلقوا النار.

- «استسلموا ألقوا أسلحتكم!». تردد الصوت القوي مجدداً من مكبر
الصوت.

وقف (سولفان) إلى جوار (دوفور) وقد أحكم قبضته على عنق (آنا).
بينما كان يضفط فوهه سلاحه على رأسها.

- « علينا أن نتراجع!» صاح (تورنن) بـ (سولفان).
في تلك الأثناء فرت اثنان من الراهبات بينما بقيت المسؤولة واقفة
في مكانها تنتظر.

- «افعل شيئاً!» صرخ (تورنن).

- «هل علي أن أطلق عليهم النار أيضاً؟» صاح (سولفان) ووكلز أحد
رجاله المنبطحين أرضاً بمقدمة حذائه، «(سام)! اقبض عليهم!».

رفع (سام) رأسه ونظر بتردد إلى الطائرة المروحية ثم قفز واقفاً.
انطلق خلف الراهبتين. استفرق الأمر خمس ثوانٍ حتى يلقي القبض
عليهما.

انطلقت رصاصة واحدة.
ومضت فوهة السلاح الممتدة من الباب الجانبي للمروحية بضوء
ساطع. انحني (سام) ثم سقط. التفت أصابعه حول رداء الراهبة جاراً إليها
معه.

إلا أن الراهبة وقفت مجدداً وانطلقت مسرعة نحو باب الكنيسة وانزلقت مع الراهبة الأخرى إلى داخل المبنى.

حلقت المروحية بشكل ثابت في الهواء، بينما استمر تردد الصوت من المكير الذي كان يطالبهم بتسليم أنفسهم.

- «يمكّنهم القضاء علينا إن قمنا بأدئي حركة!». همس (سولفان) وألقى نظرة سريعة على أحد رجاله القتلى.

- «ويمكّننا فعل ذلك مع رهائنا أيضاً! ليس لدينا إلا هذه الفرصة! هيا!». لهث (تورنن) لشدة الإثارة.

تحركوا بخطوات مائلة متراجعين نحو الطريق، بينما كانت دروعهم البشرية أمامهم باتجاه الطائرة المروحية. بقيت مسؤولية الراهبات واقفة مكانها بتrepid، حتى أتت (روي بورسل) من خلفها وضفت فوهة السلاح على ظهرها.

- «لقد تمنيت هذا منذ زمن بعيد. لا تعتقدني أني لا أستطيع إطلاق النار».



وقف (كلود داورياك) خلف القناصين عند الباب الجانبي للمروحية محدقاً بيرود إلى تلك الخنازير المذبوحة على الأرض.

لا يمكن لأحد أن يطلق النار على رجال مجموعة التدخل للشرطة الوطنية الفرنسية. الكل في (فرنسا) يعرف ذلك. المتربدون في السجن أوقفوا ثورتهم حال معرفتهم بقدومهم. وكذلك عصابات الجريمة المنظمة، أيقنوا تماماً أن رجال هذه المجموعة تعرف كيف ومتى تستخدم أسلحتها.

كان (داورياك) يثق بدعم رؤسائه له. فقد كانت القاعدة المعروفة

للوحدات الخاصة تقول، أن استخدام السلاح ضد الخاطفين هي الطريقة الأنجع لحماية الرهائن. كانت قوة مؤثرة، فرقة هجومية بلا هوادة. فالإنذار والإخافة كانا جزءاً من فلسفتهم. ومن يقاوم رغم ذلك، فعليه تحمل النتائج. ليس مجموعة التدخل للشرطة الوطنية الفرنسية. لا يوجد مكان للعواطف هنا. فال الأولوية كانت لحماية المجموعة. هكذا كان الأمر.

كان (داورياك) يعلم أن طريقتهم في التعامل دائماً ما تُستقرد. حتى في بلدتهم ورغم نجاحاتهم. كان عليه الانتباه أكثر في هذه الحالة. فقد أكد البابا برسالته لهم، أنه يريد الحوار والإقناع وليس القتل. تنهى (داورياك). سيكون حذراً إذاً. ولكن إن تعرض للهجوم، فإنه سيترك الجحيم يندلع.



انبطح (كريس) على المنحدر وراقب الانسحاب. ركز نظره على (تورنلن)، الذي كان يستخدم (ياسمين) كدرع بشري وظهر عند زاوية السور، حيث كان جدار المبنى يمتد باتجاه باب الكنيسة في الركن الذي لا يمكنه رؤيته.

بدت الطائرة المروحية كأنها جني المصباح الذي ظهر عند المنحدر. لابد أنهم من الحرس الخاص للبابا. ويرغم ذلك بقي منبطحاً. فهم لا يعرفون من يكون، وهم يطلقون النار بلا هوادة. مدّ ذراعه نحو الهدف. وقف (تورنلن) تحت الأضواء الساطعة، بينما

كان ظهره يشكل هدفاً مناسباً جداً للرمادية. ولكن (كريس) تردد. ففي حال أخطأ الهدف، سيكون لدى (تورنن) القوة الكافية لضيق الزناد.

– «لقد كنت دائماً رامياً ممتازاً». قال لنفسه مشجعاً.

ابتلع (كريس) لعابه، استمر بالتردد.

توجه (تورنن) و(سولفان) بخطوات إلى الخلف نحو باب الكنيسة.

أثناء ذلك كان (سولفان) يصيح ببرجاليه، الذين وقفوا بتردد وبدؤوا بالانسحاب إلى الخلف. جرت (زوي بورسل) الراهبة معها، وسار (فولسوم) قريباً منهما.

انقضت الشواني الأخيرة واحتفى كل من (تورنن) و(ياسمين) في الركن الذي يصعب رؤيته.

أخذ (كريس) نفساً عميقاً. الانتظار والمفاوضات ستضعف معنويات المحاصرين. فمع مرور الوقت ستتقلب الأمور إلى صالح المحاصرين، وبقليل من المهارة لن تطلق ولا حتى رصاصة واحدة، حتى يستسلم (تورنن). فجأة توقف (سولفان) هناك.

مشكلة!

ظهر (تورنن) مجدداً وصاحت في وجه (سولفان).
الباب مغلق. خطر هذا ببال (كريس). لقد قامت الراهبات بغل باب الكنيسة من الداخل!.

جذب (تورنن) (ياسمين) نحوه، دفعها أمامه لتكون درعاً يحميه ثم وجهها للسير يميناً باتجاهه.

سيسيرون تحته مباشرة.

أثناء اقتراب (تورنن) و(ياسمين) منه، حلقت المروحية فوق الطريق. صوت طرطقة الصفيح علت على دوي محركات الطائرة. بدأ صوت حازم واحد بالعدّ. كل رقم يلي الآخر بفارق ثانيةين.

إنذاراً وبعدها سيطلكون النار! (ياسمين) هي الدرع البشري أمام (تورنتن)!

قفز (كريس) ووقف على حافة السور. ثم ترك نفسه يسقط. ارتطم مباشرة بكتف (تورنتن) الأيمن. سقطت الحقيبة من يده وسحب (ياسمين) معه إلى الأسفل. لطمه (كريس). صاح (تورنتن) بينما التوى وجهه إلى الخلف. شعر (كريس) بالدماء واللعاب على يده، كأنها قطرات لسم أفعى الكوبرا. ضرب رأس (تورنتن) بقوة مجدداً فسقط رئيس مجلس الإدارة متاؤها على الأرض.

سحب (كريس) (ياسمين) إلى الأعلى، بينما كان ذلك الصوت القوي يتبع العد العكسي. استدار (كريس) فرأى (سولفان) و(آنا) خلفهما بشكل قريب جداً منهما. بعيداً إلى الأمام بقي أحد رجال (سولفان) يوجه سلاحه نحو المروحية.

طلقة واحدة من المروحية استقرت في صدر الرجل، فاتجهت فوهة سلاحه إلى أعلى إثر قوة الضربة. جثم المصاب على الأرض ثم اتجهت ذراعه مجدداً نحو الأسفل. انطلقت ثلاثة رصاصات من سلاحه. افتشعر بدن (كريس). شعر جهازه العصبي بالانفجار حتى قبل أن تبدأ المعركة.

تضخت المروحية لتصبح بحجم شمس صغيرة. انطلقت كرة النار إلى الأمام. كشطت شفرات المروحية سور الدير، الذي تاثرت منه الشظايا. ثم ارتطمت القمة بجدار الدير فتشوه وهرس.

حدق كل من (كريس) (ياسمين) غير مصدقين تلك الجحيم التي اندلعت. انتزعتهما موجة الضجيج من حالة الذهول، وصاح كل منهما قائلاً للآخر شيئاً ما، إلا أن كلماتهما غرفت في تلك الضوضاء الجهنمية، التي مزجت بين طقطقة الحديد ودوي الانفجارات.

تثارت الشظايا في كل الاتجاهات، بينما ارتطمت النثرات المعدنية بالسور الحجري أو اخترقت أجساداً بشرية. ارتطمت المروحية بقمرتها المهمشة بالطريق.

أمسك (كريس) بذراع (ياسمين) وأراد سحبها نحوه. في تلك الأثناء اجتاحتها العاصفة الناجمة عن الانفجار. موجة ساخنة حبست نفسها فيهما وحرقت وجهيهما.

انزعت (ياسمين) من يده وشعر (كريس) بضربة على ظهره. هوى إلى الأرض جائماً واقتلت إلى الخلف من تحت إبطه. كان ذنب المروحية قد غير اتجاهه الأفقي، واتجه إلى الأعلى، بينما كانت مقدمة الطائرة منفرسة في الأرض الحصوية، وقد اتخذت المروحية وضعاً عمودياً.

ارتطمت قطع من ريش المروحية بسور الديار، التفت على الأرض حافرة أخاديد تثارت منها الشظايا الصخرية. لم يشعر (كريس) حين ارتطم رأسه بالأرض.



فتح (كريس) عينيه وقد شعر بدوران يلف رأسه، رأى (ياسمين) و(تورنن) ملقيان إلى جواره. انتهت طقطقة ريش المروحية بصرير قوي، ثم توقفت، وفجأة لم يعد يسمع سوى هسسة النار المنبعثة من الحريق. لا أحد يصرخ أو يشكى. ماتوا، فكر (كريس)، ماتوا، أم فقدوا الوعي، أم أصحابهم الشلل إثر الصدمة.

كانت ذراعاه ورجلاه مخدرة، لكنه استطاع تحريكهم. نظر إلى نفسه. لا يوجد دماء، وكذلك لا أثر للدماء على أجساد (ياسمين) و(تورنتن). تحولت أصوات أشبه بضربات السوط إلى صوت سريع ومتقطع، ودُوى انفجار الذخيرة من بين الحطام.

وقفت المروحية بقُبّرتها المحطمة على الطريق الحصوي، بينما تعلق ذيلها على سور الدير باتجاه الأعلى. انطلق أنين متألم وشاك عبر مكبر الصوت، ثم تحول إلى صرخة عالية وطويلة. ارتعد (كريس) فجأة، فقد كانت الأصوات مُعدبة ولا إنسانية. أخيراً انقطعت الصيحة ومعها آخر علامات الحياة الصادرة من المروحية.

انحنى فوق (ياسمين)، رُيّت على خدّها، ووضع أذنه على شفتيها. ابتسم حين لامست أنفاسها الضحلّة شحمة أذنه. استمر بالمسح على خدّها والهمس باسمها بصوت دافئ، حتى فتحت عينيها.

- « علينا الذهاب من هنا ». شدّها (كريس)، ثم جرّ الحقيبة التي تحتوي على العينات، التي كانت على بعد ثلاثة خطوات من (تورنتن). - «(آنا)! أين أنا؟» كان صوتها مذعوراً.

تلفت (كريس) حوله، كان كل من (سولفان) وشقيقة (ياسمين) ملقيان على بعد خمسة أمتار خلفهما. ساعد (كريس) (ياسمين) على النهوض، ثم توجها متربّحين إلى حيث كانت (آنا).

- «(آنا)، هيا، (آنا)...» سحبت (ياسمين) الجسد الرخو لشقيقتها إلى الأعلى وأسندته إلى كتفها.

حدق (كريس) بالجرح الفائر في عنق (سولفان). داخل الفتحة الدامّية بدت الفروع العضلية والأنسجة الدهنية. - « علينا الذهاب من هنا ».

- «لن أدع شقيقتي وحدها!» هزت (ياسمين) جسد شقيقتها مجدداً.
ارتجفت شفاه (آنا)، وخرج الأنين الأول من بين شفاهها بعنة.
لم يكن ذلك مقصوداً. جثم (كريس)، وأخذ يفحص نبض (آنا).
وعندما فتحت عينيها قفز واقفاً.

- «سأعود حالاً». ابتعد متعرضاً. هل ما زال رجال (تورنن) يشكلون خطراً أم أن الأمر قد انتهى؟ جمود ممل كان يحتاج عقله، ولم يدعه يفكر بأمر آخر.

على بعد بضع خطوات كان كل من (زوي بورسل)، ومسؤولة الراهبات، و(جاك دوفور) مستلقين فوق بعضهم، وقد رأى على ظهر العالم وبارتفاع الرئتين ثقبان، كان مستلقياً على جسد مسؤولة الراهبات، التي تقطعت وجهها بالدماء. كذلك مدمرة (تيسابي) المالية كانت ملقاة أسفلهما دون حراك.

نادته (ياسمين). رفع يده وتابع تقدمه نحو السور الحجري بالقرب من باب الكنيسة. كان جزءاً معدنياً من جسد المروحية قد استقر بشكل رأسى بالقرب من (فولسوم)، الذي تدلى رأسه بشكل جانبي. جرّ (كريس) القطعة المعدنية حتى تدحرجت إلى الأمام. هو جسد (فولسوم) دون مقاومة من على السور إلى الأرض.

كان قميص (فولسوم) مشبعاً بالدماء عند منطقة البطن. حيث مزقت بطنه بطارية كاملة من السكاكين الطويلة والمسنة.
عادت (ياسمين) تتدلي اسمه.

- «حالاً!» تعمت (كريس).
تلفت حوله. نتيجة اندلاع الحريق كانت نيران كثيفة تحيط بالمروحية، بحيث لا يمكن لأحد الاقتراب منها. لم يكن بإمكانه القيام بأى شيء، سوى طلب المساعدة. من الراهبات.

وقع نظره على الأرض. كان قفص الفئران على بعد خطوتين من (فولسوم). أشارت الثقوب المسننة إلى المكان الذي اخترقت من خلاله الشطايا المعدنية ذلك القفص البلاستيكي. كان الباب مفتوحاً، رفع (كريس) القفص، ونظر داخله. كان أحد الفئران ملقىً على جانبه في كومة النشار، بينما كان الدم يتدفق من جرح في بطنه. في حين كانت الفئران الثلاثة الأخرى قد اختفت.

الفصل السادس والأربعون

الدير المنعزل في (فيرن)

سلسلة جبال (المور) الهضابية في جنوب (فرنسا)

صباح الأربعاء

هبطت الطائرتان المروحيتان باتجاه الساحة الكبيرة للدير حيث
لامست عجلاتهما الأرض.

انتشرت الجزر العشبية بين الحصى، وفي بعض المواقع نمت
النباتات، إلا أن تلك الساحة المستطيلة، بطولها الذي يبلغ المائة متر،
وعرضها الذي يصل إلى ثلاثين متراً، كانت مناسبة تماماً للهبوط.

رفع البابا السماعات عن أذنيه وقام بفتح حزام الأمان. بينما فتح
(كالفي) الباب وقفز إلى الخارج.

مدّ يده لمساعدة البابا، الذي انحنت ركبتيه حتى عندما قام بتلك
القفزة الصغيرة على الأرض.

خرج خلفه كل من (هيرونيموس) و(مارفن) وأثنين من حراسه
الشخصيين. بينما سارع (تروتيغنو) و(تيساني) و(باري) بالخروج من
المروحية الأخرى.

- لا ينفي لقداستكم أن تعرضوا أنفسكم للخطر تحت أي ظرف».

- حاول (تيساني) مجدداً - «بالمقابل إنكم مسؤولون عن كافة العالم المسيحي، فكروا...»

من الطرف الغربي للدير دوى صوت رصاصات. نظر الحراس الشخصيون حولهم لتأمين المكان.

- «لدي مهمة» تجاهل البابا صوت الرصاص ونظر إلى (تيساني) هازأ رأسه «وسأقوم بها. وكيفية قيامي بها منوطه بإرادة الله. لن أهرب أمام بعض رصاصات».

شبك (هيرونيموس) ذراعه بذراع البابا وأشار إلى ممر في واجهة المبنى. هناك وقف شخص بأردية وقبعات رهانية.

- «إنها إحدى الأخوات اللاتي يقمن بإعادة بناء الدير». أنها أومأ البابا. إنها أخت من بيت لحم. أخت صفيرة بلا اسم. إنها ببساطة أخت في خدمة الرب.

شد جسده وتوجه بخطوات متجمسة نحوها.

جثمت الراهبة أمامه على ركبتيها.

- «قداسة البابا، أي مباركة...»

سحب البابا الراهبة من يديها إلى الأعلى.

- «فلترافقك مباركة الرب أنت وأخواتك».

بدت بشكل واضح فوق الستين من العمر، لمعت عينها بالقوة والثقة.

- «الشر تحتا».

- «أعلم ذلك. ولهذا أنا هنا».

كان كل شيء يجري على ما يرام، فكر (بول كامبراي). الذي كان ينتمي للسبعين الأوائل الذين انضموا إلى (الفهود)، حيث تم اختياره من بين ألف ومئتي متتطوع تقدموا للانتساب في وقت التأسيس.

كان (كامبراي) قريباً من الخمسين، طويل وقوى وله وجه ملفت ذو

أنف بصلٍ ضخم. في البداية كانت التعليقات تزعجه، لكن مع مرور الوقت أصبح يتقبل ذلك الأنف كعلامة فارقة.

أعاد قراءة الرسالة عدة مرات، ثم هزَّ رأسه مستكراً. لقد كانت أمراً معتاداً، فهي الغلطة النمطية للطرف الآخر.

حيث يعتقد أن السلاح سيحميهم. في حين أن هذا هو بالضبط الأمر الذي لا يمكن لأي شرطي على وجه الأرض أن يتقبله. فالسلاح يعني في الوقت نفسه تشكيل خطر على حياة حامله أيضاً. ولهذا لا بد من القيام بردة فعل قوية ومناسبة مثل هذا التصرف. كان (الازارد) قاضي تحقيقات يمكن الاعتماد عليه، رجل لا يخشى اقتحام الأبواب المغلقة وخصوصاً عندما يتعلق الأمر بالجرائم القذرة. هذا ما جعل له اسماً لاماً في أواسط الشرطة، في الوقت الذي كان يثير حفيظة بعض أصحاب النفوذ السابقين.

هذا ما دفع رئيس التحقيق للاهتمام بهذا البلاغ، وتسخير كافة إمكاناته للعمل على الملف، بل وقرر أن يكون هو شخصياً قائداً لهذه العملية. كان (هنري مارفن) يضغط بالهاتف الجوال على أذنه ويتمشى في الحجرة ضاحكاً، في حين كانت تعابير وجهه تشير إلى مدى سعادته، ضحك بتوتر ثم برضاء، بينما كان يكور قبضة كفه اليسرى ويضرب بها في الهواء. تحولت نظراته اللامعة إلى (باري) و(برانداو)، ابتسما لهما دون أن يلاحظهما فعلاً.

كان (مارفن) يهاتف (رومَا).

وقد أبلغته (رومَا) أخباراً جيدة.

- «شكراً جزيلاً يا عزيزي المونسينيور (تيساني). أخبر قداسة البابا، أنه من عظيم الشرف بالنسبة لي وللجمعيَّة أن نقدم مثل هذه الخدمة للكنيسة الكاثوليكية المقدسة. وسأثبت لك أن البريتوريانين سيكونون على مستوى هذا الشرف».

أغلق (مارفن) الهاتف ثم ضحك بصوت عالٍ.

لم ينبع (باري) ببنت شفه. فقد كان (مارفن) متقلب المزاج كأنه (بريمادونا)، ومن المتوقع أن تقلب تلك البهجة في غضون ثوانٍ معدودة. ولكن لو أن كل شيء سار كما أراده (مارفن)، سيعمل هذا على تقوية موقفه. فقد تمكّن من خلال أعماله القدرة من إحراز هذا النصر.

- «أخيراً وأخيراً لقد كنت أعلم ذلك!». صفق (برانداو) عدة مرات ببيديه.

جلس (مارفن) على أريكته وتنحص الألماني بنظرات تقدير.

- «لقد قمت بعمل رائع يا (برانداو). اليوم أصبح بإمكاني الاعتراف بهذا، فعندما أتيت إلى قبل أكثر من ستة أشهر وقدمت لي ذلك العرض، توقفت أنك مجنون. ولكنك كنت على حق. فكان لا بد أن تقوم (روما) بإزاحتهم عن الطريق!».

- «أنا سعيد بتمكنك من تقديم مثل هذه المشاركة الكبيرة للبريتوريانين». قال (برانداو) ذلك في محاولة منه لتحصيل المزيد من التقدير.

- «ستكون مستقبلاً رئيساً لفرع البريتوريانين في ألمانيا» قال (مارفن) بنبرة متعالية «سوف أتم الإجراءات الخاصة بذلك فور نجاحي في الانتخابات. سوف يحضر البابا شخصياً إلى (فرنسا)...

«قداسة البابا؟»

- «نعم يا (برانداو). إنه سيحضر إلى (فرنسا). لقد أخبرني (تيساني) منذ قليل، أن قداسة البابا سيقوم غداً بزيارة إلى سردار كاتدرائية القديس (بنيويت سور لوار)، حيث سيقوم بتقديم إجلاله لبقاء رفاة القديس (بندكت). زيارة قصيرة خاصة دون إثارة أي ضجة!».

تضم الكاتدرائية، التي عادت لتعج بحياة الرهبانية منذ عام 1944

فقط، بقايا رفاة القديس (بندكت)، التي تم إنقاذهما من خلال نقلها في القرن السابع من (مونت كاسينو) إلى (فرنسا) لحمايتها من اللومبارديين. ابتسם (برانداو). فقد كانت (فونتينبلو) تقع شمال (سانت بينويت) وبهذا تكون عملياً على خط السير نفسه. أمر مرتب ببراعة. تبسم (مارفن) برضأ. وأخيراً تسير الأمور حسب رغبته. فباملاكه للقطع الأثرية أصبح قريباً جداً من تحقيق هدفه المتعلق بالفاتيكان. فبوجود (تسرن特 هاين) تحت الاسم المستعار (ريتسى) في قبضته، أصبح لديه كيش الأضحية الذي يمكنه تقديمها في حال حدوث أي أمر طارئ. ولكن حتى الآن، حسب ما أخبره به (برانداو) و(باري)، لم تتمكن الشرطة الألمانية من إحداث أي تقدم فيما يتعلق بحادثة (برلين) أو بالعملية التي تمت على الخط السريع. وفي غضون أيام ستتسى وسائل الإعلام تلك الحوادث. وطالما أن الشرطة الألمانية ما تزال تتخبط بالظلم، فإنها لن تقوم بتحريك الأمر. وحتى في حال اتجهت الأمور نحو الأسوأ، فإن (باري) سيقوم بتولي الأمر...

- «تبدو بائساً يا (باري)! ماذا لديك؟» رمق (مارفن) مدير الأمن خاصته بنظرات لامعة، الذي كان ما يزال يقف منتظراً أمام طاولة المكتب.

- «لقد اخترني (لافاليه).»

- «ماذا يعني هذا؟»

- «إنه لم يعد حتى الآن. لقد أراد أن يكون هنا في منتصف هذا النهار. إلا أنه لم يأت. حاولنا الاتصال به ولكنه لم يُجب». «

- «هل قمتم بالاتصال بالمطبعة؟»

- «الأمور تسير هناك على قدم وساق. فقد قام (لافاليه) بتسليمهم كتيبات الطباعة ليلة الأمس، ومنذ ذلك الحين تدور الآلات. وسيتم إرسالها في صباح الغد».

فَكَرْ (مارفن) بِغَيَابِ (لَا فَالِيهِ) «لَمْ يُسْتَطِعْ فَهُمْ تَصْرُفُهُ فِي الْأَمْسِ. إِنْ كَانَ ذِكْيَاً، فَإِنَّهُ سِيَقُومُ بِتَحْضِيرِ نَفْسِهِ لِمَا سَأَطَلَبُهُ مِنْهُ. وَلَا ...»

– «يَا لَهُ مِنْ مَكَانٍ مَعْزُولٍ. لَوْ أَنْ رَجُالَنَا تَسْلَقُوا الْأَشْجَارَ، سِيمَكِنُنَا ذَلِكَ مِنْ رَؤْيَةِ بَضْعَةِ أَمْتَارٍ فِي عُمْقِ الْأَرْضِ، وَذَلِكَ بِاستِخْدَامِ الْأَشْعَةِ تَحْتِ الْحَمَرَاءِ وَالْكَامِيرَاتِ، وَلَكُنَّا لَنْ نَتَمَكَّنُ أَبْدَأْ مِنْ رَؤْيَةِ الْمَبْنَى الرَّئِيْسِ». تَذَكَّرْ (سَانْتِير) تَحْلِيلَهُ فِي اجْتِمَاعِ الْمَعْسُكَرِ، الَّذِي يَحْدُدُ الْآنَ نَمْطَ تَصْرِفَاتِهِمْ.

– «كَيْفَ يَبْدُو الْوَضْعُ عِنْدَ بَوَابَةِ الدُّخُولِ؟» سَأَلْ (كَامِبْرَايِ) مِنْ خَلَالِ لَاقْطِ الصَّوْتِ.

– «الضَّيْوَفُ مَا زَالُوا يَتَوَافَّدُونَ. فَقَدْ وَصَلَتْ حَالًا إِحْدَى السَّيَارَاتِ. يَبْدُو أَنَّ الْمَكَانَ سَيَعْجَلُ بِالْزُّوَارِ».

نَظَرَ رَئِيسُ الْمَحْقُوقِينَ إِلَى الْأَعْلَى حِيثُ كَانَ الرَّجُلَانِ عَلَى سُطْحِ الْعَرْبَةِ، ثُمَّ رَفَعَ سَبَابِيَّةَ يَدِهِ الْيَمِنِيَّةِ كِيَاشَارَةٍ تَأْكِيدَ.

لَقَدْ اعْتَرَفُ لَهُمْ (لَا فَالِيهِ)، أَنَّ الْعَقَارَ مُحَاطٌ بِكَلَابِ الْحَرَاسَةِ الشَّرِسَةِ، إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ يَرُوُا أَيَّاً مِنْهُمْ حَتَّى الْآنِ. وَقَدْ عَزَّزُوا ذَلِكَ إِلَى تَوَافُدِ الضَّيْوَفِ فِي الْيَوْمِ التَّالِيِّ. فَأَرَادُوا اِنْتِهَازَ هَذِهِ الْفَرَصَةِ.

كَانَ (كَامِبْرَايِ) يَثْقِي بِقُدْرَةِ رَجَالِهِ عَلَى التَّخَلُّصِ مِنْ تَلْكَ الْكَلَابِ. فَ(سَانْتِير) الَّذِي انْضَمَ إِلَى الْفَهُودِ الْسَّوْدِ مِنْذُ عَشَرِ سَنَوَاتٍ، لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ يَقْدِرُ عَلَى إِخْرَاجِهِ عَنْ هَدْوَئِهِ، مِنْذُ أَنْ شَارَكَ يَا خَمَادَ تَمَرِدَ السُّجَنَاءِ فِي (مَارِسِيل)، حِيثُ لَقِيَ اثْنَانِ الْحَرَاسِ مَصْرِعَهُمَا، وَالَّذِي رَأَى الْمَوْتَ فِي كُلِّ دَقِيقَةٍ مَرَّتْ خَلَالِ عَمْلِيَّةِ تِبَادُلِ الْأَسْرَى. فَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ خَلَالِ يَوْمَيْنِ فَقَطْ أَنْ يَمْرِ بِعَمْلِيَّتِي إِعْدَامٍ وَهَمْيَتِينَ.

كَانَ وَجْهُهُ ذُو الْعَظَامِ الْبَارِزَةِ – الَّذِي يَمْتَلِكُ قُدْرَةَ السِّيَطَرَةِ عَلَى أَصْعَبِ الْمَوَاقِفِ مِنْ خَلَالِ صِبَرَهُ وَاحْسَاسِهِ الْعَالِيِّ – يَشِيرُ الرُّعْبَ فِي قُلُوبِ مُعْظَمِهِ مِنْ يَرَاهُ. بَلْ وَكَانَ الْكَثِيرُونَ يَتَهَمَّونَهُ بِالْعَنْفِ، بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ كَانَ فِي

حقيقة الأمر من أربع المفاوضين النفسيين، أما (فيكتور فايفر) فلم يمضي على انتسابه إلى الفهود السود إلا ثلاثة أشهر فقط، ويعتبر من أصحاب المهارات الوعادة. كان أصغر من (سانتير) بعشرة أعوام ويتمتع بديناميكية جسدية عالية، نادراً ما رأى لها (كامبراي) مثيلاً. فحتى الآن لم يتمكن أحد من أفراد الفهود السود من التغلب على (فايفر) بالمصارعات الفردية. كانت بشرته شديدة الغمقة وله عينان سوداوان تشعان كالجمر عند غضبه.

قفز (فايفر) أولاً فوق السور، وتدحرج بخفة على الأرض المفروشة بأوراق الأشجار الجافة في الناحية الأخرى. وحالما قفز (سانتير)، أنزلت حقائب الظهر خلفهما. امتصت أرض الغابة صوت ارتطام الحقائب. رفع الرجلان الحقائب على كتفيهما وتقديما داخل الموقع. كان (سانتير) يحتفظ بخارطة المكان في ذاكرته، ولهذا فقد توجه مباشرة باتجاه الغرب. كانت عتمة الليل على وشك أن تبتلع حمرة الشفق، فأرادا الاقتراب من المبنى الرئيس قدر المستطاع قبل بزوغ النور. بدأ (سانتير) المسير.

– لقد فقدت عليك.».

ابتسم (هيرونيموس) بينما كان يساعد البابا على النهوض.

– «هل مر وقت طويل وأنا في حالة إغماء».

– «ثوانٍ» تتم (هيرونيموس).

– «لقد انفجر شيء ما».

– «إنه المروحية الأخرى» أجاب (الجيدو كالفي) «لقد قام الفرنسيون بإرسال بعض رجالهم للاستطلاع والمساعدة. إضافة إلى أنهم طلبوا العون».

– «كيف نصل إلى ...».

– «عبر أطلال الكنيسة القديمة» قالت رئيسة الدير، التي وقفت

بملامح قلقة إلى جانب البابا «إنه طريق مختصر... ولكن إن أردتمأخذ
قسط من الراحة؟»

– «أرنا الطريق».

– «علي إطلاع قداستكم على أمر...»

– «نعم».

– «لقد تمكن أحد السجناء من الفرار. وكان قد أعطاني منذ مدة
طفلاً صغيراً، قمنا بإيقائه في سكني للحافظ عليه».

– «لقد خفت من عبئي» تهم البابا «شكراً. أرنا الطريق» التفت
البابا فجأة «ستبقون هنا» نظر إلى (تيساني) و(مارفن) و(باري).

– «هذا مخالف لاتفاقنا» اعترض (مارفن).

– «أطع» دوى صوت البابا بنبرة غاضبة «تقضي الثقة بكم!
(كالفي)».

نادى الحراس الشخصي للبابا ببعض الكلمات على (تروتيفنون)، الذى
قام رجاله بمنع (مارفن) من التقدم. لم ينتبه أحد لشئمه.
تابع (تيساني) بنظراته، المجموعة المسرعة باتجاه أطلال الكنيسة.
لم يلحظ، أن (هنري مارفن) و(باري) توجها فجأة عبر الساحة نحو الشرق.

الفصل الثامن والأربعون

الدير المنعزل في (فيرن)

سلسلة جبال (المور) الهضابية في جنوب (فرنسا)

صباح الأربعاء

قطعت المروحة المحروقة طريقهم إلى الشارع، ومن الناحية الأخرى يقود الطريق إلى سفح الجبل. لم يبقَ سوى مخرج واحد.

- «فلتحرك من هنا! لنصل إلى الأعلى!» أشار (كريس) إلى السلالم الخشبية التي تؤدي إلى الشرفة. دفع (ياسمين)، التي كانت تتمسك بشقيقها المرتعشة.

جرته اليidan الثقيلتان من شعره لتجبره على الوقوف. اهتز (كريس) فأنته ضرية من الخلف. بخطوات متغيرة سار خارجاً من باب الزنزانة. كانت البقعة الجافة والداكنة على الأرض تُذكّر بالمكان الذي تم فيه إعدام. كان الرجل ذو الشعر الناري أمامه بينما تبعه الرجل ذو وجه التاليل (باري). قادوه عبر الممر الرئيس إلى الخارج، وهناك اتبعوا ممراً صخرياً يؤدي إلى الأسفل. بعد ما يقارب المئة خطوة، توقفوا أمام بوابة حديدية. رأى (كريس) عدسة كاميرا مثبتة بالسقف.

دخلوا إلى غرفة أمامية، اتسعت بعد بعض خطوات لتصبح قاعة في أعماق الأرض.

كان ارتفاع القاعة يقارب الأربعة أمتار تقرباً، بينما لم يكن بالإمكان رؤية نهايتها التي غرفت في الظلام. يبدأ السواد بعد خطوات من صف للشمعدانات التي تحمل عشرات الشموع المضاءة. وكانت الظلال القاتمة تترافق على الجدران الصخرية الجرداء للقاعة. على الجانب الأيمن لمح (كريس) ثغرات، بدت في الظلال كأنها مداخل كهوف. إنها توابيت، فكر في نفسه، عندما أعاد النظر إلى تلك الشقوق العريضة الفامضة، التي اكتشف داخلها ثغرات رمادية قائمة.

كانت شعلات الشموع في الجانب الآخر من القاعة تترافق كأن تياراً من الهواء قد اندفع من مكان ما باتجاهها. دوت نغمات الأورغ العالية كالرعد في أرجاء القاعة، وهبطت فجأة حزمة ضوئية ساطعة على مقدمة مستطيل إلى الأرض. نحن أسفل الكنيسة، فكر (كريس)، وحدق باضطراب في البقعة المنارة بفعل الأضواء القوية.

تقدما إلى الأمام بفعل دفعه على ظهره. حول البقعة المضيئة رُتبت كراسٍ بشكل منتظم، وعلى مسافات متساوية البعض. تكومت بينها مجموعات مرتبة من الحجارة بارتفاع يصل إلى مستوى الركبة. كان كل من الحجارة بحجم كرة المضرب.

كان المستطيل غائراً بضعة سنتيمترات في الأرض ويتميز بسطحه المستوى تماماً، وناصع البياض كالثلج، عن بقية الأرض الحجرية المحيطة به.

قدر (كريس) مساحة ذلك المستطيل بطول خمس سنتيمترات وعرض عشر سنتيمترات. في وسطه امتدت حشوة بشكل عرضي. من وجهاً نظره بدا وراء الحشوة وفي الجزء الخلفي من ذلك السطح، كان صليباً طويلاً وضيقاً قد حُفر عليها.

توقع (كريس) أنه أمام قبر ضخم، ثم فكر إن كانت تلك المواد عبارة عن حجارة صخرية منحوتة أو أنها مصممة من مواد بلاستيكية. فجأة ظهر خيال من الظلام ووقف بين أعمدة الشمعدانات.

توقفت نعمات الأورغ.

تراقصت انعكاسات الأنوار على رداء الجوفة الكنسية الذي كان يرتديه (هنري مارفن). بينما كانت خيوط الذهب التي زينته تلمع تحت أضواء الشموع، وكانت بعض النقاط تُشع في الظلال، كأنها النجوم الساطعة في عتمة الليل.

تذكر (كريس) أثواب الملائكة التي كان قد رأها في طفولته على بعض الرسومات. إلا أن التطريز ذي اللون الأحمر الداكن على رداء (مارفن) بدد تلك اللوحة.

- «هل قمت بتأدية الصلاة؟» سأله (هنري مارفن) بينما كان يحدق في سجينه. «الماتوينا، صلاة الصباح الأولى. هل تلوت تلك الصلاة؟» كرر (مارفن) سؤاله عندما لم يقم (كريس) بأي ردة فعل.

هز (كريس) رأسه نافياً.

- «سأمنحك خمس دقائق لتأدية الصلاة، لتبدأ يومك الصعب بالذلل والشعور بالرهبة أمام رب».

- «وهل هذا مهم؟» فلم يقم (كريس) منذ طفولته بتأدية الصلاة.

- «بالنسبة لي، نعم» قال (مارفن) بصوت عالٍ كالرعد «لا بد من التمييز بين من يؤمن ومن لا يؤمن. فغير المؤمنين لا يُنتظرون أن يعاملوا بشفقة، فهم مطرودون من رحمة رب».

- «هل تعني أن غير المؤمنين يجب أن يعاملوا بطريقة أسوأ من المؤمنين؟»

- «لقد فهمت المقصود بشكل صحيح. والأسوء هم من خانوا الرب والعقيدة. فيجب أن يعاقبوا بغضب الرب الكامل».

- «أنا لن أصلّي لإله غاضب!».

أومأ (مارفن) لـ (باري). وفجأة دوى صوت محرك. انقسم اللوح الموجود على الأرض إلى نصفين من منطقة الحشوة، واحتفى جزءاً اللوحين عند مقدمة المستطيل تحت الأرض الصخرية.

شيئاً فشيئاً بدت حفرة في الأرض، التي كانت بعمق مترين ونصف، وبارتفاع وعرض وصل إلى حيث وضعت الكراسي تقرباً.

ففكر (كريس) بشكل تلقائي بحمام السباحة المفروش بالرمال. كانت الرمال صفراء اللون، ناعمة ومستوية كأنها شاطئ غير مأهول على أحد شواطئ بحر الجنوب.

أشار (مارفن) بيده اليمنى. عاد المحرك يدوي، فارتفع شبك معدني من الجانب الأيسر للجبهة الأمامية للحفرة.

صوت زقزقة العصافير أيقظ (جون سانتير) من شبه غفوته. فتح عينيه ونظر إلى (فيكتور فايفر) الذي كان جاثماً أمام إحدى الفتحات الموجودة في سور الأجراس، وينظر إلى الأسفل.

فرك (سانتير) عينيه وأخذ يتذكر ما فعلوه في الساعات الماضية. في البداية قاموا بإرسال رسالة بأنهم قد وجدوا المخبأ المناسب.

تمركزوا هناك بحالة انتظار، وقاموا بمراقبة المنطقة المحيطة بالمبني الرئيس مستخدمين أجهزة الرؤية الليلية. لاحظوا اثنين من الحراس الذين كانوا يحومون حول المنطقة في أوقات غير منتظمة، كما أنهم رأوا عدداً من الكلاب، التي كانت تخرج أحياناً من الغابة ويتسللون عبر المساحة الجرداء وتحت الأضواء كأنهم نمور في طريقها للصيد.

تم إطفاء آخر مصباح في المبنى الرئيس قبل ساعة تقريباً. وبعد انتظار دام ما يقارب نصف الساعة، استعد رجلاً فرقه النمر الأسود لاستكشاف الكنيسة.

سارعاً بالهبوط إلى صحن الكنيسة، وباشرًا بتفحص كل زاوية منه مستعينين بأجهزة الرؤية بالأشعة تحت الحمراء التي كانا يرتدانها على وجهيهما، كأنهما نظارات الغواصين. ثم تابعاً النزول على السلم الحجري حتى وصلاً إلى قاعة كبيرة توجد تحت الأرض. ما لفت نظرهما كانت تلك المساحة المستطيلة المحفورة على الأرض والمرizنة بذلك الصليب، التي كانت مضيئة وتحدها مجموعة من الكراسي المرتبة حولها.

كانت آلة التصوير الرقمية المثبتة على رأس (فيكتور) تقوم بإرسال الصور بشكل مباشر إلى مركز القيادة. عليهم أن يعرفوا أكثر عن ذلك المستطيل المضيء، هكذا كانت الأوامر الصادرة من مركز القيادة، إلا أنهم وبعد عدة دقائق تركوا المحاولة. فلم يستطعوا العثور على أي قبضة لإزاحة اللوح أو حتى فتحة ليتمكنوا من النظر من خلالها، إضافة إلى أنهم كانوا معرضين للإزعاج في أي وقت.

وفي النهاية قاموا بتنبيت آلات تصوير صغيرة للمراقبة في جميع أنحاء الكنيسة، وكذلك في القاعة التحت أرضية، وكانت تلك الكاميرات مجهزة بعدسات ذات زوايا كبيرة بحيث تستطيع تصوير المكان بالجمل. كان بإمكان ألات المراقبة تلك التي يتحكم بها عن بعد، العمل لمدة ست وثلاثين ساعة متواصلة بفضل تجهيزها بخلايا طاقة طويلة الأمد. كذلك تمكناً من العثور على الباب الحديدي الذي يوجد خلفه الممر الذي لا بد أنه يربط القاعة بالمبنى الآخر.

إلا أن رئيس المباحث (كامبراي) أمرهم بعدم عبور ذلك الباب، لأن (لافاليه) قد أخبرهم أن ذلك الممر مراقب بآلات المراقبة.

تسللاً عائدين إلى برج الأجراس وقد أيقنا أنهم لم يحصلوا على الكثير من المعلومات التي يحتاجانها.

كانت إدلةات (إريك مايكيل لافاليه) هي السبب الرئيس خلف قيامهما بهذه العملية. فهما لم يتمكنا من خلال مراقبتها الشخصية من معرفة قوة خصومهما من حيث العدد والعتاد والتسلیح. وكذلك لم يروا أي مسروقات هنا أو أنساس تم اختطافهم وسجنهما في هذا المكان.

ففقد معهما رئيس المباحث (كامبراي) من أي توسيع في بحثهما. حيث أنه رأى في مكانهما أعلى برج الأجراس موقعاً استراتيجياً في حال اتخاذه قرار مداهمة المكان. إن كان قاضي التحقيق سوف يصدر هذا القرار أم لا إضافة إلى توقيت ذلك، كان ما يزال أمراً مفتوحاً. ولهذا قد انسحب كل من (سانتير) (فايفر) إلى موقع المراقبة، وتباوا أوقات النوم.

الآن زحف (جون سانتير) إلى (فايفر)، الذي كان جائماً أمام فتحة السور يراقب المبني الرئيس، حيث تم للتو إضافة أول المصايبع هناك.

- «هل هناك ما يثير الاهتمام؟» سأله (سانتير).

- «لا شيء حتى الآن».

تسلل الليل هارباً ويفي شعاع من الشفق الأحمر يصارع قوة انبلاج النهار.

فجأة همس (فيكتور فايفر) بشيء ما. التقط (سانتير) منظاره العسكري وتمركز أمام فتحة أخرى من السور، وبدأ ينظر إلى الأسفل.

كان الرجل الذي ظهر في الساحة الأمامية للقصر، ممتنئاً الجسد وقوى البنية. كان يرتدي وشاحاً أبيض اللون تقريباً. وحسب وصف (لافاليه)، لا بد أن يكون هذا الرجل هو (هنري مارفن).

تقدّم رجالان ووقفا إلى جوار (مارفن). بدا كأنهم في حالة انتظار،

ولكن ما الذي كانوا ينتظروننه؟ وفجأة خرجم الكلاب من كل جانب من الغابة.

تصبب العرق على ظهر (سانتير)، حين لاحظ كمية العضلات التي تحملها أجساد تلك الحيوانات، التي حسب تقديره لم يكن وزن كل منها يقل عن الأربعين كيلو غراماً. تدللت الألسن من الأفواه نصف المفتوحة حين عدت تلك الكلاب بسرعة خيالية باتجاه الرجال الثلاثة.

عد (سانتير) سبعة كلاب. لم تكن أصواتهم تسمع، في حين أن زفقة العصافير الصباحية كانت تملأ أرجاء المكان.

انتظر (سانتير) قفzات تلك الحيوانات، ورأى أرجلها الخلفية المتغززة، وهُيئَ له أنها ستقوم برفع أجسادها بحركة سريعة ومفعمـة بالحماس في الهواء. إلا أن الكلاب وقفت بشكل مفاجئ أمام الرجال وجثمت على أرجلها الخلفية.

مر (مارفن) أمام صف الكلاب وأشار إلى الثنين منهم، قام أحد الرجال بربطهما فوراً بالسلسل. بينما سار الرجل الآخر مع بقية الكلاب باتجاه القصر.

رفع الكلب رأسه لالتقاط شيء من رائحة الأثر. ثم بدأ الحيوان بالتحرك، تقدم بشكل مباشر إلى وسط الحفرة، ووقف هناك. حضرت أرجله الآثار الأولى على رمال الحفرة. ارتجف (كريس).

كان ارتفاع ظهر الحيوان يصل إلى أكثر من ثلاثة أرباع المتر، بينما بدا شعره الرصاصي اللون، قصيراً وذا ملمس خشن وقاسٍ.

كان الرأس كبيراً وضخماً، بينما بدت خطوط التجاعيد الشديدة على جلده. وتدللت أذناه الصغيرتان المثلثتان على وجنتيه. خمن (كريس) وزن ذلك الحيوان بنحو سبعين كيلو غراماً.

- «إنه من سلالة الدرواس النابولية» قال (مارفن)، الذي كان يراقب ردود فعل (كريس) بكثير من السعادة.

- «حتى أن (ألكسندر) و(سيزر) كان لديهما كلاباً ضخمة ومخيفة، كانت تهاجم صفوف أعدائهم وتملؤهم رعباً وفزعأً. وهذا أحد أحفاد تلك الحيوانات. وذاك كذلك».

رأى (كريس) الكلب الثاني، الذي تقدم ببطء ليستقر وسط الحفرة أيضاً. كان كل شيء في ذلك الحيوان ينم عن قوته وليونته. كان يبدو أن الكلب الثاني يفوق الأول وزناً، كان أطول وذو فقص صدري عريض نطفي عليه العضلات القوية والبارزة. بدا الوجه الضخم مربعاً، بفعل الزاوية المنفرجة المنبثقة من منطقة الحاجز الأنفي المحيطة بالشفاه. وكان شعره ذو لون رملي.

- «إنه من نوع المستيف» قال (مارفن) بفخر. وقف الحيوانان في مكانهما بصمت نام، يحدقان دون حركة برأوس مرفوعة إلى الأعلى.

- «ما عسى هذا أن يكون؟» صاح (كريس) بغضب. تبسم (مارفن) بنسمة المنتصر ثم تحرك عدة خطوات، ووقف إلى جانب كومة الحجارة. حمل إحدى الحجارة وأخذ يهزها بيده ليُقدر وزنها. - «سيتم اليوم انتخابي كرئيس للبريتوريانيين. وسيبدأ البريتوريانيين غداً بخوض معركتهم المنظمة والغير مسبوقة ضد أعداء الدين. وبال مقابل لدينا حملتنا الدعائية المعلنة، التي تقوم من خلالها بنشر كلمة الله عن طريق الحوار وإظهار الحجج. إلا أن هذا كله مجرد البداية. فالأكثر عزماً بيننا، سيقومون بمواجهة التجديف بحمل غضب الله المُحق حول العالم».

- «ماذا تعني بهذا؟» سأله (كريس).

- «هناك من يرى أن كل كلمة هي تجديف بحق الله ((ومن جدف

على اسم الرب فإنه يقتل. يَرْجِمُهُ كُلُّ الجَمَاعَةِ رَجْمًا. الغَرِيبُ كَالْوُطْنِي
عِنْدَمَا يَجْدُفُ عَلَى الْاسْمِ يُقْتَلُ)) سَفَرُ الْلَّاوِيْنَ، الإِصْحَاحُ 24 الآية 16.».
حَدَقَ (كَرِيسُون) بِأَكْوَامِ الْحَجَارَةِ عَلَى حَافَّةِ الْحَفْرَةِ وَقَدْ أَدْرَكَ الْأَمْرَ.

– «أَنْتَ تَرِيدُ...»

أَوْمَأَ (مَارْفَنْ) بِجَدِيَّةٍ «الْمُخْتَارِيْنَ مِنَ الْبَرِيْتُورِيَّانِيْنَ سَيَقْوُمُونَ بِمَعَاقِبَةِ
الْمُجْدِفِيْنَ بِمَا يَسْتَحْقُونَهُ. كَمَا يَنْصُّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ الْمَقْدَسُ».
– «إِنَّكَ تَهْذِي حَتَّمًا».

– «(تَسْرِنَتْ هَايِنْ)، لَقَدْ قَمْتَ بِالتَّجَدِيْفِ عَلَى اسْمِ الْرَّبِّ!».
تَلَاقَتْ نَظَارَاهُمَا، لَكِنَّ (كَرِيسُون) تَحْدِي تَلْكَ النَّظَرَةَ الْقَاسِيَّةَ دُونَ أَنْ
يَخْفَضَ عَيْنِيهِ.

– «مَتِّي؟ وَكَيْفَ؟»

– «كَانَ (فُورْسْتَرْ) مَجْدُفًا عَلَى اسْمِ الْرَّبِّ. أَرَادَ خِيَانَةً كَلْمَةَ الْرَّبِّ
وَبِذَلِكَ الْرَّبِّ نَفْسَهُ. وَلَقَدْ اشْتَرَكَتْ مَعَهُ، سَاعَدَتْهُ، وَعَشَتْ مَعَهُ تَحْتَ سَقْفٍ
وَاحِدٍ، -بِصُورَةِ مَجَازِيَّةٍ».

أَوْمَأَ (مَارْفَنْ) بِجَدِيَّةٍ، كَأَنَّهُ يَنْصُّ إِلَى كَلْمَاتِهِ مِنْ خَلَالِ صَدِى
صَوْتِهِ.

– «إِلَّا أَنْتِي أَرِيدُ قَبْلَ ذَلِكَ مَعْرِفَةً أَمْرًا، وَلَهُذَا سَيَقْرَرُ الْرَّبِّ إِنْ كَانَ
سَيِّبُ الرَّحْمَةِ».

– «هَلْ سَتَقْوُمُ بِنَصْبِ هَذَا السَّيِّرِكَ الْكَبِيرِ هُنَا، لِمَجْرِدِ رَغْبَتِكِ
بِالْحَصُولِ عَلَى بَعْضِ الإِجَابَاتِ؟» أَلْقَى (كَرِيسُون) نَظَرَةً سَرِيعَةً إِلَى الْكَلْبَيْنِ.
«يَامَكَانِي الْفَهْمُ بِتَلْكَ الطَّرِيقَةِ أَيْضًا».

– «لَا يَبْدُو لِي أَنْكَ فَهْمَتِي. إِنَّكَ حَتَّمًا تَعْرِفُ قَصَّةَ (دَانِيَالَ) فِي حَفْرَةِ
الْأَسْوَدِ؟ لَقَدْ تَمَ الْأَفْتَرَاءُ عَلَى (دَانِيَالَ) وَقَدْ نَجَا مِنَ الْمَوْتِ فِي حَفْرَةِ الْأَسْوَدِ،
الَّتِي أَمْرَ الْمَلِكَ الْفَارَسِيَّ (دَارِيُوسُون) بِإِلْقَائِهِ دَاخِلَهَا. إِلَّا أَنَّهُ نَجَا بِفَضْلِ ثَقْتِهِ

بالتله. بينما قامت الأسود بتمزيق أجساد الذين افتروا عليه، حين تم القاؤهم في حفرة الأسود بعد تلك الليلة.».

انحنى (مارفن) بشكل مفاجئ إلى الأمام وأمسك بقوه بذراع (كريس) وقام بالضغط عليها.

- «سيظهر يا (تسربت هاين)، إن كنت ابنًا للرب أم أنك من المفترين».

- «إنك شخص مريض!». ارتعدت أرجل (كريس).
ضحك (مارفن) بشكل شرير، ثم أخرج هاتفًا جواً من جيبه، كان هاتف (كريس) الذي سلمه له (باري) آنفاً.

- «أريد الحصول على إجابات لأسئلتي». قال (مارفن) بصوت راعد، تردد في أرجاء القاعة، كأنهم في كهف جبلي. «هناك رسائل مسجلة على الهاتف. وأنا لا أريد سماع أي قصص كاذبة. ولا حتى للحظة واحدة. انزل إلى الأسفل!».

أشار (مارفن) إلى الحفرة، ووجه (باري) فوهه مسدسه إلى رأس (كريس).

- «مستحيل!» هز (كريس) رأسه بشدة «مستحيل!».
تلقي (كريس) ضربة مفاجئة على مؤخرة رأسه جعلته يسقط على ركبتيه. قام الرجل ذو الشعر الناري والآخر ذو وجه التاليل بإمساكه وجره إلى حافة الحفرة. فجأة حللت الأصفاد التي كانت تكبل يديه، ثم شعر بذلك الشعور الفريد في حالة السقوط. هوى إلى أرض الحفرة على وجهه وامتلاكه بالرمال.

تدحرج (كريس) مصدراً أذيناً، ثم بصدق الرمال خارج فمه. كانت الكلاب تراقبه، إلا أنها لم تتحرك ولا حتى سنتيمتراً واحداً من أماكنها. وقف، وأدارت الكلاب رؤوسها مجدداً باتجاه حافة الحفرة.

- «إنك مدرب بشكل ممتاز يا (تسرن特 هاين)» نظر (مارفن) إلى الأسفل حيث كان (كريس) «في الحقيقة كان من المفترض أن يثبت (لافاليه) ولاءه للبريتوريانيين من خلالك. أتذكر هذا؟ إلا أن الجبان قد فرّ، واختفى في مكان ما.

- «آه! لقد أدركت إذاً!» ضحك (مارفن) ببرضاً «هل قمت بإيقاظ إحدى نقاط الضعف لديك يا (تسرن特 هاين)! الخوف من الكلاب!».

- «ومن ذا الذي لا يخشى تلك الوحوش؟»

- «يوجد ما هو أسوء يا (تسرن特 هاين)، صديقني يوجد ما هو أسوء. الرجم على سبيل المثال» ضحك (مارفن) بصوت عالي.

- «أخبرني ما تريده (ياسمين).»

- «أنا لا أفهم ما تعني». تقلص وجه (كريس).

أعطى (مارفن) إشارة على (باري)، الذي قام بدوره بفتح الرسائل الأخيرة الواردة إلى صندوق البريد الصوتي الخاص بهاتف (كريس) ورفع الصوت إلى أعلى درجة.

كان صوت (إينا) يبدو متوتراً ومنزعجاً. حيث أرادت أن ترتب معه برنامج رحلات العمل لهذا الأسبوع وكشفت نبرة صوتها عن مدى حنقها لأنه لم يكن يجيب على اتصالاتها المتكررة. وأنه تركها لتحمل مشاكل شركته الخاصة بمفردها.

- «لقد عرفت ذلك» أجاب (مارفن) بصوت بارد «إلا أنه عليك أن توضح لي معنى الاتصال التالي».

ضغط (باري) على أحد المفاتيح.

- «(كريس)، أنا (ياسمين). لماذا لا تجيب على هاتفك؟ أنا الآن مجدداً في (صوفيا أنتيبولس...)، إنها تقع في (فرنسا) قرب مدينة (كان).

شقيقتي (آنا) موجودة هنا أيضاً. أنا لم أخبرك بذلك من قبل... إن ابنها مريض جداً. وأنا موجودة في المستشفى التابع لـ (تيسابي)... صمت.

«لقد قام (واين) بعمل فظيع... وأحضارونا إلى هنا بسبب العينات الخاصة بك... أنا بحاجة لمساعدتك. فلقد تكاثرت عينة التي أخذناها من الطعام التي أحضرتها و... ما عساي أن أقول؟ وإن كان كل ذلك صحيحاً، فستكون إكتشاف القرن. ييدو... اللعنة... والآن هاين ولائك الأوغاد يخططون لـ... إتصل بي! لقد أخذوا مني هاتفي الخلوي. عليك الاتصال بشقيقتي (آنا)!» ثم ثلت رقم الهاتف «لماذا لا تجيب على هاتفك؟ أنا بحاجة للمساعدة! وإن لم تقم بالاتصال فلن أغفر لك ذلك أبداً!».

- «تسربت هاين، لقد قمت بالتجديف على اسم الرب!». تلاقت نظراتهما، لكن (كريس) تحدى تلك النظرة القاسية دون أن يخوض عينيه.

- «متى؟ وكيف؟».

- «كان (فورستر) مجدفاً على اسم الرب. أراد خيانة الكلمة الرب وبذلك الرب نفسه. ولقد اشتركت معه، ساعدته، وعشت معه تحت سقف واحد، بصورة مجazية».

أوماً (مارفن) بجدية كأنه ينصلت إلى كلماته من خلال صدئ صوته.
- «إلا أنني أريد قبل ذلك معرفة أمر ما، ولهذا سيقرر الرب إن كان سيهب الرحمة».

- «هل ستقوم بنصب هذا السيرك الكبير هنا، مجرد رغبتك بالحصول على بعض الإجابات؟» ألقى (كريس) نظرة سريعة إلى الكلبين.
«يامكاني الفهم بتلك الطريقة أيضاً».

- «لا ييدو لي أنك فهمت. إنك حتماً تعرف قصة (دانيال) في حفرة

الأسود؟ لقد تم الافتاء على (دانيا) وقد نجا من الموت في حفرة الأسود، التي أمر الملك الفارسي (داريوس) بياقائه داخلها. إلا أنه نجا بفضل ثقته بالله. بينما قامت الأسود بتمزيق أجساد الذين افتروا عليه، حين تم إلقاءهم في حفرة الأسود بعد تلك الليلة.».

انحنى (مارفن) بشكل مفاجئ إلى الأمام وأمسك بقوته بذراع (كريس) وقام بالضغط عليها.

- «سيظهر يا (تسربت هاين)، إن كنت ابناً للرب أم أنك من المفترين.».

- «إنك شخص مريض!» ارتعدت أرجل (كريس). ضحك (مارفن) بشكل شرير، ثم أخرج هاتفاً جواؤاً من جيبه، كان هاتف (كريس) الذي سلمه له (باري) آنفاً.

- «أريد الحصول على إجابات لأسئلتي» قال (مارفن) بصوت راعد، تردد في أرجاء القاعة كأنهم في كهف جبلي. «هناك رسائل مسجلة على الهاتف. وأنا لا أريد سماع أي قصص كاذبة. ولا حتى للحظة واحدة. انزل إلى الأسفل!».

أشار (مارفن) إلى الحفرة، ووجه (باري) فوهة مسدسه إلى رأس (كريس).

- «مستحيل!» هز (كريس) رأسه بشدة، «مستحيل!». تلقى (كريس) ضربة مفاجئة على مؤخرة رأسه جعلته يسقط على ركبتيه. قام الرجل ذو الشعر الناري والآخر ذو وجه التاليل بامساكه وجره إلى حافة الحفرة. فجأة حُلت الأصفاد التي كانت تكبل يديه، ثم شعر بذلك الشعور الفريد في حالة السقوط. هوى إلى أرض الحفرة على وجهه وامتلاكه بالرمال.

تدرج (كريس) مصدراً أثيناً، ثم بصف الرمال خارج فمه. كانت

الكلاب تراقبه، إلا أنها لم تتحرك ولا حتى سنتيمتراً واحداً من أماكنها. وقف، وأدارت الكلاب رؤوسها مجدداً باتجاه حافة الحفرة.

ـ «إنك مدرب بشكل ممتاز يا (تسرن特 هاين)» نظر (مارفن) إلى الأسفل حيث كان (كريس) «في الحقيقة كان من المفترض أن يثبت (لافاليه) ولاءه للبريتوريانيين من خلالك. أتذكر هذا؟ إلا أن الجبان قد فرّ، واختفى في مكان ما. ولكنه هو أيضاً لن يستطيع الإفلات من مشيئة الرب. وسنكتشف الآن إن كنت ممن سيشملهم الرب برحمته...» ابتسם (مارفن) بقرف.

ـ «ما علي أن أفعل الآن، حتى...»
عندما قال الرب: ((انظر، لديك القوة، وبالرغم من ذلك فإنك إنسان وستبقى كذلك. سأهبك ألفاً وخمس مئة عام، حتى تعيش وتتحقق إرادتي من خلالك. وفي نهاية أيامك سوف تصل روحك إلى السماء)).

وضع (كريس) بتفكير، الورقة على اللوح.

ـ «من خلال هذا تستربط مهمتك؟»
صمت البابا.

ـ «ذلك الإيتانا كان راعياً سومرياً! أنت رأس العالم الكاثوليكي».
حدق البابا بصمت إلى الألواح.

ـ «قداسة البابا، أعني، عليه أن يفهم أي صليب ذاك الذي تحمله»
انتظر (هيرونيموس) قليلاً، ثم استدار نحو (كريس) «عليك تفسير النص في سياق الأسس الضرورية للعقيدة المسيحية، إن أردت فهم البابا».
ـ «ساعدني، فأنا لست متمكناً فيما يخص الكتاب المقدس» تردد (كريس).

الفصل التاسع والأربعون

الدير المنعزل في (فيرن)

سلسلة جبال (المور) الهضابية في جنوب (فرنسا)

صباح الأربعاء

- «هل فهمت ما يحاولون الإشارة إليه بشكل صحيح؟» نظر (كريس) إلى (ياسمين)، التي تعلقت عينها بشفاه الراهن. كان (ماتياس) يتنفس بانتظام أثناء نومه بسلام على جنبه الأيمن، ساعده الأيمن على ملاعة السرير. ومن حين لآخر كانت يده الصغيرة ذات الجلد الطفولي الباهت ترتعش.

تذكريت نظراته اللامعة عندما كان يحدثها عن ذلك، فانبعت الدموع في عينيها. وضعت يدها على يده مدة وجيزة، وأعطته عهداً بصمت. ثم سرعان ما انسجحت عائدة إلى الممر.

كانت (آنا) تقام في غرفة مجاورة، حتى تكون إلى جانب الصبي عندما يحتاج إليها. سارت (ياسمين) على رؤوس أصابعها متقدمة نحو السرير، حيث كانت (آنا) غارقة في النوم وقد لفت أغطية السرير حول جسدها بقوة. نقرت (ياسمين) على كتف شقيقتها، ثم هزتها بقوة.

فتحت (آنا) عينيها ثم هبت جالسة على السرير وأطلقت صيحة مذعورة.

وَضَعْتُ (يَاسْمِينَ) يَدَهَا عَلَى فَمِ شَقِيقَتِهَا.

ـ «هَدَئِي مِنْ رَوْعَكَ، أَنَا هُنَا فَعَلَّاً، أَخْفَضُ صَوْتِكَ!».

اَحْتَاجَتْ (يَاسْمِينَ) إِلَى عَشْرِ دَقَائِقٍ مِنَ الزَّمْنِ لِتَشْرُحَ لـ (آنَا) سَبَبَ عَوْدَتِهَا الْمُفَاجَّةُ إِلَى (أَنْتِي بُولِيسِ). هَرَّتْ (آنَا) رَأْسَهَا بِاسْتِمْرَارٍ مُعْبَرٍ عَنْ دُمُّهَا لَمَّا يَحْدُثُ.

ـ «هَلْ يَتَوَجَّبُ عَلَيْكَ أَنْ تَشْحُنِي حَيَاتِكَ بِالْمُزِيدِ مِنَ الْمُشَاكِلِ؟ أَلَمْ تَعْانِي عَائِلَتِنَا بِمَا فِيهِ الْكَفَايَةِ؟»

صَمَمْتَ (يَاسْمِينَ) وَقَدْ ضَنْفَطَتْ شَفَّافِيَّهَا عَلَى بَعْضِهِمَا. كَانَ قَلْبُهَا يَنْبَضُ بِسُرْعَةٍ كَذَلِكَ الشَّعُورُ الَّذِي اَنْتَابَهَا أَثْنَاءَ وُجُودِهَا تَحْتَ تَلْكَ النَّافِذَةِ. لَا يَجُدُّرُ بِهَا إِخْبَارُ (آنَا) بِمَا سَمِعَتْهُ هُنَاكَ، فَهِيَ لَا تَحْتَاجُ لِحَمْلِ الْمُزِيدِ مِنَ الْأَعْبَاءِ عَلَى كَاهْلَهَا.

وَلَهُذَا شَدَّتْ جَسَدَهَا، وَمَسَحَتْ بِيَدِهَا بِلَطْفٍ عَلَى ذَرَاعِ شَقِيقَتِهَا، «لَقَدْ نَسِيَتْ هَاتِفِي الْجَوَالِ، وَعَلَيَّ أَنْ أَجْرِيَ اِتْصَالًا مُهَمًا... كَيْفَ حَالُ (مَاتِيَّاسِ)؟»

ـ «لَمْ يَبْدُ الطَّبِيبُ بَعْدَ. فَهُوَ لَا يَزَالْ يَؤْجِلُ الْمَبَاشِرَةَ بِعَمَلِيَّةِ الْعَلاجِ».

ـ «هَلْ قَامَ بِإِطْلَاعِكَ عَلَى السَّبَبِ؟»

ـ «لَمْ أَفْهَمْ مَا قَالَهُ، لَقَدْ كَانَ كُلُّ شَيْءٍ وَاضْحَىًّا. وَلَكِنَّهُ الْآنَ يَرْدَدُ دَائِمًا أَنَّهُ مَا يَزَالْ بِانتِظَارِ الْحُصُولِ عَلَى النَّتَائِجِ».

ـ «إِنَّهُ يَنْتَظِرُ بِشَجَاعَةٍ» - اَبْتَلَعَتْ (آنَا) رِيقَهَا - «(يَاسْمِينَ)... يَبْدُو لِي أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ هُنَا أَصْبَحَ غَرِيبًا نَوْعًا مَا. فَهَذَاكَ الطَّبِيبُ (دُوفُور) غَدَّا غَارِقًا فِي التَّفْكِيرِ وَمُتَرَدِّدًا، بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ كَانَ مُتَفَاقِلًا جَدًا فِي الْبَدَائِيَّةِ. إِنَّهُ يَتَحَدَّثُ عَنْ فَحْوَصَاتٍ جَدِيدَةٍ، وَقَدْ أَبْدَأَ قَلْقَهُ حَوْلَ مَا إِذَا كَانَ هَذَا النَّوْعُ مِنَ الْعَلاجِ هُوَ الْمَلَائِمُ فَعَلَّاً لِحَالَةِ (مَاتِيَّاسِ). فِي حِينَ أَنَّهُ قَالَ أَنَّ هَذَا النَّوْعَ مِنَ الْعَلاجِ مَا يَزَالْ فِي طُورِ التَّجْرِيَّةِ... وَ(مَاتِيَّاسِ) يَشْعُرُ بِكُلِّ هَذَا.

لقد أخبرنياليوم أنهم هنا لن يتمكنوا من مساعدته... هل بإمكان طفل
أن يشعر بمثل هذا؟

كانت (ياسمين) على حافة الانهيار. بصعوبة كافحة ارتعاشة قدميها
«هل ساءت حالته؟»
أومأت (آنا).

ـ «سأتحدث غداً مع الدكتور (دوفور). وسيخبرني عن ما يحدث.
ففي النهاية نحن نعمل في المؤسسة نفسها»ـ أجبرت (ياسمين) نفسها على
النظر إلى شقيقتهاـ «ولكن على الآن إجراء اتصال مهم بخصوص الأمور
الأخرى. أنت طبعاً تحملين هاتفك الجوال معك؟»
نظرت (آنا) إليها بدهشة.

ـ «أرجوك... إنه بخصوص أمر مختلف تماماً... وانه مهم للغاية!»
أمور متعلقة بالرجال» أردفت قائلة حين لاحت نظرات الشك في عيني
شقيقتها.

استدارت (آنا) إلى الخلف، وأخرجت هاتفها الجوال من درج الطاولة
المجاورة لسريرها.

أعملت (ياسمين) الجهاز وانتظرت حتى يتم إظهار خدمة شبكة
الاتصالات الفرنسية. ثم طلبت رقم الهاتف الجوال الخاص بـ (كريس)،
الذى قرأته من الورقة التي انتزعتها بشكل غريزي من دفتر الهاتف
الخاص بها حين كانت في مدينة (دريسدن)، قبل أن يجردوها من
حقيبتها الخاصة. كانت سعيدة باحتفاظها بعادتها القديمة، وذلك بكتابة
أرقام الهواتف على دفتر خاص وعدم الاكتفاء بتسجيلها على جهازها
الخلوي فقط.

سيساعدنا! يجب عليه أن يساعدنا!
إلا أن أملاها كان يتبدد مع كل رقة سمعتها لهاتفه.

- «اللعنة!» زفرت (ياسمين) وقد حاولت منع دموعها من أن تنهمر عندما سمعت المجيب الآلي على الطرف الآخر.

حاولت مرة أخرى، ثم تركت له رسالة مسجلة.

راقبتها (آنا) بعينين مفتوحتين بتعجب. وبالرغم من أنها كانت تتحدث اللغة الألمانية بشكل جيد جداً، إلا أنها لم تتمكن من فهم أي من تلك الرسالة التي تركتها شقيقتها بغضب وتوتر على المجيب الآلي.

- «إن لم يقم بأي رد فعل على ذلك...» نفثت (ياسمين) بنبرة متوجدة، ثم قامت بإغلاق جهاز الهاتف المحمول. «فسينتهي كل شيء حتى قبل أن يكون قد بدأ».

في هذه الأثناء فتح الباب بعنف ودخل (سولفان) إلى الغرفة وقد رسمت على شفتيه ابتسامة باردة.

كان (إريك مايكيل لافاليه) متوتراً حين عبر البوابة الحديدية المزخرفة لقصر العدل في شارع القصر. فقد غادر (فونتينبلو) مساء الأحد ومعه الطبعات الأخيرة لتصاميم الكتبيات التي وافق عليها (مارفن).

وقف أمام المبنى الضخم للعدالة، وكان يرتجف بمجرد تفكيره بالساعات الأخيرة التي قضتها في (فونتينبلو). وقد بدا له في طريق العودة كم أنه بعيد عن كل ما كان يخطط له ويفعله (هنري مارفن).

فقد قضى جُل ليلته يقظاً ومرتعداً لمجرد تفكيره في عودته القريبة.

- «سأحتفظ به لك يا (لافاليه). عليك أن تثبت أنك ستكون بريورياني مخلص» نظرات (مارفن) الباردة لم تتمكنه من الخلو إلى النوم مطلقاً.

أعطى (لافاليه) دفعة لنفسه، ودخل إلى قصر العدل. قام بالبحث في القاعة ذات الأعمدة إلى أن وجد مكتب الاستعلامات، حيث سُئل عن قاضي التحقيق.

- «قانون مدنی أم جنائي؟»

- «جنائي» تتم (لافاليه) بتزدد . أرشده الحاجب إلى الطريق، فسار عبر ممرات طويلة ثم دخل أخيراً مكتب قاضي التحقيق. كان (موريس آلازارد) قصير القامة، ونحيلأ، ومجهداً للغاية؛ لأنه عمل في عطلة نهاية الأسبوع على ترتيب ملفات إحدى أكبر فضائح الفساد. لهذا بدت له زيارة ذلك الشخص، الذي أتى لغرض لا يعرفه، على نحو غير ملائم.

كان (آلازارد) يتقن عمله على نحو محترف ولم تكن الأسماء الكبيرة ترعبه. ولقد تسبب إدمانه على العمل في فشل حياته الزوجية. حيث أنه كان شديد البخل فيما يخص بذل المزيد من المال لتحسين مظهره الخارجي، فقد تعود منذ سنين على ارتداء القمصان غير المكوية. ولهذا قام قاضي التحقيق بالترحيب بـ (لافاليه) على نحو بارد، ودعاه للجلوس إلى الطاولة المفمورة بأكواخ من الملفات.

- «نحن غارقون في العمل. يبدو كأنه لم يبق سوى المجرمين في هذا العالم؛ لهذا يبدو الوضع على هذه الحال هنا». قال متثائباً. تلعم (لافاليه) في البداية ثم طلب التعامل مع القضية بمنتهى السرية. وعندما استمر في تردداته حتى بعد أن ضمن له (آلازارد) ذلك، نهض (آلازارد) واقتصر خلف طاولة مكتبه.

- «إن لم يكن بإمكانك الوثوق بي فإني لن أستطيع مساعدتك. لذلك أرجوك أن تغادر ولا تهدر وقتني».

بدأ ذلك أسلوبه في دفع زواره للإدلاء بما لديهم. وفي غضون دقائق استطاع استخراج كل ما لدى (لافاليه) من معلومات حول القضية.

في البداية كش رووجه، فلقد بدا له الأمر كأنه يدور حول سرقة

أننيقة، حتى وإن كان الأمر يدور حول سرقة عشر صحائف مما يعرف بين الأوساط المختصة بـ(كتاب حلب المقدس).

أنصت قاضي التحقيق بشكل جيد حين ادعى (لافاليه) أن تلك الأرض تخضع لحراسة مشددة من قبل جيش خاص مدمج بالسلاح الثقيل. وأن مرتزقة من جميع أنحاء العالم يقومون باختطاف وقتل أناس هناك. وبعد ما يقارب نصف الساعة، بدأ (موريس آلازارد) بطرح الأسئلة. كان (آلازارد) يشكك مبدئياً بكل نوع من أنواع السلطة سواء كانت على أساس حكومي، أو عقائدي، أو اقتصادي. لم يحتاج لأكثر من عشرة أسئلة ليتمكن من تلخيص القذارة المذهلة والمؤثرة إعلامياً. مجموعة منظمة من المجرمين، الذين يتمتعون بشبكة تواصل عالمية، يختبئون تحت عباءة جمعية دينية مسيحية ويقيمون في بناء عظيم قرب (باريس)، يخططون لهجمات إرهابية.

في حالة من الذعر، التقط سماعة الهاتف.

اثنتان من مجموعاته كانتا يؤديان مهمة في (مارسيل)، وهي عبارة عن مراقبة لأحد طرق مهرب المخدرات التي تم إبلاغهم عنها من قبل منافسيه. بينما كانت إحدى الفرق في (فريسن) لإنها تمرد في أحد السجون، حيث كان وجود رجاله فحسب كفيلة بإجبار اثنين من المجرمين المتهمين بجريمة القتل لفرض السرقة بتسليم نفسيهما. في حين كان له فريقاً آخر، ذو إمكانيات محدودة، حيث أن أخصائيي التصنت خاصته في (ستراسبورغ) كانوا مشغولين في مهمة إثبات تورط أحد أعضاء البرلمان الأوروبي في قضية فساد.

كان كل شيء يجري على ما يرام، فكر (بول كامبراي). الذي كان ينتمي للسبعين الأوائل الذين انضموا إلى (الفهود)، حيث تم اختياره من بين ألف ومئتي متطلع تقدموا للانتساب في مرحلة التأسيس.

كان (كامبراي) قريباً من الخمسين، طويل وقوى، وله وجه ملفت ذو أنف بصلٍ ضخم. في البداية كانت التعليقات تزعجه ولكن مع مرور الوقت أصبح يتقبل ذلك الأنف كعلامة فارقة.

أعاد قراءة الرسالة عدة مرات، ثم هز رأسه مستكراً. فقد كانت أمراً معتاداً، فهي الغلطة النمطية للطرف الآخر.

حيث يعتقد أن السلاح سيحميهم. في حين أن هذا هو بالضبط الأمر الذي لا يمكن لأي شرطي على وجه الأرض أن يتقبله. فالسلاح يعني في الوقت نفسه تشكيل خطر على حياة حامله أيضاً. ولهذا، لا بد من القيام برد فعل قوية ومناسبة على مثل هذا التصرف. كان (الازارد) قاضي تحقيقات يمكن الاعتماد عليه، رجل لا يخشى اقتحام الأبواب المغلقة وخصوصاً عندما يتعلق الأمر بالجرائم القدرة. هذا ما جعل له اسماً لاماً في أوساط الشرطة، في الوقت الذي كان يثير حفيظة بعض أصحاب النفوذ السابقين.

هذا ما دفع رئيس التحقيق للاهتمام بهذا البلاغ، وتسخير كافة إمكاناته للعمل على الملف، بل وقرر أن يكون هو شخصياً قائداً لهذه العملية.



كان (مارفن) يهاتف (روما).

وقد أبلغته (روما) أخباراً جيدة.

- «شكراً جزيلاً يا عزيزي المونسينيور (تيساني). أخبر قداسة البابا، أنه من عظيم الشرف بالنسبة لي وللجمعية أن نقدم مثل هذه الخدمة

للكنيسة الكاثوليكية المقدسة. وسأثبت لك أن البريتوريانين سيكونون على مستوى هذا الشرف.».

أغلق (مارفن) الهاتف ثم ضحك بصوت عالٍ.

- «لقد نجحت! حان الوقت! كان هذا المؤسنيور الطيب (تيساني). لقد تحدث مساء الأمس، حال عودته، مع البابا. ومنذ قليل تم استدعاؤه مجدداً من قبل قداسة البابا. الرجل العجوز متهمس جداً للحصول على تلك الآثار. أصبح رسم البريتوريانين كأخوية خاصة أمراً مفروغاً منه» ضحك (مارفن) مجدداً.

لم ينبع (باري) بذكاء شفه. فقد كان (مارفن) متقلب المزاج كأنه (بريمادونا)، ومن المتوقع أن تقلب تلك البهجة في غضون ثوانٍ معدودة. ولكن لو أن كل شيء سار كما أراده (مارفن)، سيعمل هذا على تقوية موقفه. فقد تمكّن من خلال أعماله القدرة من إثبات هذا النصر.

- «وأخيراً! وأخيراً! لقد كنت أعلم ذلك!» صفق (برنداو) عدة مرات ببيديه.

جلس (مارفن) على أريكته وتفحص الألماني بنظرات تقدير.

- «لقد قمت بعمل رائع يا (برنداو). اليوم أصبح بإمكانني الاعتراف بهذا، فعندما أتيت إلي قبل أكثر من ستة أشهر وقدمت لي ذلك العرض، توقعت أنك مجنون. ولكنك كنت على حق. كان لا بد أن تقوم (روما) بإزاحتهم عن الطريق!».

- «أنا سعيد بتمكنك من تقديم مثل هذه المشاركة الكبيرة للبريتوريانين». قال (برنداو) ذلك في محاولة منه لتحصيل المزيد من التقدير.

- «ستكون مستقبلاً رئيساً لفرع البريتوريانين في ألمانيا» قال

(مارفن) بنيرة متعلالية «سأتم الإجراءات الخاصة بذلك، فور نجاحي في الانتخابات. سيحضر البابا شخصياً إلى (فرنسا)...»
- «قداسة البابا؟»

- «نعم يا (برانداو). إنه سيحضر إلى (فرنسا). لقد أخبرني (تيساني) منذ قليل، أن قداسة البابا سيقوم غداً بزيارة إلى سرداد كاتدرائية القديس (بينويت سور لوار)، حيث سيقوم بتقديم إجلاله لبقايا رفاة القديس (بندكت). زيارة قصيرة خاصة دون إثارة أي ضجة!».

تبسم (مارفن) برضاء. وأخيراً تسير الأمور حسب رغبته. فبامتلاكه للقطع الأثري أصبح قريباً جداً من تحقيق هدفه المتعلق بالفاتيكان. بوجود (تسرنط هاين) تحت الاسم المستعار (ريتسى) في قبضته، أصبح لديه كبس الأضحية الذي يمكنه تقديمها في حال حدوث أي أمر طارئ. ولكن حتى الآن، حسب ما أخبره به (برانداو) و(باري)، لم تتمكن الشرطة الألمانية من إحداث أي تقدم فيما يتعلق بحادثة (برلين) أو بالعملية التي تمت على الخط السريع. وفي غضون أيام ستتسى وسائل الإعلام تلك الحوادث. وطالما أن الشرطة الألمانية ما تزال تتخطى بالظلام، فإنها لن تقوم بتحريك الأمر. حتى في حال أن الأمور اتجهت نحو الأسوأ، فإن (باري) سيقوم بتولي الأمر...»

- «تبدو بائساً يا (باري)! ماذا لديك؟» رمق (مارفن) مدير الأمن خاصته بنظرات لامعة، الذي كان ما يزال يقف منتظرأً أمام طاولة المكتب.
- «الأمور تسير هناك على قدم وساق. فقد قام (لافاليه) بتسليمهم كتيبات الطباعة ليلة الأمس، ومنذ ذاك الحين تدور الآلات. وسيتم إرسالها صباح الغد».

فكر (مارفن) بغياب (لافاليه) «لم يستطع فهم تصرفه في الأمس. إن كان ذكياً، فإنه سيقوم بتحضير نفسه لما سأطلبه منه. والا...»

- أو ما كل من (جون سانتير) و(فيكتور فايفر) لرئيسهما للمرة الأخيرة.
- «حظاً موفقاً!» تتم (بول كامبراي)، عندما تسلق الرجلان السلم الحديدي إلى سطح العربة. كانت العربية تقف مباشرة بين الأشجار بمحاذة سور المعدني الذي يصل ارتفاعه إلى مترين ونصف، ويحيط عند هذا الموقع بعقار البريتوريانيين. بينما ريض رجل ثالث من الفهود السود على سطح العربة ممسكاً بيديه حقيبتي ظهر كبيرتين، ليحملها الرجلان الآخرين معهما إلى الداخل.
- «يا له من مكان معزول. لو أن رجالنا تسلقوا الأشجار، فسيتمكننا ذلك من رؤية بضعة أمتار في عمق الأرض وذلك باستخدام الأشعة تحت الحمراء وآلات المراقبة، ولكننا لن نتمكن أبداً من رؤية المبنى الرئيس». تذكر (سانتير) تحليله في اجتماع المعسكر، الذي يحدد الآن نمط تصرفاتهم.
- «كيف يبدو الوضع عند بوابة الدخول؟» سأله (كامبراي) من خلال لاقط الصوت.
- «الضيوف مازالوا يتواجدون».
- نظر رئيس المحققين إلى الأعلى حيث كان الرجلين على سطح العربة، ثم رفع سبابة يده اليمنى كإشارة تأكيد.
- لقد اعترف لهم (لأفاليه)، أن العقار محاط بكلاب الحراسة الشرسة، إلا أنهم لم يروا أيّاً منهم حتى الآن. وقد عزوا ذلك لتوافد الضيوف في اليوم التالي. فأرادوا انتهاز هذه الفرصة.
- قفز (فايفر) أولاً فوق سور وتدحرج بخفة على الأرض المفروشة بأوراق الأشجار الجافة في الناحية الأخرى. وحالما قفز (سانتير)، أنزلت حقائب الظهر خلفهما. امتصت أرض الغابة صوت ارتطام الحقائب. رفع الرجلان الحقائب على كتفيهما وتقدما داخل الموقع. كان (سانتير) يحتفظ

بخارطة المكان في ذاكرته، ولهذا توجه فوراً باتجاه الغرب. كانت عتمة الليل على وشك أن تبتلع حمرة الشفق، فأرادا الاقتراب من المبنى الرئيس قدر المستطاع قبل بزوغ النور.

كان الموقع شاسعاً ومراقباً آلات المراقبة مواضع معينة فقط. وكذلك لم يكن من الممكن زرع إنذارات إلكترونية في باطن الأرض وذلك لكثره الحيوانات الصغيرة التي تمر في مثل هذه الغابة، فكانت ستتسبب بإطلاق الإنذارات الخاطئة بشكل متكرر.

أسرعوا متخطلين الأغصان المتشابكة وتسللوا بعيداً عن الأشجار الصغيرة، ومرروا بين الأشواك وتحت أسقف من ورق الشجر باتجاه القصر. بعد قطعهما لمسافة تقارب الكيلومتر رأوا أمامهما مساحة خالية، برزت خلفها كنيسة محاطة بسقالات. زحفوا بين الشجيرات واستعمل (سانتير) منظاره العسكري لاستكشاف المكان. ليس بعيداً عن موقع الكنيسة رأى برجاً مائياً. وحسب اعترافات (لأفاليه) فإن المبنيين كانوا مرتبطين بممرات تحت الأرض.

- «ماذا نفعل؟» سأله (فيكتور فايفر)، بعد أن نظر هو أيضاً من خلال منظاره العسكري «إلى داخل الكنيسة؟»



كانت الكراسي الرمادية الفامقة في الصف الأول قد امتلأت منذ الصباح الباكر. بينما وقفت الحشود متراصبة في بقية الساحة.

- «ما أزال أفكراً في ذلك الشخص الذي حملنا بسيارته لمسافة، عندما كنا في طريقنا إلى هنا».

نظر فيليب إلى الشاشتين الكبيرتين المنصوبتين على جانبي الساحة، اللتان كانتا تتقلاقان بشكل متبدال صوراً للحشود الحاضرة أو وجوهاً لرجال الدين الجالسين تحت مظلة برنيني البرونزية.

- «تعني ذلك الشرطي السابق، الذي كان في طريقه إلى تاجر التحف» عرفت (آنيا) فوراً الشخص الذي عنده (فيليب).

- «نعم هو من عنيت». نظر فيليب إلى الأدراج المكشوفة أمام كاتدرائية (بطرس). كانت المظلة الضخمة تهب ظللاً لطيفة لأصحاب المقام الرفيع في الكنيسة، الذين تواجدوا للجلوس في أماكنهم الموجودة خلف كرسي البابا الفارغ. «هل أنجز مهمة الشحن بنجاح؟»

تفحص بنظراته صفوف الجلوس على يمين ويسار المظلة، التي كانت على مسافة آمنة خلف الحاجز حيث يجلس المماليكون والمخاترون والمدعون.

دوى مكبر الصوت.

- «ماذا يقول؟» سأله (فيليب).

- «البابا قادم من (كاستل غاندولفو)، مقره الصيفي. أصيبت مروحيته بعطل في المحرك، وهذا سبب تأخره. ولكنه سيكون هنا حالاً». بعد صمت قصير عادت اللغات المختلفة للحشود التي تواجدت من كل بقاع الأرض تمتزج بأصوات غناء مجموعات من الشباب، والجمعيات الكنسية، التي كانت تتدرب، قبل أن تقدم أناشيدها تمجيداً للرب والبابا والعقيدة المسيحية.



بعد عودتهم من (فرنسا)، بذلوا قصارى جهدهم لمساعدة (ماتياس).
بناء على ما نصحه به (دوفور)، قام (كريس) ياخبارهم عن تلك المؤسسة
الصغيرة في جنوب (ألمانيا)، التي نجحت في إنقاذ حياة المريض من خلال
زراعة خلايا سليمة بواسطة خرطوم يتم إدخاله إلى الكبد المريض. حيث
تتكاثر تلك الخلايا وتعمل على شفاء المريض. وقد قامت (إينا) بالبحث عن
تلك المؤسسة وايجادها.

- «كانت بالفعل (آنا)». رفرفت بسمة ناعمة على وجهها. لم تكن
(ياسمين) تصدق بعد.

- «نجحت، أليس كذلك؟ أنا أرى ذلك على ملامحك!» منذ أن
حضروا إلى هنا وهي بانتظار هذه المكالمة. لقد مر أسبوعان تقريباً على
وجود (ماتياس) في تلك المستشفى.

- «نعم» أومأت (ياسمين)، وامتلأت عيناهما فجأة بالدموع. أمسكت
بذراعه «قالت (آنا)، أن حالته تتحسن منذ يومين. في البداية لم تكن مقتطعة
بذلك ولهذا لم تتحصل بنا. ولكن الجميع الآن راضون جداً.»
تعانقا. شعر بجسدها الدافئ، وبإثارة مفاجئة.

- «أنا أحبك!» تمنت ووضعت قبلة سريعة على شفتيه.
- «أنا كذلك.»

- «هل ستحبني دائمأ؟»
وضع يده تحت ذقnya، وأمسك رأسها بقوه ثم قبلها مجدداً. فتح
شفتيه، غدا باحثاً، ولكنها سحبت رأسها ضاحكة إلى الوراء.
- «أريد إجابة.»

- «الأبدية مجدداً. أنت تعلمين كم هي خطرة.»
- «أعرف مخرجاً رائعاً لهذا...» ضحكت وركضت على طول ضفة
البحيرة.

في الوقت نفسه الذي كان فيه المسيحيون الكاثوليك في مدينة (كولونيا) يحتفلون بيوم الشباب العالمي، كان البابا هو نجم هذا الاحتفال. إلى جانب كل الخطابات، والصلوات، وغيرها من النشاطات المرهقة، كان على البابا أن يتوجه إلى كاتدرائية (كولونيا)؛ لإجراء ذلك اللقاء، الذي لم يكن أحد يعلم به سوى حفنة من أصحاب المقامات الرفيعة. وحده ذلك الراهب السمين، مجهول الاسم القادم مؤخراً من (فرنسا)، هو الذي رافق البابا في ساعات الفجر الأولى إلى الكاتدرائية.



ملاحظات حول الاقتباسات المستخدمة

في مواضع كثيرة من هذه الرواية تم إدراج اقتباسات ونصوص معدلة من الكتاب المقدس وقوانين الرهبان للقديس (بندكت النورسي) (مثال: اللوم على الراعي). وهذه القوانين تحتوي إما على اقتباسات من الكتاب المقدس أو تستند إلى بعض من أجزائه. فإن لم يتم العثور عليها بنصها الحرفي في نسخ اليوم من الكتاب المقدس، فلقد قال مترجموا القوانين البنديكتية: «للاقتباسات من المخطوطات المقدسة، تم الاستعانة قدر الإمكان بالترجمة الألمانية الموحدة. فإن اعتمد (بندكت) على إصدار مختلف من الترجمة اللاتينية لكتاب المقدس، فتوجب بالضرورة الابتعاد عن الترجمة الموحدة».

تم اقتباس نصوص الكتاب المقدس بشكل كبير من: «كتاب المقدس بالألمانية المعاصرة» - الترجمة المشتركة لكتاب المقدس نيابة عن وتحت مسؤولية (على سبيل الذكر): الجمعية الألمانية لكتاب المقدس (كتاب المقدس النسخة البروتستانية)، الاتحاد الكاثوليكي لكتاب المقدس، شتوتغارت الطبعة المنقحة الثانية، الجمعية الألمانية لكتاب المقدس، شتوتغارت 1982.

تم اقتباس أجزاء من قوانين (بندكت) من: «قوانين القديس بندكت - تم إصداره باسم من مؤتمر (سالزبورغ)

لرؤسائِ الأديرة» الطبعة المنقحة الثامنة، دار نشر الفنون في ببورونر،
ببورونر 1990

ISBN 3-87071-0606-8

تمت اقتباسات بعض من أقوال البابا يوحنا بولس الثاني، التي وردت
في المقدمة، من:

آندربي إنجلش «يوحنا بولوس الثاني سر كارول فويتيل» الصفحة 15
و 375 الطبعة الأولى، دار أولشتاين المحدودة للنشر، برلين 2004.

شيفرة بابل

سر الحياة سيُكشف...

علماء عديمي الضمير يقتلون لأجله...
والفاتيكان يخشى أن تُفتح أبواب الجحيم.

بالعثور على قطع أثرية من بابل القديمة أصبح حلم
راود البشرية على وشك التتحقق. ولكن دوائر نافذة
تريد إخفاء ما تحتويه هذه القطع الأثرية من أسرار
خطيرة.

الشرطى السابق "كريس" و العالمة "جسمين"
يحاولان فك رموز هذه القطع الأثرية و في سبيل
ذلك يجوبان أوروبا وراء خيوط تدلهم على
المتأمرين فيدخلان في دوامة من القتل والخيانة.
هناك شخص واحد في أعلى دوائر الفاتيكان
يستطيع مساعدتهم على حل هذا اللغز... إنه البابا.
ولكنه يدرك تماماً أن حلم البشرية المزعوم يمكن أن
يتحول إلى كابوس للجميع...



للدراسات
والنشر
والتوزيع



نيل وفرات.كوم
www.neelwafurat.com

نحو اعماقة الرفع برواية

مكتبة عجمك

ask2pdf.blogspot.com